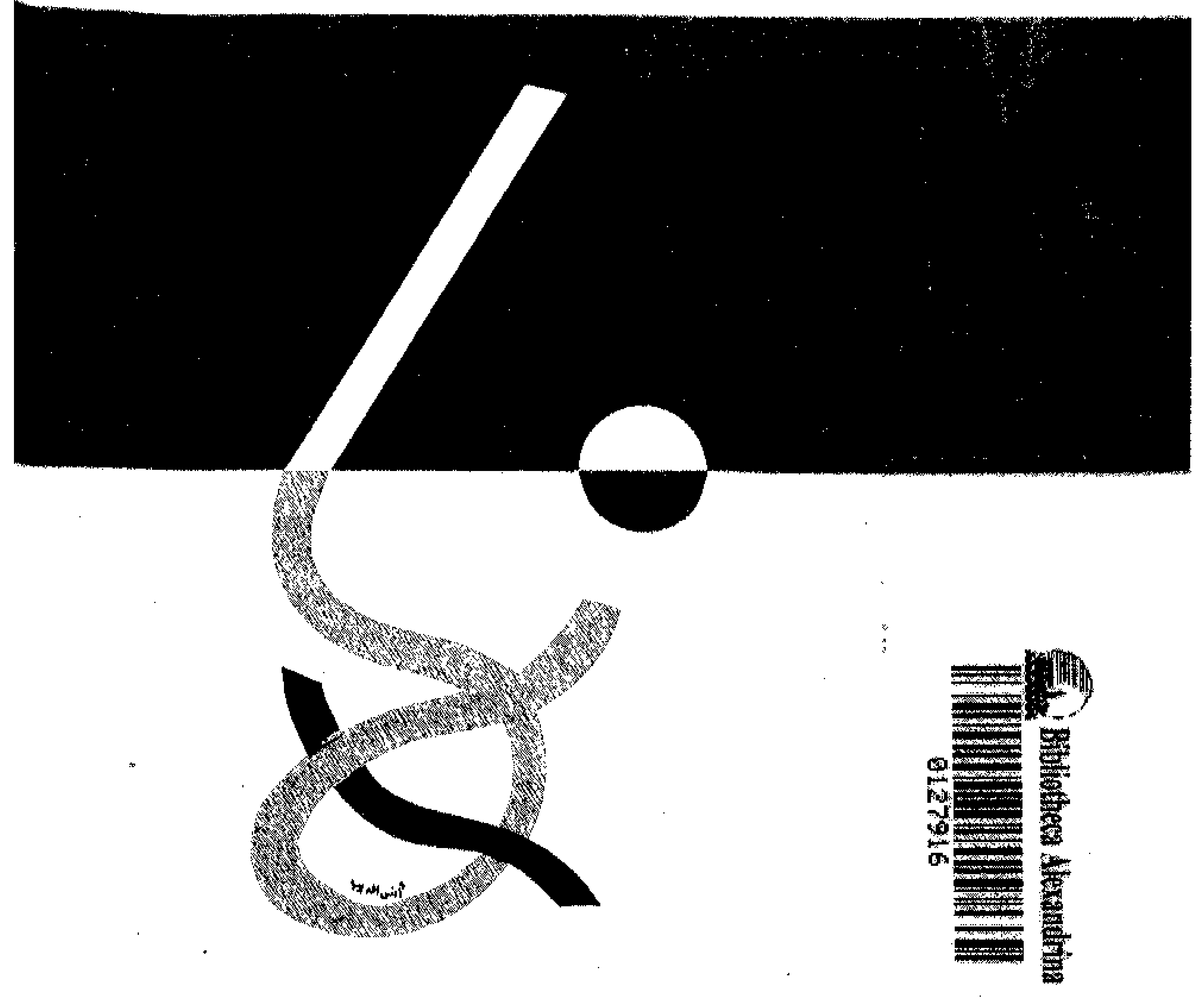
د. محمد على الشهـــارى



نظرة فى بعض قضايا الثورة اليمنية

مكتبة مدبولى

الدكتور
محمد علي الشهاري

نظرة في بعض قضايا الثورة اليمنية

الطبعــة الأولى

١٩٩٠

تصميم الغلاف : الفنان انس الديب

محتويات الكتاب

الموضــوع | صفحة

القسم الثالث ــ حول احــداث ١٣ يناير ١٩٨٦

اضـــــــاءة :

المقالات المبسوطة أمام القارىء الكريم كتب ونشر بعضها قبــل أحداث ١٣ ينــاير ١٩٨٦ المأساوية ، وبعضهــا كتب ونشر بعــدها (في صحافة اليمن الديمقراطية) •

القليل منها يتحــدث عن ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ التي عصفت بها قــوى التآمر والتخريب الداخلية والخارجية ، في وقت كانت فيــه الحركة الوطنية اليمنية ضعيفة العود ، غير موحــدة الكلمة ، وغير معبأة في جبهة وطنية ديمقراطية عريضــة قادرة على احباط أعمــال التآمر والتخريب الرجعية والاستعمارية ، والمضي بالثورة نحــو انجاز مهامها الاستراتيجية في التحرر الوطني الكامل ، والتقــدم الاجتماعي الشامل ، وتحقيق اليمن الديمقراطي الموحــد •

أما أكثر هــذه المقالات فمنصب حــول ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ ، التي بفضل أداتها القيادية الملتحمة بجماهير الشعب الساحقة ، أمكن لها لا أن تتغلب فقط على شتى المحاولات الداخلية والخارجية التي هــدفت الى ضربها ، أو الانحراف بها ، أو عرقلة سيرها ، أو افراغها من محتواها ، أو جعلها تراوح في مكانها ، وانما تمكنت أيضا من شــحذ وتطوير أداتها القيادية هــذه ، وتحويلها من حزب ديمقراطي ثوري الى حزب طليعي ، هــو الحزب الاشتراكي اليمني ، الذي ضم الفصائل المتقــدمة التي تمخضت بها الحركة الوطنية اليمنية على امتداد تاريخها ، مما سهل تحول الثورة ذاتها من ثورة تحرر وطني الى ثورة ديمقراطية ذات توجه اشــتراكي •

وبفضل هــذه الأداة القيادية الطليعية ، المدعومة من قبل حلفاء المسيرة الثورية العالمية ، وفى مقــدمتهم منظومة البلدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، أمكن للثورة أيضا أن تتجاوز محنــة المحن التى واجهتها عبر تاريخها النضالى كله ، محنة « الصراع الداخلى فى الحزب » حسبما جاء فى البلاغ الصحفى الذى أصــدرته اللجنــــة المركزية فى ختام دورتها الاعتيادية الكاملة الحادية عشرة التى عقــدت ما بين ٢٧ ــ ٢٩ ديسمبر ١٩٨٧ م ــ الذى بدلا من أن يحــل وفــق المبادىء والأسس التنظيمية اللينينية التى تمثل نسغ وقوام الأحزاب الطليعية فى كل مكان ، حسم بطريقة تآمرية تذكر « بانقلابات القصور » ، حيث جرى « اللجوء الى استخدام أساليب العنف فى حــل الخــلافات الداخلية » ــ حسب صيغة البلاغ المشار اليه ، الأمر الذى فجر أحــداث ١٣ يناير ١٩٨٦ بكل ما ترتب عليها من حرب أهلية طاحنة ضروس كان يمكن أن تدمر التجربة الثورية الرائدة التى بشرت بها ثورة ١٤ أكتوبر وتأتى على النظام الديمقراطى الثورى الذى جسدها ، لولا أصالة هــذه التجربة وعمق انتمائها الى الجماهير والمستقبل ــ رغم حالات الاغتراب التى ولدتها هــذه الأحــداث بين النظــــام وهــذه الجماهير والتى لا محيص من تجاوزها ــ ولولا وجود الأداة الطليعية القائدة لهــا التى تمكنت ، رغم كل ما تعرضت لــه من أزمات من الحفاظ على مصــــير الثورة ، ومن رد غول قــوى التدخل الخارجية عنها ، مسنودة فى ذلك بالدعم غير المحــدود الذى قــدمه الحليف والصديق : الاتحــاد السوفيتى ، وأخــذت الآن تراجع ملف تجربتها بنظرة انتقادية وتتهيأ لتنفيذ مشروع اصلاح اقتصادى ، وسياسى وثقافى شامل يشملها هى نفسها ، يساعد على حل أزمة العمــل الوطنى الديمقراطى وحل معضلة التعــددية السياسية .

أصالة التجربة الثورية وعمــق انتمائها الى جماهير الشعب والى المستقبل والى كل قــوى التقــدم والثورة فى العالم التى تمسك بزمام

المبادرة التاريخية بمقـدرة وجسارة ومهارة — هـذه الأصالة ، وهـذا العمق تجسدا أيضا فى الاستخلاصات التى خرجت بها اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى فى دورتها الآنفة الذكر ، والتى لا مفر من اثبات بعض منها فى هـذا السياق :

« لقـد وضعت اللجنة المركزية فى دورتها الحادية عشرة الاعتيادية الكاملة نصب أعينها أن النجاحات فى تعـزيز الجبهة الداخليـة على المستويات الحربية والاقتصادية والأيديولوجية وعلى صعيد نشـاط أجهزة الدولة والحكومة والمنظمات الجماهيرية والابداعية هى الأساس المـادى الذى يمكن أن ترتكز عليه بقيـة النشاطات والنجاحات على المستوى الخارجى .. وتأكيد أفضليات نظـام التوجـه الاشتراكى والنموذج الذى ينبغى أن تقـدمه تجربتنا الثورية لخـدمة أهـداف الحركة الثورية العربية وعلى نطـاق البلدان المتحررة ذات التوجـه الاشتراكى التى تواجه تعقيدات جمة على صعيد البناء الداخلى التقدمى ، وتجاوز عوامل التخلف والاحباط الناجمة عن ضعف مستوى التطـور الاقتصادى والاجتماعى والحضارى عموما .. وقـوة تأثير النزعات المتخلفة ، ووجود أساس موضوعى يدعم الاتجاهات المنحرفة اليسارية واليمينية على حـد سواء ، ويسوغ علاقات التبعية الاقتصادية والارتهان السياسى للدوائر الرجعية والامبريالية .

ولقـد أكدت اللجنة المركزية أن الأساس الصلب لتحقق نجاحات ملموسة فى ابراز أفضليات نظام التوجـه الاشتراكى وتكريس قـدرته على تجاوز التخلف وتحقيق وتائر عالية فى خطى التطور الاقتصـادى والاجتماعى والثقافى انما تستقيم جميعا على توفر شروط وجـود الطليعة الثورية المنظمة الملتزمة بوعى ونضج بالنظرية الثورية وبالمصالح الطبقية للكادحين والمصلحة العليا للوطن والتى تجمع فى آن واحـد فى نشاطاتها ونضالاتها المختلفة بين المبدئية الراسخة والمرونة السياسية . ولتحقيق ذلك أكدت اللجنة المركزية على أهمية أن تقوم كامل مهامنا ونضالاتنا على

قاعـدة الدور القيادى للحزب وتصليبه وتعزيز دوره وتقـوية نفوذه بين أوساط الجماهير ، وتحـديد نشاطاته على أساس النموذج الرفيع والقـدرة الحسنة ، وتحسين أساليب وطرق عمله اليومى ، لأن ذلك يشكل الأساس الراسخ لنجاحات الحزب فى قيادة عملية البناء التقدمية الشاملة ، وضمان ورسوخ هـذا النجاح على نحـو مضطرد ، حيث ينبغى أن يعطى الحزبيون المثل الساطع على روحهم الكفاحية العالية ، وانضباطهم الحـديدى ، وتفانيهم فى انجاز المهام التى يوكلها الحزب اليهم ، وتجسيد روح الطليعة الواعية المجربة المكافحة والناضجة فكريا وسياسيا •

وأشارت الى أنه ليست ممـا يليق بحزب ثورى يؤدى رسالته فى ظروف استثنائية وصعبة كظروفنا أن يتساهل أمام مظاهر التسيب وعـدم الانضباط وأداء المسؤوليات الحزبية ، لأننا لا نستطيع أن نتصـدى لكل ذلك الحشد الهائل من القضايا وتنفيذ مهامنا الجسيمة الا بتمتين تلاحم الحزب وخلق روابط رفيعة من التنظيم والانضباط الصارمين ، والوعى والكفاءة العاليين •

ووقفت اللجنة المركزية أمام عمـل الهيئات القيادية فى الحزب ومستوى تنفيذ المهمات المناطة بها •• ورأت أنه من الضرورى تعزيز عمل هذه الهيئات القيادية التى تمسك بيديها المفاصل الرئيسية للنشاط الحزبى والسياسى والاقتصادى فى أجهزة الحزب وأجهزة الدولة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ١٩٨٧/١٢/٣٠) • ومن الضرورى التنويه هنا الى أن وقفـة المراجعة والاصلاح والتصحيح لمسار التجربة ستدخل منعطفا جـديدا باستقصاء رأى الحزب والشعب فى مشروع الاصلاح الذى تقـدمت به قيادة الحزب •

وتتوقف المقالات أما قضية الوحـدة اليمنية ، وكيفية معالجـة الحركة الوطنية اليمنية لهـا ، وخاصة الجبهة القومية ، منذ أول مؤتمر لهـا حتى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى ، وحتى الكونفرنس العـام للحزب ، موضحة فى نفس الوقت البعـد الوطنى والطبقى لقضية الوحدة

اليمنية ، ومؤكدة أن تحقيقها لا يمكن أن يتم الا ضمن المجرى التاريخى لحركة الثورة اليمنية ، وبما يتفق مع المصالح والمطامح الأساسية للقوى الاجتماعية الحية صانعة الثورة والوحـدة معـا ، والا فى ظل أجـواء واسعة من الحريات الديمقراطية لهـذه القـوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى قيام يمن ديمقراطى موحـد .

وقـد أعطت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى عنـاية خاصة لهـذه القضية مبددة بذلك الرؤية الضبابية تجاهها التى يطرحها بعض المثقفين الاصلاحيين ، ومزكية النظرة الموضوعية والمبدئية والواقعية تجاههـا .

ولا محيص من ايراد الفقرات الخاصة بها التى تضمنها البـلاغ الآنف الذكر لدورتها الحادية عشرة :

« لقـد أعطت اللجنة المركزية اهتماما كبيرا للقضية الوطنية اليمنية ، وفى مقـدمتها اعادة تحقيق الوحـدة اليمنية كهـدف من أنبل وأعظم أهـداف شعبنا وثورتنا .

وأكدت على صحة موقف الحزب الاشتراكى اليمنى من هـذه المسألة ، والتى تضمنتها وثائقه وأدبياته ، وخاصة البرنامج السياسى للحزب ... وأكدت أنه لا يصح النظر الى مضمون هـذه المسألة من خارج وحـدة أهـداف ثورتى سبتمبر وأكتوبر المجيدتين ومضامين الاتفاقيات الوحـدوية بين قيادتى شطرى الوطن اليمنى ، وخاصـة اتفاقية القاهرة وبيانى طرابلس والكويت .

وترى اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى أنه من الضرورى العمل فى ظـل الظروف الراهنة على أكثر من صعيد وبكل الاتجاهات من أجل خلق أجـواء آمنة ومستقرة بين الشطرين ، وتعزيز العلاقات السلمية وروح التفاهم الأخوى البنـاء كأساس سليم ومبدئى للتقـدم نحو تحقيق خطوات وحـدوية أخرى ، والتركيز على توسيع مجـالات التنسيق والتعاون المشترك بين الشطرين ، واقامة المشاريع الاقتصادية

والاجتماعية المشتركة ، وتنسيق الجهود فى مجال السياسة الخارجية ، بحيث تصير أساسا ماديا ثابتا لتحقيق الحلم العظيم للشعب اليمنى فى اعادة تحقيق وحدته على نحو من القوة والصلابة يستحيل معها تفكيك عرى هذه الوحدة ، وان الوحدة المطلوبة للشعب اليمنى هى الوحدة التى تقوم على تكريس مصالحه وفتح آفاق تطوره اللاحق ، وتمكينه من الاضطلاع بدوره الحقيقى فى دعم قضايا أمتنا العربية العادلة ، وكذا دعم البلدان المتحررة وحركات التحرر الوطنى فى العالم .. ان هذه هى الوحدة التى ستبقى وستترسخ على الدوام رغم الصعوبات الداخلية والخارجية .

ونوهت اللجنة المركزية الى أن الحزب الاشتراكى اليمنى قد انتهج سياسة وحدوية مبدئية صائبة ، وأن قيادة الشطر الجنوبى من الوطن كانت حريصة دائما على أن تكون الاتفاقيات الوحدوية بين الشطرين هى الأساس الذى ينبغى أن تتركز عليه الحوارات والاتفاقيات اللاحقة ، والعمل نحو تطويرها باستمرار ، لتهيئة وانضاج الشروط المادية والسياسية لقيام الكيان اليمنى الموحد والديمقراطى ، وان هذا هو السبيل القويم الذى ينبغى مواصلة السير عليه بدأب لا يعرف الفتور أو الكلل .

وعلى هذا الطريق أكدت اللجنة المركزية أن الشروع فى توحيد المنظمات الجماهيرية والابداعية فى شطرى الوطن هو من الاتجاهات البارزة للعمل الوحدوى والضمانة الأكيدة لأن تلعب الجماهير اليمنية دورها التاريخى فى اعادة تحقيق الوحدة كقضية عظيمة ونبيلة لهذا وبها ترتبط المصالح الحقيقية لجماهير الشعب .. ولا ينبغى اغفال القسط الذى حدده التاريخ للجماهير فى النضال من أجل اعادة تحقيق الوحدة اليمنية » . (المصدر السابق) .

من المهم الاشارة هنا الى أن تمتع هذه الجماهير عبر قواها السياسية من تشكيل أحزابها والتحالف الحر لهذه الأحزاب سيسهل أمر تحقيق الوحدة اليمنية .

القسم الأول

حـول ثـورة ٢٦ سـبتمبر

معاهـدة اول نوفمبر ١٩٢٨

كسرت الطـوق الاستعمارى
وارسـت حجر الأســاس لصرح
الصـداقة اليمنيـة ـ السـوفيتية

كان الهـدف الرئيسى الذى وضعه الامام يحيى نصب عينه ، بعـد تسلمه السلطة فى نهاية عام ١٩١٨ على انقاض الحكم التركى ، هـو توسيع مملكته التى أسماها المملكة المتوكلية اليمنية بحيث تشمل اليمن كلها . هـذا الهـدف كان مبررا تاريخيا ومشروعا سياسيا فوق أنه كان يتناغم مع الوجهة الموضوعية لحركة الشعب النضالية المتطلعة نحو اعادة اقامة دولة اليمن المركزية الموحـدة المتحررة .

وكما كان يفعل دائما كبـار الاقطاعيين الذين يأنسون فى أنفسهم القـوة فانه سعى نحو التغلب على تجزؤ البلاد الى امارات ومشيخات صغيرة والى اقامة حكمه المطلق فيها .

(*) نشرت فى « الثورى » عـدد ١٩٨٨/١١/١٢ .

جاء هـذا المسعى التوحيدى فى وقت كان الاستعمار البريطانى قد بسط فيه حمايته على كل جنوب اليمن ، وكان السعوديون قد رفعوا فيه مطالبهم التوسعية الاقليمية على بعض الاقاليم الشمالية من الأراضى اليمنية • فى ظل مثل هـذه الظروف فان النزوع نحو توحيد اليمن — حتى ولو كان على رأس حركة التوحيد هـذه حاكم اقطاعى — قـد اتخذ شكلا أوليا لحركة ذات منحى تحريرى • حقا أن النظام الرجعى المتخلف الذى أقامه الامام يحيى ما كان له أن يوفر الشروط الداخليـة لتحقيق مثل هـذه المهمة الوطنية المشروعة والتقـدمية • وعـدا ذلك فان الامام يحيى كان يفتقد الدعم العالمى المساند لعملية التوحيد هذه • وعـدا الاتحاد السوفيتى ، الدولة الاشتراكية الوليـدة والوحيدة فى العالم ، والتى أعلنت تعاطفها مع مطالب الشعب اليمنى العادلة ومـع كفاحه من أجل اقامة دولته المستقلة الموحـدة ، فان جميـع الدول العظمى كانت تتابع أهـدافها الاستعمارية الصريحة ليس الا •

ومن الموقع الاستعمارى الذى ثبتت أقـدمها فيه على الشاطىء الغربى للبحر الأحمر كانت تتبع ايطاليا الفاشية بانتباه متزايد ذلك النزاع القائم بين الامام يحيى وانجلترا • وعن طريق تأييدها لمطالب الامام الخاصة بجنوب اليمن وبعسير ارادت النفاذ الى مملكته ذاتها ، واكتساب موقع نفوذ متميز فيها •

هـذا الطموح الاستعمارى مثل امتدادا تاريخيا لمحاولة سابقة كانت الامبريالية الايطالية قـد بذلتها فى مطلع القرن العشرين من أجل الحصول على قاعـدة بحرية فى باب المندب عند مدخل البحر الأحمر وبالذات على الساحل اليمنى • ومع صعود الفاشية الى السلطة استؤنف من جـديد هـذا الخط التوسعى ، وفى بادىء الأمر أعلنت ايطاليـا استعدادها لبناء مصنع ذخيرة فى اليمن ، بل واقامت محطة اذاعة فيها ، كما أرسلت أطباء • كانت النتيجة لمثل هذه السياسة الايطالية الملتوية

هو عقــد معاهــدة يمنية — ايطاليــــة فى ٢ سبتمبر ١٩٢٦ ، اعترفت بمقتضاها ايطاليا — رياء — بالاستقلال الكامل للامام ولملكته اليمنية وعلى أساسها التزمت الدولتان المتعاقــدتان بتسهيل التبادل التجارى بينهمـــا .

نظرت الامبريالية البريطانية ، التى كانت تعتبر البحر الأحمر بحيرة بريطانية ، حيث أنها كانت تقبض على مدخله الشمالى فى قنــاة السويس ، وعلى عــدن فى الجنوب ، نظرت الى هــذا التطور بانزعاج ظاهر ، فقــد رأت فى المعاهــدة خطرا حقيقيا على قاعــدتها البحرية فى عــدن ، وعلى مصالحها الاستراتيجية فى السواحل اليمنية للبحــر الأحمر ، وعلى السوق اليمنية عموما التى كانت قــد غــدت تابعــة لهــا . وعــد ذلك فان لندن رأت أن هناك خطرا أبعــد يمكن أن ينشأ بعقــد المعاهــدة ، حيث ستتمكن ايطاليا فى حالة اندلاع الحرب من حصار الطريق البحرى الى الهند . كانت مطامع ايطاليا التوسعية معروفة جيدا لدى العاصمة التى لا تريد أن تغيب عــن امبراطوريتها الشمس فالحصول على موقع نفوذ متميز فى باب المنــدب ، وبسط السيطرة الايطالية على السواحل اليمنية ، سيتيح للفاشية الايطالية تسديد ضربة حاسمة الى مراكز الهيمنة البريطانية فى جنوب آسيا .

ساءت العلاقات أكثر بين الامام يحيى وايطاليا من جهــة وبين بريطانيا من جهة أخرى من خلال تردد نبأ غير رسمى عن أنه عقــد فى الحــديدة اتفاق سرى بين السيف محمد نجل الامام وبين غاسباريني فى ١ يونيو ١٩٢٧ اعترفت ايطاليا بمقتضاه بالامام يحيى حاكما على اليمن كلها بجميع حــدودها الجغرافية — التاريخية ، وزكت حقــه فى توحيد كل الأراضى اليمنية بدعم من صاحب الجــلالة ملك ايطاليــا ، والتزمت بتقــديم السلاح والذخيرة التى يحتاج اليها بأدنى الأســعار ومقابل ذلك أعلن الامام بأنه — خلال فترة سريان هــذا الملحق السرى

ـ سيعطى ايطاليا أفضلية على جميع البلدان الأخرى فى اقامة مشاريع اقتصادية فى الأراضى اليمنية ، على أن يحتفظ لنفسه بحق جباية الضريبة منها وفــق الشريعة السارية فى بلاده • غير أن كلتــا الحكومتين اليمنية والايطالية كذبتا نبأ عقــد مثل هــذا الاتفاق السرى فور اشاعته •

وفى الامكان القول أن ابرام اتفاق سرى مكتوب ، وموقع عليه من قبل الحكومتين أمر غير محتمل • ان من أحــد الأسباب لذلك أن الاتفاق قضى بأن يتعاون الامام يحيى مع ايطاليا فى مكافحة تجارة العبيد • ومطلب كهــذا ما كان للامام يحيى ـ الذى كان معروفا بتمسكه بفهمه الخاص لمــا تبيحه وما لا تبيحه الشريعة الاسلامية ـ أن يقبله ناهيك أن تجارة العبيد كانت موجودة فى اليمن وظلت قائمة حتى وان كانت فى حــدود • غير أنه من المؤكد أن الايطاليين وعــدوا الامام بتأييد مطالبه فى اليمن كلها وبتقــديم السلاح له •

ومقابل ذلك سمح لهم بتصــدير سلعهم الى اليمن ، واعطــاهم امتيازات اقتصادية • كما أن مفاوضات قــد جرت بين الجانبين أمكن تسرب أخبارها فى حينه ، قادت الى أن ايطاليا رفضت الاعتراف بابن سعود كحاكم لعسير التى كان يصر الامام على تبعيته لليمن •

لقــد كان هــدف الامام يحيى من عقــده معاهــدة ١٩٢٦ مــع ايطاليا هو بلوغ حلمه المرتجى فى دحر البريطانيين من عــدن والمحميات ولذلك فانه تجاوب مع ايطاليا الفاشية ، ولا سيما عندما أظهرت استعدادها لتزويده بالسلاح • وقــد توثقت العلاقات بين الجانبين أكثر عندما بعث الامام نجله محمد حاكم الحــديدة فى مطلع يونيو ١٩٧٢ الى روما فى زيارة رسمية • وفى كلمته التى ألقاها الأمير امام موسوليني فى حفــل التكريم الذى اقيم على شرفه امتدح الدوتشى ـ سيد ايطاليــا غير المنازع ـ على المساعدات الايطالية ، وأعرب عن رغبة الامام فى الحصول على المزيد منها حتى تتمكن اليمن من الحفاظ على استقلالها •

فى ٢٠ فبراير ١٩٢٦ وضع حجر الأساس لمصنع السلاح الأول فى اليمن ، وفى مطلع عام ١٩٢٨ بدأ انتاج أولى أمشاط الرصاص منه وفى نفس الوقت اقامت ايطاليا أول مدرسة للطيران فى اليمن ، والى ايطاليا أرسل شباب يمنى لتعلم الطيران المدنى والعسكرى •

ومقابل ذلك حصلت حكومة الدوتشى الفاشية على امتياز احتكار تجارة البن لزمن معين ، ومنحت البضائع الايطالية أفضلية على غيرها ، واحتكرت ايطاليا بيع البترول لليمن لمدة خمس سنوات « والشركة العربية الايطالية » التى أسست على عجل صدرت فى عام ١٩٢٧ وحده الى مملكة الامام ٩٥٠٠٠ صفيحة بترول ، وهو ما يساوى ٧٠٪ من وارداتها من البترول • وتأسست شركات أخرى مثل الشركة الايطالية الاستعمارية و "S. A. N. E" •

وبفعل ذلك تأثرت التجارة البريطانيا من عدن الى مملكة اليمن بقوة • وقد اعتبر الامام أمر التجارة وتحويلها فى اتجاه آخر بمثابة مظاهرة ضد البريطانيين ، ولذلك فانه وجه تجارة بلاده لصالح الايطاليين عن طريق ارسال صادراتها عبر ميناء الحديدة الى ميناء مصوع التابع للمستعمرة الايطالية أريتريا •

هذا الواقع يثبت أنه أمكن لايطاليا الفاشية ، لا أن تحقق شيئا من النفوذ على الامام فقط ، بل أن تحصل على امتيازات اقتصادية •

غير أنه لا ينبغى أن يستنتج من ذلك أن ايطاليا حققت أهدافها التوسعية ، وتصور كهذا يناقض الحقيقة التاريخية • فلم تتمكن لا من الحصول على قاعدة فى السواحل اليمنية ، ولا أن تشكل تهديدا حقيقيا لاستقلال البلاد • وما كتبته الصحافة البريطانية فى مثل هذا الوقت عن أن الامام قد تحول الى مجرد أداة فى يد ايطاليا وأن بلاده

غـدت جزءا من الامبريطالية الايطالية لا يعـدو أن يكون تشـاؤما مقصودا . وفى الواقع فانه اتيح للامام يحيى — نتيجة حـذره الذى عرف به — أن يحتفظ بنفسه بعيدا عن عملية التطويق الخطيرة التى كانت تخطط لهـا ايطاليا الفاشية ، وأن يحافظ على حريته ، وعـدا ذلك فانه عرف مـع الوقت انها لا تملك لا القوة ولا الرغبة لمساعدته على أن يصبح حاكما لليمن كلها .

فى هـذا الظرف الصعب الذى عزمت فيه كل من الفاشية الايطالية والامبريالية البريطانية على أن « تلتهم » مملكته ، خطب الامام صداقة الاتحاد السوفيتى . أول اتصالات أجريت بينه وبين الكرملين تمت عام ١٩٢٦ من خلال البعثة السوفيتية فى جده ، وبعـدئذ وصلت بعثة تجارية سوفيتية صنعاء ، كما أحضرت السفن السوفيتية بترولا وسلعا أخرى الى اليمن ، قاد هـذا التقارب ، وبناء على طلب الامام ، الى عقـد معاهـدة صـداقة وتجارة بين البلدين فى ١ نوفمبر ١٩٢٨ لمدة عشر سنوات ، وقـع عليها فى موسكو فى ٢٣ يناير ١٩٢٩ بينما وقع عليهـا الامام فى ٢٤ يونيو ١٩٢٩ ، وهـو ذات اليوم الذى تم فيه تبـادل الوثيقة المكتوبة باللغة العربية ، ومنذئذ غـدا كريم حكيموف الذى كان أول سوفيتى يصل اليمن تمهيدا لوضع المعاهـدة ممثلا للاتحـاد السوفيتى فى كل من جـده وصنعاء . تنص المـادة الأولى من المعاهـدة على أنه « تعترف حكومة اتحـاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بالاستقلال الكامل المطلق لحكومة اليمن . ويقـدر امام اليمن وحكومته صورة الاحترام الخالص والنيات الجميلة التى تغمر بها حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية اليمن وشعبها وسـائر الشعوب الشرقية » . كما نصت المـادة الثانية على تسهيل التبادل التجارى بين الطرفين المتعاقـدين وعلى حـق الدخول والاقامة لرعايا الدولتين طبقا للأنظمة القائمة وتعاطى التجارة ، وحسب نص المـادة الخامسة فقـد أسميت المعاهـدة بـ « المعاهـدة الودية والصداقية والتجارية » .

ووفقا لهـا أقيمت وكالة تجارية سوفيتية فى صنعاء كان حكيموف نفسه المسئول الأول فيها • (يقرأ نص المعاهـدة فى كتاب عـدنان الترسيسى : اليمن وحضارة العرب • بيروت ص ٢٦١ — ٢٦٢) •

عززت المعاهـدة اليمنية — السوفيتية موقف الامام يحيى ، وكانت بمثابة انذار موجـه الى عنوان الامبرياليين الطامعين فى مملكة اليمن بضرورة احترام سيادتها •

ولم تكن المعاهـدة بدون تأثير فى كل من لندن وروما • وعلى الفور بدأ بين الدولتين الامبرياليتين نوع من تبادل الآراء حـول تحـديد مصالحهما فى البحر الأحمر وفوق ذلك فان الفاشية الايطالية أخـذت تدخل شيئا من التعـديل على سياستها تجاه اليمن ، ومالت قـدرا ما عن الامام يحيى ، وشخصت نحـو ابن سعود الذى عقـدت معه فى ١٠ فبراير ١٩٣٢ معاهـدة صـداقة وتجـارة • وفى ١١ مايو ١٩٣٢ أعلن وزير الخارجية الايطالى م• جراندى أمام مجلس الشيوخ اعتراف ايطاليا بابن سعود كحاكم على كل المناطق الخاضعة له ، بما فيها عسير •

كان هـذا التحول فى الموقف الايطالى من نتائج المعاهـدة اليمنية — السوفيتية • فقـد تلقت المطامع الاستعمارية الايطالية بذلك ضربة موجعة ، وعـدا ذلك فان المعاهـدة مكنت مملكة اليمن من التحرر من الضغط الاقتصادى لايطاليا • فقـد قضى على احتكارها توريد البترول وعلى احتكارها التجارة الداخلية والخارجية لملكة الامام • فقـد أقام الاتحاد السوفيتى معارض منظمة للأدوات الزراعية والمنتجات الزراعية ، وغيرها من السلع فى أنحاء البلاد ، وخاصة فى صنعاء والحـديدة • وفى عام ١٩٢٩ زود الاتحاد السوفيتى المملكة اليمنية بما يزن ٦٠٠٠ طن من البنزين و ١٦٠٠ طن من السكر (٤٠٪ من واردات البلاد) و ٣٠٠٠ طن من الحبوب (٣٥٪ من الواردات) مقابل شروط دفع ميسرة •

وبذلك اتيح للاتحاد السوفيتى لا أن يكسر فقط احتكار واردات البترول الى المملكة اليمنية ، وانما تمكن أيضا من انتزاع الواردات الأساسية اليها خلال عامى ١٩٢٩ — ١٩٣٠ من أيدى الدولتين الامبرياليين ايطاليا ، وبريطانيا ، كما تمكن من أن يغطى حاجة البلاد الأساسية •

حاولت الامبريالكة اليابانية بدءا من عام ١٩٣٣ أن تخترق هـذه المنافسة التى فاز فيها الاتحاد السوفيتى • ومن خلال بيـع بضائعها بأسعار مخفضة ارادت أن يكون لهـا موطىء قـدم راسخ فى السوق اليمنى • وقـد أمكنها فى هـذا العام — ١٩٣٣ — أن تورد للمملكة ٨٥٪ من حاجتها الى النسيج • وبقية الـ ١٥٪ توزعتها كل من ايطاليـا وانجلترا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، (مجمل واردات البلاد بلغت ١٨٠٠٠ باله) •

كتب مؤلف ايطالى فى هـذا الوقت أن المنافسة اليابانية الخطيرة التى اكتسحت بلاد العرب ، واغرقت أسواقها بالمنتجات لا قبل لأحـد بمقاومتها ، وان الاتحاد السوفيتى لا يستطيع أن يمارس فى مملكة اليمن تجارة رابحة مجزية بفعل ذلك • ولكن لان الاتحاد السوفيتى لم يكن يبيع بضائعه بأسعار مخفضة فحسب ، وانما كقرض أيضا ، فانه أمكن له أن يدحر البضائع اليابانية ، كما كتب مؤلف ايطالى آخر ، وهـو ذات الرأى الذى دعم من قبل مؤلفين عرب • وعـدا ذلك فان الوكالة التجارية السوفيتية فى اليمـن وجهت ضربات أخرى ضـد الشركات الأجنبية التى كانت قـد أقيمت فيها •

كان الوضع كما يلى : لم يكن لدى التجار اليمنيين سوى معرفة زهيدة بالأسواق العالمية وبالتجارة الخارجية ، ولم يكن رأسمالهم الوطنى كافيا لتغطية تكاليف التصدير للبن اليمنى الى البلدان الأخرى ، ممـا أفسح المجال أمام أصحاب الأعمال الأجانب وأمام الشركات للنفـاذ

مباشرة آل مالكي مزارع البن . وكان هؤلا الأجانب يحصلون على البن في الغالب عن طريق الغش لليمنيين الذين يجهلون مدى الطلب الخارجي على هـذه السلعة وعلى أسعارها العالمية . ولكن ليس البن ، وانما الجلود أيضا وغيرها من السلع اليمنية كانوا يحصلون عليها على هـذا النحو . لقـد كانوا هم الوسطاء الوحيدين بين مملكة اليمن وبين السوق الخارجي والذين عن طريقهم كان أصحاب مزارع البن والمنتجـون الآخرون يبيعون البن والمنتجـات الأخرى ؛ غير أن الوكالة التجارية السوفيتية أخـذت تجلي هؤلاء التجار الأجانب المحتالين من السوق اليمني عن طريق تلك الصلة المباشرة التي اقامتها مع الريف اليمني ومع التجار الصغار ، حيث أخـذت تشتري البن والجلود مقابل السكر ، والرز ، والدقيق ، والخشب ، والنسيج ، والكبريت ، والغاز . وبذلك تمكنت من تثبيت الأسعار ، ومن توجيه ضربة الى الشركات الأجنبية الامبرياليـة .

وبذلك تحسنت أوضاع السكان . ولم تغفل البعثـة التجارية السوفيتية عن واقـع ان أصـحاب السـفن الغربيين كانت سـفنهم الصغيرة تتردد ما بين شواطىء البحر الأحمر ، وتكسب مبالغ خياليـة من نقـل بضائع التجار اليمنيين من عـدن الى الحـديدة ، ممـا قاد الى نهب هؤلاء التجار فقط . من هنا فان الاتحاد السوفيتي أمسك بزمام المبادرة لوضع حـد لعملية النهب هـذه . فسفنه التي كانت تعبر الخليج العربي وتلقي مراسيها أمام ميناء الحـديدة شرعت في نقـل بضائع التجار اليمنيين مقابل أجـور شحن زهيدة وغير قابلة للمنافسة كما أخـذت تنقل الحجاج اليمنيين الى الحجاز .

بالمعاهـدة اليمنية ـ السوفيتية مزق الحصـار الاقتصادي والسياسي الذي ضربه الاستعماريون حول مملكة اليمن وبذلك عـزز وضعها العالمي اقتصاديا وسياسيا .

كانت معاهـدة نوفمبر ١٩٢٨ أول معاهـدة صـداقة وتجارة تعقـد بين بلد الاشتراكية الأول وبين أول بلد عربى على الاطلاق ، فوق أنها كانت احـدى المعاهـدات القليلة التى عقـدت بينه وبين بلدان الشرق •

كان كل من الاتحاد السوفيتى واليمن الشمالى يعانى من الحصار والعزلة اقتصاديا وسياسيا ، وكان ابرام المعاهـدة اختراقا لعمليـة الحصار هـذه وذا فائدة مزدوجة لكل من البلدين اللذين نشأت بينهما صـداقة وعلاقة تعاون ظلت تنمو مع الزمن •

كان الامام يحيى معروفا بخـوفه الذى يبلغ حـد الرعب من الأجنبى ، وكانت العزلة التى لاذ اليها احـدى الترجمات السياسية لهذه النزعـة الهروبية من العالم ، والانسحاب من ثم الى القرون الوسطى ، غير أن الوجه الوضاح والصادق الذى أطـل به الاتحاد السوفيتى على العالم ، وسياسته المؤيدة لحق الشعوب والأمم والأوطان فى تقـرير مصائرها وتحقيق وحـدتها الاقليمية واقامة دولها المستقلة ، بعيدا عن أى تدخل خارجى ، أو أى نزعة الى الهيمنة والتحكم ، اقنعت حاكم اليمن الاقطاعى القروسطى أن العالم ليس مجرد غـابة للوحـوش الاستعمارية ، وأنه يضم دولا عظمى لا تكن سوى الخير للبشرية كلها ، ولا تريد لهـا سوى أن تعيش فى سلام وحرية •

ومن هنا سعيه غير مرة الى مد اليـد الى الاتحـاد السوفيتى ، ومطالبته بعقد معاهـدة صـداقة ومودة وتجارة معه يتساند بهـا فى مواجهة الضغط البريطانى عليه ، ويفلت بها من الحصار الايطالى الذى كان قـد شرع فى تطـويقه •

مثلت المعاهـدة حجر الزاوية الذى قام عليه صرح علاقات الصداقة والتعاون بين اليمن والاتحاد السوفيتى والذى ما برح يتسامق ويشمخ الى ذرى أكثر علوا وارتفاعا •

فى ديسمبر ١٩٣٨ طالب الامام يحيى تجـديد المعاهـدة ، ولم يتأخر الجواب بالموافقة ، حيث تسلمه فى ٢٨ يناير ١٩٣٩ رغم اضطرار البعثة السوفيتية الى مغادرة اليمن فى العام السابق بسبب نذر الحرب التى كانت تلوح فى الافق ، والتى ما لبثت ان اندلعت ، وكان موقف الامام يحيى خلالها اميل الى دول المحـور بسبب علاقة العـداء بينه وبين بريطانيـا .

فى عهد نجله الامام احمد جـددت المعاهـدة وبالذات فى ٣١ اكتوبر ١٩٥٥ ، بموجب اتفاق قضى ايضا بتبادل التمثيل الدبلوماسى .

عـدا العلاقات الدبلوماسية والتجارية ، فان مملكة الامام الاثرية لم تطمئن لتزويد جيشها بالسلاح الحـديث الا الى الاتحاد السوفيتى ، وتشيكوسلوفاكيا ، كما ان بعثاتها التعليمية كانت تتجه نحوهما ونحو البلدان الاشتراكيه الأخرى فقط ، اذا ما استثنينا بعض البلدان العربية كالعراق ، ولبنان ، ومصر .

وأهم المشاريع التى قامت فى البلاد لم تتحقق الا على يد الاتحاد السوفيتى والصين ، كمشروع بناء ميناء الحـديدة ومشروع الطريق الموصل بين الحـديدة وصنعاء .

حقا أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر ورياح الثورة العربية التى اخـذ يطرق شبحها أبواب الممالك الأثرية قـد الجـأ حاكم اليمـن الكهنوتى الى المضى فى طريق التعاون مع الاتحاد السوفيتى — بقـدر ما كان ذلك متاحا له — غير أن سمعة الاتحاد السوفيتى كبلد لا مآرب له فى بلدان الغير ولا مطمع له غير مساعدتها بقـدر ما تطلب هى ذلك وبقـدر ما يستطيع هـو أيضا ، والتقاليد الطيبة التى أرستها معاهدة الصداقة والتجارة هى العامل الأول الذى اقنع الحاكم الأثرى فى اليمن

بانه ليس هناك بديل للاتحاد السوفيتى اذا ما رغب فى ادخال شىء من التحـديث على مملكته القروسطية .

ولم يكن الاتحاد السوفيتى غائبا عند قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، لقـد كان سلاحه فى يد الثوار ، وكان مدربوه فى زند كل منهم جنبا الى جنب مع كل خبرة عسكرية وثورية اكتسبها هؤلاء الثوار على يد الثوار والخبراء المصريين والعراقيين ، واكتسبوها من تفجر الثورة الأم فى مصر والثورة الساعد فى العراق .

فى ٢١ مارس ١٩٦٤ عقـد رئيس الجمهورية العربية اليمنية المشير عبد الله السلال أثناء زيارته للاتحـاد السوفيتى معاهـدة صـداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتى تعتبر تجـديدا ـ ولكن بروح الثورة السبتمبرية هـذه المرة ـ لمعاهـدة نوفمبر ١٩٢٨ .

ولم يكن ابرام معاهـدة الصـداقة والتعاون اليمنية ـ السوفيتية التى أبرمها النظام الديمقراطى الثورى فى جنوب الوطن مع الاتحاد السوفيتى فى ٢٥ أكتوبر ١٩٧٩ والتى وقعها عنها الشهيد عبد الفتـاح اسماعيل بمعزل عن هـذا التراث الغنى من العلاقات الخصبة مع بلد الاشتراكية الأول ، وان تميزت بأنها قامت على أرضية جـديدة تماما هى أرضية التحالف الاممى بين قـوى الثورة العربية والعالمية .

كما أن ابرام العقيد على عبد الله صالح رئيس النظام فى الشطر الشمالى من اليمن لمعاهـدة الصـداقة والتعاون معه فى ٩ أكتوبر ١٩٨٤ أثناء زيارته لموسكو قـد نصت ديباجتها صراحة بأنها امتداد لمعاهـدة نوفمبر ١٩٢٨ التى جـددت فى العهد الجمهورى .

يحق لليمن أن تعتز بأن تكون أول بلد عربى أدرك ـ حتى فى عهود التخلف والجهل والكهنوت ـ بأن صـداقة الاتحاد السوفيتى هى احدى ركائز الحفاظ على الذات فى عالم البغى الاستعمارى . على أن للصداقة مع الاتحاد السوفيتى أبعادا أعمق وأشمل من ذلك بكثير لا يدركها الا الثوار ، الذين يقف الثوار اليمنيون فى صفوفهم الامامية .

علاقة ثورة ٢٦ سبتمبر
بكل من
حركة الأحرار التقليدية
والتجربة الناصرية

يمكن القول بأنه بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م أمكن انتزاع اليمن من واحد من أكثر أقبية القرون الوسطى ظلاما ووحشية ووضعها دفعة واحدة فى غمرة أضواء القرن العشرين .

كانت الثورة الضخمة الأولى التى لعلعت فى ليل الجزيرة البهيم . وايقظتها من سباتها الطويل .

كانت بركانا أطاح بالقشرة العليا الجرانيتية الصلدة للمجتمع التى تكونت عبر ألف عام ، واستمدت قوتها ورسوخها وديمومتها لا من الوضع الطبقى الاقطاعى ـ القبلى الانتقالى الشائك المعقد فحسب ، وانما أيضا من دعوى حقها الالهى الكهنوتى فى الحكم ، هذه القشرة التى تمثلت فى النظام الامامى الثيوقراطى الاستبدادى الفردى .

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ أكتوبر » عدد ١٩٨٧/٩/٢٧ .

وكانت الثورة صحوة وطنية عامة غمرت الشعب اليمنى من أقصى شماله الى أقصى جنوبه .

وكانت دعـوة نضال لا ضـد حكم القرون الوسطى المظلم المتعفن فقط ، وانما أيضا ضـد الاحتلال الأجنبى للشطر الجنوبى من الوطن اليمنى الذى كان يمارسه طغاة القرن العشرين .

وكانت صيحة مدوية للمشروع فى تحرير الوطن ، كل الوطن ، والعمل على توحيده .

وكانت الثورة موجة عاتية فى خضم الثورة العربية الهادر والمتجه نحو تحرير وتوحيد أقطار الوطن العربى .

وكانت واحـدا من المؤشرات على الانقلاب الثورى العام الذى أخـذ يشهده العالم النامى بعـد الحرب العالمية الثانية بفعل الانتصار على الفاشية وتضعضع مواقع الامبريالية العالمية ، وقيام المنظـومة الاشتراكية ، وانتشار ألوية حركة التحرر الوطنى العالمية ، وبروز دور الاتحاد السوفيتى على النطاق الدولى .

ذلك يعنى أن الثورة لم تكن مجرد امتداد تاريخى لحركة المعارضة التقليدية التى تعود جـذورها الى منتصف الثلاثينيات ، والتى رأت فى هزيمة الامام يحيى امام بريطانيا العظمى وابن سعود بتوقيعه معاهدتى ١٩٣٤ معهما دليل ضعف وعلامة اغراء بمقاومة حكمه وادخال الاصلاحات عليه حتى بالتعاون مع هـذين العـدوين ، والتى لم تطمح الى أكثر من اجراء تحسينات دستورية على النظام الامامى — الملكى القائم ، من شأنها أن توسع فقط قمة السلطة بحيث تتسع للأسر الاقطاعية المنافسة وشيوخ القبائل الذين تقلصت سلطاتهم الاوتوقراطية على قبائلهم ، ولفئات

الارستقراطية الدينية الطامحة الى حظ أكبر فى السلطة ولعناصر البرجوازية الناشئة التى كانت تبحث لها عن دور ما فى مملكة الأئمة المقفلة .

وحتى شعار الجمهورية الذى طرحته فى همس وحياء شديدين منذ عام ١٩٥٦ ، دون أن تتخلى عن نهجها التقليدى فى التعلق بأذيال هذا الأمير أو ذاك . وهو هنا الأمير البدر ، الذى راهنت عليه وعلقت الآمال عليه ضد عمه الحسن الساعى الى العرش ، حتى هذا الشعار لم يكن يحمل فى فهمها له دلالة ديمقراطية . فالمرشح لرئاسة الجمهورية فى الحركة القبلية — السياسية المجهضة التى قادها عام ١٩٥٩ حسين بن ناصر الأحمر شيخ مشائخ قبيلة حاشد هو هذا الشيخ الاقطاعى الملتزمت نفسه . على أن ينوب عنه فى ادارتها أحد قاضيين : أما القاضى احمد السياغى ، أو القاضى عبد الرحمن الاريانى .

حقا . ما كان لبعض العناصر التقليدية من حركة الأحرار اليمنيين القديمة ممن كانوا فى الداخل أمثال القاضى عبد السلام صبره ، والقاضى عبد الرحمن الاريانى صلة ما بالخمائر الثورية الجديدة التى كانت تعد وتستعد للاطاحة بعرش بيت حميد الدين ، واقامة النظام الجمهورى الثورى على انقاضه ، كما كان هناك لبعض أبناء المشائخ أمثال آل أبو لحوم — الذين كان اخوانهم أو آباؤهم كالشيخ سنان أبو لحوم من حركة المعارضة التقليدية — دور معين عند قيام الثورة .

غير أن حركة الثورة نهضت أساسا على أكتاف قوى جديدة لم تدخل فى اطار حركة الأحرار ، ولا وقفت عند فكرها الاصلاحى المحدود .

لقد كانت هذه القوى تتمثل فى ممثلى فئات البرجوازية الصغيرة والوسطى العسكرية والمدنية . وفى بعض عناصر البرجوازية الكبيرة نسبيا .

لم تكن الطبقة البرجوازية الوسطى وراء الثورة ، فلم تكن تسمح ظروف اليمن المغرقة فى التخلف والعزلة بظهور مثل هـذه الطبقة .

كانت الفئات الوسطى الواقعة ما بين الطبقات والتى كانت ما تزال آخـذة فى الكوين هى أساس الثورة :

كان المثقفون العسكريون هى أساس الثورة .

وكانت فئة البرجوازية التجارية هى قاعـدة هـذا الرمح .

ووسط العسكريين كان هناك تنظيم الضباط الأحرار ، الذى تشكل فى ديسمبر ١٩٦١ والذى مثل الحلقة الوسطى فى سلسلة القوى التى أعـدت للثورة ونفـذتها .

وبين العسكريين هؤلاء كان هناك المقـدم عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية ومدرسة الأسلحة ، والذى لم يكن عضوا أساسيا فى تنظيم الضباط الأحرار لحساسيات بينه وبين العنصر القيادى فيه وهو الملازم على عبد المغنى .

وبين هؤلاء العسكريين كان هناك الزعيم عبد الله السلال رئيس الحرس الملكى .

ووسط البرجوازية التجارية يبرز اسم عبد الغنى مطهر باعتباره أظهر وجـوهها .

وخارج الوطن يطل وجه الدكتور عبد الرحمن البيضانى الذى كان أميل الى التعبير عن البرجوازية الهجينة وعن موقف الأجهزة المصرية منه الى التعبير عن فئة اجتماعية محـددة داخل المجتمع اليمنى ، والذى كان مع ذلك شأن الأطراف الآنفـة الذكر ، التى لعبت هـذا الدور أو ذاك عند قيام الثـورة واحـدا من الشخصيات التى ليس فى الامكان اسقاط اسمها ، أيا كان الدور التخريبى الذى مارسه تجاه الثورة .

لم تكن فصائل الحركة الوطنية المنظمة ، ممثلة فى حركة القوميين العرب ، ومنظمة البعث العربى الاشتراكى ، والاتحاد الشعبى الديمقراطى ، أو الشخصيات الوطنية والتقدمية المستقلة بعيدة عن هذه القوى والفئات والعناصر العسكرية والمدنية التى نشطت من أجل اسقاط حكم بيتحميد الدين ؛ واقامة النظام الجمهورى على انقاضه .

غير أن تنظيم الضباط الأحرار والفئات والعناصر الأخرى التى تحملت معه عبء اطلاق شرارة الثورة لم تكن صلتهم بفصائل وعناصر الحركة الوطنية تتجاوز التأثر والتأثير المتبادل ، حيث بقى تنظيم الضباط الأحرار محافظا على سرية تكوينه . كما احتفظت الأطراف والعناصر الأخرى العاملة معه على خصوصية حركتها وسرية اتصالاتها الخاصة ، دون أن تخفى عن بعضها بعضا ما من شأنه أن يجمع بينها ، ويوحد خطاها ، ويعزز عملها .

وكان مما يجمع بينها النظر الى قضيتها الوطنية اليمنية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من القضية القومية العربية .

وكل المذكرات الشخصية أو الجماعية أو التصريحات الفردية لأى من هذه الأطراف والعناصر تجمع على هذه الحقائق المشار اليها .

يكفى أن نعود هنا الى ما سجله كتاب (أسرار ووثائق الثورة اليمنية) — الطبعة الثانية — الذى أعدته لجنة من تنظيم الضباط الأحرار ، حيث جاء فيه أن شهر ديسمبر ١٩٦١ كان شهر « ميلاد تنظيم الضباط الأحرار » وكان هذا الشهر — للحقيقة والتاريخ — بالنسبة للطلائع العسكرية الوطنية والمثقفة هو شهر الوقفة والتأمل لما يحدث بالساحة اليمنية والقومية (فشل محاولة اللقيه وزميله ، ومؤامرة الانفصال للوحدة المصرية السورية) . كذلك عدم وجود

الامكانية لدى القوة الحزبية والتجمعات الوطنية القيام بالتغيير المطلوب للبلاد ، لذلك كله ولحتمية سرعة التغيير اتقاء وأمنا وسلاما على اليمن والأمة العربية من الموجـة التآمرية الرجعية الامبريالية ، خلقت قناعة جـديدة لدى الجميع بضرورة سرعة بناء (تنظيم الضباط الأحرار) لاحباط المؤامرة الرجعية والامبريالية • هـذا التنظيم فى أهـداهه ومبادئه لا ينفصم عن المنطق القـومى الوحـدوى ، بل رافـدا من روافـد القومية والوحـدة العربية ، لذلك فقـد انصهر الجميع فى بوتقته ، وتوقف كل من كان منهم قـد انتمى حزبيـا عن النشاطات الحزبية ، فنشأ هـذا التنظيم نشأة وطنية بحته ، وظل فى نفس الوقت منفتحا على كل المنظمات الحزبية والوطنية • وقـد تطور هـذا الانفتاح قبيل قيام الثورة بأسابيع الى تكليفات مشتركة ، وتوزيع مهام التنفيذ للثورة حتى تحقق النصر صبيحة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ » (ص ٩٨) •

(الصحيح أن يقال صبيحة الـ ٢٧ من سبتمبر ، حيث أن الثـورة بدأت ليلة الاربعاء الـ ٢٦ من سبتمبر ، قبل منتصف الليل ، وأعلنت الجمهورية العربية اليمنية يوم ٢٧ سبتمبر — الباحث) •

ورغم تأثر الضباط الأحرار بالفكر الذى كانت تتبناه فصائل الحركة الوطنية اليمنية وتجاوزهم من ثم لفكر حركة الأحرار التقليـدية ، الا أن تأثيرهم بالنهـج الناصرى ، والتجربة الناصرية وشخصية جمـال عبد الناصر ، كان هـو الأعمق والأجلى ، حتى بدا أن مهمتهم فى اليمن ليس فحسب تحرير اليمن من حكم بيت حميد الدين ، والتمكين للتحرر من الاستعمار البريطانى الرابض فى جنوب الوطن ، وانمـا الاشتراك أيضا فى تقويم مسيرة الحركة القومية العربية التى اعوجت بفعل نكسة الوحـدة المصرية — السورية •

يقول كتابهم الآنف الذكر فى هـذا الصـدد : « وكان الاتحاد اليمنى فى هـذه الأونة ، وحـدة شخصية (الزبيرى والنعمان) أرادا أن يرمزا الى الوحـدة الوطنية ، وان يجسدا استمرار حركة الأحرار التاريخية . بينما الواقـع يحبـل بأحـداث جـديدة . والتجمعـات الصغيرة تنشأ بين صفوف الضباط . وتسرى بين الجيل الجـديد . والمثقفين كحزب البعـث ، والقـوميين العرب . والشيوعيين العرب . وتحاول كل هـذه الفصائل الجـديدة أن تشق طريقها الى حياة سياسية جـديدة . وتطمح فى تغيير المجتمع اليمنى . وكانت هـذه التيارات تعمل على امتداد اليمن كله من الشمال الى الجنوب . ولم يكن ضباط الجيش أيضا بمناى عن هـذه التيارات . وان كان تاثرهم بالتجربة الناصرية فى مصر أقرب من الى أفكارهم من تفصيلات الأيديولوجيات المتصـارعة فى العالم العربى . وذلك فى فترة كانوا يشعرون فيها بعـدم قـدرة التيارات والأحزاب عن عمل مؤثر يغير مجرى الحياة السياسية . بينما الحياة السياسية فى الوطن العربى تدخل فى مرحلة جـديدة . بعـد انفصال سوريا ، وخروجها من الجمهورية العربية المتحدة ، بعـد احتدام المعركة الاجتماعية داخل ج. ع. م. واتساع أفـق الثورة العربية الحـديثة » . (ص ٣٨ — ٣٩) .

لم يكن هناك تعارض بين القضية الوطنية اليمنيه والقضيه القومية العربية . وانما تداخل وتشابك وتكامل . بل ان الضباط الأحرار — شأن الأطراف والعناصر الأخرى التى شاركت فى تفجير الثورة — كان لديهم الاقتناع الراسخ بان العامل الوطنى وحـده لا يكفى لقيام الثـورة ونجاحها ، وبأن العامل القومى العربى شرط أساسى ولا بديل لـه لتحقيق ذلك .

كان ما ترسب فى ذاكرتهم من الاحباطات والاخفاقات المتواليه التى لحقت بالمحاولات الانقلابية السابقة التى قادتها حركة المعارضة التقليدية

منذ عام ١٩٤٨ الى ١٩٥٩ هـو الأساس فى تكون مثل هـذا الاقتناع السياسى الراسخ بضرورة المساندة القومية الثورية لأى حـدث ثورى حقيقى وناجح فى اليمن .

ولا تجمع مذكرات وتصريحات من أسهموا فى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ على شىء كما تجمع على هـذه الحقيقة . ولسنا فى معرض تتبع أقـوالهم فى هـذا الصـدد . فذلك يستحق بحثا مستقلا .

ونقتصر هنا على ايراد بعض ما جاء فى كتاب الضباط الأحرار فى هـذا المجال ـ وهو ما يتفق مع اشارة المشير السلال عن « انقيام بثورة السادس والعشرين من سبتمبر التى كان الانفصال ـ أى انفصال سوريا عن مصر من جملة أسبابها » ـ كما ورد فى اجاباته التى نشرتها صحيفة « الامل » فى ٢٢ـ٩ـ١٩٨٥ ـ حيث يوضحون : و « هنا تجـدر الاشارة الى أنه مهما كانت الحوافز والأسباب والدوافع المحلية هى المحرك الفاعل للحماس الثورى والدفع نحو الخلاص والانعتاق ، فان تعاظم حركة الانبعاث القومى ونشاطها المتزايد فى محور حركات التحرر الوطنى العربية والعالمى ، ووضوح ملامح النضال على الساحة العربية والعالمية ، وتحديد أهدافه من قضايا سياسية مثل الحرية والاشتراكية والوحدة ، كما ظهر أثره فى الأهـداف الستة ـ لولا ذلك لكانت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر حركة تمرد أو انقلاب ربما لا يكتب له أن يعيش غير أيام محـدودة كغيره من التجارب والمحاولات السابقة » . (ص ٤٦ ـ ٤٧) .

لقـد أثبتت الحرب الأهلية والاستعمارية الضروس التى فرضتها الرجعية الملكية والرجعية السعودية والعربيـة والعـالمية والاستعمار القـديم والجـديد على الثورة ، والتى وقفت فيها مصر عبد الناصر

الى جانبها بالمــال والرجال والعتاد حتى بلغ تعـداد جيشها فيها حوالى ٨٠ الفا ــ أثبتت ليس فقط صحة وصواب تقـدير الثوار اليمنيين هذا ، وانما أيضا الأهمية والمكانة العاليتين اللتين احتلتهما ثورة سبتمبر فى اطار النضال الثورى العام لحركة التحرر الوطنى العربية والعالمية .

ومن هنا أيضا ذلك الدعم السخى الذى قـدمه لهـا المعسكر الاشتراكى ، وخاصة الاتحاد السوفيتى ، والذى بلغ حـد التقـديم المجانى للاسلحة ووسائل النقل التى استخدمت فى حرب اليمن .

ملاحظـات حـول بحث

« حركتنـا ١٩٤٨ و ١٩٥٥

في الشطر الشمالي من اليمـن »

قرأت بتمعن وتقـدير بحث « حركتنا (١٩٤٨ و ١٩٥٥) في الشطر الشمالي من الوطن اليمني » الذي نشره الأخ ناجي محمد سعيد علي في « الثوري » في ٢٨ــ٣ــ١٩٨٧ ، ونبه فيه الى أنه « خاص بالدعـاة السياسيين للحلقـة الابتدائية في شـبكة التثقيف الحزبي لشهر أبريل ١٩٨٧ » •

وقـد تميز البحث بخلوه مما تتسم به الكتابات غير المتخصصة حـول هاتين الحركتين من عاطفيـة ورومانتيكية تصلحـان عنـد نظم الشعر ، غير أنه لا علاقة لهما بميدان البحث العلمي وقضايا التاريخ الذي اعتبره ماركس علم العلوم •

ومع ذلك ، بل من أجل ذلك ؛ أرجـو أن يسمح لي بالتصويبات

والتدقيقات الآتية التى ربما كانت سرعة اعـداد البحث سببا فى خلو البحث منها أحيانا :

١ ـ جاء فى البحث : « فقـد وقع الامام يحيى على اتفاقية خيانة فى ٢٠ مايو ١٩٣٤ تنازل بموجبها عن ثلاث مناطق يمنية (•••) وفى فبراير ٢٩٣٤ وقع الامام يحيى على اتفاقية الحـدود مع بريطانيا بهدف الحفـاظ على الأوضاع الراهنة لمدة (٤٠ يوما) » (المراد ٤٠ عاما بكل تأكيـد) •

ولأن « معاهـدة الصـداقة والتعـاون المتبادل بين اليمن وبريطانيا » ـ وهـذه هى التسمية الرسمية لهـا ـ قـد عقـدت فى ١١ فبراير ١٩٣٤ ، أى قبل « معاهـدة الطائف بين المملكة المتوكليـة اليمنية والمملكة العـربية السعودية » ـ وهـذه هى التسمية الرسمية أيضا ـ فقـد كان من الضرورى تقـديم ذكر المعاهـدة الأولى على الثانية من حيث الترتيب الزمنى والتاريخى لأن لذلك مغزاه وآثاره على مجـرى حركة الأحـداث التاريخيـة ، حيث كان فى ظن الامام يحيى بأنه بأقفال ملف النزاع مع بريطانيا على جنوب اليمن والاستسلام لها يمكن أن يتفرغ لفتح ملف النزاع الآخر الى نهايته ، بقطع النظر عمـا انتهت اليه الأمور فعلا فى كلتا الحالتين •

كما أن « معاهـدة الطائف » عقـدت فى ٦ صفر ١٣٥٣ هـ وهـو ما يصادف ١٩ مايو ١٩٣٤ وليس ٢٠ مايو ١٩٣٤ •

٢ ـ جاء فى البحث : « قـام الأمير « أحمد بن يحيى » ولى العهد بزيارة لعـدن لنفس الغرض ، وأكد لزعماء الجمعية بأنه على استعداد لاجراء اصلاحات فى البلاد لتجاوز سياسة العزلة ••• » •

وظاهر الصيغة يوحي بأنه قـد حـدث لقاء فعلى بين الأمير وبين

زعماء المعارضة ، وهو ما لم يحـدث نتيجة تحسب هؤلاء الزعماء بأن الأمير يضمر لهم شرا ، وبالذات النعمان والزبيرى .

ولذلك كان ينبغى توضيح أن التفاوض — اذا صح استخدام هذه العبارة — قـد جرى بطرق غير مباشرة عبر الوسطاء وعبر نشر مطالب الأحرار اليمنيين فى الصحافة .

٣ — تكررت فى البحث عبارات « المتنورة » و « المستنيرة » فى وصف « قيادة الحركة الاقطاعية » المعارضة لبيت حميد الدين من بيت الوزير « التى تحمل أهـدافا دستورية جديدة ، والتى تقف ضـد الحـكم المطـلق » .

كما تكررت عبارات مناقضة للأوصاف الأولى فى وصـف هـذه القيادة ، فهى حينا من طينة بيت حميد الدين الاقطاعى ، وتارة أخرى أكثر تزمتا منهم ، حيث يقول الكاتب : « فقـد كانت قيادة المعارضة من نفس الطبقة الارستقراطية التى ينتمى اليها الامام يحيى » ويقول أنه بعـد تنصيب عبد الله الوزير اماما بعـد الفتك بالامام يحيى فضل بعض « الأحرار » البقاء فى عـدن مؤقتا « خشية من الامام الجـديد ، لأنه صورة طبق الأصل للامام يحيى . وقـد قال النعمان : « هما من جيل واحـد ، ومدرسة واحـدة ، هـذا ان لم يكن أكثر تزمتـا من الأول فى الناحية الدينية » .

وبالعودة الى الوقائع المادية يتأكد أن بيت الوزير الذين كانوا القادة الفعليين لحركة المعارضة داخل مملكة الأئمة هم البيت الثانى من حيث المحتد الارستقراطى ، ومن حيث الانتماء الاقطـاعى ، كما كانوا أقـوى بيت منافس لبيت حميد الدين على الامامة . وأن وصـف « الاستنارة » لا ينسحب عليهم .

أما تلك الشعارات ذات السمة الشوروية والليبرالية فكانت تعبر عن مطالب الفئة البرجوازية المعارضة الموجودة فى عدن وفى المهجر وعن نزوع فئة المثقفين الذين احتكوا بالخارج بشكل مباشر أو عن طريق الكتب والمجلات التى كانت تتسرب الى البلاد .

وقد قبل بيت الوزير بهذه الشعارات لمجرد الحصول على مبايعة زعماء هاتين الفئتين لهم بالامامة . وذلك ما اتضح جليا بعيد تربعهم للعرش . فلم يكتفوا بمنصب الامامة الذى كان من نصيب عبد الله بن أحمد الوزير ومنصب رئيس مجلس الوزراء الذى كان من نصيب على بن عبد الله الوزير ، وانما شرعوا فى فرض تسلطهم الاسرى منذ اللحظات الأولى ، وهو ما كتب عنه الأحرار فيما بعد ، وخاصة النعمان والزبيرى ، مما لا يتسع المجال لسرده هنا .

٤ — ناقض الكاتب نفسه أيضا حين أصبغ على حركة الأحرار صفة « الشعبية » وحين نزعها عنها ، ففى الحالة الأولى « أدركت قيادة المعارضة أنه لابد من استنهاض الجماهير اليمنية » « ووقفت الجماهير الشعبية الكادحة الى جانب قيادة الأحرار » « وعلى الرغم من عدم وجود صلات تنظيمية مباشرة مع الكادحين ، الا أنها حظيت بتأييد شعبى واسع » وفى الحالة الثانية « بذل الامام الجديد جهودا كبيرة لكسب تأييد الناس ، لأنه لم يلمس أى تعاطف الا فى الأوساط المحدودة من الطبقة الوسطى . وتمكن أبناء الامام المتنقلون من خلال أنصارهم أن يقودوا نشاطا فعالا ضد الامام الجديد ، حيث رفضت وحدات من الجيش النظامى دعم « عبد الله الوزير » ، واحتفظت بحيادها ، ولم تنحز للسلطة الجديدة » . ومن « الأسباب التى أدت الى فشل الحركة » :

« ١ — لم تكن الحركة منظمة ، ولم تسع الى أحداث تغيير كامل لجهاز الدولة القديم ، بل كانت حركة ارتجالية لم تضع تصورا مسبقا

عن شكل الدولة المقبلة ، وانما كان هـدفها العاجل القضاء على الامام واستبداله بالوزير •

٢ ـ انعزلت تنظيميا عن جماهير الشعب ، وذلك لعـدم قيـامها بتعبئة الجماهير لحثها على الدفاع عن الحكومة ولم يجر تنظيم الاتصالات بباقى مناطـق اليمن » •

« ٣ ـ الخلافات العميقة داخـل الحركة واكتشاف الكثيرين أن « عبد الله الوزير » لا يختلف عن « الامام يحيى » ، وان ثقته ضعيفة بالكثير من قيادات ورموز حركة الأحرار •• هـذا الخلاف أدى الى اضعاف الحركة فى مواجهة استعدادات وهجوم « أحمد ولى العهد » •

وكل الحقائق تؤكد أن هـذا الطرح الأخير هـو الصحيح ، وان حركة الأحرار لم تصل الى قاع المجتمع بسبب من طبيعة قيادتهـا الارستقراطية الاقطاعية فى الداخل ، وأنها مثلت جناحا اقطاعيا معارضا للجنـاح الاقطاعى الحاكم ، وهـدفت الى توسع قاعـدة الحكم ، بحيث يتسع للجناحين معا ولمجمل الطبقة الاقطاعية ، مع الاحتفاظ للبرجوازية الناشئة التى كانت أساسا فى عـدن وفى المهجر بهامش محـدود فى السلطة الى جانب بعض المثقفين الدينيين •

٥ ـ تكرر وصف حركة الأحرار بأنها « حركة وطنية » • وتبعـا لذلك اعتبر العلاقة التى قامت بينها وبين الاستعمار البريطانيين علاقة فائدة متبادلة ومبررة ، حيث يقول تحت عنوان « موقف بريطانيا من الأحرار » : « ما زال هـذا الموضوع محط اختلاف (فى تصنيف العلاقة بين الجانبين) بين المؤرخين والكتـاب حتى الآن • فالبعض يؤيد رأى الدكتور محمد على الشهارى الذى يقول « أن حركة الأحرار كانت حركة عميلة لبريطانيا » معللا هـذا الرأى بالاتصالات التى كانت تتم بين

الأحرار وبريطانيا •• وهى الاتصالات التى فتحت المجال أمام الأحرار للقيام بنشاط واسع فى عــدن » •

« ونحن نرى أن المنطق التاريخى يقول « ان الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية والسياسية ، والعزلة والتهجين التى فرضها الامام يحيى حميد الدين على شعبنا اليمنى كانت ثقيلة » ••

« ولذا ظــل الشــعب اليمنى يبحث عن الاســتقرار والازدهار والحياة الكريمة وأحــداث نهضة ثورية ، وكسر طوق العزلة ، والاتصال بالخارج • وعندما بدأت حركته الوطنية تعمل من أجل تحقيق طموحاته ، استخدم الامام أشنع الطرق للقضاء على قيادة الحركة • فبريطانيا أرادت الاستفادة من حركة الأحرار للضغط على الامام ، لأنه كان على خلاف معها بشأن قضية الجنوب ، وبسبب قيامه بتحريض للقبائل ضدها •• ففتحت بريطانيا عــدن للحركة الوطنية لتعرقل مساعى الامام ، وتمنعه من تنفيذ مشاريعه • هــذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فقــد رأت حركة الأحرار فى موقف بريطانيا هــذا فرصة لتكثيف نشاطها السياسى والاعلامى ضــد الامام ، والقضاء عليه ، وتطوير اليمن ، لهــذا لجأت الى عــدن كخطوة أولى للقضاء على حكم الامام ، وتسلم زمام الأمور فى الشمال •• وفى هــذا أحــد الشواهد التى تؤكد التواصل العضوى بين نضال ومصير الشعب اليمنى فى الشمال والجنوب » •

« ولكن يجوز أن يكون بعض العملاء لبريطانيا لهم صلات بالأحرار مثل بعض الشخصيات البرجوازية التجارية التى كانت ترى فى عــدن مركزا تجاريا حيويا ، ونادت بالعــدالة والحكم الذاتى فى بعض الأمور المدنية ، وحرية الصحافة • وهــذا يشكل حالة أرقى من الحكم المطلق للامام يحيى حميد الدين • ويبدو أن الدكتور الشهارى حاكم حركة ١٩٤٨ بمنطق زماننا هــذا • ولو حاكمها بزمانها والظروف التى انطلقت

فيها ، لكان الحكم عليها واقعيا من حيث كون الحركة قد مثلت قفزة متقدمة فى نضال الشعب اليمنى • ولا يمكن اعتبار نص فقرة « الميثاق المقدس » التى اعتبرت « بريطانيا جارة ، كافيا لو صم حركة الأحرار بالخيانة » •

ونوجز ملاحظاتنا فى التالى : يضع الكاتب بين قوسين كلاما منسوبا الينا نقول فيه : « ان حركة الأحرار كانت حركة عميلة لبريطانيا » وكان ينبغى أن يذكر المصدر الذى اقتبس منه هذا الكلام • ويضع الكاتب بين قوسين كلاما منسوبا الى « الميثاق المقدس » جاء فيه — حسب قوله — اعتبار الأحرار « بريطانيا جارة » وينسب الينا وصمنا « حركة الأحرار بالخيانة » استنادا الى هذا النص •

وبمراجعتنا للميثاق المقدس لم نعثر على هذا النص ، كما أننا بمراجعتنا لما كتبناه حول حركة الأحرار لم نعثر على كلمتى « العمالة » و « الخيانة » فى وصفنا لحركة الأحرار •

ما قلناه فى كتاباتنا أنه كان هناك علاقة حقيقية بين الأحرار والبريطانيين وان البريطانيين راهنوا على الأحرار فى مد نفوذهم الى مملكة الأئمة المقفلة ، ولا سيما بعد أن تأكد لهم أن الأمريكيين يسعون بدأب الى فتحها عن طريق المراهنة على أنجال الامام من سيوف الاسلام ، وعلى رأسهم السيف عبد الله الذى حذر الأحرار من خطره وخطر مخططه على مشروعهم ، وأنه كان هناك من ثم صراع محتدم بين الاستعمار القديم والاستعمار الجديد على عرش بلقيس استخدم كل منهما فيه القوى السياسية التى قدمت نفسها له طواعيه واختيارا : الأحرار •• وسيوف الاسلام •

وفى المتحف البريطانى وثائق بالغة الأهمية فى هذا الصدد يمكن لأى باحث أن يعود اليها اذا ما أراد معرفة مدى العلاقة التى

كانت قائمة بين الأحرار والبريطانيين وغير ذلك من التفاصيل الحساسة .

أما تقـديم « النعمان » كبش فـداء واتهامه بالعمالة للبريطانيين وتبرئة غيره من التعامل معهم — وهـو ما بدا من حـديث الكاتب ، شأن ما فعله الذين يكتبون فى التاريخ حسب المزاج والهوى والحب والكره — فذلك ما كنا نؤثر ألا يقع فيه .

فالنعمان ، وان كان صندوق أسرار قضية الأحرار ، الا أن زعماء الأحرار الآخرين فى عـدن وصنعاء كانوا يعرفون المحتويات العـامة لهـذا الصـندوق ، وكانوا مشاركين فى رسـم خط العـلاقات مـع البريطانيين . ويبدو أن النعمان قـد كشف جميع هـذه المحتويات فى مذكراته التى يقال أنه أودعها الجامعة الأمريكية فى بيروت ، على ألا تنشر الا بعـد وفاته .

وأما تصوير هـذه العلاقة بين المستعمر البريطـانى وبين حركة معارضة لنظام آخر بأنها نوع من الاستفادة المتبادلة ، حيث ارادت بريطانيا « الاستفادة من حركة الأحرار للضغط على الامام » وحيث فتحت « بريطانيا عـدن للحركة الوطنية » من جهـــة ، وحيث « رأت حركة الأحرار فى موقف بريطانيا هـذا فرصة » من جهة أخرى — أما مثل هذا التصوير للأمور فهو يقـدم مبررا خطيرا للتعامل والتعـاون بين أى مستعمر وبين أية قـوة سياسية بحجة النفع المتبادل .

فنحن هنا أمام حركة سياسية تريد الوصول الى السلطة وتجـد الدعم من قـوة استعمارية تحتل جزءا من وطنها . فهل العلاقة بين الجانبين ، أى بين دولة عظمى وبين حركة وطنية — حسب وصـف الكاتب لحركة الأحرار — هى مجرد علاقة نفع متبادل بالكمال والتمام ، ومن ثم فهى علاقة صحيحة وسليمة ولا شائبة تشوبها قط ؟ !

وحتى الدول التابعة تقول نفس الشىء ، فهى ترفض أن توصف بأنها تابعة لمتبوع ، وتعتبر نفسها دولا كاملة السيادة وأن العلاقة بينها وبين الاستعمار مجرد علاقة نفع متبادل !

وعندما يتعلق الأمر بحركة سياسية ما تزال تصارع من موقع المعارضة لبلوغ السلطة وتعثر على دعم لهـا من دولة استعمارية تحتل جزءا واسعا من أراضى وطنها ، فأن العلاقة بين الجانبين هى أكثر تعقيدا بكثير من علاقة دولة تابعة بدولة متبوعة .

وما يدعو للغرابة أكثر هو اعتبار وجود الأحرار فى عدن ودعم البريطانيين الحاكمين لهم هو « أحد الشواهد التى تؤكد التواصل بين نضال ومصير الشعب اليمنى فى الشمال والجنوب » ذلك أن الشعب فى الجنوب والشمال ظل مستبعدا من الحساب ، والذين تعاونوا مع الأحرار فى عدن كانوا عناصر محدودة من السياسيين أمثال محمد على لقمان وغيره من العناصر المحسوبة على الادارة البريطانية والتى لا علاقة لهـا بالشعب لا فى الجنوب ولا فى الشمال .

فى ضوء ذلك لا ندرى ما اذا كان الكاتب لا يزال يعتبر حركة الأحرار « حركة وطنية » .

أما نحن فنرى أن الوصف الصحيح لهـا هو أنهـا « حركة اصلاحية » ارادت توسيع قاعدة الحكم وادخال بعض التحسينات عليه ، بحيث يتسع لممثلى الطبقة الاقطاعية عموما ، مع اعطاء هامش صغير فيه لممثلى البرجوازية الناشئة « المهاجـرة » ولبعض المثقفين الدينيين ، ذلك أن تعبير « حركة وطنية » يطلق على تلك الحركات المناهضة للاستعمار وركائزه . وحركة الأحرار لم تكن من هـذا الصـنف من الحركات .

٦ — الذى قتل فى انقلاب ١٩٤٨ الى جانب الحسين ليس الحسن — كما جاء فى بحث الكاتب — وانما « المحسن » — وربما حدث تصحيف غير مقصود — كما أن الفضيل الورتلانى لم يكن زعيم الاخوان المسلمين — كما ذكر الباحث — وانما كان عضوا فى مكتب الارشاد للاخوان المسلمين ، ذلك أن زعيمهم — كما هو معروف — كان آنذاك هو حسن البنا .

٧ — ذكر الباحث أنه فى « عام ١٩٥٣ جرى تنظيم انقلاب للاطاحة بالامام ، وهو الانقلاب الذى لم يتعرض له أحد حتى الان بالدراسة والتحليل . وقام الامام بحركة واسعة من الاعدامات بين صفوف العناصر الوطنية العسكرية والمدنية ، كما لعب الأمير الحسن دورا قمعيا وحشيا ليثبت اخلاصه لأخيه أحمد » .

واعترف اننى وأحد من الناس الذين لم يسمعوا ويقرأوا شيئا عن حدوث انقلاب كهذا . لقد كنت عام ١٩٥٣ أشد ما أكون قربا من الأحرار ، سواء وأنا فى حجة ، أو عدن ، أو القاهرة ، وعلى رأس هؤلاء جميعا النعمان — أستاذى فى حجة — والزبيرى الذى كان قبلتنا فى القاهرة آنئذ . غير أن أحدا من هؤلاء لم يحدثنا عن قيام انقلاب فى هذا العام ، كما أنه لم يكتب أحد منهم عنه لا من قبل ولا من بعد .

ولذلك ستكون مفاجأة غير متوقعة لو أفادنا الكاتب عن المرجع الذى استقى منه حكاية هذا الانقلاب ، مع ذكر المدبرين له ... الخ !

٨ — عند حديثه عن انقلاب ١٩٥٥ الذى تزعمه السيف عبد الله ابن يحيى حميد الدين سياسيا ، وتزعمه المقدم أحمد الثلايا عسكريا وردت الرواية الآتية : « وفى أبريل تحرك « محمد البدر » بقوات المتطوعين

نحـو « تعز » وتمكن من السيطرة على المدينة ومن اخراج والده من الأسر ، حيث طلب الامام أحمد من الناس قتل المتمردين ... » .

وواقع الأمر أن انقلاب ١٩٥٥ كان قـد أحبط داخل تعز قبـل أن تصل القوى الى حشدها البدر من حجة لهـذا الغرض . واذا كانت هـذه القـوى القبلية أساسا وليس قـوات متطوعين — كما يذكر الكاتب — اذا كانت قـد تحركت فى أبريل نحـو تعز ، فانه فى هـذا الوقت كان قـد انتهى كل شىء . بل أن شهر أبريل لم يهل الا وقـد استعاد الامام أحمد زمام الموقف ، وشرع فى ذبح خصومه .

وبعـد : فاننا رغم التصويبات والتدقيقات الآنفـة الذكر نحتفظ للباحث بالتقـدير لسعيه الهـادىء المتزن نحـو الحقيقة التاريخية . التى تظل بغية الطالبين لهـا ، المتسلحين من أجـل الوصول اليهـا بسلاحين اثنين لا بديل لهما : المـادة التاريخية ذاتها ، واستخدام المنهج العلمى فى تقييمها ، هذا المنهج الذى يطال المـاضى والحاضر والمستقبل ، والذى كما يرفض اسقاط الحاضر على المـاضى يرفض الباس المـاضى لبوس وشعارات الحاضر .

مذكرات تمجيد النفس

باسم وعلى حساب

ثورة ٢٦ سبتمبر(*)

الثورات - كل الثورات - تقوم تعبيرا عن التناقضات الاجتماعية والسياسية التي تكون قد بلغت حدا تصبح معه الثورة هي الحل الحاسم لمثل هذه التناقضات. وفي كل ثورة هناك طبقة كاملة التكوين أو ناقصة التكوين تكون وراءها ، وتطبع الحكم الجديد بطابعها ، وللمنظمات السياسية والعسكرية أدوار هامة في قيادة هذه الثورات وفي اعادة تنظيم المجتمع من جديد .

والأفراد القياديون في هذه المنظمات لهم دور مؤكد فيها ، بقدر ما يتوفر فيهم من مؤهلات وكفاءات قيادية سياسية وفكرية وتنظيمية ، وبقدر ما يتمتعون به من جاذبية شخصية ومناقب ذاتية محببة ، وشعبية واسعة . ولكن المنظمات والأفراد لا يستطيعون أن يصنعوا

(*) نشرت في « الثوري » عدد ١٩٨١/٩/٢٢ .

الثورات بعيدا عن الطبقة التى تكون الثورة أساسا فى صالحها ، وبدون التفاف الجماهير الشعبية الواسعة حولهم وحولها .

وثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فى شمال الوطن اليمنى هى واحدة من هذه الثورات التى كانت وراءها الفئات الوسطى والعليا والصغيرة من البرجوازية الناشئة المدنيــة والعسكرية الرافضة للحكم المطلق الاقطاعى الكهنوتى ، والطامحة الى تفتيح مسام المجتمع ، واخراجه من العزلة المطبقة التى فرضت عليه ، واطلاقه فى طريق الحياة التى يعيشها الناس فى القرن العشرين .

والخمس سنوات الأولى من الحكم الثورى أفصحت بجلاء عن الطابع العام الوطنى الديمقراطى التحديثى للثورة ، والذى تمثل فى خوضها حربا ضروسا مدعومة بمصر الناصرية ضد قوى الثورة المضادة الملكية وقوى الرجعية العربية والاستعمار المساندة والموجهة وفى دعمها لثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ فى جنوب الوطن اليمنى ضد الاستعمار البريطانى ومن أجل تحقيق الوحدة اليمنية ، وفى ادخالها بعض الاصلاحات الديمقراطية ، وفى خطها العام الوطنى التحررى .

واللحظات التاريخية السابقة واللاحقة لقيام الثورة ، لحظات التحضير لها ، ولحظات قيامها والأيام والأسابيع والأشهر التالية لقيامها — أى ما يمكن تسميته اجمالا بزمن الثورة الساخن — هذه اللحظات أو الزمن الثورى هو أخطر حلقة فى تاريخ كل ثورة ، وان كانت هذه الحلقة لا تقرر مصير الثورة ، ذلك أن ما يحدد مصيرها نهائيا هو قدرتها على تغيير بنية المجتمع القديمة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا ، واستبدالها بأخرى متقدمة .

غير أن مدار الحديث هنا محصور فى التطرق الى الحلقة الأولى من قيام ثورة سبتمبر ، وهى الحلقة التى دارت حولها أساسا المذكرات

التى أصـــدرتها حتى الآن بعض الشخصيات التى ساهمت بهـذا الدور أو ذاك عند وبعـد قيام الثورة والشهادات التى سجلت حـول ذات الفترة من قبل بعض المشاركين فيها .

ان ما يفاجأ به المرء فى هـذه المذكرات هـو أنهـا لا تتخـذ من ثورة سبتمبر الحـدث موضوعا لهـا ، وانما تتخـذ من ذات الكاتب صاحب المذكرات عنوانا لهـا .. ومدارا لمجمل الأحـداث التى تكون قـد مرت بالثورة ، سواء خلال وجوده فى السلطة أو بعـد خروجـه منهـا .

والهـدف الذى يتوخاه أصحاب المذكرات هؤلاء هـو أن يصور كل واحـد منهم نفسه بأنه فارس الثورة المغوار ، وبطلها الحقيقى ، الذى بدونه ما كان لهـا أن تقوم قط .

وحتى يتحقق هـذا الهـدف يلجـأ كل منهم الى الغمط من دور رفاقه فى الثورة ، والى الحط من شأن ما أسهموا به ، بل والى تسفيه أشخاصهم ، وطعنهم حتى فى رجولتهم وثوريتهم .

والغريب أن هـذا النمط من الكتابات لا يقـدم باعتباره مذكرات شخصية ، حتى يهون الأمر ، ولو بعض الشىء ، ويتحمل القارىء عبء حـديث الكاتب عن نفسه بالحق والباطل ، وانما تقـدم باعتبارها تاريخا للثورة ، بل والتاريخ السرى والمجهول لها ، الذى لا يجـده المرء فى كتاب عادى حول تاريخ الثورة !

وكل صاحب مذكرات يريد أن يقنع القارىء بأن مذكراته هـو هى التاريخ الصحيح والحقيقى للثورة ، وما عـداها من مذكرات ادعاء فى ادعاء ، وكذب فى كذب ، وخـداع وتضليل للرأى العام .

وأكثر من ذلك فان أصحاب المذكرات يتطرقون الى ذكر أحـداث لم تقع ، أو تصويرها على نحو معكوس تماما ، مما يجعل القـارىء المتابع لأحـداث ثورة سبتمبر التى عاشها بنفسه يقف موقف المتشكك فى مدى صحة كل ما جاء فى هـذه المذكرات ، باستثناء تلك الوقائع التى يتضح اجماعهم عليها وتؤيدها الأدلة المـادية ، ويشهد عليها الرأى العـام كله .

ولن يواجه المؤرخ المختص كبير عناء عند قراءته وتمحيصه لهـذه المذكرات ، واكتشاف الطابع الذاتى المسرف لهـا ، وخلوها تماما من روح المعالجة الموضوعية ، وروح الانصاف .

فالحـديث الطنان الرنان ، بل والزاعق والصارخ عن النفس ، والتمجيد المفرط لهـا والذى يبلغ حـد العشق لهـا ، حـد النرجسية ، وأسلوب الطعن والتجريح فى أدوار وأشخاص الآخرين ممن أسهموا بهـذا القسط أو ذاك فى الثورة — كل ذلك يجعل القارىء العادى — ناهيك عن المتخصص — يتعامل مع هـذه المذكرات منذ أول سـطر الى آخر سطر بحـذر شديد ، ويرفض بسهولة النظر اليها باعتبارها تحمل مادة أمينة تصلح للرجوع اليها ، والاستشهاد بها ، لمعرفة وقائع الثورة وأدوار كل من شاركوا فيها .

أول هـذه المذكرات التى لم يتحرج صاحبها : اللـواء عبد الله جزيلان ، من تسميتها (التاريخ السرى للثورة اليمنية) صـدرت عام ١٩٧٧ ، وآخرها — حتى الآن — هو كتاب الدكتور عبد الرحمن البيضانى الذى حمل عنوانا فضفاضا (أزمة الأمة العربية وثورة اليمن) والذى صـدر عام ١٩٨٤ .

ولربما انطوى كتاب (أسرار ووثائق الثورة اليمنية) الذى صدرت طبعتان منه حتى الآن ، الأخيرة منهما موسعة بعض الشىء — على بعض

الوثائق الهامة التي تميط اللثام قبل الثورة وبعـدها عن دور مصر فيها ، كما تنطوى على أسماء الضباط الأحرار الذين كانوا أهم جماعة منظمة بعض الشيء شاركت بدور رئيسي في قيام الثورة . ولربما كان ايراد هـذه القائمة بأسماء الضباط الأحرار ردا مقصودا على اللواء جزيلان الذي انكر تماما وجـود شيء اسمه « تنظيم الضباط الأحرار » انطلاقا من تصوير نفسه كمدير للكلية الحربية بأنه كان الآمر الناهي لجميع الضباط الذين كانوا دونه في الرتبة العسكرية ، وانه كان المسير والموجه لهم عند قيام الثورة وللقيام بها !

واذا كان كتاب الضباط الأحرار قـد حاول جاهـدا تجنب الوقوع في منزلق الحـديث عن الذات ، نظرا لانه ينطق باسم جماعة ، فانه لم يستطع أن يكون حـذرا بذات القـدر عند الحـديث عن وجهة نظر الضباط الأحرار السياسية تجاه اليمن والوطن العربي والعالم ، حيث نلمس هنا بوضوح ظاهر نوعا من التضخم لطريقة تفكير الضباط الأحرار آنذاك .

ولأنه ليست هناك محاضر لاجتماعاتهم ، ولان تقـديمهم لوجهـة نظرهم هـذه لم يكن موثقا بالتالي ، فان ما كتبوه في هـذا الصـدد لا يخلو من التأثر بأدبيات الحركة الوطنية اليمنية وشعاراتها ، بغض النظر عمـا اذا كان هـذا التأثر النظري قـد لقي أو يلقي تجسيده العملي .

ومع ذلك فان مذكرات الضباط الأحرار الجماعية هـذه أفضل بما لا يقاس من المذكرات الفردية الطافحة بالحـديث عن النفس ، وبالنيل من أدوار وأشخاص الآخرين .

واذا كان الضباط الأحرار قـد حـددوا نوع الصلة التي أقاموها مع عبد الله السلال رئيس الحرس الملكي آنذاك ، ونوع الدور الذي

نهض به صبيحة قيام الثورة ، ولم ينكروا من خلال بعض الوثائق الملحقة بكتابهم الخلاف الذى شجر بينهم وبين السلال ، بعد أن تسلم رئاسة الجمهورية وقيادة الجيش ، فان جزيلان والبيضانى تعمدا تقديمه بصورة غير دقيقة ، يبدو معها كما لو كانت تسيره الأحداث ، وان الصدفة وحدها هى التى وضعته فى دست الحكم ، اضافة إلى مسايرته للارادة المصرية الحاكمة والمتحكمة .

وايا كانت المآخذ على عهد الثورة الأول ، فان دوره فى الثورة وتسلمه زمام أمرها طيلة سنيها الأولى التى انتهت بقيام انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الرجعى قد جعل من فترة حكمه الوطنى المسنود بدعم مصر الناصرية — أيا كانت المآخذ أيضا على هذا الدور — فترة الثورة المجيدة .

والواقع أن المشير عبد الله السلال لم يبادر حتى الآن الى كتابة مذكراته ، رغم كل ما تعرض له دوره وشخصه من طعن وتجريح ، وان كان يقال أنه ينوى بالاستعانة بابنه العقيد على عبد الله السلال الذى كان أحد ضباط الثورة أيضا سد هذا الفراغ ، على الأقل دفاعا عن النفس ، وحتى لا تظل الكلمة فقط لمن كتبوا مذكراتهم حتى الآن ، بكل ما انطوت عليه من اشادة بالنفس ، وغمط لأدوار الآخرين ، وعلى رأسهم المشير السلال .

وكما نال اللواء جزيلان من البيضانى ، فان الأخير نال منه . ولسنا فى حاجة الى أن نضع بين قوسين هجاء كل منهما فى الآخر ، وان كان يظل معروفا أن دور جزيلان فى الثورة مما لا يمكن انكاره ، وان كان ليس الدور الذى يعطيه هو لنفسه . وليس فى الأمر ما يدعو للغرابة ، فكلمة الشخص عن نفسه شيء وكلمة التاريخ شيء آخر .

وكما لم يكن جزيلان فارس الثورة ، فلم يكن كذلك البيضانى

الذى صور نفسه فى كتابه أنه صانع الأحــداث فى اليمن حتى ابان العهد الامامى ، وانه هــو الذى كان وراء اقناع هــذا العهد ببنــاء ميناء الحــديدة واستقدم السلاح السوفيتى ،وشق طريق الحــديدة ـــ صنعاء ، تمهيدا لقيام الثورة التى اقنع صديقه السادات بضرورة قيامها ، ليقنع هــذا عبد الناصر بذلك ، لتقوم من ثم الثورة وفــق تخطيطه وتصميمه ، وليتولى تصحيح كل خروج عن ذلك فور وصوله الى اليمن ثالث قيام الثورة ، فيعيد تشكيل مجلس قيــادة الثــورة والحكومة بما يكفل له أن يكون الرجل الثانى بعــد السلال ، وبمــــا يؤدى الى « المساواة الطائفية » بين الزيود والشوافع ، باعتبار ذلك قمة ما تسعى اليه الثورة وما قامت من أجله !!

أما اختلاق أو تزوير أو عكس الأحــداث الكبيرة والصغيرة فى كتاب البيضانى فهو شهادة أخرى يقــدمها لمن لم يعرفوه من الجيــل الذى نشأ بعــد الثورة ، والذى سيعرف حقــائق تاريخ الثــورة من مصادرها عند كتابة هــذا التاريخ على يد المؤرخين العلميين . وحينئذ لابد أن يحظى البيضانى ببضعة أســطر فى هــذا التاريخ ، رغم كل الأدوار التخريبية التى لعبها ضــد الثورة اليمنية عموما ، والتى أشرت الى بعض منها فى كتابى (عبد الناصر وثورة اليمن) .

على أن من حقى هنا أن أنفى زعم البيضانى أننى عملت « مديرا لمكتب الأستاذ نعمان عندما تولى رئاسة الوزارة » ذلك أن العكس تماما هــو ما حــدث ، وهــو ما يعرفه البيضانى جيدا ، حيث أننى لم أرفض حكومة النعمان فحسب ، وانما قاومتها أيضا بالمنشورات العــديدة فى تعز ، بل وبالتحرك السياسى الذى بلغ حــد التمرد عليها بالاشتراك مع عبد القوى حاميم وقاسم غالب وحركة القوميين العرب وآخرين من الشباب التقــدمى وبلغ حــد ضربنا بالأسلحة الثقيلة فى « الراهــدة » ممــا اضطرنا الى الفرار الى عــدن ، ومنها الى القــاهرة ، حيث

استقبلنا البيضانى نفسه فى المطار ، وحيث مكثنا فى القاهرة الى أن سقطت حكومة مؤتمر خمـر ، حكومة النعمـان ، حكومة الاقطـاع والكمبرادوين •

بقى أن أقـول أن كتاب (ثورة ٢٦ سبتمبر ـ دراسات وشهادات التاريخ) الصادر عام ١٩٨٢ لا تخلو بعض شهادات الضباط الأحرار الواردة فيه من الفائدة • والذى يدقق فيها بعين فاحصة يجـد تصحيحا ليس فقط لرواية جزيلان والبيضانى عن بعض الوقائع التى أوردها ، ومنها ما ذكرناه آنفا ، وانما أيضا اجابات عن بعض الأسئلة الهامة ، مثل لمـاذا لم يتمكن تنظيم الضباط الأحرار من ترشيح رئيس لمجلس قيادة الثورة من بينهم ، ولجأوا الى الجائفى أولا ، فلما تلكـا لجأوا الى السلال •

وقبل أن أنهى هـذا العـرض الموجـز والمبتسر عن المذكرات والشهادات المتعلقة بثورة سبتمبر تنبغى الاشارة الى أن القضـية الوحيدة التى لا خلاف عليها بين أصحابها هى دور مصر عبد الناصر تجاه الثورة ، سواء قبل قيامها أو أثناء الوجود المصرى فى اليمن ، والذى يجمع الجميع بأنه بدونه ما كان للثورة أن تقوم فى الوقت الذى قامت فيه ، وان تصمد فى مواجهة جبهة رجعية استعمارية عريضـة شرسـة •

ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢

التي أخرجت اليمن من

قبوها التاريخي المظلم

الى حياة العصر(*)

لا تتجلى الأهمية التاريخية الخارقة لذلك المشهد المضيىء المبهر الذي فاجأت به اليمن العالم كله صباح ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ وهي تعلن قيام ثورتها وتزف اليه ميلاد جمهوريتها ، الا بالقاء نظرة ولو عابرة الى الوراء على تلك الخلفية التاريخية المظلمة المطبقة التي ظلت تلفها قرونا وقرونا كادت تنسى الناس وجودها ، وتلغي حضورها الفعلي على الأرض .

كانت اليمن واحدا من البلدان القليلة في العالم التي طال ليل محنتها ، واستمرت فترة ركودها التاريخي ، بل والانقطاع التاريخي في مجرى تطورها ، أمدا قياسيا من الزمن . لقد دخلت هذا النفق التاريخي المعتم الطويل وظلت تتخبط فيه منذ أن انقسمت طبقة التبابعة والأقيال على نفسها وراحت تتحارب فيما بينها بين ، ممزقة كيان الدولة

(*) نشرت في « الثوري » .

الحميرية العظيمة ، ومنذ طمع فيها الغزاة أكثر بفعل ذلك ، الأمر الذى أدى الى اهمال رعاية سدودها ، وعلى رأسها سد مارب الشهير ، والى فقدان سيطرتها على طرق التجارة العالمية البحرية والبرية الغربية والشرقية ، التى كانت تمسك بمفاصلها ما بين الهند والصين والبحر الأبيض المتوسط ، والى انهيار دولتها المركزية وحضارتها الزراعية — التجارية ، وهجرة أبنائها •

ذلك ما ألمح اليه انجلز فى رسالة له الى ماركس : « بهذا يصبح واضحا الذى لا يفهم بغير ذلك ، وهو أن مناطق بكاملها كانت مزروعة بشكل رائع ، هى اليوم صحراء مهملة (تدمر ، والبطراء ، وخرائب اليمن ، وعدد من المناطق فى مصر وفارس والهند) • وبهذا يتضح أنه كانت تكفى حرب تدميرية واحدة ليفرغ بلد من سكانه وتتحطم مدنيته لمئات السنين » •

هكذا منذ القرن السادس الميلادى — على الأقل — والى القرن التاسع عشر ظلت اليمن تزحف فى أعماق كهفها التاريخى • ولم يكن من شأن الاحتلال البريطانى لجنوبها ، والاحتلال العثمانى لشمالها ، سوى أن يزيدا من شقائها التاريخى ، وأن يضاعفا من محنتها الاجتماعية ، وان يكرسا — فوق ذلك — تجزئتها •

ولم تتمكن المملكة اليمنية التى قامت مع نهاية الحرب العالمية الأولى على انقاض الحكم التركى فى الشمال — بعد حروب تحرير أسطورية — من الخروج بهذا الجزء من اليمن من نفقه التاريخى المظلم الطويل ، وراحت تكبه فيه على وجهه ، وتزيد بذلك من حالة الركود التاريخى • وبسياسة العزلة التى انتهجتها لم تشدد فحسب حالة لانقطاع التاريخى عن مجرى التطور العام ، وانما حرم اليمن أيضا من أن يعيش ويتنفس هواء القرن العشرين •

وبذلك حول الأئمة الطغاة المغرقون فى الرجعية والتخلف والبلادة استقلال شمال اليمن الى استقلال عقيم • وكما جاء فى كتابنا « الخروج من نفق الاغتراب واحداث ثورة ثقافية فى اليمن » : « وامعانا فى سياسة الجمود التى طبقوها حيال الشعب فرض الأئمة عزلة سياسية خانقة ، قاتلة على البلاد ، وحولوا الاستقلال — وراء جدرانها الصماء العازلة — الى مجرد شكل نموذجى معبر عن تزمتهم وانغلاقهم ، والى صورة نمطية لتخلفهم وتحجرهم ، والى رمز حى لارتعابهم واقشعرازهم من حضارة العصر ، وقيمة ، وأفكاره ، ومنجزاته ، وتياراته التى رأوا فيها تهديدا مباشرا لقاعدة حكمهم الاقطاعية — الكهنوتية ، ونذيرا موجها ضد بنيته الأيديولوجية والسياسية الغيبية المضللة ، ولذلك فان علم الاستقلال تحول فى ظل الجمود الخانق ، والعزلة القاتلة الى مجرد ثوب كفن سياسى ، طووا فيه حياة شعب بكامله ، وشيعوه بأيديهم بين لفائف تمائمهم ، وبخور دجلهم ، وساقوه — مكبا على وجهه — فى رحلة جنائزية وطويلة ، رحلة الشقاء والعذاب ، والدموع والدماء ، والموت البطيء التى دامت حوالى خمسين عاما ، تساقطت خلالها قوافل عديدة ومتتابعة من أبناء الشعب بفعل الجوع والمرض •

وهكذا بدلا من أن تصبح اليمن فى ظل الاستقلال وبفضله أرض نهضة وخصب ونماء ، بقيت أرض تخلف وقحط وبلاء • واذا كانت قد دخلت التاريخ فى الماضى باعتبارها « مقبرة الغزاة الأتراك » فانها قد أخذت تتحول تحت حكم بيت حميد الدين الظالم الجاهل الى كهف موحش مظلم ، يطمس من العين نورها ، ويسكت من الحياة نبضها ، ويحكم على الشعب بالقعود والشلل ، وعلى حركة التاريخ بالتوقف والتجمد » (ص ١٣ — ١٤) •

وما كان فى امكان حكم له كل هذه الملامح القروسطية الكالحة أن يوفر حتى الحد الأدنى من شروط النضال من أجل تحرير جنوب

اليمن من الاحتلال البريطاني ، واعادة وحدة اليمن الطبيعية . وعلى صخرته تحطمت الموجات الباسلة التي اندفعت جنوبا وشمالا من أجل التحرر والتوحيد أكثر مما تحطمت بفعل قوة الخصم الخارجي ، الامبريالي والطامع .

وما كان في امكان حكم متخلف ثيوقراطي تعيس كهذا أن يولد سوى حركة اصلاحية ذات لبوس دينية لا تطمح في أكثر من توسيع قمة الحكم « الملكي » بحيث يدخلها ممثلو الطبقة الاقطاعية « ككل » ، ويتمكنون جميعا من ترميم النظام الأثري المتهالك ، ومن الاستعانة حتى بالأمصال « الخارجية » للحفاظ على بقائه واصلاحه .

فقط منذ منتصف الخمسينيات ، وفي ظل النهوض الثوري القومي المتعاظم الذي تواكب مع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر ، بدأت الساحة اليمنية تشهد طلائع الحركة الوطنية اليمنية المناهضة للاستعمار والاستبداد والداعية للوحدة اليمنية والتي كان الجيش في الشمال قد غدا أحد بؤرها ، وكان بذلك الرافعة التاريخية لليمن من قبوها التاريخي المظلم الطويل .

هكذا يمكن القول بأنه بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ أمكن انتزاع اليمن من واحد من أكثر أقبيه القرون الوسطى ظلاما ووحشية ، ووضعها دفعة واحدة في غمرة أضواء القرن العشرين .

كانت الثورة القذيفة الأولى التي لعلعت في ليل الجزيرة البهيم ، وأيقظتها من سباتها الطويل .

كانت بركانا أطاح بالقشرة العليا الجرانيتية الصلدة للمجتمع التي تكونت عبر ألف عام ، واستمدت قوتها ورسوخها وديمومتها لا من الوضع الطبقي الاقطاعي ـ القبلي الانتقالي الشائك المعقد فحسب ،

وانما أيضا من دعوى حقها الالهى الكهنوتى فى الحكم ، هـذه القشرة التى تمثلت فى النظام الامامى التيوقراطى الاستبدادى الفردى •

وكانت الثورة صحوة وطنية عامة غمرت الشعب اليمنى من أقصى شماله الى أقصى جنوبه •

وكانت دعوة نضال لا ضـد حكم القرون الوسطى المظلم المتعفن فقط ، وانما أيضا ضـد الاحتلال الأجنبى للشطر الجنوبى من الوطن اليمن الذى كان يمارسه طغاة القرن العشرين •

وكانت صيحة مدوية للشروع فى تحـرير الوطن ، كل الوطن ، والعمل على توحيده •

وكانت الثورة موجة عارمة فى خضم الثورة العربية الهادر والمتجه نحو تحرير وتوحيد أقطار الوطن العربى •

وكانت واحـدا من المؤشرات على الانقلاب الثورى العام الـذى أخـذ يشهده العالم النامى بعـد الحرب العالمية الثانية بفعل الانتصار على الفاشية وتضعضع مواقع الامبريالية العالمية ، وقيام المنظـومة الاشتراكية ، وانتشار ألوية حركة التحرر الوطنى العالمية ، وبروز دور الاتحاد السوفيتى على النطاق الدولى •

ذلك يعنى أن الثورة لم تكن مجرد امتداد تاريخى لحركة المعارضة التقليدية التى تعـود جـذورها الى منتصف الثلاثينيات ، والتى رأت فى هزيمة الامام يحيى امام بريطانيا العظمى وابن سعود بتوقيعـه معاهـدتى ١٩٣٤ معهما دليل ضعف وعامل اغراء بمقاومة حكمه وادخال الاصلاحات عليه حتى بالتعاون مع هـذين العـدوين ، والتى لم تطمح الى أكثر من اجراء تحسينات دستورية على النظام الامامى — الملكى

القائم ، من شأنها أن توسع فقط قمـة السـلطة بحيث تتسع للاسر الاقطاعية المنافسة وشيوخ القبائل الذين قلصت سلطاتهم الأوتوقراطية على قبائلهم ، والفئات الارستقراطية الدينية الطامحة الى حظ أكبر ف السلطة ، ولعناصر البرجوازية الناشئة التى كانت تبحث لهـا عن دور ما ف مملكة الأئمة المقفلة ٠

وحتى شعار الجمهورية الذى طرحته ف همس وحياء شـديدين منذ عام ١٩٥٦ ، دون أن تتخلى عن نهجها التقليدى ف التعلق بأذيال هـذا الأمير أو ذاك ، وهـو هنا الأمير البدر الذى راهنت عليه وعلقت الآمال عليه ضـد عمه الحسن الساعى الى العرش ، حتى هـذا الشعار لم يكن يحمل ف فهمها له دلالة ديمقراطية ٠ فالمرشح لرئاسة الجمهورية ف الحركة القبلية ـ السياسية المجهضة التى قادها عام ١٩٥٩ حسين بن ناصر الأحمر شيخ مشائخ قبيلة حاشد هـو هـذا الشيخ الاقطاعى الملتزمت نفسه ، على أن ينوب عنه ف ادارتها أحـد قاضيين : اما القاضى أحمد السياغى ، أو القاضى عبد الرحمن الأريانى ٠

حقا كان لبعض العناصر التقليـدية من حركة الأحرار اليمنيين القـديمة ممن كانوا ف الداخل أمثال القاضى عبد السلام صـبره ، والقاضى عبد الرحمن الأريانى صلة ما بالخمائر الثورية الجـديدة التى كانت تعـد وتستعد للاطاحة بعرش بيت حميد الدين ، واقامة النظام الجمهورى الثورى على انقاضه ، كما كان هناك لبعض أبناء المشائخ ، أمثال آل أبو لحوم ، ـ الذين كان اخـوانهم أو آباؤهم كالشيخ سنان أبو لحوم من حركة المعارضة التقليدية ـ دور معين عند قيام الثورة ٠

غير أن حركة الثورة نهضت أساسا على أكتاف قـوى جـديدة لم تدخل ف إطار حركة الأحرار ، ولا وقفت عند فكرها الاصلاحى المحدود ٠

لقــد كانت هــذه القوى تتمثل فى ممثلى فئات البرجوازية الصغيرة والوسطى العسكرية والمدنية ، وفى بعض عناصر البرجوازية الكبيرة نســـبيا .

لم تكن الطبقة البرجوازية الوسطى وراء الثورة . فلم تكن تسمح ظروف اليمن المغرقة فى التخلف والعزلة بظهور مثل هــذه الطبقة .

كانت الفئات الوسطى الواقعة ما بين الطبقات والتى كانت ما تزال آخــذة فى التكون هى أساس الثورة :

كان المثقفون العسكريون هم رأس رمح الثورة .

وكانت فئة البرجوازية التجارية هى قاعــدة هــذا الرمح .

ووسط العسكريين كان هناك « تنظيم الضباط الأحرار » الذى تشكل فى ديسمبر ١٩٦١ والذى مثل الحلقة الوسطى فى سلسلة القــوى التى أعــدت للثورة ونفــذتها .

وبين العسكريين هؤلاء كان هناك المقــدم عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية ، ومدرسة الأسلحة ، والذى لم يكن عضوا أساسيا فى تنظيم الضباط الأحرار لحساسيات بينه وبين العنصر القيادى فيه وهو الملازم على عبد المغنى .

وبين هؤلاء العسكريين كان هناك الزعيم عبد الله السلال رئيس الحرس الملكى .

ووسط البرجوازية التجارية يبرز اسم عبد الغنى مطهر باعتباره أظهر وجــوهها .

وخارج الوطن يطل وجــه الدكتور عبد الرحمن البيضانى الذى كان أميل الى التعبير عن البرجوازية الهجينه وعن موقف الأجهزة المصرية منه الى التعبير عن فئة اجتماعية محــددة داخل المجتمع اليمنى ، والذى كان مع ذلك شأن الأطراف الآنفة الذكر ، التى لعبت هــذا الدور أو ذاك عند قيام الثورة — واحــدا من الشخصيات التى ليس فى الامكان اسقاط اسمها ، أيا كان الدور التخريبى الذى مارسه تجاه الثورة .

لم تكن فصائل الحركة الوطنية المنظمة ، ممثلة فى حركة القوميين العرب ، ومنظمة البعث العربى الاشتراكى ، والاتحــاد الشــعبى الديمقراطى ، أو الشخصيات الوطنية والتقــدمية المستقلة ، بعيدة عن هــذه القوى والفئات والعناصر العسكرية والمدنية التى نشطت من أجل اســقاط حكم بيت حميد الدين ، واقامة النظام الجمهورى على انقاضــه .

غير أن « تنظيم الضباط الأحرار » والفئات والعناصر الأخرى التى تحملت معه عبء اطلاق شرارة الثورة لم تكن صلتهم بفصائل وعناصر الحركة الوطنية تتجاوز التأثر والتأثير المتبــادل ، حيث بقى « تنظيم الضباط الأحرار » محافظا على سرية تكوينه ، كمــا احتفظت الأطراف والعناصر الأخرى العاملة معه على خصوصية حركتها وسرية اتصالاتها الخاصة ، دون أن تخفى عن بعضها بعضا ما من شأنه أن يجمع بينها ، ويوحــد خطاها ، ويعزز عملها .

وكان مما يجمع بينها النظر الى قضيتها الوطنية اليمنية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من القضية القومية العربية .

وكل المذكرات الشخصية أو الجماعية أو التصريحات الفردية لأى من هــذه الأطراف والعناصر تجمع على هــذه الحقائق المشار اليها .

يكفى أن نعود هنا الى ما شمله كتاب « أسرار ووثائق الثـورة اليمنية » ـ الطبعة الثانية ـ الذى أعـدته لجنة من تنظيم الضـباط الأحرار حيث جاء فيه أن شهر ديسمبر ١٩٦١ كان « شهر ميلاد تنظيم الضـباط الأحرار وكان هـذا الشهر ـ للحقيقة والتاريخ ـ بالنسبة للطلائع العسكرية الوطنية والمثقفة هـو شهر الوقفة والتأمل لمـا يحـدث بالساحة اليمنية والقومية (فشل محاولة اللقية وزميليـه ، ومؤامرة الانفصال للوحـدة المصرية السورية) ، كذلك عـدم وجـود الامكانية لدى القوة الحزبية والتجمعات الوطنية للقيام بالتغيير المطلوب للبلاد . لذلك كله ، ولحتمية سرعة التغيير اتقاء وأمنا وسلاما على اليمن والأمة العربية من الموجة التآمرية الرجعية الامبريالية ، خلقت قناعة جـديدة لدى الجميع بضرورة سرعة بناء (تنظيم الضباط الأحرار) لاحباط المؤامرة الرجعيـة والامبريالية . هـذا التنظيم فى أهـدافه ومبادئه لا ينفصم عن المنطلق القـومى الوحـدوى ، بل رافـدا من روافـد القومية والوحـدة العربية ، لذلك فقـد انصهر الجميع فى بوتقته ، وتوقف كل من كان منهم قـد انتمى حزبيـا عن النشاطات الحزبية ، فنشأ هـذا التنظيم نشأة وطنية بحته ، وظل فى نفس الوقت منفتحا على كل المنظمات الحزبية والوطنية . وقـد تطور هـذا الانفتاح قبيل قيام الثورة بأسابيع الى تكليفات مشتركة ، وتوزيع مهام التنفيذ للثورة حتى تحقق النصر صبيحة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ » . (ص ٩٨) .

(الصحيح أن يقال صبيحة الـ ٢٧ من سبتمبر ، حيث أن الثورة بدأت ليلة الاربعاء الـ ٢٦ من سبتمبر ، قبل منتصف الليل ، وأعلنت الجمهورية العربية اليمنية يوم ٢٧ سبتمبر ـ الباحث) .

ورغم تأثر الضباط الأحرار بالفكر الذى كان تتبناه فصائل الحركة الوطنية اليمنية ، وتجاوزهم من ثم لفكر حركة الأحرار التقليدية ، الا أن

تأثرهم بالنهج الناصرى ، والتجربة الناصرية ، وشخصية جمال عبد الناصر ، كان هو الأعمق والأجلى ، حتى بدا أن مهمتهم فى اليمن ليس فحسب تحرير اليمن من حكم بيت حميد الدين ، والتمكين للتحرر من الاستعمار البريطانى الرابض فى جنوب الوطن ، وانما الاشتراك أيضا فى تقويم مسيرة الحركة القومية العربية التى اعوجت بفعل نكسة الوحدة المصرية — السورية .

يقول كتابهم الآنف الذكر فى هذا الصدد : « وكان الاتحاد اليمنى فى هذه الآونة ، وحدة شخصية (الزبيرى والنعمان) أرادا أن يرمزا الى الوحدة الوطنية ، وأن يجسدا استمرار حركة الأحرار التاريخية ، بينما الواقع يحبل بأحداث جديدة ، والتجمعات الصغيرة تنشأ بين صفوف الضباط ، وتسرى بين الجيل الجديد والمثقفين كحركة البعث ، والقوميين العرب ، والشيوعيين العرب ، وتحاول كل هذه الفصائل الجديدة أن تشق طريقها الى حياة سياسية جديدة ، وتطمح فى تغيير المجتمع اليمنى . وكانت هذه التيارات تعمل على امتداد اليمن كله من الشمال الى الجنوب . ولم يكن ضباط الجيش أيضا بمنأى عن هذه التيارات ، وان كان تأثرهم بالتجربة الناصرية فى مصر أقرب الى أفكارهم من تفصيلات الأيديولوجيات المتصارعة فى العالم العربى . وذلك فى فترة كانوا يشعرون فيها بعدم قدرة التيارات والأحزاب عن عمل مؤثر يغير مجرى الحياة السياسية بينما الحياة السياسية فى الوطن العربى تدخل فى مرحلة جديدة ، بعد انفصال سوريا ، وخروجها من الجمهورية العربية المتحدة ، بعد احتدام المعركة الاجتماعية داخل ج. ع. م. ، واتساع افق الثورة العربية الحديثة » . (ص ٣٨ — ٣٩) .

لم يكن هناك تعارض بين القضية الوطنية اليمنية والقضية القومية العربية ، وانما تداخل وتشابك وتكامل . بل أن الضباط الأحرار

ـ شأن الأطراف والعناصر الأخرى التى شاركت فى تفجير الثورة ـ كان لديهم الاقتناع الراسخ بأن العامل الوطنى وحـده لا يكفى لقيـام الثورة ونجاحها ، وأن العامل القومى العربى شرط أساسى ولا بديل لـه لتحقيق ذلك •

كان ما ترسب فى ذاكرتهم من الاحباطات والاخفاقات المتوالية التى لحقت بالمحاولات الانقلابية السابقة التى قادتها حركة المعارضة التقليدية منذ عام ١٩٤٨ الى عام ٢٩٥٩ هـو الأساس فى تكون مثل هـذا الاقتناع السياسى الراسخ بضرورة المساندة القومية الثورية لأى حـدث ثورى حقيقى وناجح فى اليمن •

ولا تجمع مذكرات وتصريحات من أسهموا فى قيـام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ كما تجمع على هـذه الحقيقة • ولسنا فى معرض تتبع أقوالهم فى هـذا الصـدد • فذلك يستحق بحثا مستقلا • ونقتصر هنا على ما جاء فى كتاب الضباط الأحرار فى هـذا المجال ـ وهـو ما يتفق مع اشارة المشير السلال عن « القيام بثـورة السادس والعشرين من سبتمبر التى كان الانفصال ـ أى انفصال سوريا ـ عن مصر من جملة أسبابها » ـ كما ورد فى اجاباته التى نشرتها صحيفة « الأمـل » فى ٢٢ـ٩ـ١٩٨٥ ـ حيث يوضحون : « وهنا تجـدر الاشارة الى أنه مهما كانت الحوافز والأسباب والدوافع المحلية هى المحرك الفاعـل للحماس الثورى والدفع نحو الخلاص والانعتاق فأن تعـاظم حركة الانبعاث القومى ونشاطها المتزايد فى محـور حركات التحرر الوطنى العربية والعالمية ، ووضوح ملامح النضال على الساحة العربية والعالمية ، وتحـديد أهـدافه من قضايا سياسية مثل الحرية والاشتراكية والوحدة كما ظهر أثره فى الأهـداف الستة ـ لولا ذاك لكانت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر حركة تمرد أو انقلاب ربما لا يكتب له أن يعيش

غير أيام محـدودة كغيره من التجـارب والمحـاولات السابقة »
(ص ٤٦ — ٤٧) •

لقـد أثبتت الحرب الأهلية والاستعمارية الضروس التى فرضتها الرجعية الملكية والرجعية السعودية والعربية والعالميـة والاستعمار القـديم والجـديد على الثورة والتى وقفت فيها مصر عبد الناصر الى جانبها بالمـال والرجال والعتاد حتى بلغ تعـداد جيشها فيها حوالى ٨٠ ألفا ، أثبتت ليس فقط صحة وصواب تقـدير الثوار اليمنيين هذا ، وانما أيضا الأهمية والمكانة العالميتين اللتين احتلتهما ثورة سبتمبر فى اطار النضال الثورى العام لحركة التحرر الوطنى العربية والعالمية •

ومن هنا أيضا ذلك الدعم السخى الذى قـدمه لهـا المعسـكر الاشتراكى وخاصة الاتحاد السوفيتى ، والذى بلـغ حـد التقـديم المجانى للأسلحة ووسائل النقل التى استخدمت فى حرب اليمن •

واذا كانت ثورة ٢٦ سبتمبر قـد مثلت نقطة تحول فى مضمـار المواجهة بين قـوى الثورة العربية بقيادة مصر الناصرية ، وبين قـوى الثورة المضادة العربية والعالمية ، فأنها كانت — بالأحرى — رأس الجسر الذى تدفقت عبره طاقات النضـال الوطنى المختزنة والمحتبسة ضـد الاستعمار البريطانى فى جنوب الوطن ، هـذا الجسر الذى مثلته عمليا ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بقيادة الجبهة القومية •

بقيام ثورة ١٤ أكتوبر غـدت اليمن كلها ساحة المواجهة الأولى والأساسية فى الوطن العربى كله ، التى استقطبت كل قوى المرحـلة التاريخية فى جبهة مواجهة قومية شاملة وغير مسبوقة •

بثورتى سبتمبر وأكتوبر خرجت اليمن نهائيا من حالة الركـود التاريخى ، والانقطاع التاريخى عن مجرى حركة التطور العالمية • وبها

أقفل نهائيا ملف التخلف المزرى الذى امتد منذ القرن السادس الميلادى — على الأقل — الى مطالع النصف الثانى من القرن العشرين •

وبهما بدأ من جـديد انتماء اليمن الى نفسها وتاريخها ودورها التأسيسى فى حضارة العرب الاسلامية الشامخة ، والى أمتها الآخـذة فى الانبعاث القومى ، والى عصرها الانسانى كله •

بهما بدأت — وعلى أسس جـديدة — رحلة السعى نحـو بنـاء شخصية اليمن الوطنية الحـديثة ، نحو اقامة كيانها الوطنى الديمقراطى الموحـد •

وبهما بدأت ثورتها الاجتماعية ضـد كل قـوى القهر الاجتماعى والسياسى ، ومن أجل جعل الشعب مالك مصيره ، ومكيف مسيرته ، وبانى حضارته الجـديدة •

وبهما دخلت اليمن — من الباب الأوسع — وعلى نحو جـديد هـذه المرة — حياة أمتها العربية ، والتحمت بمسيرتها القومية التحررية الهادفة نحو بناء الشخصية القومية العربية الجـديدة ، وبناء الدولة العربية الديمقراطية الموحـدة •

وبهما غـدت اليمن مرة أخرى — وعلى نحـو مختلف أيضا — صاحبة صوت مسموع فى عالمها ، وذات كلمة يصغى اليها ، وحركة يسمع دبيبها فى الخافقين •

وما تلك مجتمعة غير مؤشرات أولية لمـا ستغدو عليه اليمن غدا !

وما تلك سـوى البوادر المبـكرة للمشهد التاريخى المهيب الـذى سترسمه اليمن ، وللدور التاريخى المنتظر الذى ستلعبه على مسرح التاريخ العربى المعاصر ، وعلى مسرح العصر !

لقــد اطلقت ثورة سبتمبر الشرارة التى ما لبثت أن تحــولت الى حريق بقيام ثورة ١٤ أكتوبر •

ولن يكون بعيدا — تاريخيا — ذلك اليوم الذى يتحول فيه وهج النيران الى ضوء غامر بهيج يملأ حياة اليمن كلها بالعزة السياسية ، والوحــدة الوطنية ، والعــدالة الاجتماعية ، والنهضة الحضارية !

مـــن ملـــف

التـــآمر الأمريكى على اليمـــن(*)

زيارة جــورج بوش نائب الرئيس الأمريكى لصنعاء وبعض دول الجزيرة العربية والخليج ، والتى بدأها فى ٥ــ٤ــ١٩٨٦ م ، بهــدف زيادة الحرب العراقية ــ الايرانية اشتعالا ، وخلق بؤر توتر ومواقــد حرب جــديدة ، وحبك المكائد والدسائس ، ونشر الفتن والقــلاقل ، تمكينا للنفوذ والهيمنة الامبرالية الأمريكية من التوســع والتوطــد ــ هــذه الزيارة تحتم فتح ملف التوسع الأمريكى تجـــاه اليمن منــذ عشرينيات هــذا القرن وحتى اليوم .

فمنذ قيام دولة الأئمة فى الشطر الشمالى من اليمن مع نهــاية الحرب العالمية الأولى والاستعمار الأمريكى يتطلع الى الحصول على موقع قــدم فيها ينافس ويواجه به النفوذ البريطانى الذى كان قــد

(*) نشرت فى صحيفة « صوت العمال » فى ٥/١/١٩٧١ .

تملك جنوب اليمن منذ وقت مبكر » ويعترض به خط التعاون الذى كان قد بدأ مع الاتحاد السوفيتى بعقد معاهدة نوفمبر ١٩٢٨ •

ولهذا الغرض قدمت بعثة أمريكا الى صنعاء فى نهاية العشرينيات ، حاملة عرضا بالتنقيب عن ثروات البلاد •

كان الخوف على العرش أحد العوامل التى حملت الامام يحيى على رفض العرض ، رغم استمرار المحاولة معه حتى مطالع الثلاثينيات •

وذات البعثة التى اخفقت مهمتها فى بلاط الامامة نجحت مهمتها هذه فى مكان آخر ، من حيث قامت شركة « آرامكو » •

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية كررت الامبريالية الأمريكية المحاولة • غير انها لم تفلح فى أكثر من عقد اتفاقية تجارية ـ قنصلية فى ٤ مايو ١٩٤٦ م •

منذئذ راهنت واشنطن على « سيوف الاسلام » من أنجال الامام ، وعلى رأسهم « سيف الاسلام » عبد الله الذى عين مندوبا لليمن فى الأمم المتحدة ، والذى أعلن غير مرة أنه لا بديل عن التعاون مع أمريكا وعقد اتفاقية للتنقيب عن البترول معها ، بغية الخروج باليمن من طوق العزلة والتخلف ، والانتقال بها الى مصاف الدول « المتحضرة » !!

ومع مقتل الامام يحيى وتسلم نجله أحمد السلطة عادت الامبريالية الأمريكية الى قرع أبواب الامامة الأثرية المقفلة فى اصرار عنيد على الا يفتحها سواها !!

كان أهم « انجاز » حققته فى عهده دخول « النقطة الرابعة » التى كان همها معقودا على كسب حاشية الامام ، واستقطاب رجاله الذين يشغلون مواقع حساسة فى الدولة •

وبعقـد اتفاقية للتنقيب عن البترول ، حتى ولو لم تنفـذ عمليا ، بدا أن حظ واشنطن مع الامام الجـديد أفضل من حظها مع سابقه !

ومع مطلع الستينيات بدا واضحا أن النفوذ الأمريكى قـد تغلغل فى بلاط الأئمة ، وان الأمر لا يتطلب أكثر من الدفـع بأحـد الأمراء الطامحين الى سدة العرش ، لتبدأ « الحقبـة الأمريكية » فى اليمن ، وليبدأ معها النفـوذ البريطانى فى جنوب اليمن فى الكسوف ، مفسحا المجال أمام النفوذ الأمريكى !

« ان الاستعمار البريطانى لا يزال هـو العـدو الأول فى المنطقة . ولكن هناك قوى خارجية أخرى استعمارية وطامعة أصبحت تشـكل اليوم تهديدا جديا مباشرا لشعبنا ، وفى مقدمتها الاستعمار الأمركيى ، حصن الرجعية العالميـة والسند الرئيسى لقـوى الشر والعـدوان والاستغلال فى العالم . ففى العامين الأخيرين حـدث انعطاف واسـع فى سياسة حكومة الشمال نحو الغرب ، ونحو أمريكا بصفة خاصة . وقـد حصل الاحتكاريون الأمريكيون على مواقـع اقتصادية هامة فى الشمال ، وهم يحاولون الان بمساعدة العناصر الموالية لهم بين الزمرة الحاكمة من الممثلين والخـدم المطيعين لقـوى الاقطـاع والرجعية وبواسطة عمليات الضغط والرشوة كسب الوقت للتطـويح بالاستقلال وتحقيق السيطرة الأمريكية التامة . ولا شك أن وقـوع اليمن المستقل تحت خطر الاستعمار الأمريكى يعنى زيادة مأساة شعبنا فى الشمال ، واطالة ليله بانتظار الفجر ، ويعنى بالتالى تصفية القضية الوطنية فى الجنوب » ــ كما جاء فى الميثاق الوطنى للاتحاد الشعبى الديمقراطى ص ٧ ــ ٨ .

كان قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م عملية اجهاض لهـذا المشروع الأمريكى الذى كان قيـد الاعـداد ، وكان من ثم لطمـة قاسية للبيت

الأبيض ، حاول الرد عليها بأسلوبين : مناصرة قوى الثورة المضادة التى أرادت اعادة الملكية ، والاعتراف بالجمهورية بغية التآمر على خطها الثورى من الداخل • وظلت هذه السياسة المزدوجة للاستعمار الأمريكى قائمة حتى تم قطع العلاقات الدبلوماسية مع واشنطن بفعل مؤامرتها السافرة على الثورة والأمة العربية بدعمها للعدوان الصهيونى على مصر وسوريا الذى أدى الى نكسة ٥ يونيو ٢٩٦٧ م • على أن حلقة هامة من حلقات التآمر على ثورة سبتمبر سبقت نكسة يونيو هذه لا مفر من التوقف عندها •

كان واضحا لحكومة الثورة أن « النقطة الرابعة » الأمريكية التى كان مقرها فى عاصمة البلاد الثانية « تعز » تحولت الى وكر خطر للتآمر على الثورة ، مستغلة الامتيازات الممنوحة لها ، والأسلحة والأجهزة التى كانت تدخلها سرا الى البلاد ، ومنذ سبتمبر ١٩٦٣ كان هناك تفكير فى الغاء الاتفاقية التى عقدت فى ٨ نوفمبر ١٩٥٩ بين حكومة الامام ووكالة التنمية الأمريكية بعد أن تأكد قيام بعثتها بالتجسس وبالاتصال بالملكيين ، وبعد أن قامت مظاهرة عارمة ضدها فى تعز •

وفى مطلع ديسمبر ١٩٦٦ بادرت الحكومة اليمنية الى اعتقال عدد من موظفى النقطة الرابعة الأمريكية ، واتهمتها بالتآمر وبجمع المعلومات ، وتجنيد الجواسيس ضد الحكومة الثورية ، وطلبت منها تسليم مشروعاتها الى المسئولين ، أو تغادر البلاد ، كما قطعت أجهزة اللاسلكى التى كانت تمتلكها ، وتمكنها من الاتصال بأعوانها داخل وخارج البلاد •

وفى منتصف أبريل ١٩٦٧ قبضت سلطات الأمن فى الراهدة على موظف أمريكى يعمل بالنقطة الرابعة كان قادما من عدن يدعى تشارلز بيجاليف ، حيث عثر فى سيارتيه على ثلاث بنادق ، وبندقية خرطوشة للصيد ، و ١٤٤ طلقة ، وآلة تصوير •

وفى ٢٥ أبريل ١٩٦٧ م القت سلطات الأمن القبض على أمريكيين يعملان فى النقطة الرابعة يدعيان ستيف ليابس وهارولد هارتمان كانا قــد أطلقا فى ذات اليوم أربع طلقات من مدفع بازوكا على مخـــزن للذخيرة فى تعز وعلى القيادة العربية ، والكلية الحربية بغية « نسف المدينة وسكانها » — كما قال بيان الحكومة اليمنية — غير انه لم يسفر عن أكثر من مقتل جندى يمنى وآخر مصرى واصابة مصريين بجراح •

وفى الوقت الذى اكتسحت فيه تعز مظاهرة معادية الأمريكا هاجمت دار القنصلية الأمريكية والنقطة الرابعة اتخــذت الحكومة الثــورية التى كان يرأسها رئيس الجمهورية المشير عبد الله السلال اجراءات حازمة قررت بها محاكمة الأمريكيين المرتكبين للحادث وطرد العناصر الأمريكية الخطرة ، والغت الاتفاقية الموقعة عام ١٩٥٩ م مع « الوكالة الأمريكية لمشروعات التنمية الدولية » التى كانت تتمتع بامتيازات كبيرة من ضمنها طائرة تابعة للنقطة الرابعة كانت تقوم بعمليات استكشاف وتجسس واتصالات بالعملاء •

جاء فى بيان الحكومة : « لقــد اتضح فيما مضى أن وكالة التنمية الدولية الأمريكية فى اليمن كانت وراء معظم المخربين وبالرغم من توجيه نظر المسئولين الأمريكيين الى خطورة ما يقوم به أفراد هــذه الهيئة من أعمال تخريبية الا أنها استمرت فى مخططها » •

ثم يشير البيان الى الحادث ويعلق عليه : « ولولا لطف الله لكانت كارثة مروعة تنقضى على مدينة تعز بأهلها الآمنين » •

ويقول أن تفتيش « معسكر الهيئة أثبت وجــود طلقات بازوكا من نفس النوع الذى استعمل ضــد مخازن الذخيرة كما وجــد فى نفس المعسكر أجهزة لاسلكية غير مرخص بها وكذلك أسلحة أخرى محظور اســتيرادها » •

ويضيف : « وقــد قامت مظاهرة سلمية فى تعز استنكارا لهــذا الاعتداء خــلال تشييع جنازة ضحاياه •

وأثناء مرور المظاهرات السلمية أمام مبنى الوكالة قام بعض أفراد المكتب باطلاق الرصاص على المتظاهرين • ولولا يقظــة رجال الأمن وحرصهم على المواطنين لكانت الكارثة » •

ويختتم البيان بمثل هــذا الموقف الحازم .

« وازاء هــذه الأحــداث ونظرا لــما تكرر من هــذه الهيئــة من مخالفات صارخة تهــدد سلامة وأمن البلاد فقــد قررت حكومة ج• ع• ى• ما يلى :

أولا : انهاء العمل بالاتفاقية المبرمة مــع وكالة التنمية الأمريكيه فى ٨ نوفمبر ١٩٥٩ م ،وكذلك جميع الاتفاقيات والملاحق المتفرعة عنها •

ثانيا : سحب الترخيص لطائرة هــذه الهيئة •

ثالثا : ابعاد العناصر المخربة من موظفى هــذه الهيئة من الجمهورية العربية اليمنية فورا ، استنادا الى حــــق الحكومة الصريح باتخــاذ الاجراءات اللازمة بتوفير الأمن لأراضيها •

رابعا : تقــديم المسئولين عن هــذا الاعتداء الى السلطة القضائية المختصة للجمهورية طبقا للقوانين المحلية النافــذة بها » (قناة الجزيرة ٢٩–٤–١٩٦٧ و ٣٠–٤–١٩٦٧ م) •

لم تعبأ الحكومة اليمنية برد الفعل الأمريكى الذى تمثل فى اعلان عن قطع المعونة الاقتصادية عن الجمهورية والتى كانت تبلغ ثلاثة مليون دولار فى العام ، وفى التلويح بسحب اعتراف أمريكا بالجمهورية ان لم تطلق سراح الأمريكيين اللذين يتمتعان بالحصانة الدبلوماسية •

فقد انكرت الحكومة اليمنية أن يكونوا متمتعين بمثل هذه الحصانة ورفضت الانذار الأمريكى المتعلق بسحب الاعتراف بالجمهورية .

وقال السلال : « لقد تآمروا ولما اتكشفوا انذروا . ونحن لا نقبل التآمر ولا نقبل الانذار » وأضاف : « يريدون تخليص المتآمرين ولا يهتمون بمصير ضحاياهم ، كانما حرية الأمريكيين — حتى وان قتلوا — أهم من دماء الآخرين — حتى وان اهدرت بالغدر والجريمة — » (فتاة الجزيرة ٢—٥—١٩٦٧ م و ٧—٥—١٩٦٧ م) .

ازاء هذا الموقف الحاسم سحب الأمريكيون تهديدهم كما سحبوا أكثر من مائة أمريكى من اليمن ، فى الوقت الذى أطلقت فيه الحكومة الثورية سراح الموظفين الأمريكيين بطلب من الحليفة مصر ، حيث أن الهدف الأساسى تحقق وهو انكشاف تآمر الوكالة الدولية الأمريكية — كما كتبت « الأهرام » .

تلك مجرد صفحة من ملف التآمر الأمريكى على الثورة اليمنية بشقيها — ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م وثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م — أما فتح الملف بكامله فسيتطلب وقفةمطولة ، ذلك أن التآمر الأمريكى عليها استمر بعد نكسة يونيو ٦٧ م — وربما تصاعد واشتد — ولا يزال مستمرا حتى اليوم .

جبهــة وطنية ديمقراطية عريضــة(*)

لم تكن الظروف الموضوعية والسياسية ناضجة وملحــــة ، بل وضاغطة ، من أجــل قيام تحالف وطنى ديمقراطى واســع ، كما هى عليه اليوم .

فالهجمة الامبريالية ــ الصهيونية ــ الرجعية الموجهة ضــد شعوب أمتنا العربية ، والشعوب النامية عموما ، لم تبلغ هــذا المــدى من التصاعد والسعار الذى بلغته منذ مطلع الثمانينيات .

والاتجاه الرئيسى لهــذه الهجمة مصوب الى حركة التحـــرر الوطنى العربية ، بما فيها حركة التحرر الوطنى اليمنية ، هــذه الهجمة التى بلغت حــد زرع القواعــد العسكرية للامبريالية ، وعلى رأســها الامبريالية الأمريكية ، فى السعودية ، وسلطنة عمان ، والصومال ، ومصر ، وكينيا ، وحــد تحريك الأساطيل ، وقوى التدخل السريع الأمريكية الى

(*) نشرت فى صحيفة « صوت العمال » فى ١٩٨٧/١١/٣ .

المنطقة ، والعودة الى أساليب الاستعمار القديم فى القهر والاملاء ، والى سياسة توتير الموقف العالمى عن طريق خلق بؤر توتر فى أكثر من مكان وسياسة الحرب الباردة و « حافة الهاوية » التى انتهجها الاستعمار الأمريكى فى فترات سابقة ، وعاد اليها بشكل محموم وغير مسبوق ، مستثمرا فى ذلك الحرب العراقية — الايرانية .

غير أن جبهة الامبريالية والصهيونية والرجعية ليست مطلقة اليد فى المنطقة ، ففى مواجهتها تقف حركة الشعوب المناضلة من أجل سيادتها واستقلالها ، وحقها فى الحيـــاة والعيش بكرامة ، والمضئ على درب الحضارة والتقـدم .

وتنتصب شعوب أمتنا العربية ، وفى مقـدمتها حركاتها التحررية ، فى قلب هـذه المعركة الوطنيـــة — الاجتماعية ضـــد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، مسنودة فى ذلك بقوى الثورة العالمية ، وفى طليعتها الاتحـاد السوفيتى .

ومنذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م التى أعلنت قيام الجمهورية العربية اليمنية ، وفتحت النار من خلال قيام ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م — الامتداد الحى والمتفجر لهـا — على الوجود البريطانى فى جنـوب الوطن — منذئذ ، وشعبنا اليمنى وحركته التحررية ، يرابطان فى منطقة الوسط من هـذه الدائرة الوطنية الملتهبة .

حقا تمكنت قـوى الثورة المضادة — رغم التغلب عليها فى معارك الحرب الأهلية — الاستعمارية الضروس التى فرضت على شعبنا اليمنى حـوالى خمس سنوات — تمكنت — عن طريق الغزو السياسى الداخلى ، والاحتواء الرجعى — الاستعمارى الخارجى — من الحاق نكسة خطيرة بثورة ٢٦ سبتمبر الأم ، عندما تمكنت فى ظل النكسة القومية العامة فى

٥ يونيو ١٩٦٧ م ومن خلال انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ م الاقطاعى الرجعى ، من مد نفوذها الى عاصمة اليمن التلميذة صنعاء ومن تكريس وتوسيع هذا النفوذ بعد اتفاق التصالح المشئوم فى جده مع نهاية مارس ١٩٧٠ م الذى تم مع الملكيين — ما عدا بيت حميد الدين — والذى فتح البلاد على مصاريعها للزحف السعودى الأمريكى .

غير أن الوليد الثورى الحى ، ثورة ١٤ أكتوبر ، مدعوما بالحركة الوطنية اليمنية عموما ، لم يتغلب فقط على كل محاولات الاحتواء الخارجية ، والاجهاض الداخلية وانما مضى أيضا بعد تحقيق الاستقلال الوطنى لجنوب الوطن فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ م من نصر الى نصر ، حيث تمكن بخطوة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م التصحيحية من التغلب على التيار الانتهازى اليمنى الانفصالى ، وتمكن بحركة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ م التقدمية من الاجهاز على التيار الانتهازى اليسارى الانعزالى ، ومن ثم من اقامة نظام وطنى ديمقراطى وحدوى ، كما تمكن آخر الأمر من عبور محنة ١٣ يناير ١٩٨٦ م الدامية .

وكما أن النكسة الوطنية التى حلت بثورة سبتمبر لم تكن مفصولة عن النكسة القومية العامة التى حلت بالثورة العربية ، بما فيها قاعدتها مصر الناصرية التى وقفت الى جانب كل الثورات العربية ، وعلى رأسها الثورة اليمنية ، فان أسباب هذه النكسة لا تعود الى قوى الثورة المضادة وحدها ، وانما أيضا الى أسباب ذاتية تتعلق بقوى الثورة اليمنية نفسها .

فهذه القوى — بفعل التناقضات الذاتية بين التيارات القومية المتواجدة فى الساحة اليمنية ، وبينها وبين القوى اليسارية ، وبفعل التناقض بين السبتمبريين أنفسهم ، وعدم الوضوح النظرى لدى قيادة الثورة ، وعدم وجود برنامج سياسى ، وعدم الاهتمام بايجاد

علاقات وصيغة تحالف وطني ديمقراطي تجمع شتى القوى الثورية داخل السلطة وخارجها — بفعل ذلك كله •• وبسبب السياسة السلبية ازاء القوى الوطنية التى انتهجتها القيادة المصرية فى اليمن ذات النهج اليمنى المتآمر على نهج عبد الناصر القومى التقـدمى ، فأنه ما كان ممكنـا لهـذه القوى الوطنية أن تصنع وحـدة نضالية تجمع أطراف الحركة الوطنية اليمنية ، وبالتالى ما كان فى امكانها — فى ظـل تمزقها وتناحرها — ان تحول دون أن تندحر ثورة سبتمبر ، وأن يتمكن العـدو الخارجى والأجنبى من افـراغ جمهوريتها من كل محتـوى تحـررى وطنى — ديمقراطى ، وان يحول شمال الوطن الى رأس جسر للوثوب على النظام الديمقراطى فى جنوبه ، بعـد أن أسهمت ثورة سبتمبر الأم فى ولادته وعمدت من خلال الكفاح الوطنى المشترك مع ثواره وحـدة الشـعب الوطنية فى الدماء •

لقـد كان غياب الوحـدة الوطنية بين فصائل الثورة وبين قـوى الجـديد والتطـوير عمـوما ، هـو المعضلة التى رافقت سير الحركة الوطنية اليمنية منذ نشوئها فى منتصف الخمسينيات ، والتى ما تزال تمثل التحـدى الحقيقى أمامها فى الوقت الراهن •

حقا أمكن أن تتحـد بعض الفصائل فى هـذا الشكل أو ذاك من أشكال الاتحاد سواء فى شكل تنظيم سياسى واحـد ، كما كان الحـال بالنسبة للتنظيم السياسى الموحـد — الجبهة القومية الذى أمكن أن يتطور الى حزب طليعى واحـد ، هـو الحزب الاشتراكى اليمنى الحاكم فى الشطر الجنوبى من الوطن ، أو فى شـكل جبهـة وطنية ديمقراطية مناضلة فى الشطر الشمالى منه •

غير أن الوحـدة الوطنية الكاملة والجامعة لشتى أطراف الحركة الوطنية والشعبية اليمنية والتى تمثـل شرطا سياسيا حاسما لبـلوغ الوحـدة اليمنية ظلت بعيدة عن التحقيق •

واذا كان كل من شطرى اليمن قد مضى — ابتداء من نوفمبر ١٩٦٧ م شهر الاستقلال الوطنى لجنوب الوطن ، وشهر الانقلاب الاقطاعى فى شماله — فى خط اجتماعى وسياسى متعارض مع الآخر ، حيث مضى جنوب الوطن وبالذات بعد حركة ٢٢ يونيو التصحيحية فى طريق التطور الرأسمالى الكمبرادورى المشوه والتابع ، مما حتم فى طريق التطور اللارأسمالى ، طريق التقدم الاجتماعى ، ومضى شماله قيام تنظيم سياسى واحد فى جنوب الوطن ، كشكل خاص من أشكال الوحدة الوطنية والثورية فيه ، تتلاءم مع مستوى التطورالاجتماعى الذى بلغه ، وحتم فى نفس الوقت قيام جبهة وطنية ديمقراطية فى شمال الوطن كقالب سياسى لا غنى عنه لحشد كل التنظيمات السياسية والجماهيرية ، وكل القوى والعناصر الوطنية المختلفة فيه ، فان هذا النمط من التوحيد الوطنى هنا وهناك لم يكن يعدو أن يكون خطوات على طريق الوحدة الوطنية والثورية الشاملة على مستوى الوطن التى تمثل أساسا راسخا من أسس تحقيق الوحدة اليمنية فى ظل نظام وطنى ديمقراطى تقدمى •

ان القضية العاجلة والملحة التى تطرح نفسها على قوى الثورة اليمنية هى توسيع اطار الجبهة الوطنية الديمقراطية القائمة ، بحيث تغدو تجسيدا حيا للقوى الفاعلة والحية فى المجتمع ، قوى العمال والفلاحين والمثقفين الوطنيين والجنود والضباط الوطنيين البرجوازية الصغيرة والوسطى الوطنية وكل عنصر وطنى معاد للقوى الرجعية والاستعمارية ، أيا كان انتماؤه الطبقى ، بما فى ذلك المشائخ ورجالات الدين الذين يتخذون نفس الموقف •

وكما تتسع هذه الجبهة لكل هذه الطبقات والشرائح الاجتماعية المتضررة ، فانها تستوعب كل المنظمات السياسية الوطنية وكل التنظيمات

الجماهيرية والنقابية القائمة ، والتى يمكن ويجب أن تقوم فى المستقبل ، بل وتتسع للمشائخ ورجالات الدين الوطنيين .

وذلك يعنى أن مثل هــذه الجبهة تتسع لكل الرؤى الأيديولوجية والاتجاهات السياسية ، ذات الصبغة الوطنية التحررية ، والتوجــــه الاجتماعى التقدمى ، تمهيدا لقيام الجبهة الوطنية الديمقراطية العريضة على نطاق الساحة اليمنية كلها .

أن الاختلاف فى الرأى بين الفصائل الوطنية والقــوى الثورية لا يحول دون وصولها الى هــذا الشكل أو ذاك من أشكال التحالف الوطنى الذى يقوم على أساس القاسم المشترك بينها ، بل أنه سبب وجود وقيام الجبهات الوطنية ، فى كل وأى مكان ، بما فى ذلك ســاحة الوطن ، الذى تبــدو صيغة الجبهة الوطنية الديمقراطية العريضة أكثر الصيغ ملاءمة لظروفه الاجتماعية والسياسية ، توطئــة لقيــام اليمن الديمقراطى الموحــد .

ولا ينبغى أن تكون أحــداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م سببا للتمزق ، وانما داعيا الى المزيد من التماسك والتلاحم .

القسم الثانى

حــول تجـــربة الثــورة

فى اليمــن الديمقراطية

أبعـاد وآفـاق الاسـتقلال

التى بشر بهـا

« الميثاق الوطنى » للجبهة القـومية(*)

كانت قوات ابراهيم باشا ، نجل محمد على باشا حاكم مصر قـد بلغت ميناء المخا ، تهيؤا للزحف نحو عـدن ، ووضع اليمن كلها تحت ادارة والده الذى كانت طموحاته واصـلاحاته التحـديثية لمصر ، وتطلعاته نحـو اقامة دولة عربية مستقلة تضم كل الناطقين بالضـاد — حسب تعبير ابراهيم باشا — قـد استحقت تقـدير ماركس الـذى وصفه « بالشخص الوحيد » الذى كان فى وسعه أن يتوصل الى استبدال « العمامة المفتخرة » لتركيا القروسطية « برأس حقيقى » بالاستناد الى مصر التى وصفها « بالقسم الوحيد الذى كان ذا قوة حيوية آنذاك » فى الامبراطورية العثمانية كلها ، (راجع : لوتسكى تاريخ الأقطـار العربية الحـديثة ، دار التقـدم ، موسكو ، ٧٤ — ٧٥) .

فى هـذا الوقت سارعت بريطانيا الى قطع الطريق على محمد على باشا ، ووضع حـد لطموحاته ، وبادرت الى احتلال عـدن فى ١٩ يناير

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩٨٨/١٢/٣ .

١٨٣٩ ، واضطرته لا الى الخروج من اليمن والجزيرة العربية فحسب ، وانما من الشام أيضا ، حيث حصرته داخل وادى النيل ، وحيث وقعت مصر نفسها منذ عام ١٨٤١ فى قبضة النفوذ البريطانى ، وبذلك « تبعت مصر » — كما قال ماركس وانجلز — « للانكليز أكثر من أى جهـــة أخـــرى » .

(المصـــدر السابق ، ص ١٤٥) — وغـــدا البحر الأحمر — عمليا — بحيرة انجليزية .

وما كان للانتفاضات المتلاحقة والمتفرقة التى اشتعلت ضـــد بريطانيا — سيدة البحار — والتى طمحت الى تحرير عـــدن ، والتى استمرت الى عام ١٨٥٨ — ما كان لهـــا أن تغير من طبيعة الوضـــع ، وبالتالى من طبيعة القرن الذى اتسم بالتوســـع الأوروبى ، وبالذات التوسع البريطانى فى كل مكان من المعمورة .

وما كان للامبراطورية العثمانية ذاتها ، التى عادت فى موجتين — عام ١٨٤٩ وعام ١٨٧٢ الى احتلال الجزء الشمالى من اليمن ، والتى طالبت بمد سيادتها الى جنوب اليمن ، ما كان لهـــا أن تغير من طبيعة الوضع ، رغم اقفالها باب المندب خلال الحرب العالمية الأولى وتلغيمه بواسطة بواخر ألمـــانية ، وتقـــدم جيشها ، بمساعدة بعض الفصائل الشعبية اليمنية الى منطقة الشيخ عثمان ، حيث أمكن لنجـــدة بريطانيا أحضرت من السويس عبور باب المندب ، واحتلال رأس الشيخ سعيد بعـــد تحطيم الاستحكامات التركية فيه ، وايقاف الزحف التركى حتى نهاية الحرب لصالح بريطانيا وحلفائها المنتصرين .

وما كان للدولة اليمنية الاقطاعية المتخلفـــة المفتقدة للاحساس بايقاع العصر والتى قامت على انقاض الحكم التركى مع نهاية عـــام

١٩١٨ أن توفر الشروط التاريخية والاجتماعية والسياسية لتحرير جنوب اليمن وغيره من المناطق المغتصبة فى شمال اليمن ، وتوحيدها من ثم بالوطن الأم ، حيث اضطرت الى توقيع معاهدتى صنعاء والطائف اللتين اعترفت بمقتضاهما بالأمر الواقع . والانتفاضات المتقطعة زمانيا ، والمحدودة مكانيا ، والمنعزلة عن بعضها بعضا ، التى شهدها جنوب اليمن حتى الخمسينيات سواء فى الريف أو مدينة عدن ، كان لها معنى واحد ، هو أن الشعب متمسك بحقه فى ممارسة حياته الحرة على أرضه وأنه يرفض استمرار الوجود الأجنبى فيها ، غير أن اللحظة التاريخية التى يستطيع فيها ان ينتزع حريته ، ويستعيد سيادته ، ويحقق استقلاله لم تكن قد دنت بعد .

لقد اثبتت الخبرة التاريخية أن قاعدة استعمارية عالمية كعدن تمكنت من خلالها بريطانيا من احكام قبضتها على الخليج العربى ومن ضرب أى تحرك ثورى عربى — وهو ما اتضح أيضا أبان العدوان الثلاثى على السويس عام ١٩٥٦ — ومن اخضاع شرق أفريقيا ومن ، تعزيز نفوذها شرق السويس عموما ، ليس بالامكان تحريرها الا بتوافر عوامل وطنية وقومية وعالمية متضافرة .

وبتصدع الجبهة الامبريالية العالمية خلال الحرب العالمية الثانية ، وتضعضع مكانة بريطانيا زعيمة الاستعمار القديم ، وظهور المعسكر الاشتراكى ، وسطوع دور الاتحاد السوفيتى ليس فحسب فى انزال الهزيمة الساحقة بدول المحور الفاشية بل وفى بزوغ نجم الاشتراكية على أنحاء واسعة من أوروبا وآسيا بدءا من برلين وانتهاء ببكين ، وفى دعم حركات التحرر الوطنى العالمية ، اضافة الى اشتداد ساعد الطبقة العاملة والحركات الديمقراطية فى الغرب نفسه ، وتفجر الثورات العربية ، وخاصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر وبروز الحركة الوطنية اليمنية ، وتحول عدن ذاتها الى مركز رئيسى لها ، وتصدر الطبقة

العاملة اليمنية الوليدة طيلة الخمسينيات ، وخاصة منذ اضرابات مارس ١٩٥٦ ، وانتظامها فى حركة نقابية منظمة ، واندلاع ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فى شمال الوطن ، وانخراط جماهير الشـعب اليمنى من صـعده الى عـدن فى الدفاع عنها ، واندفاع مصر عبد الناصر بكل ثقلهـا السياسى والعسكرى والقومى والعالمى الى الساحة اليمنية انتصارا لها ، وفتحها للنار على قاعـدة الوجود البريطانى فى عـدن ، وطموحها الى تحرير وتوحيد الوطن العربى تحت قيادة بطله القومى جمال عبد الناصر — بذلك كله تراكمت وتوافرت العوامل الوطنية والقومية والعالميـة الملائمة لبدء نضال تحررى شامل وناضج ضـد الاستعمار البريطانى ، واخراجه من النقطة التى دخل منها ، ومن ثم تحقيق استقلال جنوب الوطـن •

كانت « الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل » هى الناتج الطبيعى والنضالى لمجمل هـذه العوامل الوطنية والقومية والعالمية ، والتى وعت اللحظـة التاريخية المناسبة للشروع فى الامساك بزمام المبادرة الوطنية ، واطلاق شرارة الثورة ضـد برج الاستعمار البريطانى فى عـدن •

كانت الجبهة القومية التى كان فرع حركة القوميين العرب يمثل عمودها الفقرى تتمتع بميزات أهلتها لان تكون هى المرشحة تاريخيا لاعطاء اشارة الثورة المسلحة وقيادتها حتى النهاية • فهى التنظيم الوحيد الذى كان لـه وجود فى عموم الريف والمدن ، وبذلك كانت أقوى رابطا وطنى يشد أطراف جنوب اليمن الذى كان المستعمر قـد أسرف فى تفتيته وتمزيقه ، وعمق الولاءات القبلية والعشائرية فيه • وكانت هى التنظيم الجماهيرى الذى شمل الطبقات والفئات العريضة والمضطهده ، من العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والوسطى ، وكانت بذلك اطارا ملائما لتحالف وطنى شعبى ثورى كانت حركة الأحـداث تتولى بلورته وصقله وتعميقه وتطويره •

ان تكون الشرارة الأولى قــد انطلقت من ردفان ضد الاستعمار البريطانى بفعل محاولة جنوده نزع أسلحة المقاتلين الردفانيين الذين عادوا لتوهم من شمال الوطن بعــد أن أدوا واجبهم هناك فى الدفاع عن الثورة ، فذلك لا يعــدو أن يكون سببا ظاهرا . أما السبب العميق فهــو الرفض الوطنى لوجــود المستعمر ، ناهيك أن تشكيل القبــائل الذى أطلق الشرارة فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بقيادة الشيخ راجح بن غالب لبوزة وقــدم مــع رفاقه حياته لهــذا الاستهلاك المسلح والفــدائى للثورة كان أحــد الأطراف التى تشكلت منها الجبهة القومية .

وكما جاء فى « الميثاق الوطنى » للجبهة القومية فان « الثــورة المسلحة انطلقت فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بأول مجموعة ثورية من تشكيل القبائل فى ردفان » .

« ان تكوين الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتــل كتنظيم ثورى تحمل بجرأة وشجاعة تفجير الثورة الشعبية المسلحة ضــــد الاستعمار والحكم السلطانى الرجعى ، وحقق للشــعب ارادته الثورية التى أطلقت شرارة الثورة فى ١٤ أكتوبر .

واستطاعت الجبهة بما شملته من قطاعات شعبية واسعة وبمــا تميزت به من تنظيم ثورى شامل لكل المنطقة دون استثناء وتحطيمها للحواجز المصطنعة التى أوجــدها الاستعمار ان توسع المعركة المسلحة لتشمل كل مناطق الجنوب تقريبا حتى قلب القاعــدة البريطانية فى عدن » (ص ٦٥ — ٦٦) .

وتنظيم الجبهة القومية رغم أن مجال نشاطها العملى والمباشر هو التصــدى للاستعمار البريطانى فى جنوب الوطن الا أنه كان مرتبطا بفرع حركة القوميين العرب فى اليمن عموما ، ومرتبطا بحركة القوميين

العرب بمركزها القومي في بيروت ، ومتحالفا مع الحركة الناصرية التي كانت تقــود الحركة القومية العربية كلها — بقطع النظر عما حــدث بعــد وضع « الميثاق الوطني » في يونيو ١٩٦٥ من توتر في العلاقات مــع مصر — .

هــذا الظرف الوطني السعيد ، ممثلا في ثورة سبتمبر ، وهــذا الظرف القومي الذهبي الذي تمثل في تحالف حركة القوميين العرب — بما فيها الجبهة القومية — مع الحركة الناصرية ، وفي انتقــــال مصر الناصرية بكل ثقلها الى اليمن ، وفي تأييدها لقيام الجبهة القومية ولشنها الكفاح المسلح ضــد الاستعمار البريطاني — كل ذلك عزز من الميزات الوطنية والقومية التي حالفت الجبهة القومية ، والتي تفردت بها بين التنظيمات الوطنية الأخرى .

ذلك ما أوضحه أيضا « الميثاق الوطني » عند اشارته الى ان قيام ثورة ٢٦ سبتمبر قــد « أوجــد للحركة الوطنية الثورية قاعــــدة للتحرك وحليفا طبيعيا ظلت تنشده خلال سنين (سنى) النضـــــال الطويل . ان هــذه الثورة فجرت في أوساط الشعب في الجنوب حماسا لا نظير له للنضال ، حيث هبت جماعات كبيرة وحملت السلاح للذود عن الثورة وحمايتها من تآمر الرجعية والاستعمار » .

« ان وصول القوات العربية لحماية الثورة والحفاظ على مكاسبها .. كل ذلك قلب الأوضاع السائدة في المنطقة .. ووفر في الوقت نفسه الشروط والموضوعية الأساسية لاندلاع الثورة في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م » (ص ٦١ — ٦٢) .

وكان تنظيم الجبهة القومية يدرك أهمية وجود المنظومة الاشتراكية في قيام ونجاح ثورات التحرر الوطني الديمقراطي — بقطع النظر عن

وجود تيار فيه كان يقيمها تقييما سلبيا ، حيث كان الرجحان ـ للجناح الديمقراطي الثوري حتى من قبـل الاستقلال وهـو ما أعرب عنـه بوضوح « الميثاق الوطني » الذي حمل بصمات هـذا الجناح ، وهـو ما تجلى في الصيغ المتعلقة بالبلدان الاشتراكية ، ومنها الصيغة التي جاء فيها : « ان انتصارات الثورة الاشتراكية في بلدان كثيرة من العالم أدى الى تقسيم العالم الى معسكرين رأسمالي رجعي ، واشتراكي تقدمي ، وفضلا عن التجارب المفيدة التي قـدمتها هـذه الانتصارات للشعوب المستعمرة فقـد أصبح انتصار أية ثورة وطنية ذات محتوى اشتراكي في أي قطر من العالم يعني بالضرورة انتصارا حتميا للمعسكر الاشتراكي التقـدمي ، وتقليصـا لوجـود المعسكر الرأسمالي الاسـتعماري » (ص ٥٥ ـ ٥٦) .

ان مجمل ما سبق يوضح ان العوامل الوطنية والقومية والعالميـة كانت قـد توافرت بالفعل لشن نضال ناجح من أجل تحقيق الاستقلال الوطني لجنوب اليمن ، وان الجبهة القومية بالذات كانت التنظيم الوحيد الذي خـدمته هـذه العوامل أكثر من أي تنظيم آخر ، وانها بالتالي كانت المهيأة وحـدها لان تكون صاحبة الكلمة الأولى والطلقة الأولى ، ومن ثم صانعة الفعل التاريخي الذي توج بجـلاء المستعمر وتحقيق الاستقلال الوطني . ولكن ماذا كان يعني الاستقلال الوطني من وجهة نظر الجبهة القومية ؟

أولا : كانت الجبهة القومية ترفض الاستقلال الشكلي الذي كان الاستعمار البريطاني يمـد به الأحزاب التقليدية والاصلاحية المعادية للكفاح المسلح ، وقـد تكفلت ثورة التحرير بـ « افشال كل مخططات الاستعمار ومشاريعه في المنطقة . وقـد تجسد ذلك في الهزيمة التي ألحقتها الثورة بمؤتمر مارس اللا دسـتوري عام ١٩٦٥ الذي دعى (دعا) الى عقـده وزير المستعمرات البريطاني مع ممثلي ولاية عـدن

والسلاطين وأحزاب عـدن السياسية الغير مشتركة (غير المشتركة) فى الثورة والمعادية لهـا » (ص ٦٨) .

ثانيا : كان الاستقلال السياسى الحقيقى يعنى فى نظر الجبهـة القومية رفض اقامة دولة انفصالية رجعية عميلة فى جنوب اليمن ، تكون ركيزة للمستعمر بعـد اخراج قـواته ، وتكون حجر عثرة على طريق الوحـدة اليمنية والوحـدة العربية ، وهـو ما كان قـد تمثل بالفعل فى دولة « اتحاد الجنوب العربى » التى كان قـد شرع فى اقامتهـا وضم عـدن اليها .

ومن هنا فان الجبهة القومية أعلنت وقوفها ضـد هـذا المخطط « الرامى الى ايجاد ما أسماه بدولة الجنوب العربى » الانفصـالية العميلة ، يدفع بها الى المجالات والمحافل الدولية للاعتراف بها والتلويح باستقلال مزيف تكون على قمتـه الرجعية المحليـة من المستوزرين والسلاطين الاقطاعيين ، يعيق به (الاستقلال المزيف — الكاتب) تطلع الجماهير وموجهها (وتوجيهها) الثورى ، ويحول دون تحقيق وحـدة الشعب العربى فى اقليم اليمن ، ويحـول دون اتجاهه الى الوحـدة العربية ، مستهدفا ابعاد المنطقة عن الركب العربى الثورى التحررى » (ص ٥٩) .

ثانيا : وكما ربطت الجبهة القومية التحرر السياسى من الاستعمار بالتحرر الاقتصادى منه ، فانها ربطت التحرر الوطنى بالتحرر الاجتماعى ، معتبرة أن الاستقلال الوطنى الكامل مرهون بالقضاء على الطبقـات والقوى الاجتماعية الاقطاعية والبرجوازية المشايعة للاستعمار وبأحداث تحولات اقتصادية واجتماعية ديمقراطية تكون فى صالح الجماهير الفقيرة والمضطهدة والمستغلة .

وهى أطروحة عامة تبنتها الجبهة القومية لا بالنسبة لجنوب اليمن فحسب ، وانما بالنسبة للوطن العربى كله ، وقد صاغتها بشكل واضح ومحدد على النحو التالى :

« ان نمو الطبقة البرجوازية والاقطاعية فى الوطن العربى ، وارتباطاتها المسبقة بالمصالح الاستعمارية ، أدى الى ظهور قوى وتكتلات سياسية ذات طابع رجعى استعمارى فى أقطار عربية معينة دفع هذه القوى الى أن تحتفظ بالسلطة ، وتستحوذ على الحكم بعد الاستقلال مباشرة ، وذلك فى غياب الطلائع الثورية الممثلة لجموع الشعب المحرومة .

ان عملية الصراع هذه بين قوى الرأسمالية المستغلة والاقطاع وبين قوى الشعب الكادحة تستوجب الحرص الشديد لان تتم بنضال ثورى يستهدف تحقيق أهداف الجماهير حتى يتجنب الشعب بمجموعة الدخول فى عملية خضوع رهيب لسيطرتها » (ص ٥٧ — ٥٨) .

أما بالنسبة لجنوب اليمن فقد كانت صيغة الاطروحة كما يلى :

« لكن الاستعمار البريطانى فى جنوب اليمن قام بخلق قوى اقطاعية رجعية متميزة وقوى برجوازية لهما مصالحها المتداخلة معه ، وشكلت هذه القوى الاجتماعية المستغلة ، ممثلة فى الأحزاب السياسية ، منذ البداية خطا معاديا للثورة المسلحة ، متخذة أسلوب العمل السياسى السلمى وسيلة ضغط مباشر ، أملا منها لان يعطيها الاستعمار بعض التنازلات ، ويسلمها السلطة والحكم مقابل أن تقبل استمرار بعض مصالحه وتوقف مسيرة الثورة الهادفة الى القضاء على كيانهما ووجودهما معا » (ص ٧٣) .

رابعا : كان الاستقلال السياسى — من وجهة نظر الجبهة القومية — مدخلا الى اقامة دولة وطنية ديمقراطية متحررة متقدمة فى جنوب

الوطن ، لا يستكمل بها فقط استقلال اليمن الذى ظل منقوصا منذ وطئت أقـدام المستعمر البريطانى عـدن ، وانما يتحقق بها أيضا خلق نموذج ثورى رائد فى اليمن يكون حافزا وملهما للحركة الوطنية اليمنية عموما للسير على هـداه فى نضالها من أجـل بلوغ الوحـدة اليمنية ، ومن ثم قيام الدولة اليمنية الموحـدة الوطنية الديمقراطية .

ولم يكن تحقيق الاستقلال مدخلا فحسب الى قيام دولة وطنية ديمقراطية فى الجنوب ، وبالتالى دولة يمنية موحـدة وطنية ديمقراطية وانما كان كذلك مدخلا لاقامة مجتمع الاشتراكية ، التى كانت تعنى فى هـذا الوقت « الاشتراكية الثورية » تمييزا لهـا عن الاشتراكية العلمية التى صعب تبنيها فى الميثاق ، رغم أن تحليله للوضوح الاجتماعى فى جنوب اليمن وفى الوطن العربى وفى العالم كان متاثرا بوضوح بنهج الاشتراكية العلمية . كثيرة هى الفقرات التى تؤكد ذلك كله ، ولسوف نختار من الميثاق بعضا منها : « ان الواقع الاجتماعى الذى ستحققه الثورة لابد أن تتولى فيه تنظيماتها الشعبية الثورية عملية توجيهه وبنائه فكريا واقتصاديا وعسكريا . ان هذا الواقع لن يتحقق الا متى تحمل كل مواطن ومواطنة المسئولية كاملة فى العمل والانتاج ، وعلى هذا الأساس يصبح من أهـداف الثورة الأساسية أن توفر فرص العمل لكل المواطنين بدون استثناء » .

« ان من أهم ظواهر المخططات الاقتصادية الاستعمارية هـــو استحداث الفوارق بين المدن والريف وان من واجبات الثورة الأساسية من خلال مخططاتها للتنمية الاقتصادية والبناء الاجتماعى الثورى ان تغير هـذه الظاهرة التى سوف تتغير حتما بالتغيير الجـــاد للعلاقات الاجتماعية الســائدة القــائمة على أسس اقتصــادية اســتعمارية » (ص ٩٢ ــ ٩٣) .

ولابد فى هـذا الصـدد من « الاستفادة من تجربة العربية فى ضرورة وحـدة النضال الثورى لجماهير الشعب ذات المصلحة الحقيقية فى الثورة » ، حيث أنه بذلك « لا يقضى على كل أشكال الوجود الاستعمارى بكافة صوره فحسب ، انما يمكن (أيضا) هـذه الجماهير من أن تقوم باعادة بناء مجتمع سليم تسوده الحرية والديمقراطية والاشتراكية » ، وذلك يحتم أن تظل الجبهة القومية هى « الاطار التنظيمى الذى تتفاعل فيه كل قطاعات الشعب العاملة لتقود وتوجه وتعبر بحرية من خلاله عن ارادتها وأهـدافها واتجاهاتها أثنـاء مسيرة الثورة وفى مرحلة البنـاء الاجتماعى على طريق الاشتراكية » • (ص ٧٥ ، ٩٦) •

خامسا : وفى الوقت الذى انفتحت فيه الجبهة القومية وتعاونت ـ بقـدر ما سمحت بذلك التناقضات داخلها ـ مع القوى والمنظمات التقـدمية من أجل تحقيق الاستقلال الوطنى بكل الابعـاد الوطنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المترتبة عليه ، فأنهـا أدركت جيدا الدور الذى ينبغى أن تحتله الشغيلة ـ وبالذات العمـال والفلاحون وسط قوى التحالف الوطنى الديمقراطى •

كان « الاتحـاد الشعبى الديمقراطى » بقيادة عبد الله باذيب ، الذى قيم عاليا الرسالة الثورية التى نهضت بها الجبهة القومية ، وجمد تنظيمه بغية الوصول الى شكل راق من التحالف ومن ثم الاتحاد معاً ، وسخر جريدته « الامل » لصالحها وصالح العملية الثورية فى اليمن عموما ، كان أبرز القوى السياسية المنظمة التى انفتحت عليها الجبهة القومية وتعاونت معها باخلاص لا يقل عن الاخلاص الذى تعاون به تنظيمه معها ، لاخلال فترة الكفاح المسلح فحسب ، وانما بعد الاستقلال أيضا • بل ان هذا التعاون تنامى وتطور ، وبالذات مع التيار الديمقراطى الثورى فيها الذى كان عبد الفتاح اسماعيل أبرز رموزه والذى كان يسير حثيثا نحـو الانتقال من مواقع الديمقراطية الثورية الى مواقع

الاشتراكية العلمية ، الأمر الذى عمق وعزز التقارب بين هـذا التيار وتيار باذيب الماركسى •

ليست نادرة الصيغ التى تضمنها الميثاق ، والتى يتضح منها جليا ان الجبهة القومية اعتبرت العمال والفلاحين العمود الفقرى للتحالف الوطنى الديمقراطى لا من أجل نيل الاستقلال الوطنى فحسب ، وانما أيضا من أجل بناء الدولة النواة للشغيلة وعموم الكادحين فى جنـوب اليمن ، والتى ينبغى أن تكون مشتلا ديمقراطيا ثوريا نموذجيا رائدا وملهما للحقل الديمقراطى الثورى لدولة اليمن الموحـدة المتحررة •

« ان الطبقة العاملة التى تحملت مسئولياتها النضالية خلال مسيرة الثورة لا شك أن دورها فى مرحلة البناء الثورى أعظم من ذلك » •

« ان تنظيم جماهير الفلاحين وتوجيههم للقيام بدورهم كاملا فى مرحلة البناء الثورى الاجتماعى لابد أن يتم من خلال توطيد التحالف بينهم وبين الطبقة العاملة ، وتحقيق هـذا التحالف هـو وحـده الكفيل بتحقيق التقـدم الاجتماعى المنشود ، وعلى الثورة أن توجه جهودها الى تنظيم هـذه القطاعات الشعبية الثورية صاحبة المصلحة الأكيدة فى الثورة الاشتراكية بكافة السبل وبكل الوسائل » (ص ٩٣ • ٩٤) •

سادسا : ان الجبهة القـومية التى كانت تعتبر نفسها النقيض الوطنى الطبقى للاستعمار والاقطاع و « الرأسمال المستغل » — حسب تعبير « الميثـاق الوطنى — والمعبر عن الحركة الجماهيرية ، والمجسد لمصالح العمال والفلاحين والقوى الاجتماعية الأخرى المنتجة ، كانت ترى أنه فى ظل دولة الاستقلال التى تطمح الى قيامها فى جنوب الوطن كركيزة للوحـدة اليمنية التى يجب « أن تتم على أسس شعبية سليمة » ، فانه لا مجال للتنمية الرأسمالية التقليدية ، وان المجال المتاح هـو

التنمية الاقتصادية — الاجتماعية المستقلة المخططة عبر قطاع عام ، بحيث يكون ناتج التنمية لصالح جماهير الشعب الفقيرة ، غير أن ذلك لا يعنى عـدم القبول بالرأسمال الأجنبى فى قطاعات معينة لا غنى لهـا عنه • « ان من أهم العوامل التى تخضع اقتصاديات البلاد المتخلفة للسيطرة الاقتصادية الأجنبية هى عـدم توفر الرأسمال القادر على تحويل ثروات البلاد الى طاقات انتاجية تستطيع مواجهـة الحاجات المتعـددة لدى الشعب فى طريقه نحو التقـدم •

لذلك فان وضع خطة شاملة لتوجيه الرأسمال الوطنى ، وتشجيع الشعب على الادخار ، والتوفير ، والحصول على المعونات والقروض الأجنبية غير المشروطة والسماح للاستثمارات الأجنبية فى بعض المجالات التى تتطلب خبرات عالية لا تتوفر فى البلاد ، ان ذلك من أهم الأسس لخلق اقتصاد وطنى سليم مستقل فى كافة المجالات يمكن الشـعب من اقامة صناعات تواجه حاجاته المختلفة والأساسية » (ص ٧٩ ، ٨٦ — ٨٧) •

هـذا الفكر الاجتماعى والسياسى المتقـدم الذى جسده « الميثاق الوطنى » والذى حـدد به أبعاد وآفاق دولة الاستقلال مثل البـذرة الصالحة التى ما لبثت أن زكت وربت وتفتحت واينعت بعـد الاستقلال ، وتحولت الى شجرة فكرية اجتماعية — سايسية باسقة أصلها ثابت فى الأرض ، وفرعها شامخ فى السماء • ولذلك فانه صعب على كل الأنواء والعواصف الداخلية والمحلية والخارجية اقتلاعها أو هصرها •

وبعـد فانه لم يكن بغير أساس وصف محمد على باشـا عـدن بأنها « عين اليمن » التى أخـذها الانجليز عام ١٨٣٩ • وبالاستقلال الذى انتزعته فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ استعادت اليمن عينها التى تبصر بها

اليـــوم طريق مستقبلها ، مستقبل التنمية الاقتصادية والاجتماعيه المستقلة ، مستقبل التحالف الوطنى الديمقراطى الواسع ، مستقبل التقدم الاجتمـاعى ، والديمقراطية السياســـية ، مستقبل التحرر الوطنى والاجتماعى معا ، مستقبل اليمن الديمقراطى الموحـد ، ذى التوجـه الاشتراكى ، والارتبـاط القومى التقـدمى ، والعـلاقات الانسانية الامميـة .

حصيلة أعمال الندوة العلمية

حول الثورة الوطنية الديمقراطية

وتجربة اليمن الديمقراطية(*)

انعقدت فى عدن خلال الفترة ما بين ١١ – ١٤ فبراير ١٩٨٤ ندوة علمية دعت اليها اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى ، وشاركت فيها – اضافة الى ممثلى الجانب اليمنى – وفود علمية من مختلف الأحزاب الشيوعية العربية ، ومن البلدان الاشتراكية والرأسمالية والنامية ، عدا الشخصيات المختصة .

وقد توزع برنامج أعمال الندوة العلمية التى حملت عنوان « الثورة الوطنية الديمقراطية (تجربة اليمن الديمقراطية) » الى ستة محاور كالتالى : القوانين العامة للثورة الوطنية الديمقراطية ، الثورة الوطنية الديمقراطية ... القوى المحركة وقضايا التحالفات ، مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية وشروط تحقيقها (التحـولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) ، طبيعة ودور السلطة السياسية فى انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية ، دور ومكانة حزب الطبقة العاملة فى قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية ، دروس الخبرة الثورية لليمن الديمقراطية .

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ اكتوبر » فى ١٩٨٤/١/١١ .

وقد افتتحت الندوة بكلمة ضافية للأمين العام .

كان المشاركون فى الندوة يعودون اليها ويستشهدون بما جاء فيها . وقد أديرت الندوة على نحو ديمقراطى ومسئول ، وشاركت فى المداخلات والنقاشات العلمية التى جرت فيها مختلف الوفود والشخصيات .

وتم الاعراب فى خاتمتها عن الأهمية العلمية والسياسية الفائقة التى جسدتها .

ان أهم الاستخلاصات النظرية التى يمكن الخروج بها من مجمل أعمال الندوة تتمثل فيما يلى :

١ — أن الثورة الوطنية الديمقراطية فى البلدان النامية الآسيوية والافريقية والأمريكية اللاتينية تختلف عن الثورة الديمقراطية البرجوازية الكلاسيكية التى شهدها الغرب ، والتى تكونت خمائرها فى قلب المجتمع الاقطاعى ، وقادتها الطبقة الوسطى الجديدة الممثلة أساسا فى البرجوازية الفتية التى أطاحت بالمجتمع الرأسمالى ، وبلغت فى تطورها أعلى مرتبة لها ، وهى الرأسمالية الاحتكارية ، والامبريالية ، ورأسمالية الدولة الاحتكارية .

٢ — أن الثورات الوطنية الديمقراطية تستهدف بادىء ذى بدء تثبيت عملية التحرر من قوى الاحتلال الامبريالى والهيمنة الاستعمارية المباشرة واحباط مخططات الاستعمار الجديد واقامة دول وطنية مستقلة ، والقضاء على التخلف وتحقيق الذات القومية ، وانجاز مهام ذات صبغة بورجوازية ديمقراطية فى مرحلتها الأولى .

٣ — أن الثورات الوطنية الديمقراطية فى عصرنا الراهن الذى دشنه انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى بقيادة لينين العظيم ،

وكرسه قيام النظام الاشتراكى العالمى على اثر اندحار الفاشية ، عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية ، تعتبر جزءا لا يتجزأ من العملية الثورية العالمية التى تمثل الطبقة العامة العالمية ، وخاصة نظامها الاشتراكى العالمى ، قطب الرحى فيها .

٤ — ان هـذه الثورات لا يمكن لهـا بلوغ كامل أهـدافها الا بالتحالف مـع قوى الثورة العالمية ، مجسدة فى المعسكر الاشتراكى ، وفى طليعته الاتحاد السوفيتى ، وأحزاب الطبقة العاملة فى البلـدان الرأسمالية المتطورة ، وسائر حركات التحرر الوطنى .

٥ — أنه فى هـذا العصر امتزج البعد الوطنى لهـذه الثورات مـع البعـد الديمقراطى لهـا امتزاجا تاما ، بحيث يستحيل تحقيق التحرر الوطنى من قيوذ الاستعمار القـديم والجـديد دون التحرر الاجتمـاعى والسـياسى من ركائزه الاقطـاعية وشـبه الاقطـاعية والكمبرادورية والأقسام الموالية له من البرجوازية الوطنية .

٦ — أن التجربة التاريخية أثبتت أن الثورات الديمقراطية التى قادتها البرجوازية الوطنية ، وخاصة الصغيرة والوسطى منها ، لم تستطع أن تبلغ كامل أهـدافها الموضوعة أمامها ، رغم الانجازات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التى حققها ، ورغم الدور الدولى الذى قامت به .

٧ — أن ثورات هـذه البرجوازية الوطنية ، الصغيرة والوسطى ، رغم عمليات التحويل الاقتصادى والاجتماعى التى قامت بها فى المدينة والريف ، ورغم عمليات التصنيع والتنمية الاقتصادية التى حققتهـا بالتعاون مع المعسكر الاشتراكى ، وخاصة الاتحاد السوفيتى ، ورغم قيام قطاعات عامة ، وتعـاونية ومختلطة ، الا أنهـا حجبت الديمقراطية

السياسية عن الجماهير الشعبية ذات المصلحة العميقة فى مثل هـذه التحولات والانجازات ، والقادرة على حمايتها وتجـذيرها أكثر فأكثر . وحالت دون حشد وتعبئة هـذه الجماهير ، وخاصة العمال والفلاحين فى جبهة وطنية عريضة فعـالة . وفى تحـالف ديمقراطى ثورى مكين وحقيقى ، يقف سـدا منيعا فى وجه المؤامرات الداخلية والخارجية الرجعية والاستعمارية ، ويعمل على المضى بها قـدما الى الامام فى اتجاه انهاء التبعية السياسية والاقتصادية للاحتكارات والسوق والدول الامبريالية ، وتطوير الاقتصاد الوطنى ، وتحويله الى اقتصاد منتج متعـدد الأوجه ، واشاعة الحياة الديمقراطية فى البلاد ، ومن ثم اقامة نظام وطنى ديمقراطى ثورى حقيقى .

٨ — أن حجب الديمقراطية السياسية عن الجمـاهير الشعبية ، والحيلولة دون قيام تحالف وطنى ديمقراطى فعال وحقيقى فيما بينها ، وحرمان طليعتها الطبقية والسياسية ممثلة فى أحزاب الطبقة العاملة من حـق التنظيم السياسى المستقل ، أو تحجيمها ، والحـد من قـدرتها على الحركة السياسية والجماهيرية الطليقـة ، وتربية وتعبئة وتنظيم وقيادة الجماهير ، وفرض نوع من الحكم الفئوى التسلطى ، ان ذلك كله قـد أدى الى نتـائج مدمرة أضرت بمسار ومصـير الثورات الوطنية الديمقراطية ذاتهـا ، حيث مكن لنشوء برجـوازية جـديدة طفيلية وبيروقراطية ، مدنية وعسكرية ، والتى تكون أجنحة يمينية داخل النظام ذاته ، تمكنت فى بعض الحالات بالتعاون مع القوى الرجعية القـديمة والجـديدة ومع الدوائر الاستعمارية من الاطاحة بالنظـام الوطنى الديمقراطى ، أو من احتوائه ، تمهيدا للاطاحة به أو افراغه من محتواه .

٩ — أن التجربة أثبتت أن هـذا الطراز من الثورات البرجوازية الوطنية الديمقراطية التى تقودها البرجوازية الوطنية الصغيرة والوسطى . حتى وان رفعت رايات الاشتراكية القومية ، أو لوحت من بعـد براية

الاشتراكية العلمية ، فانها غير قادرة على تحقيق ثورة وطنية ديمقراطية راسخة ومنسجمة •

١٠ — أن الشواهد التاريخية أكدت فى مختلف القارات الثلاث أن انجاز كامل أهـداف الثورات الوطنية الديمقراطية ، وايجاد ثورات وطنية ديمقراطية منسجمة وحقيقية يتطلب شروطا أساسية وحاسمة أهمهـــا :

(أ) ايجاد تحالف وطنى ديمقراطى عريض وفعال يمثل العمال والفلاحون العمود الفقرى فيه ، ويضم المثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة ، والأقسام الثورية من البرجوازية الوطنية •

(ب) توحيد الأقسام الطليعية من الديمقراطيين الثوريين الذين انتقلوا الى مواقع الاشتراكية العلمية ، مـع الاشتراكيين العلميين ، فى هـذا الشكل أو ذاك من أشـــكال التوحيد السياسى والتنظيمى ، تمهيدا لاقامة الحزب الطليعى •

(جـ) ضرورة اقامة الحزب الطليعى الممثل للطبقة العاملة وضرورة قيادته للتحالف الوطنى الديمقراطى الثورى •

(د) ضرورة حسم مسألة السلطة السياسية عن طريق الاستيلاء أو أخـذ هـذا التحالف بقيادة الحزب الطليعى السلطة فى يده ، واستخدامها فى اتجـــاه تعزيز الاستقلال السياسى ، وتحقيق التحرر الاقتصادى ، والوقوف بحسم فى وجـــه المؤامرات والمكائد الداخلية والخارجية للقوى الرجعيـــة والاستعمارية ، وفى اتجـاه انجـاز المهـام ذات الصـبغة البرجوازية الديمقراطية ، واجراء التحولات الاقتصـادية

والاجتماعية والسياسية والثقافيـــة وتحطيم جهــاز الدولة القـــديم ، وايجاد جهاز جـــدد اداري وتنفيذي وتشريعي وقضائي وبوليسي ونظامي ، بمـــا في ذلك وضـــع دســـاتير وقوانين وأنظمة تجسد منحى الثـــورة الوطني الديمقراطي الجـــذري ، والعمل على تصنيع البلاد ، ومكننة الزراعـــة فيها وتحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة والمستقلة ، ومن ثم ايجـــاد القاعـــدة المـــادية والتكنيكية لعملية التحـــول الاشتراكي .

(هـ) ضرورة اقامة تحالف وثيق مع الطبقة العاملة العالمية ، وعلى رأسها البلدان الاشتراكية التي انتصرت فيها رسالتها ، وفي مقـــدمتها الاتحاد السوفيتي ، حيث أنه بمثل هـــذا التحالف وحـــدة يمكن لسلطة الثورة الوطنية الديمقراطية أن تحقق مجمل مهامها الآنفة الذكر ، وأن تمثل مرحـــلة انتقالية الى الاشتراكية وان تسير في طريق التوجـــه الاشتراكي ، وان تحول الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكة .

ان ذلك كله يعني أنه فقط بقيادة الطبقة العاملة ومن خلال حزبها الطليعي وبمراعاة الشروط الأخرى المذكورة أعلاه يمكن للثورة الوطنية الديمقراطية أن تحقق كامل أهـــدافها ، بما في ذلك انجاز المهام ذات الصبغة البرجوازية الديمقراطية ، وان تقترب شيئا فشيئا من مرحلتها العليا ، مرحلة الديمقراطية الشعبية ، مرحلة الانتقال الى الاشتراكية ، مرحلة التوجـــه الاشتراكي ، التي تنطوي على عناصر وجزئيات وشرائح وسمات من المرحلة السابقة الديمقراطية الثورية ، والمرحلة اللاحقـــة الاشتراكية الديمقراطية .

وقـــد أشارت المداخلات والنقاشات بارتياح عظيم الى أن تجربة

الثورة فى اليمن الديمقراطية قد توفرت لها وفيها معظم الشروط الآنفة الذكر ، مما مكنها من أن تصبح أحد الأمثلة الثورية النموذجية والطليعية والرائدة للثورة الوطنية الديمقراطية الناجحة السائرة فى طريق التوجه الاشتراكى •

وهى بذلك أحد الاعلام الثورية الجديدة الخفاقة التى ارتفعت فى السماء الآسيوية الافريقية الأمريكية اللاتينية المكتوب عليها ، المضى قدما الى الامام حتى اقامة الاشتراكية ، والتى ترفرف من كمبوتشيا ولاوس وأفغانستان فى الشرق ، مرورا بأثيوبيا وموزمبيق وأنجولا والكونغو الشعبية وبنين ، الى نيكاراجوا فى الغرب •

ان خصوصيات الثورة فى اليمن الديمقراطية هى من العمق والغنى بحيث جسدت ما هو عام وضرورى لكل ثورة وطنية ديمقراطية حقيقية ومنسجمة وذات توجه اشتراكى •

وان نجاح هذه التجربة الثورية الطليعية الريادية فى اليمن الديمقراطية ليؤكد على نحو خاص أن فى الامكان حدوثها فى المنطقة العربية التى تنتمى اليها ، اذا ما تحققت ذات الشروط العامة اللازمة لنجاحها •

وأوضحت المداخلات والنقاشات أن صيانة مثل هذه التجربة الثورية النموذجية ، والعمل على المضى بها قدما الى الامام ليس مهمة الثوريين والاشتراكية اليمنيين فقط ، وانما هى كذلك مهمة كل الثوريين والتقدميين والاشتراكيين فى الوطن العربى ، وفى العالم •

خطاب اليمن الديمقراطية(*)

الثورة الاجتماعية العميقة الأصيلة لا تقف عند حد في تطورها وتقدمها وتجذرها ، فهي دائما وابدا تكتسب اعماقا وأبعادا جديدة ، وتكتسي ملامح وسمات متجددة .

وهي — أيا كانت الانجازات والمكاسب التي حققتها ، والانتصارات والأمجاد التي توجت بها هامتها — لا تقنع بها ، ولا تنام على أكاليل غارها ، وانما هي ترى في ذلك مجرد محطات على الطريق الطويل الممتد بلا نهاية ، وطوابق في صرح الثورة الذي لا يعرف لعلوه وشموخه المتصاعد حدا .

ومع ذلك فان المكاسب والانجازات والانتصارات والأمجاد التي تكون قد حققتها الثورة تمثل مبعث اعتزاز وافتخار بها — دونما غرور — ومصدر ثقة والهام للثوريين لا غنى عنه .

(*) نشرت في « الثوري » في ١٩٨٤/٤/٢٨ .

وبتطبيق هـــذه القاعـــدة على ثورة ١٤ أكتوبر نرى ما هى المنجزات الأساسية التى حققتها ، والمحطات النضالية التى قطعتها ، والتى تمثل مصـــدر ثقة والهام لمواصلة النضال دون توقف ، بقـــدر ما تمثل مبعث اعتزاز بها — بدونما غرور — •

ثم ما هى العوامل والشروط التى ساعدت ثورة ١٤ اكتوبر على التقـــدم فى هـــذا المنحنى النضالى المتصاعد المتعاظم الذى ســـقطت دون بلوغه أو المضى فيـــه بدون توقف كثير من الثورات العربية وغير العـــــربية ؟

ان ممـــا يلفت النظر انه فى الوقت الذى أصيبت فيه حركة الثورة والقومية العربية بزعامتها الناصرية بنكسة خطيرة فى ٥ يونيو ١٩٦٧ على يد العـــدو الصهيونى — الامبريالى كانت ثورة ١٤ أكتوبر تحقق احـــدى انتصاراتها العظيمة باحتياجها قلعة الاستعمار البريطانى : عـــدن ، واستيلائها عليها لمدة أسبوعين تقريبا •

وما يسترعى الانتباه أنه فى الوقت الذى نكست فيه رايات العديد من الثورات العربية ، وطويت فيه اعلام الكثير من الأنظمة الوطنية فى المنطقة العربية وخارجها ، كانت راية ثورة ١٤ أكتوبر ترتفع الى ذرى أكثر علوا وشموخا ، وكان نظامها الوطنى — الديمقراطى يزداد ترسخا وتجـــذرا •

ولم يمر نظام وطنى — ديمقراطى عربى بذات المعاناة السياسية الداخلية العميقة التى عاناها النظام الوطنى — الديمقراطى فى اليمن الديمقراطية ، ولم يخض غمار تجارب كتلك التى خاضها • وخرج منها باستمرار منتصرا •

فعلى عكس الثورات العربية التى تمكنت الأجنحة اليمنية فيها من

العصف بها وبالأنظمة التى أقامتها هـذه الثورات ، فان الثورة فى اليمن الديمقراطية تمكنت من التطويح بالجناح اليمينى فيها بسرعة عجيبة ، ونجاح منقطع النظير •

وكانت الثورة فى اليمن الديمقراطية هى الوحيدة بين مجمـل الثورات العربية التى تمكن الجناح اليسارى الانتهازى من احتلال قمة السلطة فيها ، ومـع ذلك تمكنت الثورة من الخـلاص منه ، ومن كل تجاوزاته وانحرافاته التى جنحت به ــ رغم التطرف اليسارى ــ ذات اليمـين •

وكانت اليمن الديمقراطية هى البلد العربى الأول والوحيد الذى مضى حثيثا فى طريق انجاز كامل أهـداف الثورة الوطنية ــ الديمقراطية ، واقتحم بالفعل طريق التوجه الاشتراكى •

الام يعود هـذا السبق الثورى ، وهـذا الفتح التاريخى • الذى حققته اليمن الديمقراطية ؟

أن أول وأهم عامل ثورى كان وجود تنظيم سياسى أخـذ يتطور باستمرار ، ويكتسب سمات شعبية ، وابعادا أيديولوجية أعمق فأعمق ، وقـدرة هـذا التنظيم على نسج أوسع تحالف جماهيرى من حوله ، واقامة علاقات نضالية أوثق فأوثق مع قوى الثورة العالمية •

لقـد كان هـذا التنظيم ــ الجبهة القومية ــ المسنود بالفصائل الديمقراطية والتقـدمية الأخرى ، وبالمنظمات الجماهيرية ، هو الذى أنهى الحكم الفردى اليمينى الذى ارادت الزمرة الانتهـازية اليمينية اقامته على انقاض التنظيم ، وعلى حساب خطه الوطنى ــ الديمقراطى الذى أوضحته وثائقه ، وخاصة « الميثاق الوطنى » الذى وضع واقر فى يونيو ١٩٦٥ ــ أثناء فترة الكفاح المسلح ضـد المستعمر البريطانى ــ •

وكان هـذا التنظيم ـ التنظيم السياسى الموحـد ـ الجبهـه القومية الذى أصبح يضم كل فصائل العمل الديمقراطى ـ هو الذى وضع نهاية للحكم الفردى التعسفى الـذى حاولت طغمة الانتهـازية اليسارية اقامته على جثة التنظيم ، وضـد منحاه الاشتراكى العلمى .

وهـذا التنظيم الذى حقق نقلة نوعية بتحوله الى حزب من طراز جـديد ، حزب طليعى يمثل مصالح الطبقة العاملة وحلفائها من الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الكادحة الأخرى ، حزب يتبنى أيديولوجية الاشتراكية العلمية والاممية للبروليتارية . ويعتمد على أوسع تحالف جماهيرى من حوله ـ ممثلا فى المنظمات الجماهيرية والمهنية ـ ويقيم أقـوى العلاقات الرفاقية مع أحزاب الاشتراكية العلمية ، والقـوى الثورية والديمقراطية فى العالم ، وفى مقـدمتها جميعا المعسكر الاشتراكى وفى طليعته الاتحاد السوفيتى ـ هـذا الحزب : الحزب الاشتراكى اليمنى ، هـو الذى يوجـه مسار الثورة . ويقود خطاها عليه ، ويكفل المضى بها قـدما الى الامام فى طريق اكمال مهامها الوطنية الديمقراطية . وطريق التوجـه الاشتراكى . وتحـويلها من ثم من ثورة وطنية ديمقراطية الى ثورة اشتراكية .

وكما أن الحزب هـو قائد مسيرة الثورة عبر شتى مراحلها الراهنة واللاحقة ، فهو صمام أمانها ، وصاحب الكلمة العليا والأولى والأخيرة فى كل شأن من شئونها .

ذلك ما يتميز به الحزب الاشتراكى اليمنى الذى يمثـل التتويج التنظيمى والفكرى والسياسى لمجمل التجارب التنظيمية التقـدمية التى عرفتها البلاد من قبل الثورة وبعـدها .

فهو الحزب العربى الرسمى الوحيد الذى امتزجت وانصهرت فيه

تنظيمات مختلفة النشأة تقاربت من بعضها بعضا عبر تجربة الكفـاح الثورى المشترك ضـد العـدو الطبقى والسياسى الداخلى والخارجى وخلال عملية بناء المجتمع الجـديد ، حتى بلغت حـد الاندماج والذوبان فى بوتقة تنظيمية واحـدة ، وفى رؤية أيديولوجية اشتراكية علميـة واحـدة ، وفى مسعى سياسى موحـد .

وعـدا ذلك فهو الحزب العربى الوحيد على الاطلاق — سـواء على المستوى الرسمى أو المستوى الشعبى — الذى جسد مثل هـذه التجربة الفريدة والمثيرة الداعية الى التعجب والاعجاب .

وهـو بذلك ، وبالتجربة الثورية ، الديمقراطية الناجحـة التى يقودها ، والتى شرعت تسير فى طريق التوجه الاشتراكى ، يمثل خطاب اليمن الديمقراطية — كتجسيد لمستقبل اليمن عموما — خطابها الخاص والمتميز .

هـو خطابها الذى يعبر عن خصائص ودقائق ومميزات تجربتها التنظيمية والثورية المعاصرة ، وخطابها « القومى » المتفرد حتى الآن والموجه الى الوطن العربى ، وخطابها الامى الموجه الى العالم كافة .

حقـا أنه خطاب لا يخرج عن سياق حركة التطـور التاريخى العامة التى غـدت معها الثورة الوطنية الديمقراطية جزءا لا يتجزأ من الثورة الاشتراكية العالمية الموجهة ضد الامبريالية والرأسمالية العالمية .

غير أن أصالة وعمق وغنى التجربة الثـورية اليمنية يتمثل فى التجسيد الحى والخلاق والخاص والمتميز لهـذا السياق التاريخى العام ، لهـذا المنحى لحركة التطور العالمية التى دشنها انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، وأكدها قيام النظام الاشتراكى العالمى ، وعمقها انضمام ، فصائل ديمقراطية ثورية متلاحقة وعلى نحو متصاعد

ومتسارع فى مختلف أنحاء المعمورة • ولا سيما فى قارات آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية الى مركز الجاذبية لهـذا العصر : الاشتراكية العلمية ومبادئها الانسانية العظيمة •

أصالة هـذا الخطاب تتمثل فى ان الثورة احالت العـديد من السلطنات والامارات والمشيخات والقبائل المتناثرة المتنازعة التى زاد المستعمر نيران الفرقة والخصام فيما بينها ضراما — أحالتها مع عمال عـدن ومثقفيها الثوريين الى كتلة شعبية منصهرة متوهجة ، الى قذيفة ثورية قاطمة حارقة ، الى شعلة من اللهب المقـدس آتت بها على البقية الباقية من الامبراطورية التى لم تكن تغرب عنها الشمس • وجعلت ثالثة قواعـدها العالمية المزروعة فى عـدن هشيما تذروه الرياح • وصاغت بها الشعب فى اليمن الديمقراطية صياغة جـديدة . صياغة وطنيه شعبية متينة متماسكة متلاحمة لا تقبل التفتت ولا الاختراق لا من الداخـل ولا من الخارج ، واقامت بها دولتـه المركزية الحـديثة • الوطنيـة الديمقراطية الشعبية التى ترمز وتبشر بدولة اليمن المركزية الموحـدة التقـدمية القادمة ، وقامت بعملية اقتحام وكشف غير مسبوقة ولا مالوفة فى المنطقة العربية كلها • إثبتت بهـا صـلاحية التربة العربية لاحتضان وتنمية اسمى الأفكار والمبادىء الانسانية التى تفتقت عن اعظم الأدمغة البشرية وأملاها سير التطور التاريخى •

خطاب اليمن الديمقراطى البليغ هـذا لا يجعل من هـذا البلـد المقـدام ، وحزبه الطليعى الشجاع • مركز الثورة العربية ، وحادى الركب لزحفها المنتظر نحو الغـد . ولكنه يجعل منه ، المشتل الثـورى الأول . فى الحقل العربى كله ، المشتل الذى نمت وترعرعت فيه تجربة ثورية وطنية ديمقراطية شعبية ذات توجه اشتراكى علمى ، وانتمـاء بروليتارى أممى ، ومسلك نضالى حازم ومستقيم ضـد الاستعمار والامبريالية والصهيونية والرجعية وكل قوى التخلف والظلام ، ومن

أجل تحرير وتقدم وتوحيد الوطن العربى على أسس ديمقراطية صريحة ، وبوجهة اشتراكية واضحة ، ومن أجل تحرير وتقدم ووحدة وسلام وسعادة البشرية جمعاء .

بذلك يمتلك المؤرخون الحق فى أن يكتبوا على راية الثورة الخفاقة التى ما برحت اليمن الديمقراطية تدفع بها الى آفاق تاريخية أبعد فأبعد انها كانت الراية التى كان لها فضل اقتحام أرض مجهولة ، لم تطأها قدم نظام عربى من قبل ، أرض المستقبل العربى الوضاء : وانها استحقت بذلك أن تحوز قصب السبق والريادة بين أمتها العربية قاطبة .

أن الدور القيادى البارز الذى تلعبه اليمن الديمقراطية من أجل توحيد فصائل الثورة الفلسطينية على أسس وطنية مناهضة لكل المشاريع والمخططات الاستسلامية ، ومن أجل رص صفوف قوى الثورة العربية عموما ، بغية استعادة زمام المبادأة الثورية والمبادرة التاريخية ، والانطلاق بطاقة نضالية أعظم فى طريق التحرير والديمقراطية والتقدم والوحدة ، ان ذلك كله تعبير طبيعى عن المكانة الثورية المرموقة التى غدت تحتلها اليمن الديمقراطية بين مجمل فصائل الثورة العربية .

ان السمعة الثورية الرفيعة المستوى التى تحظى بها اليمن الديمقراطية بين مختلف كتائب الثورة العالمية هى شهادة أممية على أن خطابها الثورى لم يبلغ إسماع العالم فقط ، وانما غدا له أيضا وقع عميق ورنين أخاذ .

لماذا تتساقط الأنظمة الوطنية

فى العالم النامى(*)

حركة التاريخ لا تسير فى خط دائرى ، ولا تقبل التراجع الى الخلف ، وانما تسير فى خط متصاعد متقدم أبدا ، رغم ما قد يحدث فى التاريخ من حروب دولية وأهلية تسقط بها أمبراطوريات ودول ، وتنتكس حضارات ، وتمحى ثقافات .

هناك قوانين موضوعية عامة تتحكم فى سير حركة التاريخ سواء وعاها الناس ، أم لم يعوها ، وبمقتضاها فان التاريخ يتحرك دائما الى الامام .

وكما أن النهر لا يعود الى منبعه قط ، ولا يملك الا أن يمضى فى حركة طبيعية متدفقة سلسة أو هادرة نحو مصبه ، فكذلك التاريخ لا يعود الى الوراء قط ، رغم حالات التراجع الظاهرية ، ورغم حالات الركود التاريخية الطويلة ، ورغم التوقف النسبى ، ورغم الكوارث الطبيعية والحروب المدمرة .

فلم يحدث قط فى التاريخ أن عادت تشكيلة اجتماعية —

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩٨٤/٤/٢١ .

اقتصادية سابقة الى الحياء ، بعد أن تجاوزتها تشكيلة اجتماعية — اقتصادية أكثر تقدما منها ، ولم يدلنا التاريخ على حالة واحدة تراجع فيها المجتمع من النظام الاقطاعى الى النظام العبودى ، أو عاد فيها من المرحلة الرأسمالية الى المرحلة الاقطاعية .

ونفس الشيء يمكن قوله — بالأحرى — بالنسبة للتشكيلة الاجتماعية الاشتراكية ، اذ ليس فى الامكان عودة أو اعادة أى بلد اشتراكى الى نظام الرأسمالية المقبور .

ان الردات التى حدثت ولا تزال تحدث للثورات تعود الى أن التشكيلة الاجتماعية — الاقتصادية التى بشرت بها الثورة أو طمحت الى اقامتها لا تكون قد توافرت لها كل عوامل قيامها الموضوعية والذاتية — شأن ما حدث بالنسبة لكومونة باريس التى جاءت والرأسمالية ما تزال فى عنفوانها ، وما حدث كذلك للثورات المجهضة فى ألمانيا والمجر بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة والتى لم تتوافر لها الظروف المواتية التى توافرت لقيام ونجاح ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى .

والنكسات التى منيت وما تزال تمنى بها الثورات الوطنية الديمقراطية فى قارات آسيا وأفريقيا تعود الى أن هذه الثورات ، وان حققت انجازات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية كبيرة — وبدرجات متفاوتة — الا أنها لم تفلت من شباك العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأيديولوجية القديمة ، كما لم تتحرر تماما من خيوط العنكبوت الاستعمارى ، ولا سيما من نفوذه الاقتصادى .

لقد وقفت هذه الثورات فى المنطقة الخطرة ، منطقة البين بين ، ولم تتمكن لا من الخلاص من المجتمع السابق للرأسمالية ، ولا من قطع

أو تجنب أو تجاوز طريق التطور الرأسمالى ، حتى تتمكن من المضى فى طريق التوجه الاشتراكى ، ومن ثم فى طريق بناء الاشتراكية .

حقا قامت بتحويلات اقتصادية واجتماعية هامة ، وانشأت قطاعا عاما للدولة ، وقطاعا مختلطا ، وقطاعا تعاونيا ، فى الوقت الذى ابقت فيه على الملكية الخاصة .

ولكن لان السلطة السياسية كانت بيد البرجوازية الصغيرة ، والى حـد ما بيـد البرجوازية المتوسطة ، ولان هـذه بطبيعتها متذبذبة ، ولانها حجبت الديمقراطية عن الجماهير العريضة والفقيرة ، وحرمتها من حق التنظيم السياسى المستقل ، أو حجمت حركتها السياسية المستقلة ، ولانها لم تهتم باقامة حلف وطنى ديمقراطى عريض يجمعها مع هـذه الجماهير ، ولا سيما مع العمال والفلاحين ، ولانها لم تقم تحالفا وثيقا ومتينا مـع قوى الثورة خارج أوطانها ، وفى مقـدمتها المعسـكر الاشتراكى ، التى تمثل الحليف الطبيعى والمـأمون لهـا — لذلك كله فانها لم توفر عوامل البقاء والنمو والتطور لأنظمتها الوطنية التى اقامتها .

وعـدا ذلك فانه بسبب وجود الملكية الخاصة فى المدينة والريف ، ومضيها فى طريق النمو — بدونما حسيب أو رقيب — وبسبب نشوء بيروقراطية برجوازية مدنية وعسكرية ، وتحـول قطاع من البرجوازية الصغيرة والوسطى الحاكمة الى جزء لا يتجزأ من هـذه البرجوازية الطفيلية الجـديدة ، من هـذه الطبقة الجـديدة الفاسدة والمفسدة ، وبفعل تعاون هـذه الرجعية الجـديدة مع الرجعية القـديمة المتربصة ومع دوائر الاستعمار الجـديد — لذلك كله أمكن للأجنحة اليمينية فى هـذه الأنظمة أفراغها من محتواها الوطنى الديمقراطى ، وايقاف وضرب عملية التحول الاجتماعى ، ودفع البلاد من جـديد فى طريق التطـور الرأسمالى الطفيلى والمشوه والتابع .

من ذلك يتضح جليا أن أنظمة البرجوازية الصغيرة ، لم تقم تشكيلة اقتصادية — اجتماعية جديدة تضمن لهـا ولثورتها البقـاء والاستمرار ، وتحول من ثم دون ارتدادها ، ذلك أنه ليس هناك تشكيلة بين بين ، وعلى مقاس البرجوازية الصغيرة •

ولكن عقدة البرجوازية الصغيرة انهـا لا تعى هـذه الحقيقة ، أو لا تريد أن تعيها • فهى تطمح الى اقامة نظام لا هـو « بالغربى » ولا « بالشرقى » لا هـو « بالرأسمالى » ولا « بالاشتراكى » •

هى تطمح الى تحقيق نمط خاص ومكيف من « الاشتراكية » ، نمط آسيوى ، أو افريقى ، أو اسلامى ، أو عربى ، أو حتى نمط ثالث يتجاوز كلا من الرأسمالية والاشتراكية ، ويكون صالحا للعالم « الثالث » كلـــه ! •

وهـو طرح ليس بالجـديد ، فحتى روسـيا نصـف الآسيوية ظهرت فيها اتجاهات من هـذا القبيل ، كان « الشعبيون » أبرز رموزها ، قبل أن يكتسحهم تيار الاشتراكية العلمية بقيادة حزب البلاشفة •

وهى اتجاهات تعبر — فى آخر تحليل عن أيديولوجية وعقليـة وعزلة وضيق أفـق الفـلاح ، الفـلاح المتأخر ، المرتبط بقطعة الأرض الصغيرة ، المنكفىء وراء محراثه وبقرته ليل نهار ، والذى لذلك لا يرى أبعـد منها ، وأبعـد من أنفـه •

ومنذ عهد مؤسسى الاشتراكية العلمية اهتمت الحركة الاشتراكية العالمية إهتماما خاصا بوضع الفلاح ، وعملت على اخراجه من هـذا القبو الاقتصادى — الاجتماعى — السياسى — الروحى الذى وجـد نفسه فيه عبر التاريخ ، وذلك عن طريق اقامة جسر من التحالف بينـه وبين الطبقة الجـديدة التى ظهرت لأول مرة على مسرح التاريخ ،

الطبقة ذات الغريزة الثورية بحكم وضعها فى عملية الانتاج الاجتماعى الحديثة ، الطبقة البروليتارية ، شريطة أن تكون لها القيادة السياسية والأيديولوجية فى هذا التحالف ، وان يكون لها حزبها البروليتارى المستقل الحامل والمنفذ لمصالحها ورؤاها الاجتماعية والتاريخية ، والذى يمكن أن يتسع كذلك لكل القوى الكادحة الأخرى المؤمنة ببرنامجه واستراتيجيته الثورية •

وهذه القوى غير البروليتارية الأصل ، والتى تتبنى عن اقتناع وايمان هذا النهج البروليتارى وتعمل باخلاص وصدق من أجل تحقيقه ، هى قوى شريفة واعية ، سمت بها همتها وأخلاقيتها ونضجها الى حد خيانة مصالح طبقتها الضيقة والانانية ، والى حد الارتفاع الى مستوى المهمة التاريخية الجليلة والنبيلة التى رهن التاريخ أمر تحقيقها بالطبقة العاملة ، وحزبها الثورى الطليعى والتى بتحررها تحرر المجتمع كله ، وتلغى الطبقية من أساسها • معضلة البرجوازية الصغيرة انها لم تستطع أو لم ترد أن تعى هذه الحقيقة وتصورت أن لها مكانا خاصا فى التاريخ ، ورسالة تاريخية « خصوصية » •

ولم تع هذه البرجوازية — الا الأقسام الطليعية منها — أنه لا مكان خاصا بها فى التاريخ ، فهى اما أن تكون احتياطيا للرأسمالية وتوابعها فى العالم النامى ، أو حليفا شريفا للطبقة العاملة وانه كما أنه ليس هناك تشكيلة لا رأسمالية ولا اشتراكية ، تشكيلة وسط لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، فانه لا تشكيلة اجتماعية — اقتصادية خاصة أو « خصوصية » وجدت أو يمكن أن توجد فى التاريخ مفصلة على حجم البرجوازية الصغيرة ، ومصنوعة وفق مزاجها وهواها •

فهى كبرجوازية صغيرة كانت موجودة دائما عبر التاريخ ، وفى ظل كل التشكيلات التى أقامتها الطبقات الرئيسية فى المجتمع • وكانت دائما

مضطهدة ومسحوقة ، ومع ذلك فانها لم تستطع أن تقيم نظاما اجتماعيا خاصا بها ، لانه ليس فى الامكان اقامته من الأساس .

ان أقصى ما قامت به هـو مشاركتها فى الانتفاضات التى ثارت ضـد الطبقات الحاكمة ، والتى كانت تقمع باستمرار .

ان بيئة البرجوازية الصغيرة صالحة لان ينبثق منها أى وكل شىء . الا أن تقيم نظاما اشتراكيا .

انها بيئة معقـدة يمكن أن تنطلق منهـا كل التيارات والاتجاهات اليمينية واليسارية ، الانتهازية اليمينية والانتهازية اليسارية والاشتراكية والرأسمالية ، والديمقراطية والديكاتورية ، بل وحتى البـونابرتية والفاشـية .

ان الفرصة التاريخية الوحيدة المتاحة أمام البرجوازية الصغيرة للعب دور لائق ومشرف فى حياة العصر هى الارتباط بحركة التاريخ الصاعـدة وبقـوى التقـدم المسكة بزمام القيادة فيها " ان ترتبط بالطبقة العاملة وحزبها الثورى ، بل أن تشارك مشاركة ايجابية وفعالة فى قيادة هـذه المسيرة التاريخية .

ولكن ذلك يقتضى منها أن تودع والى الابد أحلامها البائسة فى أن فى امكانها صنع نموذج اجتماعى خاص بها ، وأن فى امكانها ان تدخل التاريخ كصانعة تجربة ثورية مستقلة نموذجية متفردة لا شرقية ولا غربيـة !

لقـد ذهب رجال عظام ضحية هـذا الوهم من أمثال نهـرو ، وسوكارنو ، ونكروما ، وعبد الناصر ، وأخيرا سيكوتورى .

لقـد انقلبت عليهم أنظمتهم التى أقاموها ، انقلبت عليهم فى حياتهم أو بعـد مماتهم مباشرة .

ان النكسات التى حلت بشعوبهم وبحركات التحرر فى بلـدانهم وخارجها بفعل ذلك ، والتى ما تزال ترزح تحتها ، هى الدرس القاسى والبليغ لكل من يريد أن يعتبر بعبر التاريخ ، ولكل من لا يزال يراوده الشك أو يخامره الامل أو الوهم فى ان بامكانه — بعيدا عن الطبقـة العاملة وحزبها الطليعى وبعيدا عن التحالف الوثيق مع العمال والفلاحين ، وبعيدا عن التآزر مع المعسكر الاشتراكى ، وفى طليعته الاتحاد السوفيتى — اقامة مجتمع متحرر متقـدم تقـدمى جـديد •

ردة الأنظمة الثورية التى أقامتها البرجوازية الصغيرة ليست ردة عن تشكيلة اجتماعية متقـدمة قـد اقامتها بالفعل ، ذلك لأنه ليس فى امكانها أن تقيم مثل هـذه التشكيلة من الأساس ، وانما هى ردة عن « سياسة » تحررية وطنية ديمقراطية برجوازية صغيرة ،وعن تحولات ذات طابع ديمقراطى برجوازى صغير •

وامكانية أن تحـدث مثل هـذه الردة لكل نظام وطنى ديمقراطى تسيطر عليه البرجوازية الصغيرة واردة باستمرار وبدونما استثناء •

فقط تلك الأنظمة الوطنية الديمقراطية ذات التوجه الاشتراكى والتى يقودها حزب طليعى اشتراكى علمى ، وتعتمد على أوسـع تحالف عمالى — فلاحى — ثورى ، وتقيم امتن العلاقات النضالية مع قـوى الثورة فى العالم كله ، وفى مقـدمتها المعسكر الاشتراكى ، وفى طليعته الاتحاد السوفيتى — هى وحـدها القادرة على مواجهة كل المؤامرات الداخلية والخارجية على أنظمتها الثـورية ، وعلى تحـويل الثـورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، ومن ثم على اقامة التشكيلة الاجتماعية — الاقتصادية الجـديدة والمتقـدمة التى لا تهزم ولا تغلب •

واليمن الديمقراطية هى مثل نموذجى وطليعى لهـذا النمط من الأنظمة الثورية ، السائر بوعى وايمان ، وعزم وتصميم فى هـذا الطريق •

من اجـــل ان يمضى حـــزب الطبقـــــة العـــاملة

قـــدما الى الامـــام(*)

الثورات الوطنية الديمقراطية هى اكثر الثورات تعقيدا وحــول مفهومها وطبيعتها واتجاهها وقواها احتدم نزاع فكرى وسياسى طويل فى حياة ماركس وانجلز . وفى عهــد لينين ، وما بعــد لينين . ولا يزال محتدما حتى اليوم . وهو نزاع يدور بين قوى تنتمى الى الاشتراكية ، فعلا ؛ وبعضها ينتمى اليها بالقــول .

وبعض هؤلاء المنتمين الى الاشتراكية بالقول اتخــذوا موقفــا من ثورات ١٨٤٨ و ١٨٤٩ الديمقراطية ؛ لم يؤد الا الى مساعدة قوى البرجوازية التى اجهضت هــذه الثورات وسدت آفاقها التاريخية ، ووجهت ضربات قاصمة الى الحركة البروليتارية التى لعبت دورا رئيسيا فى اشعال هــذه الثورات .

لقــد أرادوا حصر هــذه الثورات ضمن مفهومهم المحــدود ، ونظرتهم القاصرة ، وعقليتهم الصغيرة التى لم تستطع لذلك أن ترى الآفاق التاريخية الا بعــد لهــذه الثورات الديمقراطية .

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩٨٤/٥/٥ .

حقا لعبوا بموقفهم هـذا دورا ـ ولو لم يكن بقصد مقصود ـ في الحاق الهزيمة بهـذه الثورات الديمقراطية الواعـدة ، غير أن الحركة البروليتارية لفظتهم ، ومضت في طريقها الحتمي طريق الثورة المستمرة التي لا تقنع بتحقيق الثورة الديمقراطية ، وانما تعمل على تحويلها الى ثورة اشتراكية .

عن هـذا النمط من الاشتراكيين بالأقوال ، والذين لا يحسنون غير الثرثرة بالثورية دون استيعاب لابعادها وأطـوارها التاريخية التي يتحتم عليها المرور بها ، كتب ماركس وانجلز بأن هـؤلاء « يبـذلون جهدهم أيضا لكي يحولوا دون أن يجرى أى شيء على العموم عـدا الثرثرة . انهم أولئك الذين أعاقوا الحركة لدى كل خطـوة في سـنة ١٨٤٨ ، وسنة ١٨٤٩ ، بخوفهم من أى فعل كان ، وسـاقوا الحركة في آخر الأمر الى هزيمة ، والذين لا يرون أبدا الرجعية ، ويتعجبون كثيرا لكونهم وقعوا في المـأزق ، حيث لا تمكن المقـاومة ولا يمكن الهرب . انهم أولئك الناس بالذات الذين يريدون حصر التاريخ في اطار أفقهم التافه والضيق ، ولكن الذين لا يحسب لهم التاريخ حسابا ابدا ، بل يواصل السير في طريقه » . (ماركس ـ انجلس ، منتخبات في ثلاث مجلـدات ، المجلـد ٣ ، الجزء ١ ، دار التقـدم ، موسـكو ١٩٨١ ، ص ١٠٤) .

حقا أن الحركة الاشتراكية قـد شدت هؤلاء الى تيارها ، وانهم وجـدوا أنفسهم يتحركون في اتجاه التيار ، غير أنهم في غمرة اندفاعه حاولوا بعثرته وتصريفه في اتجاهات وقنوات غير الاتجـاه التاريخي المحـدد له ، وغير القناة الثورية التي شقها وتحرك فيها بالفعل .

لقـد كانوا متأثرين بالفكر البرجوازي والبرجوازي الصـغير الذي طبعوا عليـه ويحملوه معهم الى الحركة الاشتراكية . وبدلا من

استيعاب العلم الجديد الذى وضعوا أنفسهم تحت لوائه . واوهموا انهم يعملون على تغيير الواقع فى ضوئه ، فانهم راحوا يطوعون هذا العلم لمفاهيمهم السابقة ويخضعونه لتفسيراتهم الخاصة ، ويحولونه من ثم الى علم ممسوخ لا يمت الى العلم الاشتراكى بصلة ، ولا الى مجرى التطور الموضوعى بسبب .

ولانهم واثقون من أنفسهم كثيرا ، وليس لديهم أدنى شك فى حسن فهمهم لمجريات الأحداث ، فانهم لم يجدوا أنفسهم محتاجين الى اكتساب معرفة جديدة ، بل ربما جال فى خاطرهم بأنهم — بالسليقة وبالثورية الفطرية التى لا تحتاج الى بلورة وصقل وتهذيب وتشذيب — أدرى من سواهم بما ينفع الثورة وما يضرها .

وهم لذلك لا يرون ضرورة لمراجعة مسلماتهم ، وادخال مفردات جديدة الى قاموسهم .

وحتى ، وان بدا أن الكثرة ليست معهم ، فان ذلك لا يعدو أن يكون دليل تفردهم وتميزهم . وبأنهم نخبة ثورية ، وصفوة سياسية ، لا غنى لأحد عنها ، ولا تستقيم حياة الحركة والجماعة بدونها .

وكأى نخبة وصفوة تشعر بالتميز والتفرد ازاء سواها ، وحتى ازاء الحركة أو الجماعة التى تنتمى اليها ، فان أفرادها يشعر كل منهم أنه أكثر تميزا وتفردا من الآخر .

وقد صور ماركس وانجلز حالة هؤلاء الميؤوس منها ، وعدم حاجة الحركة الى امثالهم ، كما يلى : « وعوضا عن أن يتعمق كل امرىء بنفسه قبل كل شىء فى دراسة العلم الجديد ، حاول بنحو أو آخر أن يكيف هذا العلم لمفاهيمه التى استجلبها من الخارج ، وصاغ لنفسه بعجلة علما خاصا . وشرع يدعى فى الحال بتعليم الآخرين هذا العلم .

ولهـذا كانت وجهات النظر عند هؤلاء السادة بعـدد رؤوسهم تقريبا ، وعوضا عن اضفاء الوضوح على مسألة ما على الأقل ، خلقوا تشوشا لا يصـدق ، ولكنه ، لحسن الحظ ، محصور كليا تقريبا فى وسـطهم بالذات . وبوسع الحزب أن يستغنى كليا عن أمثال هؤلاء المنورين الذين يتلخص مبدؤهم الأساسى فى أن يعلموا الآخرين ما لم يتعلموه هم أنفسهم » . (المصـدر السابق ، ص ١٠٥) .

وفى مطلع القرن العشرين حدث تجنحان داخل الحركة الاشتراكية الروسية - شأن ما حـدث فى أوروبا عموما ، وان بدرجات متفاوتة - جناح يمينى يرى أن ما يواجه روسيا هو القيام بثورة ديمقراطية برجوازية شبيهة بتلك التى حـدثت قبـل ذلك فى الغرب ، وان على الاشتراكيين الروس أن يدعموا هـذه الثورة ، دون أن يشاركوا فى السلطة فى حالة نجاحها ، وأن يظلوا فى المعارضة باستمرار حتى تنضج الظروف - فى ظل حكم البرجوازية - للقيام بثورة اشتراكية .

أما الجناح اليسارى فكان من رأيه القفز مباشرة لتحقيق الثـورة الاشتراكية دون الحاجة الى المرور بمرحلة الثورة البرجوازية . وكان يقـدر أن فى الامكان تحقيق ذلك بالعمال وحـدهم ، ودون حاجـة الى مشاركة الفـلاحين فى هـذه الثـورة ، ذلك أن حياتهم الرتيبة الخاملة الجاهلة المتخلفة لا تستطيع أن تصنع منهم ثوارا وحلفاء للطبقة العاملة فى هـذه الثورة الاشتراكية .

وقـد تصـدى لينين لكلا الجناحين ودمغ الأول بالانتهـازية اليمينية ، كما دمغ الثانى بالانتهازية اليسارية ، وأثبت أن ما يواجـه « روسيا الآسيوية » ليس ثورة اشتراكية ، وانمـا ثورة ديمقراطية برجوازية من طراز جـديد ، أى أنها لا تشبه الثـورة البرجوازية

الكلاسيكية التى شهدها الغرب ، وقادتها البرجوازية الليبرالية ، وأدت الى قيام نظام رأسمالى ما لبث أن تطور الى مرحلة الامبريالية ، وان هـذه الثورة الديمقراطية ذات محتوى شعبى أعمق ، وأن طابعهـا برجوازى فلاحى فى الأساس ، غير أن قيادتها ينبغى أن تكون فى يد حزب البروليتاريا المستقل الذى يمثل همزة الوصل بين الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، والذى فى امكانه أن يدفع الأولى حتى تنجز كامل مهامها ، ويحولها بالتالى الى ثورة اشتراكية .

ولان كلا الجناحين الانتهازيين لم يستطيعا استيعاب هـذا الطرح النظرى المعبر عن الضرورة التاريخية ذاتها ، والمجسد لحركة الواقع الاجتماعى نفسها ، ولانهما لم يكونا يملكان غير الجعجعة الكلامية ، والثرثرة اللفظية ، والنقـد بالعبارات الطنانة الفخمة للنظرية لينين ، واتهامها بالتحجر الفكرى ، واتهام لينين بالجمود النظرى لذلك فان لينين كل مضطرا دائمـا لتعرية ميـولهما الاصـلاحية والفوضـوية ، التقاعسية والمغامرة ، وتبيان انهما يرفضان النظرية العلمية أساسا ، وغير مستعدين لفهمها وتشربها والتقيد بها فى الممارسة العملية ، ومن ثم الاسهام فى دفعها الى الامام « وهكذا نرى أن العبارات الطنانة عن تحجر الفـكر ، وما الى ذلك ، تخفى وراءها عـدم الاهتمام بتطوير الفـكر النظرى ، والعجز عن تطويره . وما مثل الاشتراكيين — الديمقراطيين الروس الا بدليل جلى على ظاهرة أوروبية عامة (اشار اليها الماركسيون الألمـان أيضا منذ أمد بعيد) وهى أن حرية النقـد الذائعـة الصيت لا تعنى استبدال نظرية بأخرى بل تعنى التحرر من كل نظرية متكاملة ووليدة التفكير ، تعنى المذهب الاختيارى ، وانعـدام المبادىء » . (لينين ، ما العمل ؟ دار التقـدم موسكو ، ص ٢٥) .

ولم يكن هذا الضعف النظرى أو الرغبة فى عدم التقيد بالنظرية مستغربا ، ذلك أن هـذا النمط من الاشتراكيين لم يتبين النظرية ، وانما

شعارها ، لم يأخـذ بلبهـا وانما بشكلها ، لم تستهوه عاميتها المبررة بدراسة مجرى حركة التطور التاريخية ، وانما جاذبيتها .

وهكذا رافق اتساع الحركة الاشتراكية واقبال الناس عليهـا زرافات ووحـدانا هبوط فى مستوى الوعى بالنظرية الاشتراكية . وهى ظاهرة لم تقتصر على الحركة الاشتراكية الروسية ، وانما عرفتها العديد من مثيلاتها فى أوروبا وفى جميع القارات ، بما فى ذلك الوطن العربى .

فليس هناك من يشك فى التقـدم المطرد للحركة الاشتراكية منذ أيام لينين والى اليوم ، غير أن هـذا التقـدم « الحركة » لم يترافق بتقـدم فى مدى استيعاب « النظرية » ، على الأقل فى المراحل الأولى لنشوء الحركات والأحزاب الاشتراكية العلمية .

ان ذلك كله يؤكد مصداقية موضوع لينين فى هـذا الصـدد والتى تشمل كل الحركات الاشتراكية الوليدة : « ولابد لكل مطلع على وضع حركتنا الواقعى ، وان جزئيا ، من أن يلاحـظ ان انتشار المـاركسية الواسع قـد رافقه بعض الانحطـاط فى المستوى النظرى . فبسبب النجاحات العملية التى أحرزتها الحركة وبسبب أهميتها العملية انضم اليها كثيرون ضعيفون جـدا أو صفر من حيث الاعـداد النظرى » . (نفسه ، ص ٢٥) .

وليس هناك من يشك فى ضخامات الانجازات التى حققتها لحركة الاشتراكية فى اليمن ، غير أن هـذه الحركة وصلت فى تطورها ونموها مدى لابد معه لكى تواصل تقـدمها باطراد من وقفـة مسئولة أمام النفس ، من مراجعة دقيقة لحصيلة التجربة ، ومن استشراف الافـق المفتوح بلا حـدود أمام التجربة الثـورية بمجملهـا ، ومن تقييم الخطورة الثورية الفائقة التى يمثلها وجـود حزب اشتراكي علمي —

لأول مرة فى تاريخ وواقع الوطن العربى — على رأس السلطة الثورية ، وله امتن الصلات مع كل قــوى الثورة العالمية •

وبقــدر ما تعظم انجازات هــذا الحزب أو أى حزب اشتراكى علمى حاكم بقــدر ما تكون الحاجة ماسة دائما الى التضلع والتعمــق فى دراسة واستيعاب الفــكر الاشتراكى العلمى ، للتمكن من المضى باستقامة واطراد فى طريق التقــدم الاجتماعى ، ومن تجاوز كل منعطف تواجهه حركة التقــدم •

وبالدراسة المتأنية والدائبة والمستمرة للنظرية الثورية ، وبالتغيير الحثيث والعميق والجــذرى للواقع الاجتماعى تتكامل الشروط والعوامل الذاتية والموضوعية لانطلاق الثورة قــدما الى الامام •

لقــد قال لينين : « فاذا كان الرفاق « اليساريون »•••لا يتعلمون الآن كيفية التغلب حتى على مثل هــذه الصعوبة الصغيرة ، فان بالامكان القول عن يقين أنهم اما سيعجزون عن تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا ، ولن يستطيعوا فى نطاق واسع أن يخضعوا ويصلحوا المثقفين البرجوازيين والمؤسسات البرجوازية واما أنه سيتحتم عليهم أن يتمموا معارفهم فى استعجال ، وبهــذا الاستعجال سيعودون بضرر جسيم على قضــية البروليتاريا ، وسيرتكبون أخطاء تفوق المعتاد ، ويظهرون ضمنا وعجزا يتجاوز الحــد المتوسط ، وهلمجرا ، وقس على ذلك » • (نفســه ص ١١) •

وليس هناك شك فى أن الحزب الاشتراكى اليمنى قــد بلغ حــدا من التطور يتيح له معالجة كل جوانب وملامح مشكلات التخلف والتقدم ، بما يتيح له الانطلاق قــدما الى الامام فى طريق التوجه الاشتراكى الذى اقتحمه بالفعل وتحويل الثورة الى ثورة اشتراكية ، ودفع اليمن كلها — خلال ذلك كله — على طريق الوحــدة الديمقراطية التقــدمية •

مسـيرة ثـورية ...
تاريخيـــة متقـــدمة ...
أبــــدا(*)

العمليــة الثورية أكثر صعوبة وتعقيدا وخطورة من أية عمليــة جراحية . وأمهر طبيب فى الجراحة لا يمكن مقارنته بالثورى الذى يبقر بطن المجتمع القـــديم ليستخلص منه الكائن الاجتماعى الجـــديد . وأية معضلات قـــد يصادفها الطبيب المــــاهر وهـــو يجرى عمليــة قيصرية ليست شيئا اذا ما قورنت بالمعضلات التى يواجهها الثورى ــ حتى وان كان ثوريا محترفا ــ أثناء قيادته للعملية الثورية .

والعملية الثورية لا تتحقق دفعة واحـــدة ، وانما هى تمر بعـــدة أطـــوار ومراحل ، وتعقيداتها النابعة من طبيعتها أو من مقاومة خارجية لا تنتهى الا بانتصارها الكامل وبقيام ورسوخ النظام الاجتماعى الذى عملت على توليده وتخليقه ورسم سماته .

ولان العملية الثورية ، حتى وان جرت فى أقصى أنحاء الأرض ، تواجه ليس فحسب بالمصاعب الداخلية الناتجـــة عن تركة الماضى

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩٨٤/٥/١٩ .

الثقيلة ، وعن نقص فى خبرة ودربة الثوار أنفسهم ، وانما أيضـــا بمؤامرات العـــدو الخارجى الذى تمثله فى عصرنا الراهن الامبريالية العالمية وحليفتها الصهيونية ، وركيزتها الرجعية الدولية — لذلك فانه ينبغى اعـداد الناس لصراع مرير وطويل متعـــدد الألوان والظلال . متشعب الميول والاتجاهات .

ان ذلك كما ينطبق على العملية الثورية الاشتراكية ، فانه يسرى بالأحرى على العملية الثورية الديمقراطية ذات الوجهة الاشتراكية .

وحين تقـــود الطبقة العاملة العمليتين فانها لن تصطدم بمقاومة عـدوها الطبقى المكشوف ، البرجوازية المحلية والعالمية فقط ، وانمـــا كذلك بضيق أفق بعض عناصر الطبقة العاملة ذاتها ، ناهيك عن تعثر ثورية عناصر من البرجوازية الصغيرة .

غير أنه عبر عملية التغيير الثورى تتوالد عناصر ، بل وأجيـــال جـــديدة لا تمت بصلة الى العناصر والأجيال الثورية السابقة الا بصفتها استمرارا ثوريا أكثر تطورا وأكثر قـــدرة على بناء دعائم العهـــد الجـــديد . وفوق ذلك فان تربة الواقع الاجتماعى التى حرثتها الثورة تكون أكثر خصوبة وقابلية لاحتضان النظام الجـــديد ، ومده بنسغ الحياة ومقومات النمو والتطور والاستمرار .

يلخص ماركس مراحل هـــذه العملية الثورية بكل تعقيداتها بقوله أنه على الطبقة العاملة « ان تخوض نضالا طويلا ، وان تجتاز سلسلة كاملة من العمليات التاريخية التى تغير الظروف والناس تغييرا تاما . وما ينتظر الطبقة العاملة ليس بمثل عليا تحققها ، انما عليها أن تفسح فقط مجالا لعناصر المجتمع الجـــديد التى تطورت فى احشاء المجتمع البرجوازى القـــديم بسبيل الانهيار » . (ماركس — انجلس ،منتخبات

فى ثلاثة مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء١ ، دار التقــدم ، موســكو ، ١٩٨١ ص ٢٦٩) •

وأيا كانت التعقيدات التى تمر بها العملية الثورية ، والعقبــات التى تجتازها ، فان لواء النصر معقود — كحتمية تاريخية وثورية — للطبقة العاملة التى أوكل اليها مجرى التطور الاجتماعى ذاته تنفيذ حكم التاريخ فى نظام القهر والعبودية والاستغلال •

وفى هــذا الصــدد يورد ماركس مثل هــذه المقارنة التاريخية البديعة والعميقة الدلالة : « وللانتقام من جرائم الطبقات الحاكمة كانت توجــد فى ألمــانيا فى القرون الوسطى محكمة سرية تسمى « محكمة فيما » • فاذا ما كان صليب أحمر مرسوما على بيت ما ، فقــد كان الناس يعلمون أن صاحبه قــد حكمت عليه (فيما — الكاتب) • أما الآن فان الصليب الأحمر الملغز مرسوم على جميع البيوت فى أوروبا • والتاريخ نفسه هــو الآن القاضى ، أما منفــذ حكمه فهو البروليتاريا » • (ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاثة مجلدات ، المجلد ١ ، الجزء ٢ ، دار التقــدم ، موسكو ، ١٩٨٠ ص ٢٤٩ — ٢٥٠) •

ولأن العصر الذى دشنته ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى غــدا عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، عصر البروليتاريا العالمية ، عصر تطور حركات التحرر الوطنى وتحول الثورات الديمقراطية الى ثورات اشتراكية ، فان حكم التاريخ لم يعــد مقصورا على أوروبا البرجوازية ، وانما غــدا يشمل كل قارات الأرض ، المتطور والمتخلف منها ، الذى عرف الرأسمالية والرأسمالية الاحتكارية ، والذى ما يزال فى مرحلة ما قبــل الرأسمالية ، أو فى مرحلة الرأسمالية الضعيفة أو المتوســطة التطــور •

ولقــد نــفذ حكم التاريخ بالفعل فى أقطار عــديدة من أوروبا

وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وهناك أقطار أخرى تشحذ ثوراتها السلاح لتنفيذه فى أنظمتها الهرمة والمنخورة .

وحتى الثورات الوطنية التى اصيبت بالنكسة أو الردة بفعل قيادة البرجوازية الصغيرة الضيقة الافق لها فانها قدمت الدرس المفيد والبليغ الذى يتمعن فيه الثوار الطويلو النفس جيدا ، ويقدمون مغزاه لشعوبهم ، حتى يتسنى لها أن تعرف من واقع مرارة التجربة التى عاشتها ، وخيبة الامل الثورية التى منيت بها ، ان سبيل خلاصها وخلاص أوطانها لن يتحقق على يد أى فئة من فئات البراجوازية ، حتى الثورية منها ، ذلك أن ثوريتها محكومة بمصلحتها الطبقية الانانية ، وانما يتحقق على يدها هى ذاتها ، على يد جماهيرها الشعبية العريضة والفقيرة من عمال وفلاحين وكادحين ، على يد طلائعها التقدمية المدركة لمنحنى المسيرة التاريخية وللقوى الثورية الحية المحركة فيها .

ان أحزاب الاشتراكية العلمية فى الوطن العربى تحدد اليوم بوضوح قاطع الشروط الموضوعية والذاتية ، الداخلية والخارجية اللازمة للمضى بالثورات الوطنية الديمقراطية فى طريق انجاز كامل المهام الموضوعة أمامها ، وللانتقال من ثم الى مرحلة بناء الاشتراكية .

وبعثت من جديد مقولة لينين النظرية التى وضعها منذ مطلع القرن العشرين والتى كادت تنسى حتى من قبل أمثال خروشوف ، والتى جزم فيها بأنه فقط بقيادة الحزب البروليتارى المستقل وبانشاء أعرض تحالف جماهيرى عمالى — فلاحى ، وبالتلاحم مع الحركة الاشتراكية العالمية يمكن المضى بالثورات الديمقراطية الوطنية حتى أبعد غاياتها ، وجعلها من ثم خطوة فى اتجاه الاشتراكية ، وان الديمقراطى الثورى الحقيقى والاصيل هو الذى لا يشعر بالوجل من ذكر الاشتراكية ، وهو الذى لا يتقاعس عن المضى بالثورة الديمقراطية البرجوازية الى

الامام حتى تحقيق الاشتراكية ، وانه ليس هناك موقف وسط قط ، اذ أن الوسط هـو المستنقع ، هـو الغرق فى الوحل ، هـو التوقف ، هـو التراجع ، وهـو ما أثبتته النكسات المهينة والردات المذلة التى حاقت بانظمة وطنية ديمقراطية على رأسها النظام الهرمى الشامخ الذى اقامه عبد الناصر وانها بعـد وفاته حتى القواعـد .

منذ البـداية نبـه لينين الى أنه فقط المـاركسيون الاردياء ، والاشتراكيون الشوفينيون « لا يدركون (اذا بحثنا فى أسس رأيهم النظرية) ما هى الامبريالية ؟ ما هى الاحتكار الرأسمالية ؟ ما هى الدولة ؟ ما هى الديمقراطية الثورية ؟ لان من يفهم هـذا ، لابد أن يعترف بانه يستحيل السير الى أمام دون السير نحـو الاشتراكية » ذلك أن أى انجاز اجتماعى فى ظل الديمقراطية الثورية ، ومن أجل جماهير العمال والفلاحين، العمود الفقرى لهـذه الثورة ، وفى « مصلحة الديمقراطية الثورية » يكون حينئذ « على وجـه الضبط خطوة نحو الاشتراكية » . « أما أن يكون المرء ديمقراطيا ثوريا بالفعل . وآنذاك لا يجوز الخوف من الخطـوات نحـو الاشتراكية . واما أن يخالف الخطوات نحـو الاشتراكية ، ويشجبها على طريقة بليخانوف ودان وتشيرنوف بذرائع مفادها أن ثورتنا برجوازية ، وانه لا يجوز « ادخال » الاشتراكية ، وهلمجرا ، وآنذاك ينزلق حتما نحو كيرنسكى وميليوكوف وكورنيلوف ، أى يقمع بطريقة دواوينية رجعية المطامح « الديمقراطية الثورية » لدى جماهير العمال والفلاحين . ولا وسط ... لا يمكن المراوحة فى التاريخ على العموم ، وأثناء الحرب على الخصوص . انما يجب السير أما الى الامام وأما الى الوراء » . (لينين ، المختارات فى ١٠ مجلدات ، المجلد ٧ ، دار التقـدم ، موسكو ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ — ٢١٦) .

ان ما حـذر منه لينين وما ارتكبته البرجوازية الصغيرة فى ظـل الديمقراطية الثورية التى اقامتها بقمعها بطريقة دواوينية وبوليسية

للمطامح الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين هــو الذى سهل مهمة قــوى الردة الداخلية والخارجية فى ضرب أنظمتهــا الديمقراطية الثورية التى قادتها .

لقــد كانت هــذه الانتكاسات برهانا قاطعا على صحة مقــولة لينين النظرية بأنه ليس هناك موقف وسط ، متأرجح ، بين بين ، وان الديقمراطية الثورية اما أن تتقــدم نحو الاشتراكية ، أن تصبح خطوة نحــوها ــ وذلك لن يتأتى الا بقيادة الحزب الاشتراكى العلمى لهــا والا بتحالف وطيد يجمع العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة ، والا بتعاون وثيق مــع الحركة الاشتراكية العالمية ، وخاصة فى البلدان التى تكون قــد ظفرت بالسلطة فيها ــ وأما أن تمنى بالاخفاق الذريع .

ان التقــدم المطرد الذى حققته الديمقراطيات الشعبية فى أوروبا وآسيا ، بقيادة أحزابها الاشتراكية العلمية ، التى تمكنت من القيــام بأعمق الاصلاحات الديمقراطية الثورية قبــل أن تنتقل الى المرحــلة الاشتراكية ، وان السير الظافر للدول الوطنية الديمقراطية الحــديثة التى تمسك بالقيادة فيها الأحزاب الطليعية ، التى أخــذت تطور ثوراتها وتدفع بهــا فى طريق التوجــه الاشتراكى ــ ان ذلك كله لهــو البرهان التاريخى الذى لا يدحض على صحة المقولة اللينينية الآنفــة الذكر والمتعلقة بتحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، والتى تشكل جزءا لا يتجزأ من نظرية الاشتراكية العلمية .

ان اليمن الديمقراطية هى احــدى الحقول الخصبة التى أثمر فيها هــذا الفكر النظرى العلمى تجربة ثورية هى الأولى الواعدة والفريدة حتى الآن فى الوطن العربى كله .

ان هــذه التجربة تثبت أن بلدا صغيرا ، ضعيف التطور ، شحيح الامكانيات ، قليل السكان ، بعيدا عن أن يكون أحــد المراكز التاريخية

التقليدية للأمة التى ينتمى اليها ، يمكنه فى عصرنا الراهن — عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية — أن يعوض كل عوامل الضعف والقصور الموضوعية ، اذا ما توافرت لـه عوامل النضوج الذاتيـة والمستوى الضرورى من الوعى والتنظيم — بالمفهوم الاشتراكى العلمى — واذا ما وضع يده فى يد القوى الثورية الحليفة فى العالم ، واذا ما تقيدت جميع كتائبه بالانضباط التنظيمى الصارم . والطاعة الحزبية الحديدية ، وسارت خلف قيادة أركانه الثورية تصنع البطولات ، وتجترح المعجزات .

والحزب الاشتراكى اليمنى القـائد لهـذه التجربة الريادية الشجاعة والملهمة يضع فى حسبانه ويستلهم دائما خبرة حزب لينين المجرب فى هـذا الصـدد ، التى أوجزها لينين بقـوله : « وتاريخ البلشفية وحـده خلال كامل عهد وجودها بامكانه أن يشرح شرحا وافيا لماذا استطاعت أن تبنى وتصون فى أصعب الظروف نظـام طـاعة حـديديا لابد منه لانتصار البروليتاريا . وقبل كل شىء نجـد هـذا السؤال ، وهـو : بم يدعم نظام الطاعة فى حزب البروليتاريا الثورى ؟ وبأى شىء يجرى تجريبه ؟ وبم يعزز ؟ أولا ، بوعى الطليعة البروليتارية ووفائها للثورة ، وبثباتها ، وبطولتها وروح التضحية عندها . وثانيا ، باستطاعتها الترابط والتقارب ، واذا شئتم الاندماج لحـد ما ، مـع أوسع جماهير الكادحين ، وفى الدور الأول مـع جماهير البروليتاريا ، وكذلك مع الجماهير الكادحة غير البروليتارية ، ثالثا بصحة القيـادة السياسية التى تقوم بهـا هـذه الطليعـة ، وبصحة استراتيجيتها وتكتيكها السياسيين ، شرط أن تقتنع أوسع الجماهير الكادحة بهـذه الصحة بتجربتها الخاصة ، وبدون هـذه الشروط لا يمكن تحقيق نظام الطاعة فى حزب ثورى كفء حقا ، ليكون حزب الطبقة المتقـدمة المدعوة الى اسقاط البرجوازية ، وتحويل المجتمع كـله » . (لينين ، مرض « اليسارية » الطفـولى فى الشيوعية) دار التقـدم ، موسـكو ، ص ١٠) .

خطوة ١٢ يونيو التصحيحية
وقيام الحزب الاشتراكى اليمنى
حدد المصير التاريخى للثورة(*)

ثورة ١٤ أكتوبر هى الثورة العربية الوحيدة حتى الآن التى عرفت كيف تخرج من عنق الزجاجة الضيق الذى اختنقت فيه كثير من الثورات العربية وغير العربية .

فبعد الاستقلال مباشرة كان عليها أن تجيب على السؤال الطبيعى والحتمى الذى تواجهه كل ثورة تحرر وطنى الا وهو : أى طريق ينبغى على الثورة أن تمضى فيه ؟ الطريق الاصلاحى البرجوازى الليبرالى الذى يدخل بعض التحسينات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والادارية على البنية الاجتماعية ــ الاقتصادية الموروثة ، ويلائم ما بين المصالح الاقطاعية وشبه الاقطاعية والقبلية ــ الابوية وبين مصالح البرجوازية الأجنبية والمحلية بما يكفل أيجاد صيغة للحكم وسطية ترضى كل القوى الاستعمارية والاقطاعية والبرجوازية ، وتكفل

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩٨٤/٦/٢٣ .

مضى المجتمع فى طريق التطور التدريجى والبطىء ذى الصبغة الرأسمالية المشوهة والطفيلية والتابعة ، أم طريق الثـــورة الوطنية الديمقراطية الجـذرية التى تعتبر الاستقلال السياسى مجرد نقطة انطلاق نحـــو التخلص النهـائى من تركة المـاضى الاستعمارى — الاقطـاعى — القبلى — الابوى — البرجـــوازى الكومبرادورى • ونحـــو تحقيق الاستقلال الاقتصادى الكامل ، الذى يتحول أى استقلال سياسى بدونه الى مجرد استقلال شكلى يخفى تبعية من نمـــط جـديد للاستعمار الجـديد ، ونحو اعادة صياغة البنية الاجتماعية صـــياغة جـذرية ، وتمكين الطبقات والفئات والقـوى الوطنية والشعبية التى حفرت مجرى التحرر الوطنى بأظافرها وسقته بدمائها واضاءته بوهج نضالها من أن تكون هى صاحبة السلطة والسيادة فى عهد الاستقلال ، وان تكون هى المتمتعة بثمراته •

ولقـد انقسمت القوى السياسية فى البلاد انقساما حادا وفقـا لنوعية الاجابة التى قـدمتها على السؤال المطروح • وكان الانقسام أقـوى وأعمق وأوضح ما يكون داخل الجبهة القومية ذاتها التى قادت حركة التحرير فى الشطر الجنوبى من اليمن منذ اندلاع ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ • لقـد تبنى الفريق المسك بأزمة السلطة المنحى الاصلاحى البرجوازى الليبرالى ، ومضى فيه باصرار وعناد ، بينما تبنى فريق الصف الثانى فى الجبهة القومية ومعـــه جماهير الجبهة والفصـــائل الديمقراطية والتقـدمية خارجها المنحى الثـورى الوطنى الديمقراطى الجـذرى •

ورغم أن المؤتمر الرابع للجبهة الذى عقـد فى مارس ١٩٦٨ قـد انتصر لهـذا المنحى واتخـذ قرارات واضحة حاسمة فى صـالحه ، فان الفريق اليمينى رفضها بقـوة واراد تصفية الحساب مع الفريق اليسارى بالقـوة المجردة ، وأقـدم لهـذا الغرض على قيادة انقلاب

فى ذات الشهر بالاستناد الى احتياطى الاستعمار البريطانى فى الجيش وبدعم وتشجيع من الملحق العسكرى الأمريكى فى عـدن •

لقـد كان ذلك مظهرا واضحا للصراع الطبقى ـ السياسى الذى آخـذ يحتدم ويتفاقم فى البلاد بين البرجـوازية الاصلاحية اليمينية المتخالفة مع قـوى المجتمع القـديم والمتواطئة مع دوائر الاستعمار القـديم والجـديد وبين قـوى الشعب الثورية من عمـال وفلاحين ومثقفين ثوريين ـ عسكريين ومدنيين ـ وبرجوازية صغيرة •

ولم يدم الصراع طويلا ، حيث تمكنت قـوى الشعب الثورية فى ٢٢ يونيو ١٩٦٩ من القيام بخطوتها التصحيحية العظيمة التى أطاحت بها بالفريق اليمينى من السلطة والتنظيم السياسى ـ الجبهة القومية ، ومن اجهاض مشروعه السياسى الذى كان من شأنه أن يضع البـلاد فى فلك الاستعمار الجـديد ، وان يخضعها لحكم البرجوازية والاقطـاع والفلاحين الأغنياء والبيروقراطية العسكرية •

وبهـذه الخطوة الثورية المباركة وضعت البلاد على طريق التحويلات الجـذرية والحاسمة التى نسفت بها البنية الاجتماعية ـ الاقتصادية شبه الاقطاعية ـ شبه القبلية شبه البرجوازية ، ومزقت علاقات التبعية مع السوق الاستعمارية ، وأممت مصالح الاحتكارات الأجنبية الى جانب المصالح البرجوازية المحلية المرتبطة بهـا ، وضرب البناء الفـوقى السياسى ـ الادارى ـ العسكرى ـ البوليسى ـ الأيديولوجى ، واقيم بناء جـديد على انقاضه قادر على قيادة عملية التحويل الثورية لبنية المجتمع فى الاتجاه الوطنى الديمقراطى ، وعلى اعادة بناء الاقتصـاد الوطنى المستقل والمتطور وفـق خطط مدروسة وبما يكفل الارتفـاع بالمستوى المـادى والروحى لجماهير الشعب العريضة ذات المصلحة فى الثورة وبما يمكن من اقامة الأساس المـادى ـ التكنيكى وتطـوير

القوى الاجتماعية — الطبقية الجذرية الدافعة للمجتمع فى طريق انجاز كامل أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية ، وفى طريق اقامة النظام الديمقراطى الشعبى ، وفى طريق التوجه الاشتراكى •

وكان انجاز هذا المشروع السياسى الثورى الديمقراطى الطموح والواضح يقتضى اعادة تنظيم قوى الثورة ، واعادة حشد الجماهير الشعبية • ومن أجل ذلك جرى حوار ديمقراطى مسئول بعد خطوة التصحيح مباشرة بين التنظيم السياسى — الجبهة القومية وبين الاتحاد الشعبى الديمقراطى وحزب الطليعة الشعبية انتهى بتوقيع اتفاقية ٥ فبراير ١٩٧٥ التى قضت بقيام تنظيم انتقالى اسمى التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية ، يمهد لقيام حزب طليعى من طراز جديد ، وهو التنظيم الذى تشكل بالفعل فى أكتوبر من ذات العام •

ولقد ساعد قيام هذا التنظيم الانتقالى على حشد أوسع الجماهير الشعبية خلفه وخلف النظام الوطنى الديمقراطى الجديد •

وكان واضحا لهذا النظام الثورى ولأداته القيادية أنه ليس فى الامكان النهوض بكافة مهام الثورة الوطنية الديمقراطية والبلوغ بها الى المرحلة اللاحقة ، بدون دعم شامل مادى وتكنيكى وعسكرى وسياسى ومعنوى من كل قوى الثورة فى العالم ، وخاصة من تلك التى تمكنت من اقامة النظام الاشتراكى ، وعلى رأسها وطن الاشتراكية الأول : الاتحاد السوفيتى •

وهكذا اقامت الثورة بعد حركة التصحيح مباشرة جسرا من العلاقات المتينة والمتنوعة مع الاتحاد السوفيتى ، والدول الاشتراكية الأخرى ، ومع فصائل الثورة العربية والعالمية •

وبذلك كله خرجت ثورة ١٤ أكتوبر من عنق الزجاجة الضيق الذى

اختنقت فيه كثير من الثورات العربية وغير العربية ، وانطلقت بقوة متعاظمة فى طريق التطور الاقتصادى ، والتقدم الاجتماعى ، والنمو الثقافى ، واحتلت فى نفس الوقت مكانة مرموقة على صعيد النضال العربى والعالمى .

غير أن الثورة واجهت — على مستوى السلطة — خطرا محققا ، وذلك بحكم الخطوات المتقدمة التى قطعتها الثورة وتجاوزت بها سواها من الأنظمة العربية الأخرى .

صحيح أن هذا الخطر لا يختلف من حيث جذوره الطبقية عن الأخطار التى واجهتها كثير من هذه الأنظمة العربية وغير العربية ، وقادت الى ترنحها ومن ثم الى سقوطها . لقد كان هذا الخطر يتمثل فى ظهور نتوء برجوازى صغير مصاب بالتذبذب والتقلقل والتجنح فى مبدأ الأمر يسارا والميل آخر الأمر يمينا . ان ما يتميز به هذا النمط من البرجوازية الصغيرة المتذبذبة هو جنوحه الشديد — فى بداية الأمر — صوب اليسارية الى حد الانتهازية . وهذا النمط لم يعرفه أى نظام عربى وطنى قط .

وكأى تجنح يسارى ينطلق من أرضية تقليدية يمينية ، ومن أرضية قروية مصابة بالتشويش والفوضوية ، فانه كان لابد وان يتحول الى تجنح يمينى ، وان يميط بذلك عن هويته الطبقية وحقيقته السياسية .

غير أن تيار الثورة الوطنى الديمقراطى الجارف ما لبث أن عصف بهذا النتوء اليسارى الانتهازى بعد أن انكشف زيف يساريته ، وظهر بوجهه اليمينى السافر والفاضح ، وقام بمحاولة انتقلابية ضد الثورة وتنظيمها السياسى فى ٢٥ يونيو ١٩٧٨ ، هذه المحاولة التى أحبطت فى اليوم التالى مباشرة ، وكرست قوى الثورة بالانتصار فيها ثانى أهم منجزاتها بعد خطوة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ .

فبهـذا المنجز الثورى العظيم فتح الطريق لقيام الحزب الطليعى ، الحزب الاشتراكى اليمنى ، الذى قام فى أكتوبر ١٩٧٨ ، كما فتح الطريق لاكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية وللمضى فى طريق التوجـه الاشتراكى •

ان الدروس التى قـدمتها وتقـدمها تجربه الثـورة فى اليمـن الديمقراطية لهى من الأهمية والغنى والعمق بحيث لا تستطيع أى حركة ثورية عربية وغير عربية الا التوقف امامها لتأملها واستلهامها والافادة منهـا •

ان سر نجاح هـذه التجربة يعود الى انها استرشدت فى نضالها بقوانين التحـول الاجتماعى الديمقراطى التى نبهت اليها الاشتراكية العلمية ، والتى أوضحت بجلاء أن التحقيق الكامل والمنسجم للثـورة الوطنية الديمقراطية والذى يجعـل منها من ثم خطـوة على طريق الاشتراكية غير ممكن الا اذا قاد هـذه الثـورة حزب طليعى يتبنى أيديولوجية الاشتراكية العلمية ، ويقيم أوسع تحالف جماهيرى لقوى العمال والفلاحين الكادحين والمثقفين الثـوريين والفئـات المناضـلة الأخرى ، وينشىء امتن العلاقات مع قوى الثورة العالمية وخاصة مـع البلدان التى تكون الطبقة العاملة قـد ظفرت بالسلطة فيها •

ولقـد انعكس الوعى بهـذه القوانين فى برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى الذى جاء فيه : « ان حزبنا يرى أن الثورة الوطنية التحررية ، لكى تحقق كامل أهـدافها ، لابد لهـا من مواصلة السير بثبات ودون تردد فى عملية التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الجذرية ، بالاستناد الى ايديولوجية علمية • ومن موقـع طبقى واضح • ان ايديولوجية الطبقة العاملة وتنظيمها الثورى ، هما الوحيدان القادران على تحقيق مهام التحرر الوطنى والتقـدم الاجتماعى بشكل ناجز ،

وهما الوحيدان القادران على لعب دور طليعي في اطار التحالف الوطني الطبقي العريض الذي يعبر عن مصالح الفئات الشعبية الكادحة بسواعدها وادمغتها ذات المصلحة في الخلاص الكامل والنهائي من الاستغلال والاضطهاد والقهر الاجتماعي والقومي » • « وفي عصرنا ، عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية والذي تشكل فيه ثورات التحرر الوطني العالمية جزءا من الثورة الاشتراكية على الصعيد العالمي ، وفي ظروف موازين القوى الدولية الراهنة بشكل خاص ، يستحيل على أي جزء من حركة التحرر الوطني هذه في أي منطقة من مناطق العالم ، أن يتمكن من انجاز مهماته دون اتخاذ موقف حازم وثابت ومنسجم في العداء للامبريالية • ودون التحالف مع الحركة الثورية العالمية وقوتها الأساسية المنظومة الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي » • (ص ٣ ، ٩) •

على أن وجود حزب اشتراكي علمي على رأس العملية الثورية يجسد بحق نهج البروليتاريا وروحها • هو اهم عامل داخلي يكفل تحول الثورة الديمقراطية الوطنية الى ثورة اشتراكية •

وإذا كانت خطوة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ التصحيحية قد مثلت نقطة الانعطاف التاريخي للانطلاق بثورة ١٤ أكتوبر في طريق انجاز واكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية فان قيام الحزب الاشتراكي اليمني قد مثل أهم شرط ذاتي للمضي بها الى النهاية ، ولتحويلها الى ثورة اشتراكية ، عبر النضال الدائب لتحقيق اليمن الديمقراطي الموحد المزدهر •

بقيام الحزب الاشتراكى اليمنى

اقتحمت ثورة ١٤ أكتوبر

آفاق التوجه الاشتراكى(*)

فى عصرنا الراهن ، عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، غدا غير ممكن حل المهام الاستراتيجية لحركات التحرر الوطنى فى العالم النامى الا عبر النضال الدائب والحازم والمستقيم ضد الامبريالية وركائزها المحلية .

وأثبتت التجارب التاريخية العديدة فى هذا العالم أن قيادة هذا النضال الى نهايته الظافرة غير ممكن ما لم تتسلم مركز القيادة فيه اكثر القوى جذرية وتقدمية فى المجتمع .

فالبرجوازية الصغيرة — أيا كانت ثوريتها — كما فشلت فى الغرب منذ قيام أول ثورة برجوازية ديمقراطية فيه تحت قيادتها عن المضى بهذه الثورة حتى نهايتها الطبيعية التى حلمت بها هى ذاتها ، وتركت مكانها فيها للبرجوازية الكبيرة وحلفائها من ملاكى الأرض ، فأن هذه البرجوازية الصغيرة فى الشرق التى قادت الثورات التحررية الوطنية الديمقراطية فيه لم تستطع مواصلة المسيرة الثورية وتحقيق أهدافها

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٢/١٠/١٩٨٤ .

الاستراتيجية فى التحرر الوطنى الكامل • والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المستقلة ، والتقدم الاجتماعى الشامل ، والوحدة القومية أو الوطنية الديمقراطية ، والحرية السياسية الحقيقية •

وحتى تلك الخطوات التى أمكن انجازها فى هذا الاتجاه ما لبثت الامبريالية وركائزها الرجعية والاصلاحية المحلية أن التفت عليها واطاحت بها •

لقد كانت الثغرات وقصور النظر فى نظام البرجوازية الصغيرة الثورية هى المنافذ التى ولجت منها حركات الردة الرجعية هذه التى وضعت على رأس السلطة قوى البرجوازية الطفيلية والكومبرادورية ، والبيروقراطية العسكرية والمدنية المتبرجزة التى أفقدت بلدانها حتى ذلك القدر من الاستقلال الوطنى الذى كانت قد حققته ، واعادت ربطها بعجلة التبعية الاقتصادية والسالبة والسياسية والعسكرية والثقافية للامبريالية العالمية •

ولن تفلت من ذات المصير أنظمة البرجوازية الصغيرة التى تعانى من ذات الخلل البنيوى ، والقصور الأيديولوجى ، وضيق الافق السياسى ، وروح التسلط الفئوى ، والتى ترفض فهم طبيعة العصر وحقيقة أنه حتى تحقيق مهام الثورة البرجوازية الديمقراطية غير ممكن بدون تكوين أوسع تحالف جماهيرى من العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والمثقفين الثوريين تشارك فيه بحرية كاملة الأحزاب والتنظيمات الثورية الممثلة للمصالح العامة والخاصة لقوى هذا التحالف الواسع والعريض ، وبدون انبثاق نواة طليعية قيادية لهذا التحالف تدرك جيدا أن تحقيق كامل مهام الثورة البرجوازية الديمقراطية مرتبط ارتباطا عضويا ومصيريا بالمضى قدما الى الامام ودون تلكؤ نحو الاشتراكية ، وبدون التعاون الشامل الذى يبلغ حد التحالف مع قوى

الثورة العمالية وفى طليعتها المعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى ، حصن هذه الثورة وقاعدتها .

وفى الشرق ، كما فى الغرب ، لعبت الاتجاهات والميول الاشتراكيه الشوفينية والاصلاحية الوسطية ، والطفولية الموضوية ، ادوارا فى تضليل وتعطيل وعرقلة سير هذه الثورات ، وفى الحيلولة دون تحقيق كامل أهدافها الديمقراطية ، ودون تحويلها — بالطريق المبدئى الصحيح والمستقيم — الى ثورات اشتراكية .

وبذلك وقعوا جميعا فى الانتهازية السياسية والتكتيكية وعمى الشوفينية الوطنية والقومية التى لم تفد منها سوى البرجوازية المحلية والامبريالية العالمية .

ولم يقع فى هذا الشرك مثقفون صغار ، وانما مثقفون ضخام ، كانوا ذات يوم من أساطين الفكر الماركسى أمثال برنشتاين وكاوتسكى وبليخانوف وتروتسكى .

ومن قبل قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى كان لينين قد اعتبر الاشتراكيين الشوفينيين ، الاشتراكيين قولا والشوفينيين فعلا ، بأنهم « هم خصومنا الطبقيون . وقد انتقلوا الى جانب البرجوازية » أما الوسط ، فهو اضافة الى أنه لا يتقن غير الثرثرة الكلامية ، والديماجوجية الدعائية ، لا يمثل فئة اجتماعية محددة ، وانما حالة عابرة وبقية زائلة من حقبة سياسية تجاوزتها حركة التطور الاجتماعى والثورى ، ذلك « ان « الوسط » انما هو مملكة التعابير البرجوازية الصغيرة » وان ممثلية « اناس رتيبون ، فرضتهم علنية مهترئة ، وافسدهم جو البرلمانية ، ... الخ . موظفون اعتادوا المناصب الدافئة ، والعمل « المريح » وهم تاريخيا واقتصاديا لا يمثلون فئة خاصة ، بل

يمثلون فقط الانتقال من مرحلة ولت من مراحل الحركة العمالية ... الى المرحلة الجـديدة التى غـدت موضوعيا ضرورية منذ الحرب لامبريالية العالمية الأولى التى دشنت عهـد الثـورة الاجتماعية » . (لينين ، موضوعات نيسان ، دار التقـدم ، موسكو ، ص ٥٦ ، ٥٧) .

وكما شبه لينين الوسطية الاصلاحية بالمستنقع الذى لا تفـوح منه سوى الروائح العطنة الكريهة المزكمة للانوف ، فانه شبه اليساري الطفولية بالجرب الخبيث : « الجرب مرض مؤلم . وعندما يتملك جرب الجملة الثورية الناس ، فان مجرد مشاهدة هـذا المرض تتسبب بعذابات لا تطـاق .

فان الحقائق البسيطة الواضحة ، المفهومة الجلية ، التى تبـدو ثابتة لامراء فيها بالنسبة لكل ممثل عن الجماهير الكادحة ، انمـا يشوهها أولئك الذين أصيبوا بضرب من مرض الجرب المشار اليه آنفا . ولا يندر أن ينجم هـذا التشويه عن خـبرة الدوافع وأنباها وأسماها ، عن « مجرد » عـدم هضم بعض الحقائق النظرية ، أو عن ترديدها فى غير محلها بطريقة الأطفال الخرفاء ، بطريقة التلاميذة غير الواعية (فان هؤلاء القوم ، كما يقال ، « لا يعرفون كوعهم من بوعهم ») ، ولكن الجرب لا يكف من جراء ذلك عن أن يكون جربا خبيثا » .

ونبه لينين الى أن مرض الجملة الثورية لم يقـد الى غيرها هلاك الثورة . (لينين ، بصـدد الجملة الثورية ، دار التقـدم ، موسكو ، ص ٣٦ ، ٣٧) .

لقـد أوضح مجرى العملية الثورية فى العالم أن ثورية البرجوازية الصغيرة تضعف وتتلاشى كلما ارتقت هـذه العملية درجة أعلى ، وكلما ظهرت فى ميدان النضال قـوة اجتماعية أكثر ثورية ، وأعظم فاعلية ، ففى الثورات البرجوازية الكبرى التى عرفها الغرب ، وعلى رأسـها

الثورة الفرنسية ، كانت البرجوازية الصغيرة ومثقفوها هي قائدة الزحف ، وصانعة التاريخ ، وان كانت لم تستطع الاحتفاظ بالسلطة ، حيث سقطت — في آخر الأمر — في يد البرجوازية الكبيرة وحلفائها من ملاك الأرض المتبرجزين . وعندما اقتحمت البروليتاريا معترك النضال بحيوية ثورية وهمة نضالية غير مسبوقتين خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر أصاب البرجوازية الصغيرة الذعر ، وتراجعت ثوريتها الى الوراء ، وولت وجهها شطر البرجوازية الكبيرة . وعندما أمسكت البروليتاريا الروسية بزمام المبادرة التاريخية وفجرت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عام ١٩١٧ ، فان جميع ممثلي البرجوازية الصغيرة ، حتى أولئك الذين رفعوا رايات الماركسية منهم والذين ارتدوا عنها عمليا ، وناصبوا الثورة العداء ، أصبحوا مجرد أعوان للبرجوازية .

وكما كتب لينين فان « البرجوازية هي فعلا قوة طبقية تسيطر حتما في النظام الرأسمالي سواء في بلد ملكي ، أم في أرقى الجمهوريات ديمقراطية ، وتتمتع حتما أيضا بمساندة البرجوازية العالمية ، في حين أن البرجوازية الصغيرة — أي جميع أبطال الاممية الثانية والاممية « الثانية والنصف » — لا يمكن لها أن تكون ، بحكم جوهر القضية الاقتصادية ، الا تعبيرا عن العجز الطبقي . ومن هنا تردد البرجوازية الصغيرة ، وجملها الطنانة الفارغة ، وهزالها . في عام ١٧٨٩ كان لا يزال في مستطاع البرجوازيين الصغار أن يكونوا ثوريين كبارا ، وفي عام ١٨٤٨ كانوا مدعاة للسخر والشفقة ، وفي ١٩١٧ — ١٩٢١ غدوا أعوانا للرجعية يثيرون الاشمئزاز وخدما سافرين لها بحكم دورهم الحقيقي سواء كانوا يسمونهم تشيرنوف ، أو مارتوف ، أو كاوتسكي أو ماكدونالد ، ... الخ ... الخ » (لينين ، المختارات في ثلاثة مجلدات ، المجلد ٣ ، الجزء ٢ ، دار التقدم ، مسكو ، ص ٢١٨ — ٢١٩) .

وما حدث في الغرب حدث ما يشبهه في الشرق [illegible]

الفارق ، فلقد لعبت البرجوازية الصغيرة أدوارا ثورية بارزة وقيادية فى حركات التحرر الوطنى وفى اقامة الأنظمة الوطنية المستقلة ، وفى تجديد المجتمع • غير انه ما دامت تلوح أمامها راية قوى اجتماعية وسياسية اكثر ثورية ، وابعد همة ، واعظم طموحا — راية جماهير العمال والفلاحين الفقراء والمثقفين الاشتراكيين العلميين — حتى سارعت الى تمزيق هذه الراية او طيها أو حجبها عن الأنظار • وحتى لا تبقى فى الساح سوى رايتها التى على الجميع الانضواء تحتها •

والآن البرجوازية الصغيرة لا تستطيع أن تقيم تشكيلة اجتماعية « صغيرة » ولان الانتاج الصغير لابد له أن ينمو ويكبر ويتسع ، مهما اتخذ من اجراءات ضد الرأسمالية الكبيرة وحتى المتوسطة ، ولانه لابد للبرجوازية الصغيرة من حلفاء يسندونها فى السلطة حتى تتوازن فيها ، ولانها حجبت عن القوى الاجتماعية والسياسية الأكثر ثورية وجذرية حق التنظيم الحزبى المستقل ، أو حرمتها من حرية الحركة السياسية النشيطة والفعالة ، ورفضت اقامة تحالف جماهيرى منظم وديمقراطى وفعال معها ، يتيح لهما المشاركة السياسية ليس فحسب فى الدفاع عن النظام ، وانما أيضا المشاركة فى السلطة واتخاذ القرار السياسى ، لذلك كله فانه كان لابد أن يسقط حكم البرجوازية الصغيرة وان يعتلى دست السلطة الحليف البرجوازى الأكبر الذى تكون ونما فى ظلها ، والمتمثل فى البيروقراطية العسكرية والمدنية — أى فى الطبقة الجديدة — وفى تلك الأوساط من البرجوازية القديمة التى قبعت فى الظل بعض الوقت ، والتى أخذت تنسج الخيوط وتتآمر مع الطبقة الجديدة حتى أتيح لهما معا الانقضاض على السلطة واعادة عقارب الساعة الى الوراء •

ليس هناك موقف وسط ، وليس هناك خيار ثالث من أجل تحقيق استراتيجية الثورة الوطنية الديمقراطية فى التحرر السياسى والاقتصادى

والعسكرى والثقافى • وفى التوحـد الوطنى والقومى ، وفى التقـدم الاجتماعى ، وفى الحرية السياسية ، اما أن تذهب البرجوازية الصغيرة مـع البرجوازية الكبيرة والطفيلية والبيروقراطية وتذهب سـلطاتها فى آخر الأمر ، أو أن تذهب مع جماهير العمال والفلاحين الفقراء وممثليهم الطبقيين ، وتضمن لنفسها مكانة اجتماعية ودورا تاريخيا •

والقبول بالخيار الأخير يعنى أن البرجوازية الصغيرة قـد وعت وعيا جيدا أن الطريق أمامها وحـدها مسدود ، وان الطريق الوحيد المفتوح تاريخيا هـو طريق السير بالثورة الوطنية الديمقراطية الى النهاية ، وتحويلها من ثم الى ثورة اشتراكية •

لقـد مضت بالفعل أقسام من هـذه البرجوازية فى هـذا الطريق • وبالذات تلك الأقسام الديمقراطية الثورية الطليعية التى تفتحت على الفكر الاشتراكى العلمى واسترشدت به •

واليمن الديمقراطية تستطيع أن تقدم نموذجا حيا وملهما فى هذا الصدد • وفى طريق انجاز كامل أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية ، طريق التحرر الوطنى والاجتماعى والديمقراطى والوحدة اليمنية التقدمية — فى هـذا الطريق يقودها اليوم حزب الاشتراكية العلمية ، والاممية البروليتارية ، الحزب الاشتراكى اليمنى الذى بقيامه اقتحمت الثورة بالفعل آفاق التوجـه الاشتراكى •

ولامكان للمنظمات الجماهيرية والمهنية والابداعية ولكل المثقفين والأدباء والكتاب والصحفيين والفنانين والرسامين وكل مواطن شريف خارج هـذه المسيرة التاريخية الثورية الزاحفة المنطلقة الظافرة التى لا قبل لأحـد بمقاومتها ، أو تضليلها ، أو حرفها عن مجراها ، أو التعتيم والتشويش عليها •

وكما جاء فى افتتاحية مجلة (أدب ونقـد) التى يصـدرها (حزب التجمـع الوطنى التقـدمى الوحـدوى) فى مصر ، فان على المثقفين الثوريين خاصة أن يكونوا رسل الثقافة الرفيعة « وأن يكون دورهم ايجابيا ، فلا يشاركون فى تعمية ، ولا يتحولون الى أدوات للزيف ، وشعارات للتمويه ، فمن العيب جـدا أن يبقى كاتب شريف عضـوا فى اتحاد للكتاب لا يتبنى قضية جادة ، ولا يدعم موقف كاتب مناضل . ولا يعرف له أحـد نشاطا ؟ وان يبقوا على الحياد فى معركتنا السياسية وأى اصلاح يبدأ منها ويجيىء تابعا لهـا .

وان ادعاء الاستقلالية هنا لون من الانتهازية ، لا نرضاه لهم ، ولا يرضونه لأنفسهم » . (العـدد ٦ أغسطس ١٩٨٤) .

الحلقـة المفقـودة والمركزية

التي مسكت بهـا الثـورة

في اليمـــن الديمقراطية(*)

عند البحث والتنقيب عن السبب العميـــق — بين مجموعة من الأسباب — في فشل أو اجهاض أو انتكاس العـديد من الثورات الوطنية الديمقراطية التي شهدها « العالم الثالث » الممتد من آسيا الى أفريقيا الى أمريكا اللاتينية سيتضح أن هناك « حلقة مفقودة » لم تعثر عليهـا أو عجزت عن الامساك بها هـذه الثورات ، ممـا أدى الى فقـدانها السلسلة كلهـا .

فلقـد أمكن لهـذه الثورات أن تخرج جحافـــل المستعمر من بلدانها ، وأن تنتزع استقلالها السياسي ، وتحقق سيادتها الوطنية . كما أمكنها أن توجـه ضربات موجعة الى ركائزه المحلية ، الاقطاعية وشبه الاقطاعية والكومبرادورية ، وان تحـدث تحـولات اقتصادية واجتماعية وثقافية عظيمة ، وان تقيم دولا وطنية ديمقراطية متحررة ، وأن تنشيء علاقات متعـددة الجوانب مـع أقسام عـديدة من قـوى

(*) نشرت في « الثوري » في ١٩٨٥/٤/١٣ .

التحرر والتقــدم والاشتراكية فى العالم ، وخاصه مع بلدان المنظومة الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى •

وانجبت هــذه الثورات قيادات تاريخية ضخمة من أمثال نهرو ، سوكارنو ، جمال عبد الناصر ، نيكروما ، سيكوتورى •

ومع ذلك فانه لم يقــدر لهــذه الثورات أن تمضى الى الامام ، بحيث تنجز كامل أهــداف الثورة الوطنية الديمقراطية ، وتضع أقدامها من ثم على عتبة التوجه الاشتراكى •

بل ان هــذه الثورات لم تستطع حتى الحفاظ على ما حققته من منجزات وما أحــدثته من تحولات •

فعبر المسيرة الثورية تكونت لبعض قــوى الثورة مصالح ، وتمكن منهم حب السلطة ، وتحولوا الى « طبقة جــديدة » لا هى مع العودة الى المــاضى ، ولا مع المضى نحو المستقبل ، طبقة هى أقرب الى أن تكون فئة مقفلة على نفسها ، محكومة بشروط حياتها الجــديدة ، معزولة عن حياة ومصالح جماهير الشعب العريضة •

وبحكم تواجــدها فى مختلف مؤسسات الدولة ، وهيمنتها على مواقع حساسة فيها ، وتحكمها فى مختلف المنظمات الجماهيرية ، ناهيك عن تحكمها فى حزب النظام الذى غالبا ما يكون تجمعا هلاميا لا تجانس فيه ، ولا هــوية محــددة لــه — لذلك كله فانه كان دائما من السهل على هــذه الفئة لا أن تحتوى الثورة فحسب ، ولا أن تفرغهــا من محتواها فقط ، وانما أيضا أن تنقلب عليها وعلى قيــاداتها التاريخية العملاقة — ســواء فى حياتهم أو بعــد وفاتهم — وان تدفع ببلدانها فى طريق التطور الرأسمالى ، طريق التبعية الكاملة للرأسمالية الامبريالى ، طريق القمع الطبقى ، والقهر الاستعمارى •

غير أن الجناح الديمقراطى الثورى ليس بدون مسئولية عما آلت اليه الثورية . فعدم امساكه بقضية الثورة بكلتا اليدين . وعدم استخدم بها خطوات ابعد الى الامام . وعدم فرزه قوى الثورة من قوى الثورة المضادة ، وعدم تكتيل قوى الثورة فى جبهة شعبية عريضة ، وعدم بلورة طليعة حزبية قيادية من بين صفوفها . وعدم استرشاده . برؤية اجتماعية ثورية علمية متماسكة ، وعدم تمتين تحالفه مع قوى التحرر والتقدم والاشتراكية فى العالم ، واولا وقبل كل شىء مع معقل الثورة البروليتارية السامق : المنظومة الاشتراكية . وفى مقدمتها حصنها الحصين : الاتحاد السوفيتى . . كل ذلك مثل السبب العميق والأخير فى انتكاس هذه الثورات .

تلك هى الحلقة المفقودة التى عجزت عن العثور عليها وعن الامساك بها الثورات الوطنية الديمقراطية فى كثير من البلدان النامية . وهذه الحلقة المفقودة كانت هى ذاتها الحلقة المركزية فى السلسلة التى يعنى الامساك بها الامساك بالسلسلة كلها — كما قال لينين — .

ان غياب الحلقة المفقودة .. فقدان الحلقة المركزية .. قد ادى الى العجز عن السيطرة على السلسلة كلها ، الى العجز عن الحفاظ على الثورة ذاتها . ناهيك عن التحكم فى حركتها وفى مسارها الاجتماعى . ومنحاها التاريخى .

وكان من شأن ذلك كله أن يؤدى الى حركة الارتدادالثورى التى اتخذت ابعادا وأشكالا متباينة ، وفقا لعلاقات القوى داخل كل بلد .

وتبرز الثورة فى اليمن الديمقراطية كواحدة من الثورات الريادية التى عرفت كيف تمسك بهذه الحلقة المفقودة ، بهذه الحلقة المركزية فى السلسلة .

ومن هنا كانت قدرتها على التغلب على المعضلات والعقبات التى اعترضت سبيلها •

على أن مما تفردت به الثورة فى اليمن الديمقراطية هو تغلبها على التجنحات اليمينية و « اليسارية » ، وهو أمر لا تخلو منه التجارب الثورية ، وتناضل ضده دون هوادة •

وبذلك برهنت هذه الثورة على مدى اصالتها وحيويتها وفرادتها بين مجمل الثورات العربية التى لم تعان من غير داء واحد هو داء اليمين ، ومع ذلك لم يتمكن معظمها حتى الآن من استئصاله أو معالجته •

فيم تجلت الحلقة المفقودة فى اليمن الديمقراطية ، وكيف أمكنت السيطرة عليها ، وأمكن من ثم تأمين السيطرة على مجمل المسيرة الثورية ، والمضى بها قدما الى الامام ، وازاحة كل ما اعترض سبيلها من عراقيل ؟

كانت الجبهة القومية التى فجرت ثورة ١٤ أكتوبر وقادتها أقرب ما تكون الى جبهة شعبية عريضة تضم مناضلين من المدينة والريف وثوارا من مختلف الطبقات والفئات المقهورة ، بدءا من العمال ، مرورا بالفلاحين وانتهاء بالبرجوازية الصغيرة والوسطى ، هذه الطبقات والفئات التى وحدتها قضية تحرير الوطن من المستعمر الدخيل وركائزه من السلاطين والمستوزرين ومن مجمل الطبقة الاقطاعية والقوى الكومبرادورية الدائرة فى فلكه ، كما وحدتها قضية الدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر فى شمال الوطن ، وقضية توحيد التراب والشعب اليمنى فى ظل جمهورية وطنية متحررة متقدمة •

وحول الجبهة القومية التقت خيرة أبناء الشعب والصفوة المجربة من مثقفيه • وبفضل ذلك — وفضل الدعم العربى والتقدمى — أمكن

الجبهة القومية أن تقدم نفسها كأصدق وأقوى ممثل لمصالح ومطامح الشعب في التحرر والتقدم والوحدة .

وحتى عندما انتقل الدعم العربي الى صف « جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل » التي صنعتها المخابرات المصرية ، بغية احتواء الثورة وتطويعها لمخططاتها المريبة ، كانت الجبهة القومية قد غدت قطب الرحى في ساحة الصراع ، وكانت قد فازت بثقة جماهير الشعب العريضة مما صعب معه زحزحتها من الطريق .

وهكذا بفضل ثقلها الجماهيري المرجح ، ووقوف القوى الثورية الأخرى المنظمة وغير المنظمة الى جانبها ، أمكن للجبهة القومية أن تقود ثورة التحرير حتى الظفر بالاستقلال الوطني .

وعبر مرحلة التحرر الوطني كان الصف القيادي الثاني في الجبهة القومية قد تعمق لديه الاحساس بمعاناة الشعب ، وتبلورت أمامه اكثر مصالحه الجذرية . وأتيح له الاطلاع على بعض التجارب الثورية الرائدة في العالم النامي ، وخاصة التجربة الثورية الكوبية .

ولذلك فان الصف القيادي الأول الذي امسك بمقاليد السلطة الأساسية في الدولة الفتية . والذي أراد ادخال بعض الاصلاحات الليبرالية المحدودة ، ودفع البلاد في طريق التوجه الرأسمالي بالاستعانة بالاحتياطي الاستعماري في الجيش والبوليس والادارة ، وربطها من ثم بعجلة الاستعمار الجديد . هذا الصف اليميني الحاكم من الجبهة القومية لم يستطع حرف المسيرة الثورية في الاتجاه الذي يريد .

وكانت تصفيته بحركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ التصحيحية برهانا جليا على أن التيار الغالب في الجبهة القومية هو التيار الديمقراطي الثوري

ذو التطلع الاشتراكى ، والمدعوم بقوة من كل الاشتراكيين المنظمين وغير المنظمين •

وبابرام اتفاق ٥ فبراير ١٩٧٥ وقيام التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية فى أكتوبر من ذات العام على أساسه • هذا التنظيم الذى ضم الى جانب الجبهة القومية الاتحاد الشعبى الديمقراطى وحزب الطليعة الشعبية ، بذلك لم تتسع فحسب الجبهة الشعبية المنظمة التى تعتمد عليها الثورة ، وانما تحققت خطوة انتقالية بالغة الأهمية فى اتجاه اقامة حزب طليعى فى البلاد يكفل السير بالثورة الوطنية الديمقراطية حتى النهاية ، وتحويلها من ثم الى ثورة اشتراكية •

ولان التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية كان قد غدا حصنا منيعا لقوى الثورة — رغم الصعاب التى مر بها — فانه لم يكن من السهل اختراقه أو حتى النيل منه •

وبذلك فتح الطريق لاقامة الحزب الطليعى ، حزب الطبقة العاملة ، حزب الشغيلة ، الحزب الاشتراكى اليمنى الذى أعلن عن قيامه فى أكتوبر من ذات العام •

وبقيام مثل هذا الحزب أخذت تتوفر الشروط الذاتية والسياسية ليس فقط لانجاز كامل مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، وانما أيضا للسير فى طريق التوجه الاشتراكى ، ولانضاج العوامل الموضوعية اللازمة لبناء الاشتراكية •

وبقيامه تبلور وتجسد النزوع الوطنى الوحدوى المستند — كما جاء فى برنامج الحزب — « على الموقف الأيديولوجى والطبقى الواضح » كما تجلى المنحى الوحدوى العربى القائم على التحالف مع « حركة الثورة العربية » وتجلى كذلك انتماؤه الوحدوى الاممى الذى يجعل

منه فصيلا فى جحفل الثورة العالمية . « وهــو فى نفس الوقت وحــدوى على الصعيد الاممى . ويناضل مــع شغيلة وكادحى شعوب العــالم فى حركة الثورة العالمية ضد الامبريالية والصهيونية والفاشية والعنصرية . ومن اجل التقــدم والديمقراطية والاشتراكية والسلم فى العالم » كما ينص برنامج الحزب ايضا . (ص ٣٣ ، ٣٤) .

من ذلك كله يتضح أن قيام الحزب الاشتراكى اليمنى كان تحولا كيفيا لتراكمات كمية سبقته برزت أكثر ما برزت بعــد قيام ثورة ١٤ أكتوبر وبعــد تكون الجبهة القومية ، وانه كان الذروة العليا فى التطور الذاتى لقوى الثورة اليمنية . وانه كان أكمل وأنضج تعبير عن الحلقة المفقودة والمركزية التى امسكت بها الثورة ، وكان من ثم برهانا قاطعا على مدى اصالتها وفرادتها وقــدرتها على أن تكون مثلا رياديا يقتدى به .

القسم الثالث

حـــول أحـــداث ١٣ ينـــاير ١٩٨٦
واستمرار التجـــربة الثورية
فى اليمـــن الديمقراطية



مؤامرة ١٣ ينـــاير ١٩٨٦

والعبرة المستخلصة منها(*)

معروفة المقـــولة الليلنينية القائلة بأنه فى حزب الطبقـــة العـــاملة لا مجـــال لغير الوحـــدة الفكرية والتنظيمية الصارمة والحـــديدية ، وأنه وان وجـــدت ألوان وظلال ورؤى متنوعة حول هـــذه القضية او تلك ، فانها تظـــل محكومة بهـــذه الوحـــدة الأيديولوجية والتنظيمية الراسخة والصلدة •

ولعلنا فى كل ما كتبناه كنا نتوخى هـــذه المقولة اللينينية •

ذلك يعنى أن أى خروج على وحـــدة الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية تحت أى ذريعة كانت ، والاحتكام الى السلاح فى حـــل القضايا الخلافية ، هـــو تخل كامل عن نهج الطبقة العاملة ، وعـــودة الى نهج البرجوازية •

وكان الظن أن هـــذه المسألة المبدئية قـــد غـــدت من الأمور المسلم بها فى حزب طليعى كالحزب الاشتراكى اليمنى • لا سيما وأن هنـــاك

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ اكتوبر » فى ١٩٨٦/٢/١٤ •

قرارا صريحا اتخـذه المكتب السياسى للحزب يخون فيه أى عضو فيه يلجـأ الى السلاح فى حل الخلاف الداخلى فى الحزب •

وكما قال الرفيق سالم صالح محمد الأمين العام المساعد للحزب الاشتراكى اليمنى سكرتير اللجنة المركزية فى المؤتمر الصحفى الذى حضره مراسلو الصحف والمجلات الأجنبية :

« فلو رأى على ناصر — على سبيل المثال — أن هناك خلافا فى المكتب السياسى ، كان بامكانه طرح أسباب الخلاف على اللجنة المركزية واشراكها فى طرح التصورات لحل تلك الخلافات ، ولكنه فضل الأسلوب الخيانى والتآمرى باستعمال القوة واللجوء الى السلاح • رغم قرار المكتب السياسى فى يوليـو ١٩٨٥ ، الذى ينص على أن من لجـأ الى السلاح أو يهـدد به ، يعتبر خائنا للوطن وفى تعـداد الثورة المضادة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ٤—٢—١٩٨٦) •

ولعلى كنت واحـدا من أبناء هـذا الشعب الذين لم يتصوروا قط أن يحـدث فى اليمن الديمقراطية — البلـد المثال والنموذج من حيث الأمن والأستقرار وطبيعة النظام والحزب الطليعى القائد — ان يحـدث فيها ما حـدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ •

كان أمرا مذهلا ، وفوق الاحتمال ، وأبعـد من الخيال ما فوجىء به الناس فى هـذا اليوم المشؤوم •

اذن فقـد وقعت الواقعة ، وزلزلت الأرض زلزالها ، وقال الناس مالها ؟ أعلى قمـة مسئولة فى الحزب والدولة تتصرف بدون مسئولية • تصـدر أحكاما بالموت على المخالفين لها فى الرأى فى قمـة الحزب والدولة ، وتتسبب فى زج البلاد فى حرب أهلية طاحنة ضروس سـقط خلالها آلاف القتلى والجرحى ، وهـدمت فيها منشآت ومؤسسات ،

وعم الخراب والدمار حتى بيوت الناس الخاصة ، وكادت نيران خزانات البترول والذخيرة المحترقة أن تلتهم عــدن بمن وبما فيها ، وشمل الرعب والهلع جميع الأهلين ، وانفتحت شهوة قــوى الاستعمار والرجعيــة فى محاولة لابتلاع النظــام الديمقراطى الثورى الذى بدا لهم أنه غــدا الآن فريسة سهلة الهضم .

عندما سألنى بعض الرفاق المسئولين فى لحظات كنت أشعر فيهــا بقــدر لاحــد له من المرارة تكاد تخنق الحلق لهول ما حــدث عن رأيى فى يناير ١٣ يناير كان فحــوى جــوابى : ولكن ما حقيقة ما جرى ؟ ما الذى أشعل الحريق ؟ ومن أضرم نيران الحرب ؟ ان من فعل ذلك فهــو مدان ، أيا كان .

لقــد قلت ذلك ولم أكن — بفعل عملية تعبئة مركزة بأن شــيئا ما سيحدث ضــد الأمين العام وضــد الشرعية الحزبيه والدستورية من أساسها — لم أكن قــد تحررت تماما من تأثير البيان الأول الذى كاد يخــدع الكثير من أمثالى من ذوى النيات الحسنة ، بل وكاد يخــدع دولا شقيقة وصــديقة ، هــذا البيان الذى صور بأن انقــلابا قــد حــدث بالفعل ضــد الشرعية الحزبية والدستورية ، تعرض خلاله أمين عام اللجنة المركزية ورئيس هيئة الرئاسة على ناصر محمــد لمحــاولة اغتيال ، وان المكتب السياسى قــد أصــدر حكما بالاعــدام على مدبرى الانقلاب ومحاولة الاغتيال هــذه ... الخ .

على أنه ما لبثت الخــديعة الكبرى للرأى العام اليمنى والعربى والعالمى ان انكشفت ، وما لبثت الحقيقة الساطعة أن تجلت : ان ما حدث هــو العكس تماما . لقــد كان الذى قاد الانقلاب ضــــد الشرعية الحزبية والدستورية ودبر عملية الاغتيال لأعضاء فى المكتب السياسى هــو الرجل الأول فى الحزب والدولة !!

أن تجلى هـذه الحقيقة لعب دورا أساسيا فى قلب موازين القوى وفى ارباك مدبرى هـذا الانقلاب الدموى ، وفى نزع المصداقية عنهم أمام الرأى العام اليمنى والعربى والعالمى ، وفى تحول حتى المتعاطفين معهم داخليا وخارجيا — تحولهم ضـدهم ، وفى ارتعاش الأيدى التى حملت السلاح الى جانبهم ، وفى القائه آخر الأمر ، وفى الاعتراف بأنه غرر بهم .

وقـد نكتشف غـدا أنه ليس كل من أحاط بعلى ناصر أو تعاطف معه بصفته الحزبية والرسمية كان على علم بأنه سيصبح على رؤية مشهد مروع من الدم ، وبأن كارثة وطنية ستحل بالبلاد .

وعـدا الفئة التى غزلت خيوط المؤامرة ونفـذت الانقلاب الدموى والقت البلاد فى قعر فتنة عمياء ، وأغرقت الشعب والحزب والجيش والأمن والميليشيا فى بحر من الدم ، فانه ليس هناك من لم يرفع عقيرته بالأدانة الحازمة لهـذا العمل الدموى الشائن والفظيع ، بل أنه لا يمكن تصور أن يكون هناك وطنى حقيقى فى هـذا البلد لا يشجب بقـوة هـذه الجريمة الوطنية التى ارتكبت فى حـق الشعب والحزب .

قليلة هى الأوطان التى تعرضت لمثـل ما تعرضت لـه اليمن الديمقراطية من محنة مطبقة الانحاء كان يمـكن أن تعصف بنظامها التقـدمى ، وثورتها الديمقراطية ، وحزبها الطليعى ، وأن تدمر وحدتها الوطنية ، وعلاقاتها القومية والاممية والعالمية وأن تحكم على دولتهـا الفتية بالزوال .

غير أن اليمن الديمقراطية التى عركتها الخطوب ، وأنضجتها نيران المعارك التى خاضتها منذ اندلاع ثورتها المقـدامة ، ثورة ١٤ أكتوبر والتى تعودت على اجتياز كل عقبة انتصبت فى طريقها ، وتصحيح كل اعوجاج طرأ على خطها النضالى ، وتمكنت من ثم من القيام بحركة ٢٢

يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ أقصت بها اليمين الانتهازى ، ومن التغلب على اليسار الانتهازى بهبتها الثورية فى ٢٦ يونيو ١٩٧٨ — اليمن الديمقراطية هذه أمكن لها — بفضل هذا الرصيد النضالى الضخم وبفضل امتلاكها الحزب القائد لمسيرتها الكفاحية . الحزب الاشتراكى اليمنى — أن تقهر مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ الانقلابية الدموية التى حتى بصبغتها الدموية هذه اتخذت طابعا يمينيا واضحا .

ان أى حزب طليعى اشتراكى علمى — أيا كان رايه سابقا فى على ناصر وزمرته التى تلوثت أيديها بالفعل بدماء الحزب والشعب والجيش وتسببت فى الدمار الشامل الذى لحق بالممتلكات العامة والخاصة — لا يمكن له الا أن يستنكر بقوة هذه الفعلة النكراء ، وهذه الجريمة الشنعاء .

ومن هنا تتابع اعلان الدول الشقيقة والصديقة . وفى مقدمتها الدول الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، لتضامنها مع الحزب الاشتراكى اليمنى بقيادته الجماعية وتأكيدها الوقوف الى جانبه ضد أى تدخل خارجى رجعى — استعمارى فى شئونها الداخلية أو محاولة المساس بسيادتها الوطنية واستقلالها السياسى وخيارها الثورى .

حقا كانت الخسارة فادحة وغير مسبوقة . ولكنها ربما كانت ضريبة غالية كان على الثورة أن تدفعها حتى لا يفكر أحد بعد ذلك فى أنه يمكن أن يفرض رأيه على هيئات الحزب والدولة بقوة السلاح وحتى يتأكد بشكل مطلق بأنه فى حزب طليعى اشتراكى علمى يقود بلاده فى طريق التوجه الاشتراكى وفى طريق تحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية لا بديل قط للمركزية الديمقراطية والقيادة الجماعية والنقد والنقد الذاتى ، وأنه من ثم لا مجال لاية نزعة انفرادية استعلائية تحكمية .

أن أيديولوجية ومبادىء الحزب الطليعى ، حزب الطبقة العاملة ، هى أعلى واكمل تجسيد للديمقراطية سواء الديمقراطية داخل الحزب أو الديمقراطية للشعب . وبالتالى فانه غير جائز ولا مقبول على الاطلاق اشهار او استخدام السلاح فى حزب كهـذا لا ضـد احـد من أفراده وهيئاته — أيا كانت الخلافات فيه — ولا ضـد الشعب .

ولكن يبدو ان هـذه المقولة النظرية الصحيحة التى لم تعد موضع جـدل فى أحزاب الطبقة العاملة العريقة كانت تحتاج — فى بلد نام كاليمن الديمقراطية — الى تعميدها بالدم ، والدم الغزير ، لتأكيد أن الخروج عليها مكلف جـدا وباهظ الثمن للغاية .

يمكن القـول أن النظام الديمقراطى الثورى فى هـذا الجزء من الوطن اليمنى قـد صمد صمودا منقطع النظير أمام امتحان خطير وغير مشهود جوبه به كما لم يجابه به أى نظام مماثل فى العالم النامى كله ، عالم آسـيا وأفريقيـا وأمريكا اللاتينية ، وأنه قـدم بذلك درسـا تاريخيا بليغا لابد أن تفيد منه كل الأحزاب الطليعية فى هـذا العالم .

وبعـد هـذا النصر المؤزر الذى حققه الحزب الاشتراكى اليمنى فانه ورغم كلفته الفادحة والباهظة لا مجال للبكاء على الاطلاق وللاغراق فى الحزن على الشهداء ، فما من بيت فى اليمن الديمقراطية الا وبكى حتى النحيب ، وحزن حزن الدهر كله .

يكفى الجميع : الشهداء والأحياء ، أنهم قـدموا لنظامهم التقدمى المتفرد فى المنطقة تضحيات عالية ومتفردة فى مجمـل منطقـة التحرر الوطنى .

ان المهمة الجوهرية الموضوعة أمام الحزب والشعب هى الانغمار بذات الهمة والعزم فى مضمار العمل السلمى والبناء : فى الانتهاء بسرعة من آثار هـذه العاصفة الهوجاء ، وفى اعادة ترميم وتعمير ما دمرته ،

وفى تعميق وتوطيـــد وحــدة الحزب والشعب والجيش والمؤسسات الأمنية والشعبية والمنظمات الجماهيرية ، وفى مواصلة تجـذير وتوسيع الديمقراطية الحزبية والشعبية ، وفى المضى قــدما فى طريق انجاز كامل مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ــ بما فى ذلك النضال الدائب من أجل تحقيق الوحــدة اليمنية على أسس سلمية وديمقراطية ــ وأولا وقبل كل شىء تعزيز استقلال وسيادي البلاد والتصدى لكل محاولة للتطاول عليهــا •

ان شروط انجاز هــذه المهمة التاريخية كاملة غير منقوصة والتقدم فى ذات الوقت فى طريق التوجه الاشتراكى كانت وما تزال متوافرة • فهناك الحزب الطليعى القائد لهذه المسيرة الذى لم تزده المحنة الاصلابة وقــوة وقــدرة على الاضطلاع بمسئوليته التاريخية هــذه • وهناك الجماهير الشعبية ــ وعلى رأسها العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون ــ المندمجة فيه والملتفة من حوله • وهناك قــوى الثورة العالمية وفى مقــدمتها المنظومة الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى •

ان تطبيع الأوضــا الداخليــة ، وسيادة الأمن والاستقرار من جــديد ، والحيلولة دون أى مظهر من مظاهر الفــوضى والتخريب والتجاوز ، وانعقاد دورة اللجنـــة المركزية الاعتيادية الثالثـــة فى ٦ــ٢ــ١٩٨٦ ، وانتخابها أمينا عاما وأمينا عاما مساعدا وأعضــــاء اضافيين للمكتب السياسى ، وسد الثغرات الشاغرة فى بنيان الحــزب والدولة ــ ان كل ذلك يمثل المدخـــل الطبيعى للنهوض بمهمة الحزب المركزية والجوهرية هــذه •

فلتكن مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ التى تورط فيها على نصر محمــد وزمرته آخر المؤامرات •

ولتكن درسا بليغا ، وعبرة تاريخية •

ولترتفع راية الحزب الاشتراكى اليمنى الى ذرى أكثر عــلوا وسموا •

وليظل النظام النظام الديمقراطى فى جنوب الوطن نبراســـا وهاجا لكل حركات التحرر والتقــدم فى المنطقة •

تجربة الثــورة فى اليمــن الديمقراطية

نبض حى فى حبــل وريد

الثــورة العـــالمية(*)

رغم كل الشواهد والشهادات التى تؤكد أن اليمن الديمقراطيــة تمكنت ـــ وبسرعة قياسية ـــ من الخروج من دوامة مؤامرة ١٣ يناير وأخــذت تضمد جراحها ، وتراب الصــدع الذى أصيب به بنــاؤها الوطنى . وتعيد تعمير ما دمرته المؤامرة ، وتعمل على تصفية الآثار المــادية والنفسية التى خلفتها ، وتعــاود الوقــوف على أقــدامها ، وتستأنف سيرها التقــدمى ، وتثبت جسور التحالف مع قوى الثورة العربية والعالمية ، وتؤكد استمرارها فى التمسك بقضية الوحــدة اليمنية وبعلاقات حسن الجــوار وسياسة التعايش السلمى مــع الأنظمــة الاجتماعية الأخرى ، فى نفس الوقت الذى تواصل فيه نهجها الثورى المعادى للاستعمار والصهيونية والرجعية والعنصرية ، والمناصر لجميع حركات التحرر والتقــدم فى المنطقة وفى العالم ـــ رغم ذلك ما يزال الوضع فيها غير مفهــوم تماما من قبل بعض القــوى المؤمنة بقضــية التقـــدم .

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ اكتوبر » فى ١٩٨٦/٩/٨ .

وما من شك أن ما تبقى عالقا فى الأفق من سحب الزلزال المروع الذى ضرب اليمن الديمقراطية هــو السبب فى عـــدم تمكن مثل هــذه القوى من رؤية الوضع الحقيقى فيها بعـــد أن أفاقت من الصـــدمة ، ونهضت من هـــول الكارثة •

وهــذه الرؤية الضبابية أو الغـــائمة هى التى صورت لبعض الأقـــلام المعروفة بأن ما حـــدث فى اليمن الديمقراطية هـــو وأحـــد من الانهيارات المـــاساوية التى منيت بها الثورات العربية منذ نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وان نيزك الثورة اليمنية قـــد هوى أخيرا ، وان الوعد الذى بشرت به قـــد تحول الى برق خلب ، وأن تجربتها التى أريد لهـــا أن تكون طليعية ورائده فى المنطقة العربية كلها قـــد حال لونها وغرقت فى رمال الصحراء •

ووفق هـــذه الرؤية الضبابية والغائمة فان زمن الثورة فى اليمن الديمقراطية قـــد ولى ، وحل فيها « الزمن الردىء » الذى ساد ويسود الوطن العربى ، وتشابه الوضع فيها مع الوضع العربى العام الذى تمسك بخناقه الازمة ، وتطبق عليه المحنة ، ويلفه ليل النكسة •

هل لابد من ضرب الأمثال على مثل هـــذا النمط من الرؤى التى تضع اليمن الديمقراطية ضمن الدائرة السوداء المحيطة بالأقطـــار العربية ، المتحكمة فى أقـــدار شعوبها ؟

لعلنا نكتفى بنموذجين اثنين :

فهاهى الكاتبة الصحفية المصرية المعروفة أمينة النقاش تكتب فى عـــدد ٣٠ يوليو ١٩٨٦ من صحيفة الأهالى المصرية : « وتأتى زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلى للمغرب وسط مناخ عربى متدهور بشكل عام • ففى عـــدن اقتتل « الرفاق » وأغمد كل طرف من أطراف الصراع

خنجره فى ظهر الآخر . وانهارت تجربة الديمقراطية فى الكويت وتونس . وازدادت القبضة الأمريكية على مقـدرات السياسة المصرية فى أعقاب الأحـداث التى ترافقت وتلت خطف السفينة اكيلى لاورو . وزادت السياسة العـدوانية الاسرائيلية والأمريكية فى المنطقة بضرب مقـر منظمة التحرير فى تونس وضرب ليبيا والعـدوان عليها . وفشلت كل محاولات ايقاف الحرب الأهلية واحلال الوفاق الوطنى فى لبنان . وساد التوتر والخصام أجـواء المغرب العربى .

وها هو الشاعر الفلسطينى الشهير محمود درويش يقول الشىء ذاته فى رسالة موجهة الى الشاعر الفلسطينى الشهير أيضا سميح القاسم نشرتها مجـلة « فلسطين الثـورة » فى عـدد ٩-٨-١٩٨٦ ، ويتساءل : « أما لآخر هـذا الليل من آخر ؟ . ما علينا الا ان نستعد لاستقبال ليل اشد حلكة ، فان قاع هـذه الهاوية ذات الشق المفتوح من طنجة الى عـدن لا نهاية له . لا نهاية مرئية له ، ولكن لمن الهـاوية يا عزيزى ، لمن الهاوية ؟ » .

ويضيف محمود درويش أن كل شىء فى الوطن العربى من مراكش الى اليمن الديمقراطية غـدا عـدما فى عـدم . غـدا خاويا من كل قيمة . فارغا من كل معنى ، فاقـدا الكل وزن ، وانه ليس هناك الا وهم وسراب وعبث ولا معقول ، بل ان اللامعقول ذاته تحول بفعل انعـدام العقل الى معقول . والى صنمية لا يملك الناس الا القبول بها . والركوع أمامها : « لقـد أجلسوا الوهم على قـدميه ، طوروا الوهم الى درجة الانتحار الذاتى . وحولوه الى صنم العبادة . هل بلغنا مرحلة اللامعقول ؟ كلا . لقـد تجاوزنا مرحلة اللامعقول بتحويله الى معقول الفنـاء وأدمناه . أنظر ، اذا كان فى وسعك بعـد أن تنظر ، الى فردوس الصمت الممتد من طنجة الى عـدن .. واضحون كالفضيحة ، متساوون كالرمال . حكماء كالعبيد وبلا قناع فى مسرح العبث المفتوح بلا قناع » .

ويشدد درويش فى أكثر من فقرة من رســـالته أنه لا ينتظر من صــديقه الشاعر جوابا عليه ، اذ لا جــواب عليه ، اذ لا جواب هناك لدى أحــد ، ولا نجــدة يمكن انتظارها من أحــد لاستنقاذ الوضــع العربى مما هــو فيه من حال التردى وليس هناك أفق مفتوح ، وانمــا صحراء قاحلة مجــدبة لا خضرة فيها ولا ماء ، ولا طريق ، ولا أثر لأحد قط • « انى أطــل على صحراء » !!

هــذه اللوحــة القائمة المعتمة للوضع العربى من مشرقه الى مغربه والتى لا ترى فيها حتى نقطة بيضاء واحــدة ، والتى لا تترك لدى مطالعتها سوى الشعور بالتشاؤم والاحباط واليأس لا تعكس بالضرورة حقيقة الواقع العربى ، الذى يوجــد فيه الأبيض الى جانب الأســود وما عــداهما من ألوان الطيف ، وينتصب فيه الحق فى مواجهة الباطل ، والخير فى وجه الشر ، والجميل فى موازاة القبيح •

ذلك ما يقوله أيضا الشاعر الكبير سميح القاسم فى رائعته التى نشرتها له مجلة « أدب ونقــد » القاهرية فى عــدد يوليو ١٩٨٦ ، وكأنه يرد على صــديقه الشاعر :

« أجــل •• تتكاثر فى قاع نومى الافاعى ، أمد ذراعى الى كوكب فى الفضاء البعيد ، تهز البروق شرايين صــدرى ، وأصرخ ، لا ألمــا •• صرختى شارتى أننى لا أزال على الأرض جسما وحزنا ، أمد ذراعى وأصرخ من لوعــة ••

يا حبيبة عمرى نموت •• ولا لن نموت ••

أجــل •• جسدى أمة •• ويدى دولة •• وفمى ثورة •• وأصابع كفى •• مزارع •• أوردتى منشآت •• جبينى مصانع •• أنفى جسور ••وساقى شوارع •• أذنى مدارس •• عينى بيوت ••

وانى اموت .. ولا .. لن اموت .. » .

« دونوا يا رفاق :

أنادى بمائى فى تونس .. وفمى فى العراق .. وفى الشام ساقى الأخيرة .. وقلبى يخفق حيا وغضا هنالك تحت رمال الجزيرة ..

وزندى عرف البراق .. » .

« واعترف الآن :

قلبى قذيفة ! وكفى مالك .. وروحى نظيفة .. وحزنى قبيح .. وصبرى جميل ..

ويقتلنى الصمت .. ماذا أقـول ؟

ويقتلنى القـول .. ماذا اقــول ؟

« عبيد وقــد ملئوا ! » .

ما أقول : لعصفورة أرهقتها العواصف .. والصل فى العش .. والنار تحلق وجه الحقول ؟

« عبيد وقــد ملئوا ! » .

ما اقــول : لطفل يتيم .. وطفل قتيل .

« عبيد وقــد ملئوا ! » .

ما أقــول : لعمرى القصير .. وليلى الطويل » .

« حرام على السقوط تباعا على باب أسئلتى ، وحرام على طعامى ومائى اذا لم ارمم تضاريس وجهى ولم استعد شعلة الكبرياء .

حرام على ترابى .. حرام على سمائى » .

واذا ما ابتعدنا عن لغة الشعر الى لغة النثر ، فاننا لن نبتعد عن الحقيقة . والحقيقة التى عاشها ولا يزال يعيشها الوطن العربى ان هناك ثورة تقابلها ثورة مضادة ، وان هناك قوى ثورية فى حالة اشتباك دائم ومتصل مع قوى رجعية — أيا كان شكل هذا الاشتباك وحجمه ومداه — وأن هناك أنظمة وطنية وأنظمة تابعة .

واليمن الديمقراطية كانت ولا تزال ليس نظاما وطنيا فقط ، وانما أيضا نظاما تقدميا ، نظاما لا يخشى عواقب ايمانه الصريح والعلنى بالفكر الاشتراكى العلمى الذى يرى فيه نبراسه الهادى الى المستقبل السعيد والوضاء .

وهى ، تجسيدا لهذا الايمان ، قد انشأت الحزب الاشتراكى اليمنى الذى يتبنى هذا الفكر ، ويعمل على تطبيقه وفق خصوصية الواقع اليمنى .

وهى ، انسجاما مع هذا الفكر ، قد رفضت لعبة الامساك بالعصا من وسطها ، وادارت ظهرها لأيديولوجية البرجوازية الصغيرة بكل تلاوينها ، وأطاحت بكل ممثليها ، ناهيك عن ممثلى أيديولوجية البرجوازية المتوسطة .

وهى ، بتبنيها لهذا الفكر الطبقى — الاممى ، لم تجسد فيه ما يشى بالتناقض بين ما هو وطنى وما هو أممى ، أو ما هو قومى وما هو أممى . فالمضطهدون الكادحون من العمال وحلفائهم لا يمكن أن يكونوا — رغم الانتماء الى شعوب وأمم مختلفة — الا اخوانا بحكم المصلحة الاجتماعية — الطبقية التى توحدهم ، والطموح الروحى الى الانعتاق من ربقة الظلم الاجتماعى والقومى الذ وطنى. الذى يجمع فيما بينهم .

وفى الوقت الذى تعـد فيه اليمن الديمقراطية بالسير على طريق التوجـه الاشتراكى ، وتعمل على تحقيق وحـدة وطنها اليمنى على أسس ديمقراطية وتدعـو فيه الى وحـدة العرب القومية على أسس تقـدمية ، فانها تناصر كل قضايا التحرر والتقـدم فى كل مكان ، وتؤكد فى الممارسة العملية صلتها الاممية الحميمة والوثيقـة بالبلـدان التى انتصرت فيها الطبقة العاملة ، وفى مقـدمتها وطن الاشتراكية الأول : الاتحاد السوفيتى •

ذلك ما أعلنته ومارسته اليمن الديمقراطية ، وما خاضت من أجله معارك طبقية ووطنية وأيديولوجية حاسمة ، تمكنت بها من أحباط كل محاولات التطاول على سيادتها الوطنية وخيارها التاريخى ، وتمكنت بها من التطويح باليمين الانتهازى واليسارى الانتهازى •

فعلام يستند اذن القول بأن الوضع فى اليمن الديمقراطية لم يعد يميزه شىء عن الأوضاع فى البلدان التقليدية أو الأوضاع فى البلدان التى ذهبت فيها الثورة ؟

أعلى ما حـدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ نتيجة لمؤامرة ١٣ يناير وما نجم عنه من أضرار مادية ومعنوية واجتماعية وسياسية ؟

ان ما حـدث كان عملية خروج على منطـق الشرعية الحزبية والدستورية ، حيث احتكم أحـد أطراف الصراع فى الحزب والدولة الى السلاح فى حل خلافه السياسى مـع الطرف الآخر ، وبذلك انفتح الباب واسعا أمام عملية صراع مسلح واسعة وهائلة كان يمكن أن تؤدى بالحزب والدولة والثورة ، وتفسح المجال لعملية تدخل خارجى تأتى على الأخضر واليابس ، وتسلم البلاد الى الاستعمار الجـديد وركائزه المحليـة •

أما لماذا لم يحدث ذلك — رغم التضحيات والخسائر والدمار والمآسى — فان ذلك يعود بالضبط الى أن نبض الثورة لم يتوقف — وما كان فى الامكان أن يتوقف — والى أن جذور نظامها التقدمى كانت قد غاصت فى باطن الأرض — وما كان من السهل اقتلاعها — والى أن مؤسسات الثورة الحزبية والرسمية والعسكرية والجماهيرية كانت قد ترسخت — وما كان يسيرا تحطيمها — ٠

وهذا الخروج على الشرعية الحزبية الدستورية بكل ما أدى اليه من أضرار بسمعة الحزب والنظام والتجربة الثورية ، وبكل ما عكسه من ظلال على أوضاع حركات التحرر والتقدم فى المنطقة العربية ، وبكل ما أحدثه من انزعاج وقلق لدى الحلفاء والشرفاء فى العالم كله ، وخاصة لدى المنظومة الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى — هذا الخروج قد لقى الشجب الصريح ، كما لقى التقييم الدقيق ، من قبل هؤلاء جميعا ٠

فوفد الأحزاب الشيوعية العربية الذى زار عدن ما بين ٩ — ١٥ يونيو ١٩٨٦ ، أكد فى البيان المشترك مع الحزب الاشتراكى اليمنى « ان الأحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان العربية ، وقد اطلعت على ما تعرض له الحزب الاشتراكى اليمنى والنظام الوطنى التقدمى فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى الثالث عشر من يناير ١٩٨٦ ، تشجب الأسلوب الدموى باستخدام السلاح لحل الخالفات الحزبية ، والذى ذهب ضحيته كوكبة من قادة الحزب الاشتراكى اليمنى ، وفى مقدمتهم الرفيق المناضل الشهيد عبد الفتاح اسماعيل ، وتعبر عن ألمها الشديد لما وقع ، اذ أنه لم يؤد فقط الى اضعاف الحزب الاشتراكى اليمنى ودوره البارز فى صفوف حركة التحرر الوطنى العربية فحسب ، بل واضعاف مواقع التقدم فى المنطقة بكاملها » صحيفة ١٤ أكتوبر ١٦—٦—١٩٨٦ م ٠

وجريدة « الازفستيا » الناطقة باسم الحكومة السوفيتية تنشر فى ٢٠-٧-١٩٨٦ مقــالا سياسيا هاما بمناسبة وصــول وفـد سوفيتى كبير فى ذات اليوم الى عـدن قالت فيه « وخلال الأعـوام الأخيرة لم يتحقق فى قيادة الحزب والدولة النضال المرجو بصدد تذليل النزعات السلبية التى نضجت فى الحزب الاشتراكى اليمنى ، وزادت تفاقما نتيجة لتجاهل مبادىء الروح الجماعية والديمقراطية الحزبيــة الداخلية وغلبة الصلات الشخصية والقبلية .

وفى يوم ١٣ كانون الثانى — يناير ١٩٨٦ تحــولت الخلافات فى القيادة الى محاولة للتخلص وفق الأساليب القسرية من قبل قسم من الشخصيات القيادية فى الحزب والدولة . وبالنتيجة وقعت اليمـــن الجنــوبية فى هــوة الازمة السياسية ، ودارت فى عــدن ومدن أخرى اصطدامات مسلحة قتلت أثناءها شخصيات بارزة بعضها أعضاء فى المكتب السياسى واللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى ، ولحق ضرر جسيم بمجال الانتاج المــادى والجيش . وهاجر بضعة ألوف من اليمانيين المغرر بهم والمضللين من البلاد وبشكل رئيسى الى اليمن الشمالية . وفر من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية أيضا على نصر محمد الذى كان على رأس الحزب والدولة » .

بل ان الصحيفة السوفيتية تذهب مدى أبعــد ، فهى لا تشجب أحــداث ١٣ يناير ١٩٨٦ فحسب وانما تدين أيضا الأوساط الاستعمارية والرجعية ، وعلى رأسها أوساط المخابرات الأمريكية ، التى تعمــدت تشويه حقيقة ما جرى وطمس أسبابه ، والنيل من النظام الديمقراطى الثورى نفسه ، اعرابا عن حنقها الشديد لان هــذه الأحــداث لم تؤد الى وأد التجربة الثورية ذاتها : « واستغلت قــوى الامبريالية والرجعية هــذه الأحــداث بمثابة الاشارة الى العمل لغرض التشهير بتجربة البناء التقــدمى فى اليمن الديمقراطية وتقويض النظام القائم هناك .

وشددت النبرة فى الحملة المعادية لليمن الديمقراطية الخـدمات الخاصة الأمريكية وشخصيا رئيس وكالة المخابرات المركزية كيسى الذى لم يدخر وسعا فى تشويه الأسباب الحقيقية وطابع ما يجرى فى اليمن الديمقراطية . ولهـذا ليس من الصـدفة أن واشنطن لم يكن بوسعها ستر خيبة الامل عند تكوين قيادة جـديدة للحزب والدولة وعـدم اعلان التراجع عن نهج البلاد المستقل والتقـدمى فى السياسة الداخلية والخارجية وتمسكها بمبادىء عـدم الانحياز والتضامن العربى » (نقلا عن وكالة أنباء عـدن ، ٢١ـ٧ـ١٩٨٦ م) .

ومثل هـذه الاشادة بسياسة التضامن الامى والتآزر القومى ، والتحالف الثورى ، والتعايش السلمى ، وحسن الجوار ، التى سـار عليها الحزب بدأب واستمرار بعـد الأحـداث تضمنها أيضـا بيـان الأحزاب الشيوعية الآنف الذكر : « وتشيد أحزابنا بالنهج السياسى الخـارجى للحزب الاشتراكى اليمنى وجمهورية اليمـن الديمقراطية الشعبية القائم على تعزيز أواصر الصـداقه مـع الاتحـاد السوفيتى وبلدان المنظومة الاشتراكية ومع الدول والنظم التقـدمية العربية ، والمستند الى علاقات التعاون مع دول المنطقة على أساس حسن الجوار واحترام السيادة وعـدم التدخل فى الشئون الداخليه واحترام رغبـة شعوب المنطقة فى اختيار تطورها والعمل على اخلاء المنطقة من كافـة أشكال التواجـد الامبريالى والنفوذ الاستعمارى ، ومن أجل سيطرة شعوبها على مقـدراتها وثرواتها الطبيعية والحفاظ على الأمن والاستقرار اللازمين لتقـدم وتطور بلدان وشعوب المنطقة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ١٦ـ٦ـ١٩٨٦ م) .

واذن فليست هناك لوحة حالكة السواد للوطن العربى ، ولا هاوية ذات شق مفتوح من طنجة الى عـدن ، وانما هناك معركة مفتوحة بين قـوى التقـدم وبين قـوى التأخر ، بين قـوى التحـــرر العربية

المسنودة من قبل قـوى الثورة العالمية ، وفى مقـدمتها بلدان المنظومة الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى ، وبين قـوى الرجعيـة والردة المدعـومة من قبـل كافة القـوى الامبرياليه ، وفى مقـدمتها الامبريالية الأمريكيه •

واليمن الديمقراطية ، وان كانت تشغل من الناحية الجغرافية موقعا من مواقع الأطراف فى بلاد العرب ، الا أنها من الناحيـة الثورية ، تجاسرت على أن تكون الرائد المكتشف لطريق العرب الى المستقبل •

والمعارك والمحن التى واجهتها وستواجهها تعود بالضبط الى هذا الدور الصعب الذى ندبت نفسها له ، وكلفت نفسها حمل أعبائه •

ولكن هـل لاقى الرواد والمكتشفون الجغرافيون والاجتماعيون والثوريون عموما سوى المصاعب والمتاعب غير المسبوقة قبل أن يصلوا الى بغيتهم ويحصلوا على لقب الاستحقاق كرواد ومكتشفين • ولكم خيبت اليمن الديمقراطية من ظنوا بها الظنون ، وتصوروا أنها جشمت نفسها عبئا ثقيلا ينوء به كاهلها ، وأرادت اقتحام العقبة وما ادراك ما العقبة ! عقبة التخلف التاريخى المهول ، وعقبة المؤامرات الداخليـة والخارجية المطبقة •

وعندما كانت اليمن الديمقراطية تقتحم فى سيرها النضالى المتصاعد والدائب منعطفا ثوريا جـديدا كانوا يتوهمون أو يأملون أن يتحـول الى منزلق ، وعندما كانت تقفز الى رأس حالق كانوا يعللون النفس بالمنى بأنها ستسقط منه لا محالة ، وعندما كان يسقط جناح فى التنظيم جناحا آخر كانوا يقولون : ها هى ثورتهم المراهقة تفقد أجنحتهـا جناحا بعـد آخر ، وبعـد حين لن تقـوى على التحليق ، ولن تملك الا الوقوع على الأرض ، حيث تنتظرها السكين !

ولكن اليمـن الديمقراطية كانت دائمـا تسقط المراهنـات تلـو المراهنات ، وتفسد جميع الحسابات والتكهنات ، وتنطلق من منعطف الى منعطف ، وتقفز من حالق الى حالق ، وتكتسب عبر تحليقها فى أفق الثورة ريشا جـديدا ، وقوادم جـديدة •

نعم •• ربما مرت باليمن الديمقراطية كوارث « يشيب من هولها الولدان » وتتكسر لهـا الظهور العصية ، كأحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ وما تلاها من حرب أهلية بدا أنها لن تبقى ولا تذر •• لا الحزب •• ولا الثورة •• ولا الجيش •• ولا الشعب ، وان كل ما أنجزته الثورة وكل ما قـدم من أجل الشعب سيتبدد هباء ، ويغـدو أثرا بعـد عين •

أن تخرج اليمن الديمقراطية من هول الكارثة ــ رغم كل ما خلفته من جراح وآلام ودمار ــ دون أن تفقـد نفسها ، وحزبها ، ونظامها وثورتها ، وجيشها ، وشعبها ، فان ذلك هـو البرهان الذى لا برهان بعـده بأنها ذات تجربة ثورية أصيلة عميقة غير قابلة للامحاء أو الزوال ، وأنها خيط متين فى نسيج العصر ، ونبض حى فى حبل وريد الثـورة العالميـة •

نظـــرة سريعـــة
فى بعض ما كتب حـول مسار
الثـورة فى اليمـن الديمقراطية
بعـد أحـداث ١٣ ينـاير ١٩٨٦ الدامى(*)

كما دخلت اليمن الديمقراطية تاريخ العرب المعـاصر باعتبارها صاحبة أجرأ تجربة ثورية على الاطلاق ، فأنها دخلته باعتبارها صاحبة أعنف تجربة ثورية .

ودور العنف فى التاريخ معترف به . وهـو كما قـد يلعب دورا تدميريا حتى لحضارة بكاملها ، اذا ما ساعدته على ذلك شروط معينة ، فانه يمكن أن يساعد على خلق أو تثبيت بنية اجتماعية جـديدة رغم كل ما قـد يرتبط به من مآسى انسانية .

وثورة ١٤ أكتوبر فى جنوب اليمن واحـدة من الثورات الوطنية التحررية المعاصرة التى كتب عليها أن تولد وهى تنزف وألا يتوقف نزيفها حتى يستوى عودها ، ويكتمل بنيانها ، ويشمخ صرح نظامها التقدمى ، ويغـدو محصنا ممتنعا على كل القلاقل والزوابع الداخلية والخارجية .

(*) نشرت فى صحيفة « صوت العمال » فى مدة اعداد بعد الأحداث .

فبدون العنف الثـــورى المسلح ما كان ممكنا خروج المستعمر البريطـــانى •

وبدون العنف الثورى المنظم ما كان ممكنا اسدال الستار على اليمين الانتهازى والقيام بحركة ٢٢ يونيو التصحيحية ١٩٦٩ التى فتحت الطريقلقلب بنية المجتمع التقليدية والمشوهة ، وللشروع فى صـــياغة المجتمع التقـــدمى الحـــديث •

وبدون مواجهة العنف الديكتاتورى لليسار الانتهازى — الذى كان قـــد تحول الى يمين انتهازى — بعنف ثورى مسلح ومنظم ما كان فى الامكان أن تواصل الثورة مسيرتها الديمقراطية ولا أن يقوم الحزب الطليعى القائد لها : الحزب الاشتراكى اليمنى •

وبالمثل يمكن القول أنه ما كان ممكنا أن تستقبل مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ الدموية بغير العنف الثورى المسلح والمنظم الذى ربما فاق فى قـــوته واتساعه ومداه كل عنف سبقه ، نظرا للتراكمات والتفاعـــلات الحادة والمتنوعة التى ظلت تغلى وتحتدم ويتصاعد منها البخار ، دون أن يبـــذل جهد كاف وشامل لاحتوائها والتحكم فيها وتفريغها من شحنتها المتذرة بالتفجر والاشتغال •

هـــذه المبارزة الدامية وغير المسبوقة فى تاريخ الثـــورة ، والتى نزف خلالها من الدماء ودمر من العمران فى أسبوع من الزمن ما لم يحـــدث مثله خلال تاريخ الثورة كله — هـــذه المبارزة أوحت للبعض بأن ذلك لم يكن مجرد صراع بين جناحين فى الحزب حـــول مسار الثورة وانما عـــودة كاملة الى حروب القرون الوسطى بكل ملامحها القبليـــة والهمجية ، وبكل تقاليدها فى الشجاعة والفروسية ، وأنه لا يميزها عن هـــذه الحروب القـــديمة الا استخدامها لأسلحة الحرب الحـــديثة •

وهى مقارنة قــد يغرى بها واقع أن المجتمع فى اليمن الديمقراطية لم يمزق نهائيا شبكة العلاقات التقليدية الموروثه عن المجتمع الاقطاعى وما قبل الاقطاعى وأن النزعة الفئوية والمحلية والاقليمية المغلقــة التى يخلفها عادة مثل هــذا المجتمع التقليدى — ولا سيما فى غياب دولة مركزية حتى ولو اقطاعية — لم يقض عليها نهائيا ، وأن عملية تحــديث المجتمع وتعميق روح المواطنة وروح الوحدة الوطنية وترسيخ أعمدة الدولة المركزية الحــديثة الوطنية الديمقراطية عملية تاريخية كاملة لم تستكمل بعــد ، وأن « الميت يمسك بالحى ! » طيــلة فترة الانتقــال التاريخية هــذه ، وان الثورة — أى ثورة — لا تعانى من مشاكل النمو فحسب ، وانما من مشاكل التخلف أيضا ، وان تحطيم عادات وقيــود وأيديولوجيات المــاضى لا يتم دفعة واحــدة ، تماما كما أن عقبــات الحافر لا ينسنى تذليلها بين عشية وضحاها •

ذلك ما نبه اليه ماركس أيضا : « وفضلا عن بلايا العهد الراهن ، نكابد جملة من البلايا الموروثة ، الناجمة عن كون أساليب الانتــاج القــديمة التى ولى زمنها ، ونفــذ مفعولها ، والعــلاقات الاجتماعية والسياسية الشائخة المطابقة لهــا لا تزال بالكد قائمة • فنحن لا نعانى من الأحياء وحسب ، بل من الموتى أيضا •• (الميت يمسك بالحى !) » (انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء ١ ، دار التقدم ، موســكو ١٩٨١ ص ٩٩) •

ولكن القــول بذلك شىء ، وتصور أن اليمن الديمقراطية لم تخرج من رحم المجتمع القــديم شىء آخر •

ووفقا لهــذا التصور المغلوط الذى يستند الى أحــداث ١٣ يناير ١٩٨٦ وما قادت اليه فأن اليمن الديمقراطية لم تغادر عهد البــداوة والجاهلية وعهد الملوك الصغار وشيوخ القرى الذين يدافع كل منهم عن

منطقة نفوذه واوتوقراطيته وانغلاقه ، وأن أحداث ١٣ يناير وما ترتب عليها هى ترجمة لهـذا الوضع ، وتعبير عن هـذا العهد ، وان اليمن الديمقراطية كشفت بذلك عن واقع انها ليست وارثة حضارة يمنية تليدة وان أبناءها ليسوا من نسل أولئك اليمنيين القدماء العظماء الذين بنـوا هـذه الحضارة ، وان مفـاهيم الشورية واليسارية واليمينية لا تصح عليهم •

ذلك ما يقوله أيضا وأحـد من شعراء اليمن المعروفين : محمـد الشرف ، فى قصيدته : « عـدن •• الكارثة •• والسؤال الكبير » التى نشرتها مجلة « اليمن الجـديدة » الصنعانية فى عـدد يوليو ١٩٨٦ ، ص ١١٨ — ١٣٠) والتى نجتزىء منها الأبيات التالية :

« ولسنا كما قيل من سبأ أو معين
وان الذى جاء فى جبة الانبياء
ومن جاء فى بزة المصلحين
ومن يدعى انه فى اليسار
ومن يدعى أنه فى اليمين
ومن قال : نحن مـع الكادحين
ومن قال : أنا مـع الثائرين
تساووا جميعا •• على أنهم
دمى كالدمى •• فى يد اللاعبين »

هـذه النظرة السوداوية المسرفة ليست مجرد حالة شعورية تملكت الشاعر تأثرا لمشهد الدماء الذى تفننت الاذاعات والصحف خارج اليمن — وبالذات فى الغرب والبلدان السائرة فى فلكه — فى وصفه الى حـد تصوير أن اليمن الديمقراطية تحـولت الى بلـد للاشباح والنسور والوحـوش وهوام الأرض •

وهى ليست مجرد شـــطحة من شـــطحات الشعراء المرهفى الحساسية الذين لا تتيح لهم حساسيتهم هـذه تأمل الأمور من جـديد فى روية وتؤدة ، ومحاكمتها محاكمة عقلية ، واستبصار جانب الصواب من الخطـــأ فيها . ومعرفة دور كل من الظروف الموضوعية والذاتية فى حـدوث ما حـدث ، وتحـديد مسئولية قـوى التقـدم والخير فى تقـويم وتصويب المسيرة الثورية ، وفى التنبيه الى مكامن ومظـان العلل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأيديولوجية والتنظيمية التى تسببت فى الاضطراب المـأساوى الذى منيت به البلاد .

فهى نظرة أيديولوجية — كأى قـول صيغ شـــعرا أو نثرا — يصح عليها الصواب والخطـــأ .

والأيديولوجية — أية أيديولوجية — هى تعبير عن مصالح وأفكار وحتى أوهام هـذه الطبقة الاجتماعية أو تلك ، أيا كان الثوب الـــذى تظهر فيه ، حتى لو كان حلة قشيبة من الفن .

والارتكاز الى ما صـــاحب أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ من خشونة وقسوة ، وغلظة وفظاظة وفظاعة لتجريد شعب بكامله من قيم الثورة والثورية والخير والصلاح والاصلاح والرغبة الصادقة فى انتشال أبنائه من براثن التخلف والظلام والتبعية ، وانطلاقة وطنه فى طريق الحضارة والحـداثة والتقـدم والديمقراطية والاشتراكية والرخاء والسعادة ، ومن ثم انكار ان يكون هناك يسار ثورى يواجه يمينا رجعيا ، أى انكار أن يكون هناك تمايز اجتماعى بين الناس ، ينجم عنه صراع طبقى محتم بينهم . وتصوير أن اليسارى مجرد دمية يلعب بها الشرق ، شأن اليمينى الذى يلعب به الغرب — أقول أن الارتكاز الى هـذه الأحـداث لرسم مثل هـذه الصورة البائسة الكالحة المثيرة للنفور والتقزز والاحتقار للنفس والشعب والوطن والحياة وكل القيم الرفيعة لا يمكن أن تكون صادرة عن رؤية سليمة ، ووجـدان صحيح ، وضمير معافى .

ورؤية كهـذه ـ أيا كانت الدوافع والنوايا ـ لا تفيد منها غير قـوى التخلف والظلام التى مما يتفق مع مصالحها ورغبتها فى أن تظل هى السائدة انكار أن تكون هناك قـوى ثورية فى مواجهتها تعمل على احلال العـدل مكان الظلام ، والخير على أنقـاض الشر ، وعلى اشاعة أنوار الحرية والديمقراطية فى حياة الناس •

ويبدو أنه كان قـد استقر فى يقين الشاعر الشرفى حتى من قبـل أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ بعام كامل أن معادلة قاتل أو مقتول هى التى ستسود فى اليمن الديمقراطية ، وأنه ليس هناك أو لم يعـد هناك مكان فيها لكل ما أعلنته من مبادىء وشعارات ثورية يجرى الصراع عليهـا وبسببها •

فهو يقـول فى ص ١٣٠ من ذات المجلة أنه كان قـد تنبأ منذ أوائل عام ١٩٨٥ فى قصيدة له بحـدوث ما حـدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ •

وممـا يلفت الانتباه أن رئيس تحرير مجلة « الحكمة » فى تعليقه على أحـداث يناير هـذه لم يكتف بالتذكير بنبؤة الشرفى هـذه وبأيراد بعض الأبيات المتنبئة بأن منطق الحرب القبلية هـو الذى سيسود منذ الآن فى اليمن الديمقراطية مزيحا من أمامه كل منطق حضارى أو عصرى أو ثورى ، وانما هـو يسجل للتاريخ أن تلك لم تكن نبـؤة الشرفى وحـده ، بل انهـا ليست محض نبـؤة ، وانما هى قناعة تولدت بعـد نقاش ودراسة لمجريات الأحـداث فى اليمن •

يقول عمر الجاوى فى تقـديمه لأبيات الشرفى الآنفة الذكر والتى سنوردها حسبما أوردها :

« الحق يقال •• أننا كنا ، وحرب بيروت أو لبنان تضع أوزارها ، قـد ناقشنا هـكذا ، وبالنص ، أن بلادنا اليمـن ، كل اليمـن ، هى

« العرضة » المهيأة لتخطيط حرب القبائل والطوائف .. ولكن ، والأمر نائم ،رددنا نفس العبارات عن الشعب « الحضارى بطبعه » ، وركنا لى التاريخ ، باعتبار أننا لسنا « لبنان » ، ورغم ذلك كان للشعر وضع آخر فى قصيدة الشرف « الحكمة » العدد ١١٨ يناير ١٩٨٥ م .

(٣)

وأخشى بأن يصبح القتل كالخبز
فـوق المـوائد
وأن يتوزع كالعطر للسامرين
ومثل بخـور المساجد
ونلقاه فـوق كراريس أطفالنا
ونشهده فى زوايا البيوت
وخلف المراقـد

* * *

(٤)

أخاف بأن يصبح الموت والقتل مثل الهواية ..
بين التآخى وبين الأخـوة
وكالنـار فى كف أبليس
يحترق الأهـل فيهـا
ويحرق دفء الأمومة فيها
ونبـض الأبـوة .

* * *

فـلا صـلة فى ازدحام الجروح
سـوى هـوة الثأر هـوه
أخاف على الأرض أن تستحيل

ركاما من الجهل والأسلحة
وهـذا الوباء الجديد
هو الحاكم المتسلط .. والحكم ..
والصفقة المربحة » .

(الحكمة ، مايو ١٩٨٦ ، بعد الذى صار ، ص ٣ — ٦) .

ومن مقاله « الصحافيون اليمانيون .. الى أين » الذى نشرته « الحكمة » فى عدد يونيو ١٩٨٦ يتضح أن الجاوى لا يرى أن هناك مسيرة ثورية مرت بمنعرجات فى اليمن الديمقراطية ، وأن هذه المسيرة لا تبرح فى تصاعد مستمر متجاوزة انحرافات اليمين واليسار الانتهازى ، وكل المآسى التى تسببت فيها أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ ، وانما هناك تسلط على كل المستويات ، بما فيها المستوى المهنى ، ظل يمارس عبر عهود اليمين الانتهازى ، واليسار الانتهازى ، والزمرة ، والزمرة الجديدة .

وهى نظرة عدمية تعكس موقفا أيديولوجيا ثابتا تجاه الثورة ذاتها .

وحسب صيغته فأننا قد « رأينا منذ ايقاف لهيب ١٣ يناير المشئوم أن النار لم تخمد بعد ، وأن المد فى عدم ممارسة الديمقراطية يقدم فيضا من الوجوه القابلة للتسلط وتنفيذ القرارات الهوجاء دون التفات واحترام الشرعية مهما كانت » .

والديمقراطية لا تمارس — حتى فى المجال المهنى — لا من قبل ولا من بعد ، حيث يشكل كل شيء من أعلى ، كما حدث بالنسبة للجنة التحضيرية للمؤتمر العام الرابع الاستثنائى لمنظمة الصحفيين الديمقراطيين اليمنيين . « ان الشك يكمن فى الطرق التعسفية التى تم

بها التشكيل . مفترضين أن اليمين واليسار الانتهازى والزمرة قد كانوا يفرضون علينا من أعلى مثل هـذه التشكيلات .. فما بالنا نمارس شيئاً غير قانونى ولا شرعى . وكما لو أننا زمرة من طراز جـديد » .

مما يثير العجب أن شاعرا مسنا وكلاسيكيا وتقليـديا فى نظرته السياسية وفى منحاه الفنى مثل محمد سعيد جرادة لم يقابل أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ ولا مسيرة الثورة بمثل هـذه النظرة العـدمية ، رغم انفعاله الحاد بما خلفته أحـداث ١٣ يناير الدامية من مآسى مفجعة ، ورغم تسميته هـذه الأحـداث بأنها كانت « مسبعة ١٣ يناير » وهى التسمية التى عنون بهـا قصيدته التى نشرتها صحيفة « ١٤ أكتوبر » فى ١٤—٣١—١٩٨٦ .

فهو بعـد تصويره الطابع الدرامى والوحشى لهـا يختمها بالدعاء والابتهال بأن يعود كل شيء الى ما كان عليه ، وتسير الحياة فى البـلاد سيرتها الطبيعية الهادئة ، ويعود الربيع . وتعود البلابل الى الغناء ، والطيور الى أوكارها ، والمياه الى مجاريها ، وتعم الخضرة الأرض كلها :

« أتينا اليـكم من المسبعة نمثـل أدوارهـا المفجعـه
قطعنـا مسـافاتها الحالـكات على ألسن اللهـب المشرعـه
على جثث كـومت فى الطريق تـلالا تبث الرؤى المفزعـه

* * *

بلادى احترقت بنـار الخـلاف سحقا وبعـدا لمـن وسـعه
بـلادى تألقـت عشرين عـاما وكنت جميلتـه المونعـه
تصرم عقـدان صفت الحيـاة بينهمـا صـورة مبدعـه
أفى سـاعة دك ذاك البنـاء ما كان أعـلاه ما أرفعـه

مشيت على ظهر أرضى الخراب أذرف أدمعـــــى الطيعـــــه
ألوف بنيها ثووا فى القبـــور فى ليـــل مأســـاتها الموجعـــه
جســـومهم بعثرت فى الطـــريق عصــــفا. تنـــاثره زوبعـــه
وبعض لقـــوا حتفهم فى البيوت موضـــع أمنهم والدعــــــه
فلست تفـــرق تحــت الحرائق بـــين الهيـــاكل والأمتعـــة
وكم حامل وضـــعت حملهـــا وريعت بمـــولدها مرضـــعه
سأبكى بـــلادى وأدعـــو لها بعـــود ربيعـــاتها الممرعـــه
وعـــود عصـــافيرها للغنـــاء وعـــودة المياه الى المزرعه »

على أن ما ننتظره من شاعر حديث وكاتب تقدمى ليس مجرد حسن تصوير المـأساة فنيا ، ولا الدعاء والابتهال بأن يصلح الله الأحـوال • وانما النفاذ عبر سحب الظلام ، وعبر غبار المـأساة الى الأفق البعيد الذى يظل مضيئا دائما ، طالمـا كانت الأبصار شاخصة نحـــوه ، والقـــوادم طائرة فى اتجاهه •

وأيا كان هـــول الكارثة ، ومهما كانت فداحـــة وجسامة الآثار الانسانية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التى خلفتها ، فانه ليس بامكانها أن تقتل مخيلة الشاعر الأصيل الذى يتمتع أكثر من غيره من الناس العاديين برؤية ما هـــو أبعـــد من مشهد الدماء والجماجم والركام والأنقـــاض •

قـــد تصاب مخيلة الشعراء ــ حتى ولو كانوا من الخلاقين المبدعين ــ بشيء من الخلل أو التوقف فى لحظة ما رهيبة ، غير أنهم لا يلبثون أن يستعيدوا أنفسهم ، ويستعيدوا معها مخيلاتهم الشاعرية النفـــاذة المتطلعة دائما الى الغـــد ، المستشرفة ابدا لآفاق المستقبل ، الدافعة باستمرار للامل والتفاؤل ، الملهمة للنضال وحب الحياة وكل قيم الخير والحـــق والعـــدل والجمال •

من حــق الشعراء والكتاب والأدباء والمؤرخين ان يصوروا أحداث ١٣ يناير وما نجم عنها ، وان يؤلفوا فى ذلك المـــلاحم التراجيدية . الشعرية والنثرية وان يدبجوا المقالات ، ويكتبوا البحوث ، ويضعوا الكتب . وهم ان لم يفعلوا ذلك — او لم يستطيعوا فعل ذلك اليوم — فلسوف يفعلونه غــدا ، عندما تكتمل ادواتهم . وتكتمل معها معرفــة حجم ما جرى على أرض الواقع .

ولكن فى جميع الأحــوال لابد أن يفرض الصــدق الموضــوعى والتاريخى والفنى نفسه على كل واحــد منهم .

ورغم الطــابع المــأساوى الجاد لهــذه الأحــداث فانها ستقدم الدرس والعبرة ، وستساعد فى تربية أجيــال بكاملها . وستفجر طاقات جبارة للخلق والبناء .

وحتى يحــدث ذلك فاننا لا نملك الا أن ننظر ما كتب حتى الآن — على الأقــل فى مضمار الشعر — بأنه لا يعــدو أن يكون حالة تأثر لحظية تشبه أنـّة أو حتى صرخة من أصابته طعنة مفاجئة لم يملك حيالها سوى اطلاق حنجرته بالأنين والصراخ .

ولكن لغة الحناجر ، لغة الأنين والصراخ ، والولولة والنــدب ، والتفجع والتمزق ، ستحل محلها — حتما — لغة المحاكمة العقلية الباردة لمــا حــدث ، لغة الدرس المستبصر المتمعن المستخلص للحكمة التاريخية من قلب الفجعية ، لغة المناضل المتزود بذخيرة نادرة من صنع تاريخه : لا تساعد على ترشيد خطاه وحــده ، وانما تساعد كل المناضلين الذين يمرون بظروف تاريخية واجتماعية مشابهة أينما كانوا ، وأيا كان الوطن الذين ينتمون اليه .

ولربما مثلت قصيدة الشاعر اليمنى الكبير عبد الله البردونى التى نظمها فى شهر المأساة ، والتى حملت عنوان « فنقلة النار والغموض » والتى نشرتها صحيفة « ١٤ أكتوبر » فى عدد ٢٢–٩–١٩٨٦ حالة وسطا بين لغة الخناجر ولغة العقل ، بين لغة التفجع لما حدث ولغة التأمل لما سيحدث ، بين لغة الوضوح ولغة الغموض •

وهى بهذه الصفة البينية تشكل خطوة متقدمة بالنسبة للقصائد الآنفة الذكر ، وتنطوى على شىء من الامل والتفاؤل المبطن فى ان ما حدث رغم هوله ورغم كل دواعى التشاؤم والاحباط واليأس التى استثارها معه فى الامكان تجاوزه ، اذا ما اتخذ عبرة ودرسا غير قابلين للنسيان أو الاهمال •

اتخذ البردونى أسلوبا مبتكرا فى محاولة استجلاء ما حدث والتكهن بما سيحدث • صب أسئلته المتفجعة الموجعة على المدن والمواقع التى دارت فيها المعارك ، وعلى الأماكن الأثرية والتاريخ اليمنى ، وانتظر منها جميعا الاجابة ، فى الوقت الذى تدخل فيه برأيه بحذر بالغ وحرص شديد •

ساءل « خورمكسر » و « المعلا » عن سر العدول عن لغة الحوار السياسى الى لغة الحوار بالرصاص ، ساءلهما مساءلة نقدية متفجعة ، كما ساءل « معاشق » بذات اللهجة وبذات الخوف من أن يكون للمسلسل الدامى بقايا وذيول ، ومشاهد وفصول ، بل وتلال أخرى من نجيع الدماء والجماجم •

جبال وسيول من الأسئلة أثقلت وابهظت كاهل البردونى رمى بعضا منها على « دار سعد » و « الشيخ عثمان » و « صبيرة » و « كريتر » و « عدن » كلها ، بل وعلى « سبأ » ذاتها ، وعلى مجمل تاريخ اليمن .

عله يعثر على جواب مفيد مقنع مطمئن تسكن اليه نفسه ، ويرتاح به ضميره ، ويذهب عنه الروع على مصير البلاد .

ترك للأماكن والمدن والساحات التى دارت فيها المعارك أو انطلقت منها كتائب النجـدة حـق الافصاح عن روح الاستبسال والاستقتال التى ردت بها على ضربة ١٣ يناير المفاجئة المذهلة .

فعنـدما يسـائل :

« من شـب يا « عـدن » اللظى ؟ » .

تجيب عليـه « عـدن » :

قالوا : أموت ، فقلت كلا : كلا .

ولأننى بنـت الصـراع فلسـت أمـا للأذلاء
ما كـان مقـلوا من الغـازى مـن الأهـلين أقـلى

*** * ***

صـممت ألا نحـسنى اذا عكست البعـد قبـلا

*** * ***

جـاؤوا الى وجئتـهم نـارية العـزمات عجـلى
جـادوا بأرعـاد المنـون وجـدت ارداء وبـذلا »

بل ان البردونى يترك لمواقع وساحات الصـدام وللكتائب المنتصرة فى الحرب لا حق الدفاع عن روحها المستقتلة المستبسلة فحسب ، وانما أيضا حـق اعلان أن ذلك ليس مجرد نصر عسكرى ، وانما هـو نصر

سياسى ، بل ونصرى ثورى ، ونقلة نارية ، لابد أن تتحول الى نور ثورى غامر يضيىء آفاق المستقبل •

هكذا يدور الحوار بينه وبين « دار سعد » :

« ماذا تلاحظه هناك ؛ تحولا ما زال طفلا
أتراه حسما ؟ ربما بدء الربيع ينث بقلا »

وهكذا يدور الحوار بينه وبين « الشيخ عثمان » :

« يا شيخ عثمان » استجب ماذا ترى ؟ أرجوك مهلا
« صنعاء » مفعمة بما أججت ، كيف تكون أحلى !
وصداك قهوة « لاعة » قات « الحديدة » و « المصلى »

❋ ❋ ❋

أنا لست مذياع الخليج أرقع البالى بأبلى
أغبى الكلام هو الذى يبدى أوان الجد هزلا
من أين أخبر ، واللهيب أمد من نخل « المكلا »
من مهرجان النار تصعد ثورة أبهى وأحلى »

أما « صيرة » التى شهدت المعارك التاريخية فلم يعد يخيفها شىء ، وهى لا ترى فى ما حدث مدعاة للهلع ، فهو لا يعدو أن يكون احدى المعارك المتوسطة الحجم ، وهى لن تكون خاتمة المعارك ، بل لربما كانت بداية جديدة • واذا كان ما رآه الشاعر مثار فزع . فهو فى عينها حفل بهيج • والبحر من حول « صيرة » الذى شهد معها معارك التاريخ يلقى بشهادتها الى جانبها :

« لم لا أسائل « صبرة » ؟ ستزيد من ، لكن ، والا
وترى الطفور توسطا وترى النهاية مستهلا
وتقول : ما سميته روما : أنا أدعوه حفلا

* * *

أترى طلاوة صوتها ، يا بحر ؟ أم رؤياك أطلى ؟
عنها أعى سفرا بعينيها ، بزدنيها ، محلى »

* * *

وفى ذات الاتجاه تصب اجابات « جولدمور » الذى يسخر مما رددته اذاعة لندن عن سير المعارك وعن أن عدن تحولت الى مدينة أشباح وان كل شىء تحول الى هشيم تذروه الرياح . فتلك اقاويل عدو كان يبسط يده ذات يوم على عدن ، وبعد أن قزمته حرب التحرير التى شنت ضده حتى أخرجته خاسئا مدحورا ، لم يعد يملك الا صناعة تشويه الثورات الوطنية التحررية المنتصرة :

« يا جولدمور » اجابة : ما زالت اللحظات حبلى
أسمعت « بى بى سى » وهل هذا سوى بوق تسلى ؟
هذا « البعوض » وشىء اليه وذلك « الزنبور » أدلى

* * *

أولئك الغازون ولوا والتآمر ما تولى
كانوا تماسيحا هنا وهناك يرتحلون قملا

* * *

قل عن هنا : ماذا اعتراه ؟ وما الـدى بالاهــل حــلا ؟
الســاعة الخمســـون — مثل الساعــه العشرين — وجــلى
مــاذا تــرى يبـدو غــدا ؟ بدء الصعود ·· سقوط قتلى »

كل الساحات والمواقع تنطق بلسان واحـد : ان ما حـدث كان عراكا ضاريا حتى ولو كان بين ابناء البلد الواحـد ، وان الذى تسبب فى ذلك هــو الذى اشعل عـود انتقاب ، وقـدح حجر النار ·

فحتى مدينة « كريتر » التى صقلتها حرب التحرير والتى لم يصبها الا بعض شظيا الحرب الأهليه لـ ١٣ يناير ١٩٨٦ تتحـدث بنفس اللهجة القوية الواثقه المنتصرة والقادرة على خوض المزيد من المعارك اذا ما اقتضى مجرى الأحـداث ذلك :

قــولى « كريتر » ما هنــا ؟ التصف ، أم عينــاك أحلى ؟
تزهـــو بكفيــك الخمـــوش كشــارب القمـــر المـــدلى

* * *

جاءوا القتلى : هــــد أعـــد لهم رياحينـــــا وفـــــلا
هم بعض أهــلى ·· فليــكن هيهــات أرضى الفـــدر أهلا
تأبى حمـــــام اليـــوم أن تلقى صقور النــار عـــزلى

* * *

ماذا أســـمى ما جــرى ؟ جبنــا ، ولــكن صــار فعــلا
الفاتحـــو بــاب الـردى لا يملـكون الآن قفـــــلا

* * *

أضعفت أم أن الأسى أقوى يدا ، وأحد نصلا ؟
انسيت صقلى يا عراك القحط ، أما انهكت صقلا ؟ »

اذن فهناك اجابة واحدة مجمع عليها ، وهو أنه رغم فداحة ما جرى فأن هناك نقلة الى الامام تحققت بالنار .

غير أن الشاعر لا يبدو مطمئنا تماما الى مثل هذه الاجابة القاطعة الواضحة . فهو — من حيث المبدأ — غير راض وغير سعيد باللجوء الى استخدام السلاح بين رفاق درب واحد ، أيا كانت الخلافات القائمة بينهم .

فهو كما فزع عندما سمع « دق طبل الحرب » فزع لحجم المواجهة الشاملة ولكمية الدماء التى سفكت نتيجة ذلك كله .

والشاعر ليس متأكدا من أن النقلة النارية قد أسفرت بالفعل عن نقلة ثورية .

ليس هناك وضوح . فالأفق ما يزال ملبدا بالغيوم ، ودخان المعارك ما يزال يغطى الطريق . والرؤية الجلية لرحاب المستقبل تبدو صعبة فى مثل هذا الطقس المعتم المنذر بالمزيد من الرعد والبرق ، الذى قد يخطف الأبصار والبصائر .

اذن فالموقف هو أدعى للغموض ، وأدعى للتمهل والانتظار ، حتى نرى ما يأتى به الغد .

لقد قلبت عملية الاقتتال الأهلى الحسابات العادية ، ورغم ان السلام الأهلى قد حل ، الا أنه ليس هناك ما يدعو الى الاطمئنان بأنه سيكون سلاما وطيدا لا تعكر صفوه زوابع داخلية أو خارجية :

« لا القتل أفضـــل ، يا غموض ولا السلامة منـــه فضـــلى »

ولاستجلاء هـــذا الغموض ، ومن أجل محاولة الخروج بإجابة أدنى الى الوضوح ، فأن البردونى ينحى مشاعره الذاتية وانطباعه الشاعرى الخاص عن الأحـــداث جانبا ، ويحاول استنطاق العـــلم الاجابة • غير أن العلم لا يحير جـــوابا :

« للعلم أسال ، والجواب •• يحـــول أســـئلة وجهـــلا
أرجـــو الوصـــول والتقى بسوى الذى أرجـــوه وصـــلا »

حينئذ يتجه بسؤاله الحائر الى التاريخ اليمنى ، وينسى أو يتناسى كل ما عرفه عن أحـــداثه وصراعاته ، بما فى ذلك صراعات ملوكه وامرائه وأئمته الرجعيين ضـــد أولئك الثائرين عليهم من القرامطة • وهـــو اذ يفعل ذلك يصطنع الغباء اصطناعا ، ويتقمص شخصية ذلك الامام الغبى الذى لفرط غبائه اسمى « على مقلى » ممـــا استحق معه خلعه سريعا من العرش •

غير أن مجمل هـــذه الصراعات التاريخية لم تقـــدم له غير اجابة هى أدعى الى التشاؤم والبأس ، ذلك أن المتطرفين ، شأن المعتدلين ، لم ير الشعب اليمنى على يدهم خيرا يذكر • وكما اختفى من مسرح التاريخ اليمنى جميع الملوك والأئمة ، والأمراء دون أن يتركوا فى ذاكرة الأجيال الحاضرة غير المرارة والمقت ، فأن القرامطة الذين لم يعمروا أكثر من عقـــدين من الزمن درست حتى آثارهم ، ومحى ذكرهم ، وان ذكروا لا يذكرون بغير لغة هى أقرب الى الشتيمة منها الى التقييم العـــلمى المنصـــف ؟

«الـــوذ بالتـــاريخ ، أنبى ما روى عقـــلا ونقـــلا

أبدو « على مقلى » بدون امـــامة وبـــدون مقـــــلى
لا نالنى خــــير التطـرف لا اعتــدالى نـال عــدلا »

واذا كان التاريخ ينبىء بأن تطرف المتطرفين واعتدال المعتـــدلين لم ينجم عنهما لا خير ولا عـــدل ، وأن كليهما لم يقيما التقييم التاريخى العادل فكيف الحال اذن مع ثوار اليمن اليـــوم ؟

يوجه البردونى هـــذه المرة السؤال الى اليمن كلهـــا ، غير أنه سؤال مضمخ بالدم ، ممتلىء بالحزن ، ممزوج بسؤال أليم آخر عما اذا كان الاقتتال الأهلى هـــو السبيل الصحيح الى التقـــدم ، وعما اذا كان الاكتواء بنار الحرب هـــو المدخل الى رحاب الغـــد ، وعما اذا كانت ألسنة اللهب التى يصطلى بها الجميع هى النور الذى يدل على الطريق نحـــو المستقبل ، وعما اذا كان لا سبيل الى ذلك بدون اهراق الدماء أنهـــارا ؟

ومن « ردفان » تأتيه الاجابة باسم « سبأ » كلها بأنه لا مناص من الدخول فى حـــومة الوغى ، حفاظا على الثورة من الانحراف ، وأن ما نزفته من الدماء لا يعـــدو أن يكون عملية حجامة ضرورية يصبح بها جسمها أخف وزنا ، وأرشق حركة ، وأكثر حيوية ، وأشـــد فعاليـــه ، وان ما بدا للشاعر كارثة حلت بالبلاد ليس الا نارا نفحت الثورة ، وازداد بهـــا معـــدنها الأصيل انصهارا ، وصلابة ، ولمعانا ،واحمرارا ، بحيث لا يقوى على لمسها أحـــد ، وبحيث لا يستطيع أحـــد اعتراض مسيرتها وهى تنطلق الى مرحلة تاريخية أعلى ، وتكتسب مضمونا اجتماعيـــــا أعمق ، وشكلا نضاليا أرهف ، وهـــذه المرحلة التاريخية قـــد بدأ فصلها الأول بالفعل بالانتصار فى معمعة ١٣ يناير ١٩٨٦ . أما ما خلفته هـــذه المعمعة من غبار ودمار وأشلاء فستغدو وشما على جسمها ، ومعـــالم جمال على معاصم بطلات الثورة . وسيكون ركام الجماجم ذروة أخرى

من ذرى التضحية والفـــداء التى لم يتردد المناضلون عن صعودها دائما • وما بدا قبرا للثورة لن يكون الا ذلك المرج الظليل الذى بلغته فى نمـوها وتطـورها :

« القـول يـا « سبئية » لـو كان ذاك الجـود بخلا
لبيـت موطنـى الـذى كتب اسمه وردا ونخـلا
ومن المقـاتل ، والمقـاتل ؟ من رأى للنـار عقـلا ؟
« ردفـان » نـادى أن أذود وأن أحيـل الصعب سهلا
فحملت رأسى فـى يـدى كى لا تصير الكف رجـلا

* * *

واليـوم أنـزف كى أخـف وكـى أرف •• أمـد ظـلا
مـا خلتهـن كـوارثى أنضجننى عـركا وفتـلا
أرتـشى مـا ترتشـين غـدا أخـوض الشوط جـذلى

* * *

هـذا الغبـار على عيـونى ثـورة حمـراء كحـلى
هـدى الخـرائب زينـة بمعـاصم البطـلات أولـى
هـذى الرفـات ستستطيل ربى ، ويغـدو القبر حقـلا

* * *

تأتـين أخـرى غضـة وأحـد مضمـونا وشـكلا
أرخـت من يـومى غـدى أنظر : أما أنهيت فصـلا »

غير أن البردونى يسارع الى التقاط حبل الحوار من جـديد : ذاك حـديث يتعلق بالمستقبل غير المعاش وغير المرئى بعـد • وما هـو مهم

الآن المتيقن منه هو ما اذا كانت الفصول التى سبقت أحدا ١٣ يناير قد طويت ودخلت ملف النسيان وكفت عن أن تكون أجزاء من كتاب الثورة المفتوح ، وانه لم يعد فيهما شيء يستحق الذكر أو الحياة ، والاستمرار ، وأننا من ثم أمام نقطة بداية جديدة :

« مما يكون تخبرين ؟ هل الذى كان اضمحلا ؟ »

ومثل هذه الخاطرة كانت مسيطرة على ذهن الشاعر منذ البداية ، وظلت تلح عليه الحاحا :

« ماذا كفجر اليوم لاح ؟ وما الذى كالأمس ولى ؟ »

ولا ينتظر البردونى اجابة على تساؤلاته التى تنطوى ضمنا على اجابتها . ماضى الثورة مستمر فى حاضرها ، ممتد الى مستقبلها . فليست هناك قطيعة أو قطع بين أى من فصولها . الثورة لها زمن واحد ، أيا كانت الأحداث التى تتخلله .

الأحداث الوحيدة التى يقابلها البردونى بالقشعريرة والفزع والتى لا يستطيع احتمالها حتى باسم الثورة والثورية ، هى أحداث التقاتل الأهلى والاحتراب الدامى بين الناس بحجة حماية الثورة أو بهدف تطويرها . فتلك فى رأيه حماقة وجنون .

غير أن « ردفان »تردعليهعلى الفور بأنه لا مفر من الجنون الثورى اذا لم يكف الآخرون عن ممارسة جنونهم ، وأنه لابد للنصر من ثمن مهما غلا . والحرب تخلف الثكالى الى جانب الفرحين بالنصر .

« يا هذه خلى الجنون جنون غيرى ما نحلى »
أدمنت أكل بنيك ، يا حمقى : لأن النصر أعلى
من لا تحارب لا ترى فرحى ، ولا تبدو كثكلى »

وينهى البردونى قصيدته ببيت يتضح منه ان الحـوار والسجال بين الطرفين لم يكلل بخاتمة حاسمة تسكن اليها نفسه • وتانس اليها روحه ، ويقنع بها فكره •

ليس هناك وضوح عما يأتى به الغـد • هناك غموض •

غير أنه مجرد غموض لم يتجل بعـد • وليس سحبا داكنة تطبق على آفاق المستقبل :

« قالت ، وقلت ، فلا اختفى سـر ، ولا سـر تجـلى »

ما ينبغى التذكير به ان البردونى كتب هـذه القصيدة الشعرية المثيرة فى يناير ١٩٨٦ ، شهر الأحـداث المهولة ، والدماء كانت ما تزال تنزف ، والعمران يتحطم ، والناس فى حالة دوار • وغبار المعـارك ما يزال يملأ الأفق ، ويحول لا دون رؤية ما يأتى به الغـد•، وانما — بالدرجـة الأولى — عن رؤية مواقع القـدم •

ومن لم يتملكه — فى أتون الحرب المطبقة — شعور حقيقى ومبرر بالخوف من المجهول ، وبالقلق الصـادق لا على مصير الثورة فحسب وانما أيضا على مصير الوطن والشعب ، حيث كان الأعـداء يتربصون به الدوائر ويحاولون الانقضاض على الفريسة المثخنة بالجراح ؟

ومع ذلك فانه رغم الألم الجارح الذى استبد بالبردونى تجـاه ما نزف من دماء ، وتحطم من عمران ، ورغم رفضه المطلق لحـدوث ما حـدث ، وشجبه القاطع لأسلوب الحوار بالرصاص بين من يعلنون انتماءهم الى قضية الثورة ، ورغم السحب التى كانت ما تزال تظـلل سماء المعارك وسماء الوطن ، فأن البردونى لم يصل الى الدرجة التى

يفقد معها الثقة والرؤية ، كما حدث مع آخرين ممن عرضنا لهم وممن أم نعرض لهم •

فهو لم يعلن كفره بالثورة والثورية ، والتقدم والتقدمية - ولا تملكته نظرة عدمية الى تاريخ الثورة ، ونظرة تشاؤمية تجاه حاضرها ومستقبلها ، ولا صب جام غضبه على اليسار الى جانب اليمين ، ولا خلط الأوراق بين الفريقين •

أقصى ما وصلت اليه حساسية الشاعر أنه ألمح الى أنه رغم النقلة النارية فأن هناك غموضا عما اذا كانت هذه النقلة ستتحول الى شحنة ضوء تخترق مغاليق المستقبل •

وهو غموض كغموض الشعر • والغموض فى الشعر قاعدة عامة ، والا لالتحق بالنثر ، وغدا واضحا كل شىء فيه •

فليكن هناك غموض ما يتعلق بسيرورة وصيرورة الثورة •

ومهمة ثوار اليمن ، وطليعتهم النضالية : الحزب الاشتراكى اليمنى ، الذى كان وظل ممسكا بقيادة الثورة ، هو العمل على جلاء هذا الغموض • وتوضيح كل خلفيات وملابسات أحداث ١٣ يناير ، وتقديم المعالجات النظرية والعملية التى تكفل لا الحيلولة دون حدوث شىء ما مما حدث فقط ، وانما أيضا الانطلاق بالثورة الى أهدافها القريبة والبعيدة المرحلية والاستراتيجية •

ولم يغفل أحد من الثوريين اليمنيين الحاجة الى عملية مراجعة نقدية لمسار التجربة الثورية فى جنوب الوطن ، لاكتشاف مواطن . وبواطن الخلل التى سهلت تفجر الأحداث المأساوية فى ١٣ يناير ١٩٨٦ •

لم يعـد كافيا القـول بأن هناك مؤامرة قـد حيكت بليل • فلم يعـد لدى أحـد شك فى ذلك •

ما هـو مطلوب الكشف عنه هـو استجلاء العوامل الموضـوعية والذاتية التى تقف وراء ذلك كله ، ووراء ذلك الطـابع الدرامى الذى اتسمت به الأحـداث لـما يقرب أو يزيد عن عشرة أيام ، ولـماذا كانت ردود الفعل بذلك القـدر من الحـدة والاتساع والشدة •

هناك ثغرات تاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية وعسكرية وادارية وتنظيمية ونفسية تسللت وانطلقت منها هـذه الكمية الهائلة من البخار الحارق والقاتل •

وكان الحزب الاشتراكى اليمنى ، ومعه جميع المخلصين والمحبين والحلفاء والشرفاء فى الوطن العربى وفى العالم ، على رأس من دعـوا الى وقفة متمعنة متفحصة ناقـدة أمام هـذه الثغرات •

وبعـد الأحـداث مباشرة أقرت لجنة الحزب المركزية ضرورة وضـع وثيقة تحليلية نقـدية حـول تجربة الحزب فى قيادته للدولة والمجتمع ، هـدفها تحـديد الايجابيات والسلبيات فى عمليـة القيادة هـذه ، مع الكشف عن جميع الأمراض التى ظهرت — فى الحزب والدولة والمجتمع — طيلة الفترة المـاضية ، وعلى أساس تقـديم المعالجات الصائبة التى تكفل تجنب السلبيات وتمنع تكرر المرض وتمكن للايجابيات من النمو والتطور ، بما يؤدى — آخر الأمر — الى تمكين الثورة من اكمال مهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، والسير فى طريق التوجه الاشتراكى ، والدخول فى رحاب الاشتراكية •

وفى دورتها الأخيرة التى عقـدت ما بين ١٥ — ١٨ سبتمبر ١٩٨٦ شـددت اللجنة المركزية للحزب على الأهمية البالغة لهـذه الوثيقـة

التحليلية المنشودة . وحـــددت شهر يونيو من عام ١٩٨٧ موعــــدا للكونفرنس الحزبي العام الذي سيناقشها ويغنيها ويقــرها « والــذي سيشكل منعطفا تاريخيا هاما في مسيرة حزبنا الكفاحية وتعزيز السير على طريق استكمال مهـــام الثـــورة الوطنية الديمقراطية بآفاقها الاشـــتراكية » •

بل ان اللجنة المركزية اشارت باصبع البنان الى بعض الأمراض والمعضلات التي جابهت وما تزال تجابه الثورة والتي يتعين العمل على الخلاص منها ، حتى تتمكن من المضي في مسارها التاريخي المرسوم •

يقول البلاغ الصادر عن هـــذه الدورة أن من المهام التي انتصبت أمام الثورة بعد خطوة ٢٢ يونيو التصحيحية اقامة « قطــاع الدولة والقطاع التعاوني كأساس للنمط الاقتصادي الانتقالي ذي التوجـــه الاشتراكي ، وترسيخ تحالف العمال والفلاحين وســـائر الكادحين ، والنضال ضـــد تاثير الأيديولوجية البرجوازية والبرجوازية الصــــغيرة وبقايا المفاهيم القبلية والعشائرية ، ونشر افكار الاشتراكية العلميـــة ، وتقـــوية العلاقات مع بلدان المنظومة الاشتراكية ، وطليعتها الاتحاد الســــوفيتي •

وفي الوقت ذاته واجهت وتواجه السلطة ، بالمقـــابل ، تعقيدات وصعوبات موضوعية وذاتية كبيرة ، أثرت بصورة سلبية على نمـــو السلطة ، واتخذت باشكال متفاوتة سرعة تحـــولها وانتقالها الى طـــور نوعي جـــديد • ومن أبرز هـــذه الصعوبات والتعقيدات السلبية عـــدم التعامل الخلاق مع مبادىء المركزية الديمقراطية ، والقيـــادة الجماعية في سياق نشاط اجهزة الدولة ، وبروز النزعات المحلية الضيقة لقيادات بعض المحافظات والمديريات ، التي تتعامل مع القضايا المركزية والمحورية لتطـور الثورة والمجتمع من زاوية المصالح الضيقة ، وظهور تـ ريحة

(م ١٤ — قضايا الدوره السمنيه)

برجوازية بيروقراطية متحالفة مع الشرائح الطفيلية فى المجتمع ، وانتشار الفساد فى بعض حلقــات جهــاز الدولة من جراء قيام بعض القيادات الادارية بأعمال السمسرة والكسب الشخصى مع الشركات الرأسمالية الأجنبية التى تنفــذ عــددا من مشاريع خطة التنمية ، ومع الشركات فى البلدان الرأسمالية التى أخــذت العلامات التجارية معهــــا تزداد اتســـاعا .

وزاد من خطورة تلك الظواهر ضعف العمل الأيديولوجى والسياسى بين صفوف أجهزة الدولة ، وعدم تطبيق سياسة طبقية ثورية فى مجال التعامل مع الكادر ، واعتماد معايير التوازنات والعلاقات الشخصية بدلا عنها ، واتاحة فرصة السيطرة للعناصر التكنوقراطية على مراكز هــامة فى جهاز الدولة » .

ولمواجهة هــذه الظواهر السلبية وغيرها شــددت اللجنة المركزية على « ضرورة الحــد من استمرار هــذه الظواهر فى ظــل الظروف الجــديدة التى تمر بها العملية الثورية الجارية فى بلادنا ، وأقرت جملة من الاجراءات والتدابير الضرورية لتجاوز هــذه الظواهر السلبية ، وتعميق طابع السلطة الطبقى ، ورفع فعالية الدولة كأداة رئيسية حاسمة لاستكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ذات الافاق الاشتراكية .

وبهــذا الصــدد أكدت اللجنة المركزية على الأهمية التى تكتسبها مسألة « حماية وتعزيز الشرعية الديمقراطية » وعلى « ضرورة تطوير دور ومكانة مجلس الشعب الأعلى » « وأكدت على جعل الدورة الانتخابية منطلقا لتعزيز الاتجاه الرامى الى تعميق الديمقراطية واشراك الجماهير الكادحة فى ادارة شئون الدولة والمجتمع » .

« وأهابت اللجنة المركزية بجميع المنظمات الحزبية والجماهيرية والأجهزة الحكومية وشغيلة وكادحى البلاد الى المشاركة النشطة فى النضال ضد البيروقراطية ومظاهر الفساد والرشوة والتعالى على الجماهير ، وترسيخ مبدأ المركزية الديمقراطية فى نشاط أجهزة الدولة ، وتطبيق مبدأ القيادة الجماعية والمسئولية الشخصية . وشددت على ضرورة التصدى للنزعات المحلية ومحاربة المناطقية ، ومحاربة تأثير الشرائح والفئات الطفيلية على أجهزة الدولة ، وانتهاج وتطبيق سياسة مبدئية فى مجال التعامل مع الكادر .

وأكدت اللجنة المركزية بهذا الصدد على الأهمية القصوى التى تكتسبها مسألة وضع نظام شامل للتأهيل النظرى والعلمى والمهنى لكوادر الحزب والدولة ، وتطبيق نظام الكادر الاحتياطى ، وتنفيذ قائمة المناصب الخاصة بالكادر الحكومى » .

واعتبرت اللجنة اركلزية دورتها هذه احدى المحطات « فى مجرى اعادة بناء الحزب والمجتمع وتحسين أساليب وطرائق القيادة الحزبية والسياسية للعملية الثورية ذات الآفاق الاشتراكية » .

وهى لذلك أكدت على أنه « يقع على عاتق كافة أجهزة الرقابة الحزبية والشعبية ووسائل الاعلام الجماهيرى واجب العمل على ممارسة دورها بشكل خلاق وصارم فى مجال كشف وتعرية المظاهر السلبية » (انظر نص البلاغ فى صحيفة « ١٤ أكتوبر » عدد ١٩-٩-١٩٨٦) .

ليس هناك اذن رغبة للتستر على ما اعتور التجربة الثورية فى اليمن الديمقراطية من خلل ، وما أصابها من عاهات ، وما رافقها من سلبيات ، انعكست من التاريخ وبنية المجتمع التقليدية وعبر العمل على بناء تشكيلة اجتماعية جديدة ، ومن البنيات التقليدية والطفيلية

والتابعة للمحيط المطبق عليها المؤثر فيها ، ومن الفضاء الامبريالى الأوسع الذى عمل وما يزال يعمل على احتوائها وتدجينها ، تمهيدا لدفنها .

على العكس من ذلك هناك دعوة للاسهام فى كشف وتعرية ذلك كله ، ومواجهته بالنقد الصارم والبناء .

ان أى جهد فكرى جاد وصادق ومخلص فى هذا الصدد من شأنه أن يساعد اللجنة المكلفة بوضع الوثيقة التحليلية النقدية . ويساعد مسيرة الثورة على التغلب على العراقيل التى واجهتها وستواجهها ، وعلى الدفع بها خطوات أبعد الى الامام .

ان ما كتبناه هنا لا يعدو أن يكون نظرة سريعة عابرة فى بعض ما كتب حول مسار الثورة فى اليمن الديمقراطية بعد أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامية التى كادت تزعزع اليقين حتى لدى بعض الناس الطيبين فى امكانية استمرار الثورة .

ما من شك أن الجرح الذى أصيب به جسم الثورة كان جرحا بالغا وعميقا وخطيرا ، ولكن ليس الى الحد الذى لا يمكن معه التئامه والتعافى منه .

ويكفى أن الثورة قد نهضت على أقدامها من جديد . وبسرعة غير عادية ، فى حين ظن الأعداء أنه لن تقوم لها قائمة بعد كل ما حدث فى يناير الدامى ، وأنها بفعل هذا الجرح الدامى ستظل تنزف حتى تسقط جثة هامدة .

واذا ما دل ذلك على شىء ، فانما يدل على مدى أصالة وصلابة الثورة ، وتعبيرها عن مصالح ومطامح شعبها فى المضى دائما الى الامام من أجل التحرر والتقدم والديمقراطية والاشتراكية والوحدة .

ومرة أخرى تثبت ثورة ١٤ أكتوبر أنهـا واحـدة من الثـورات المعاصرة ذات الأصالة الاجتماعية والانتماء الأيديولوجى السليم ، والتى تستطيع بفضل ذلك كله ، وبفضل مساعدة حلفاء المسيرة الثورية الاممية - مداواة جراحها بسرعة قياسية مهما بلغت ، واستعادة عافيتها ، ومعاودة السير بهمة اكبر ، وثبـات أعظم ، وخبرة أغزر ، فى اتجاه تحقيق أمانى واحلام الشعب فى الحرية والوحـدة والرخاء والسعادة والسلام •

عبد الفتاح اسماعيل ...

حياة جديدة ومديدة ... (*)

بعد عودته مباشرة من موسكو ، حيث قضى نصف عقد من الزمن بناء على رغبته بالذهاب الى بلد لينين اثر ترك موقعه القيادى فى الأمانة العامة للحزب وفى رئاسة الدولة ، حفاظا على النظام الديمقراطى والحزب الطليعى والتجربة الثورية التى أسهم فيها كلها بنصيب نضالى وافر من أى اهتزاز ــ بعد عودته الى وطنه وتسلمه لمهمته الجديدة والمؤقتة بالدائرة العامة للجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى التى قبل بهما بروح رياضية عالية وبدأ بالاضطلاع بها على الفور حتى قبل أن يجف عرقه ــ بعدئذ مباشرة ذهبت اليه مرحبا ومحييا ومهنئا بسلامة العودة وباستئناف عمله فى قيادة المسيرة الثورية ،ومتبادلا معه بضع كلمات هى أقرب الى تبادل الخواطر السريعة منها الى الحديث الهادف والمحدد النقاط الذى كان يستلزم لقاء مرتبا سلفا .

(*) نشرت فى « صوت العمال » فى ١٩٨٧/١/١٥ .

كان ممن شهد هـــذه اللحظات التى لا أدرى كيف أصفها رفـــاق محـــدود العـــدد كان أبرز من بقى منهم أثناءها الرفيق شعفل عمـــر الذى كان يشغل حينئذ موقع الرجل الثانى فى الدائرة العامة والذى يحتل اليوم موقع الرجل الأول فيها بصفته سكرتيرا للجنة المركزية •

كان ممـــا قلته له فى هـــذه اللحظات أنه لابد أن يكون مـــد استثمر فترة غيابه الاضطرارى فى الاطلاع والتأمل والكتابة • وأنه لابد أن يكون قـــد وصله أحـــد كتبى الذى أهـــديته له ، والذى يحتوى على رسائل شخصية الى بعض رؤساء البلاد كان هـــو على رأسها •

كان جـــواب عبد الفتاح اسماعيل : أنا لم اقرأ هـــذا الكتـــاب فحسب ، وانما قرأت أيضا كتبك التى منعوا انزالها الى المكتبات العامة ، ولا ادرى لم فعلوا ذلك ؟ !

كان يشير بذلك الى كتابى « حول الوحـــدة اليمنية والانتهـــازية اليسارية والحزب الاشتراكى اليمنى » و « مساجلات حول حركة الأحرار اليمنيين » وهما الكتابان اللذان اغتبط البعض ممن يفترض فيهم الدفاع عن حرية الكلمة المسئولة والبحث العلمى لعـــدم السماح لهما بالخروج الى الأسواق — كما كتب هـــذا البعض •

ودعت عبد الفتاح اسماعيل ، مبتهجا بملاحظاته المعبرة عن عمق ايمانه بحرية الكلمة الملتزمة والديمقراطية الحقة • على أمل الالتقاء به والجلوس معه فى خلوة فكرية كتلك التى اتيحت لنا غير مرة فى القاهرة وعـــدن •

ليس الوقت ملائما ولا الظرف مناســـبا للاستماع الى شريط الذكريات مع عبد الفتاح اسماعيل • ينبغى أولا نشر ذلك الكم الهـــائل من الرسائل التى وجهتها اليه شخصيا مع الرسائل التى أشركت فيها

الى جانبه زملاءه فى قيادة الجبهة القومية ، وهى الرسائل المتعلقة بقضايا البلاد الوطنية ، وعلى رأسها قضية الوحدة اليمنية ، والجبهة الوطنية العريضة ، والأداة الطليعية الموحدة • هذه الرسائل التى استمر ارسالها اليه — من عدن والقاهرة وبراغ — سنين عديدة ، والتى كان مجرد ارسالها اليه دونما انقطاع حتى عودتى الى عدن بعد الخلاص من التيار الانتهازى اليسارى ، ناهيك عن محتوياتها ، يدل وحده على الدور التاريخى الخاص الذى كنت ارى لأنه مهيأ له ، سواء فى مضمار قيادة العملية الثورية على نطاق الساحة اليمنية • أو فى مضمار صنع الأدوات النضالية القادرة على المضى بها قدما الى الأمام •

تحتوى احدى الرسائل التى تضمنها الكتاب الآنف الذكر على الفقرة التالية : « لقد سبق أن كتبت للرفيق عبد الفتاح اسماعيل فى آخر رسالة اليه ، مؤكدا أنه واحد من هذه القيادة الوطنية اليمنية الجامعة اللامعة الناضجة الشريفة القادرة على دفع وطننا وشعبنا فى هذا الاتجاه الوطنى والديمقراطى والتقدمى » •

(ص ٥١ من كتاب « رسائلى الى شهيد اليمن ابراهيم الحمدى ») •

لم يكن هذا الحدس بدون أساس • وما لبثت حركة الأحداث أن برهنت على صحته •

وكما أسهم عبد الفتاح اسماعيل بدور بارز فى الاطاحة باليمين الانتهازى بحركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ م ، فانه لعب ذات الدور فى التطويح باليسار الانتهازى بهبة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ م •

وبذلك فتح الطريق نهائيا لقيام الحزب الطليعى الذى كان فى

مركز الدائرة من همومه واهتماماته ، والذى بتأسيسه فى أكتوبر ١٩٧٨ غـدا أمينا عاما لـه .

بقيام هـذا الحزب ، الحزب الاشتراكى اليمنى ، وجـد صمام أمان الثورة ، والضمانة التاريخية لاستمرارها وتعمقها ونموها ، ولتحقق كامل أهـدافها القريبة والبعيدة ، المرحلية والاستراتيجية .

كان يكفى عبد الفتاح اسماعيل أن تكون خاتمة نضاله هى قيام مثل هـذا الحزب الاشتراكى العلمى الذى نقشت على رايته غرة مجـد اليمن الجـديد .

أن تكون الحياة قـد امتدت به بعـد ذلك ، فتلك كانت فضلة أو اضافة من العمر لم يكن يملك الا استثمارها فى توطيد دعائم هـذا الصرح الذى أثبتت الأحـداث مدى مناعته ورسوخه .

أن يكون قـد سقط صريعا فى واحـدة من أغرب المؤامرات التى تمتحن بها الشعوب — الا وهى مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ — فذلك هـو الجانب التراجيدى فى حياته وملحمة نضاله .

ولكن هـل تخلو حياة وتاريخ الزعماء الاسطوريين والحقيقيين من المـآسى ؟

المـأساة تكاد تكون جزءا لا يتجزأ من حياة وتاريخ الزعمـاء والأبطال والفرسان ، ونادرا ما أفلتوا منها . ولربما كان مصير الكثير منهم دائما مأساويا ، كما لو كان قـدرا مقـدورا ، ولربما داهمهم هذا المصير ، وهم فى مطلع أو قمة مجـدهم .

ولكن هـذا المصير المـأساوى الذى يحتفظ التاريخ العربى بصور دامية منه حتى اليوم ، هـو الذى يعمق باستمرار الاحساس والارتباط بالقضايا التى سقط من أجلها وعلى ساحتها الشهداء .

ولربما لم يكن سجل عبد الفتاح الحياتى والنضالى الحافل فى حاجة الى شىء قــدر حاجته لان تكتب آخر صفحاته بنجيع دمه وذوب روحه ، تتويجا لهــذا السجل ، وخاتمة مثيرة له .

ولكن هــذه الخاتمة المثيرة والمــأساوية هى ذاتها بداية حيــاة جــديدة ، وتاريخ مديد .

والحزب الاشتراكى اليمنى الذى أسهم عبد الفتاح اسماعيل بدور أساسى فى قيامه هــو حياته الجــديدة .. وتاريخه المديد .

ألم يقل الحزب ذلك صراحة ؟ ألم يعترف بدوره الأساسى هــذا ؟ ألم يطلق عليه ، وهــو ينعيه ، لقب مؤسس الحزب ؟ !

وهل كان يبغى عبد الفتاح اسماعيل أكثر من هــذا .. أكثر من أن يكون بيننا فى حياته ومماته .. أكثر من أن يكون مستمرا فى حزبه وبحزبه ؟ !

أليس خاتمة حياته مما يغبطه عليها الاحياء بلا حياة ؟ !

أليس هــذا الدخول فى التاريخ من أوسع أبوابه ممــا يحسده عليه كل من سدت فى وجهه كل الأبواب .. أبواب التاريخ ، وأبواب الخلود ؟ !

ليس مجرد نعى لعبد الفتاح اسماعيل ما تضمنه بيان المكتب السياسى للجنة المركزية الذى تلاه الأمين العام الرفيق على سالم البيض فى ١٠ فبراير ١٩٨٦ .

انه تقييم مركز مكثف لتاريخ عبد الفتــاح اسماعيل النضــالى ، وتثمين عميق بليغ لهــذا التاريخ الحافل ، وتحــديد قاطع حاسم لدوره الشخصى فى بناء الحزب الاشتراكى اليمنى ، رافعة تاريخه ، وتاريخ اليمن الجــديد كله .

واذن فان علينا أن نعيد قراءة هــذا البيان قراءة تاريخية.

« لقــد حل بحزبنا وشعبنا مصاب فادح جلل باستشهاد الرفيــق عبد الفتاح اسماعيل ، مؤسس حزبنا ، ومشعل الحرف الوضاء ، وانبل وأوفى مناضلى الاشتراكية العلمية فى بلادنا . وابن حزبنا الهمـــام : حزب الطبقة العاملة المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين ومعــــاش الكادحين ، والكادح الخالــد ، والفــارس الجسور لمعـــارك الحريه والاستقلال والسيادة والوحــدة ، فأى مشعل للفكر قــد انطفأ .. وأى قلب توقف عن الخفقان !

الا فليصم التاريخ بعــاره الأبدى ســافكى دماء فرسان الثـــورة الأماجــد .. عبد الفتاح اسماعيل ، وعلى أحمد ناصر عنتر ، وصـالح مصلح قاسم ، وعلى شائع هادى ، وبقيــة الشهداء من أعضــاء اللجنة المركزية وكوادر الحزب .. ولانامت أعين الجبناء .

كان عبد الفتاح اسماعيل دائما وأبدا على خط النار الأول ، ســواء فى النضال التحررى ضــد الاستعمار البريطانى وركائزه ، أو من أجل التقــدم الاجتماعى ، وفى النضال من أجل توحيد فصائل اليســار فى تنظيم طليعى ، وفى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى ، ومن أجل نقاوته والذود عن اختياراته السياسية والأيديولوجية ، أو فى النضال الحازم والثابت ضــد النزعة الفردية ، وضــد الاتجاهات اليمينية واليسارية المغامرة داخل الحزب ، وفى النضال من أجل الدفاع عن الثورة اليمنية ، أو من أجــل تحقيق حلم شعبنا وأمله فى يمن ديمقراطى موحــد . وفى العمل السرى ، أو فى أعلى مناصب الحزب والدولة ..

لقــد شيد ورفاق دربه العظام ، وفى بطولة فائقة ، حزب الطبقة العاملة عقل وشرف وضمير شعبنا .. الحزب الاشتراكى اليمنى ..

وكان فى أحلك السنين ، والأرض تشتعل بلهيب مؤامرات القوى المضادة للثورة وأسيادها ، ثوريا لا يخشى شيئا ، مناضلا واعيا مفعما بالتفاؤل وبالثقة بالمستقبل وبقــدرات شعبه وحزبه على انتزاع الظفر بالنصر فى جبهات البناء والعمل والدفاع عن الوطن والثورة .

وتحت قيادته ، ورفاقه التاريخيين ، للحزب الاشتراكى اليمنى ، تحققت انجازات تقــدمية لشعبنا .. وغــدت اليمن الديمقراطية قلعة شامخة للحرية والتقــدم الاجتماعى ، ومنارة هادية للاشتراكية العلمية ، سلاح الكادحين ، للقضاء على عالم القهر والعبودية والاســـتغلال ، وسلاحهم الأمضى والمجرب لبناء غــدهم المزدهر على هــذه الأرض .. كما غــدت اليمن الديمقراطية فعلا ، مكان احترام الأصــدقاء ، ومهــابة الأعــداء .

لقــد كان عبد الفتاح اسماعيل . ابن شعبنا البار ، خصما عنودا للدوائر الامبريالية والرجعية ، وخصــما عنــودا للانتهازية اليمينية واليسارية ولكل مظاهر النزعة الفردية ، وخصما لاتلين قناته لكل أعــداء الشعب اليمنى ، ومناضلا بارزا فى حركة التحرر الوطنى العربية وفى الحركة الثورية العالمية .

كان وفاؤه العظيم لحزبه وشعبه ، وثباته المبدئى والفكرى ، روعيه الرفيع وصراحته ، ونبــله الفائق ، وتواضعه الجم ، من أركان هيبتــه وشــهرته الفائقــه .

كانت مآثره عظيمة لدرجة يستحيل معها أن نوفيه حق التقــدير ، وكانت قضيته رائعة .. كما كانت كذلك حياته الباهرة .. فسلام عليك — أيها الرفيق الغالى — يوم ولدت ، ويوم توحــدت ذرات جسدك الطاهر مــع تراب هــذا الوطن الذى كنت صورته ، وكان صوتك ، ويوم اشتعل اسمك نارا ونورا فى سماء الخلود الأبدى » .

« صحيفة » ١٤ أكتوبر ١١–٢–١٩٨٦ م .

تلك فقرات من البيان .. فهل لدى أحـدما اضافه ؟ !

ربما بقيت لى شخصيا اضافة .. ولكن لا فى مضمار تقييم دور عبد الفتاح اسماعيل التاريخى ، الذى لا تحتمله مقالة صحفية . هى اقرب الى الافضاء بالمشاعر أكثر منها أى شىء آخر .. وانما هى اضافة تتعلق بآخر لقاء معه .

مـع حلول رأس السنة الميلادية الجـديدة ١٩٨٦ ذهبت والرفيق الشهيد على أسعد مثنى سكرتير اللجنة المركزية ورفاق آخرين لتقـديم التحية والتهنئة للرفيق سالم صالح محمد سكرتير اللجنة المركزية من حيث توجهنا مباشرة الى الرفيق عبد الفتاح اسماعيل فى مكتبه ايضا لذات الغرض .

كان ما أثار انتباهى ، وحفر عميقا فى وجـدانى — أثناء تبادل العنـاق والتهانى مـع عبد الفتاح اسماعيل — هـو تلك البشاشة والابتسامة الجميلة التى ملأت وجهه ، وتلك الضربة الحانية و « القوية » من يده اليسرى على كتفى الأيمن .

أكان بذلك يريد أن يرعش كل وجـدانى ، ويطلق حبيس أحاسيسى ، ويفجر كل ما كان مكنوزا من المشاعر تجاهه فى أعماقى ؟ !

كان ذلك هـو اللقاء الأول والأخير الذى أحسست معه أن عبد الفتاح اسماعيل قـد ألغى كل مسافة بينه وبينى ، وتصرف معى بعفـويه ساحرة ، ووجـدانية آسرة !

(أول لقاء بيننا تم فى صنعاء بعـد أحـداث ٣ أكتوبر ١٩٦٧ ، من حيث سافرنا معا الى القاهرة) .

وبعـد : فهل هناك من بيننا من لايدين لعبد الفتاح اسماعيل بشيء ؟

على أن أغلى دين له فى أعناقنا جميعا هـو دوره الخاص وغير المنازع فى توحيد قـوى التقـدم فى ظل ثورى واحـد .. فى تشييد حزب الثورة والثوار ، حزب العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وجميع الكادحين ، حزب الاشتراكية العلمية والاممية البروليتارية ، الحزب الحامل والمجسد المستقبل كله ، مستقبل شعبه ، والحالم والعامل ، جنبا الى جنب مع فصائل الثورة العالمية ، من أجـل صنع مستقبل البشرية الوضاء ، الحزب الذى كسب به ثوار اليمن هـويتهم الثورية الاممية ، وانتماءهم الى الانسانية التقـدمية !

واذا كانت مناعة ووحـدة هـذا الحزب الفـكرية والسياسية والتنظيمية قـد تعرضت ـ بفعل أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ المشؤومة ـ لمحنة خطيرة ، كان هـو من أوائل ضحاياها ، فان المهمة الأولى والعاجلة والملحة ـ لمعالجة آثار هـذه المحنة ، ولمواصلة المسيرة الثورية ـ تتمثل فى البحث الدقيق عن العوامل الذاتية والموضوعية التى ساعدت على ذلك وبالذات عن جوانب الخـلل الأيديولوجى والسياسى والتنظيمى المحتملة فى الحزب ، وعن العوامل الاجتماعية والتاريخية المفترضة داخل المجتمع بكل افرازاتها فى مجمل البنية الفوقية له ، اذ أن معرفة ذلك جيدا تمثل خطوة هامة فى اتجاه تصحيح جوانب الخلل ، ومعالجة مكامن العـلل .

أما الحل الكامل فيتمثل فى رأب الصـدع الذى أصيب به الحزب ، وحسب وحـدته الفكرية والسياسية والتنظيمية صبا ، وعمل كل ما يمكن ويجب عمله من أجل ذلك .

وعبر التحقيق الكامل لهـذه الوحـدة ، تتعزز — كما لم يحـدث في أى وقت مضى — الوحـدة التامة للوطن والشعب ، الوحـدة الوطنية والشعبية المتينة .

وفي أعمـاق هـذا الحزب الطليعى الواحـد الموحـد سيعيش عبد الفتاح اسماعيل عمره الجـديد ، وحياته المديدة .

ذكـريات وخـواطر

في حـرم متحف

عبد الفتـاح اسماعيل

حقا أن تاريخ الشعوب والمكانة التى يشغلها القادة فيه تكتبهما مراكز البحث الحزبى والجامعى والمؤرخون المختصون •

غير أن المتاحف الخاصة بحقبة تاريخية ما أو بشخصية تاريخية هامة بكل ما تحتفظ به من آثار أو أثر ، ومن أوراق أو ذكريات تغـدو مرجعا لا غنى عنه عنـد كتابة تاريخ هـذه الحقبـة وسيرة هـذه الشـخصية •

واقامة متحف عبد الفتاح اسماعيل فى ما تبقى صامدا من أركان منزله الذى كادت تلتهمه نيران مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامى — بعـد أن عصفت به وزملائه من قادة الحزب والدولة ريحها الهوجاء — اقامته تحمل معانى ودلالات جمة ، فهو شاهد على هول وبشاعة المؤامرة ؛ وهو نصب تذكارى لرجل من رجالات التاريخ الخالدين ، وهـو رمز لتكريم الأحزاب والشعوب لقادتها وأبطـالها ، وهـو تعبير عن استمرارية الرسالة الثورية التى سقط وهـو يرفع لواءها ، وهـو أخيرا مرجع لكل ما يتعلق بحيـاة وتاريخ وأبدية هـذه الشخصية اليمنية السامقة اللامعة التى ستدخل التاريخ باعتبارها واحـدا من أبرز المعـالم

الباقيــة على ميــلاد اليمــن الجــديد : اليمــن الديمقراطى الاشتراكى الموحـــــد •

وأنا فى حرم متحف عبد الفتاح اسماعيل المهيب لا أملك عـــدا الشعور بالخشوع والاجلال الا أن أسجل واحـــدة من ذكرياتى العميقة والعـــديدة مع عبد الفتــاح اسماعيل : المواطن الحـــق ، والوطنى الأصيل ، والثورى المتأجج ، والسياسى البارع ، والمثقف الكبير •

كان اللقاء الحميم والطويل والجميل والغنى والمبهج فى منزله فى معاشق • كنت ضيفه الكريم فى هذا اللقاء الذى أردته شخصيا أن يكون رسميا ومتسما بالتزمت الواجب عند لقاء الرؤساء وزعماء الأحزاب ، ورجالات الدولة •

وبطريقته المشهودة التى تميز بها دائما والتى تجمع ما بين الخلق العظيم ، والبساطة المحببة ، والشفافية الوجــدانية ، والقــدرة على النفاذ الى شغاف القلب ، والتى تلغى — بفعل ذلك كله — كل مسافة بينك وبينه ، وتبــدد كل شعور لديك بالكلفــة أو الحرج أو بأنك فى حضور الرجل الأول فى بلدك — بذلك جعلنى عبد الفتاح اسماعيل أشعر بأننا فى جلسة أخــوية مفتوحة طلقة كهواء معاشق الطلق •

كان ذلك فى نهاية سبتمبر أو مطلع أكتوبر من عام ١٩٧٨ ، حيث قــدمت الى عــدن من براغ فى زيارة خاصة تهيؤا لعودتى اليها مـــع عائلتى •

بعـــد قليل من تبادلنا أطراف الحـــديث عما هـــو عام وخاص أصبحنا ثلاثة بانضمام الزميل راشـــد محمد ثابت الينا • وكان يشغل حينئذ موقـــع مدير مكتب الأمين العـــام للحزب الاشتراكى اليمنى عبد الفتاح اسماعيل •

كان ناصر ناجى الذى لازم عبد الفتاح اسماعيل هــو الوحيد الذى كان يطل علينا بين حين وآخر ليطمئن الى أن انغماسنا فى الحــديث الممتع لم ينسنا أن نتناول شيئا من البيرة المثلجة وأن نطعم من اطايب المــائدة الشهية •

أول ما قلته لعبد الفتاح اسماعيل بعــد لحظات عناق حارة : يبدو أنه حتبت على الا ادخل عــدن مرة أخرى الا بعــد أن يخرج منهــا سالم ربيع على !

علق عبد الفتاح مبتسما : بالفعل عندما وصلتنا رسالتك التى بعثتها من القاهرة عن طريق السفير راشــد محمد ثابت ، والتى تطلب فيهــا حلا بعــد أن أنهى أنور السادات حقك فى اللجوء السياسى فى مصر ، وطلب مكتب اللاجئين السياسيين ضرورة مغادرتك مصر خلال اسبوع ، فأن المكتب السياسى ارتأى قــدومك الى عــدن ، غير ان ربيع على رفض •

تلك كانت لحظة من اللحظات ــ البالغة الأهمية والحساسية بالنسبة اى شخصيا ــ والتى تجلت فيها روح المواطنة والوطنية العميقة والأصيلة فى عبد الفتاح اسماعيل تجاه مواطن لا يدرى له مصيرا بعــد أن غــدا بلا ملجأ أو ملاذا أو منفى ، كما برزت فيها سمة القروية المغلقة والبليدة التى طبعت شخصية ربيع على ، دون أن يخفف منها وجــوده على رأس دولة يمنية مسؤولة عن حياة ومصير كل مواطـــن يمنى بحكم دستورها الذى يحكم باسمه •

كان من الطبيعى ان يكون الحــديث فى جزء كبير منه حول الخطر الذى مثلته انتهازية ربيع على اليسارية الطفولية على قضية الثــورة والوحيدة اليمنية بكل ما انتهت اليه هــذه اليسارية المتطرفه من جنوح نحــو اليمين ، شأن كل يسارية متطرفة فى كل زمان ومكان ... •

ولقـد حييت بحرارة وقـوة الدور الشخصى الذى لعبه عبد الفتاح اسماعيل فى مقارعة هـذا الخطر منذ لحظة بروزه بعـد انعقاد المؤتمر الخامس للجبهة القومية عام ١٩٧٢ م — وهـو الخطر الذى لمسته لمس اليد خلال فترة وجـودى فى عـدن ما بين نهـايه نوفمبر ١٩٧٢ — نهاية فبراير ١٩٧٣ — الى لحظة الاطاحة به فى ٢٦ يونيـو ١٩٧٨ •

كما حييته بذات الحرارة والقوة على دوره الشخصى فى قيـام الحزب الاشتراكى اليمنى الذى ببنائه تتحقق الرافعة التاريخية التى تنقل اليمن من حالة الشتات والتمزق الى حالة التماسك والتوحـد ، ومن القروية والانفصالية الى الوطنية والاممية ، ومن التسلط القروسـطى الى الديمقراطية الثورية فالديمقراطية الاشتراكية •

تخلل ذلك كله شرح عبد الفتاح اسماعيل المستفيض للتكتيك الماهر الذى اتبعه من أجل العودة من بلغاريا الى عـدن . بغية اعـداد العدة للخلاص من اليمين الانتهازى — وهـو ما تحقق بقيام حركة ٢٢ يونيو التصحيحية ١٩٦٩ م وللتكتيك الفطن الذى سار عليه حتى أمكن التصدى والاجهاز على اليسار الانتهازى بهبة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ •

كما ذكرت من جانبى لعبد الفتاح اسماعيل بالحوارات التى دارت بيننا أثناء فترة اقامتى فى عـدن فى نهاية ١٩٧٢ ومطلع ١٩٧٣ وبرسائلى اليه والى قيادة الجبهة القومية التى كنت أرسلها من القاهرة وبراغ منذ هـذا الوقت وحتى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى ، اضافة الى المقالات التى كنت أنشرها فى المجلات المصرية والعربية ، والتى كانت تدور حول مخاطر خطر القروية والعزلة والتطرف الذى كان يتبعه ربيع على ، وحول ضرورة قيام النواة الطليعية الحزبية القائدة ، والجبهة الوطنية العريضة ، ضمانا لدفـع الثورة فى طريق استكمال مهام الثورة الوطنية

الديمقراطية ، وطريق التوجه الاشتراكي ، عبر تحقيق الوحـدة اليمنية على أسس ديمقراطية تقـدمية ، ومن اجل ان تلعب اليمن دورها تجاه نضال أمتها العربية المتجة صوب تحقيق الديمقراطية ، والوحدة العربية التقـدمية ، والاشتراكية ، وتجاه نضال حركة الثورة العالمية الهادفة الى الخلاص من الامبريالية والصهيونية والرجعية ، وتحقيق الديمقراطية والاشتراكية والسلام •

كان راشد محمد ثابت الذي نشأت بينه وبيني علاقة صـداقة منذ كنت في عـدن مع نهاية ١٩٧٢ ومطلع ١٩٧٣ أزدادت توثقـا خلال فترة بقائه في القاهرة سفيرا حتى ترحيلي منها في نهاية ابريل ١٩٧٧ — كان طرفا في الحوار الخصب والمتعـدد الجوانب ، والذي كان عبد الفتاح اسماعيل واسطة العقد فيه •

أطلعنا عبد الفتاح اسماعيل على بعض ما دار بينه وبين زعمـاء جبهة الصمود والتصـدي العربية من مناقشات نظرية حول سـلامة الخيار الاشتراكي العامي الذي أخـذت به اليمن الديمقراطية •

وكان نقاشه النظري مع قائد ثورة الفـاتح من سبتمبر الليبية العقيد معمر القـذافي حول « الاشـتراكية العلميـة » التي يتبناها عبد الفتاح اسماعيل وحـول « النظرية الثالثة » التي يدعـو لها العقيد القـذافي هـو أمتع ما سمعناه على مائدة الطعام ، وما زاد من شهيتنا المـادية والروحية !

وعندما عـدت من براغ مـع زوجتي وأولادي الى عـدن في نوفمبر ١٩٧٨ أبت روح المواطنة والوطنية العميقة والأصيلة في عبد الفتاح اسماعيل — أبت عليه الا أن يقاسمني وعائلتي البيت الخـاص به

وعائلته . حينذاك أحسست بأن عبد الفتاح اسماعيل لا يقطع لى جزءا من بيته آوى اليه وأفراد عائلتى بعد حياة اللجؤ السياسى والمنافى فى القاهرة وروما وبراغ وانمـا يقطتع لى جزءا من ذاته أسكن فيه ويسكن فى .

ولذلك كله فان فزعى كان عظيما — شأن غيرى من المواطنين الذين كانوا يعرفون دوره وفضله — عندما بدأت المشاكل تحيط به وبموقعه القيـادى .

وكما أتيح لى أن أعرب عن هـذا الفزع لعلى ناصر محمد الذى كان يشغل منصب رئيس الوزراء فى هـذا الوقت ، فانه أتيح لى والزميل مجاهـد القهالى أن نعبر — فى لقاء مطول مع كل من محمد سـعيد عبد الله « محسن » ، الذى كان وزيرا لأمن الدولة حينئذ ، اضافة الى عضويته فى المكتب السياسى ، وعضو المكتب السياسى وزير الدفاع على أحمد ناصر عنتر — عن قلقنا لمجريات الأمور .

عندما أزيح عبد الفتاح اسماعيل من الأمانة العامة للحزب ورئاسة الدولة فى ٢١ أبريل ١٩٨٠ — وسط قلق حزبى وشعبى من مغبة غيابه فى وقت تحتاج فيه الثورة والبلاد الى مثل قيادته المجربة — كان كتابى « حول الوحـدة اليمنية والانتهـازية اليسارية والحزب الاشتراكى اليمنى » الذى حـوى الكثير من الاقتباسات والاستشهادات بعبد الفتاح اسماعيل ، يطبع فى « دار الفارابى » فى بيروت .

تحت تأثير ما حـدث فى قيادة الحزب فى عـدن ، وبهـدف أن أدخل تعـديلا فى الكتاب أشطب منه الاقتباسات والاستشهادات الآنفة الذكر — أعيد الى الكتاب بواسطة الدائرة الاعلامية فى رئاسة الوزراء .

لم أشطب أقوال عبد الفتاح اسماعيل وانما أطلقت لقب « رئيس الحزب » — وهــو اللقب الشكلى الذى منح له تغطية لازاحته — محل لقب الأمين العام ورئيس الدولة ، وكتبت مقــدمة نوهت فيها باسم على ناصر محمد الذى أصبح يتبوأ هــذين المنصبين اضافة الى رئاسة الوزراء •

لم يكن هــذا التنويه كافيا لكى يمر الكتاب بعــد طبعه • فعندما وصل عــدن أودع فى مخزن الدائرة الأيديولوجية للجنة المركزية ابان شغل د• عبد الله الخامرى لهــا • ولم يفرج عنه ليودع فى مخزنى الخاص مــع نسخ كتاب آخر ظلت محتجزة أيضــا ، وهــو « مساجلات حــول حركة الأحرار اليمنيين » الا بعــد تسلم سالم صالح محمــد سكرتارية الدائرة الأيديولوجية •

بعــد عودة عبد الفتاح اسماعيل من موسكو فى ٧ مارس ١٩٨٥ كان الأمل يراود الــكثير — ومنهم كاتب هــذه الذكريات — أن تكون تلك بداية تضميد الجراح • ورأب الصــدع ، وانهاء حــالة التشرذم والتكتل ، واعادة الوحــدة للحزب •

ألا يتحقق هــذا الأمل ، وأن تحــدث — بدلا من ذلك — كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ التى ذهب ضحية لهــا عبد الفتاح اسماعيل وعلى أحمد ناصر عنتر ، وصالح مصلح قاسم وعلى شايع هــادى ، وغيرهم من الكوادر الحزبية والشعبية والعسكرية ، من الجانبين فان المسؤولية عن ذلك تقع بالكامل على مدبرى هــذا الجرم فى حــق الحزب والشــعب والمؤسسات الشعبية والرسمية ، وعلى رأسهم جميعا على ناصر محمد ، الذى أجاز استخدام السلاح لحل خلافات حزبية ، رغم قرار الحزب بادانة من يلجأ الى ذلك •

كان يمكن لعلى ناصر أن يستجيب للنداء السوفيتى الذى وجـه اليه ـ كما اتضح آخيرا ـ قبل وقوع الكارثة بقليل ، والذى طلب اليه فيه آن يقبل بفكرة التوجه الى موسكو مع عبد الفتاح اسماعيل وعلى أحمد ناصر عنتر ، بهـدف البحث عن حل مقبول يرضى الجميع ويجنب البلاد مخاطر محققه •

كان رفض على ناصر لهـذه المناشدة وهـذا المسعى الاممى النزيه والذى لم يكن له بديل ، والذى كان من الممكن أن يكلل بالنجاح ـ كان هـذا الرفض دليلا قاطعا على أن على ناصر قـد تنكب طريق الرشد والصـواب والحزب •

وكان لجؤه فى ١٣ يناير ١٩٨٦ الى طريق المغامرة والمؤامرة والقتل هو دليل الافلاس السياسى ، والانتحار الشخصى ، والموت حيا •

أما عبد الفتاح فقـد رحل على رأس كوكبة من المناضلين ، بينما بقيت قضيته ، قضية الثورة اليمنية ، والوحـدة الوطنية الديمقراطية ، والاشتراكية ، بقيت فى يد كوكبة أخرى من المناضلين ، وفى يد الحزب والشعب وكل قـوى التقـدم اليمنية •

لقـد غاب جسد عبد الفتاح ، وتوقف دماغه عن التفكير ، وكف قلبـه عن النبض •

غير أن جسم الحزب الذى أسهم بدور أساسى فى بنائه ، حتى استحق أن يطلق عليه هـذا الحزب لقب المؤسس لـه ، ما برح يضج بالحياة ، ودماغ هـذا الحزب الجماعى ما فتىء يزخر بالعطاء الفكرى الذى لا ينضب ، وقلبه الذى يحس دبيب حركة الأرض فى وطنه وفى أمته وفى العالم من حوله لا يكف قط عن الخفقان •

وفى ذلك كله حياة دائمة وأزلية لعبد الفتاح اسماعيل • وذلك ما يقوله أيضا متحفه •

نظـرة برجـوازية صـغيرة
ونظـرة ثـورية علميـة
ازاء تجـربة الثـورة
فى اليمـن الديمقراطيه (*)

يبـدو أن ذلك القـدر من الصراحة الذى تحـدثت به « الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ — ١٩٨٦ م » عن السلبيات التى رافقت مسيرة الحزب الاشتراكى اليمنى خلال هـذه الفترة من وجوده ، ورافقت من ثم معه تجربة الثورة ذاتها قـد حاول البعض من دعاة الخصوصية الشرقية — بكل ما يتفـرع عنهـا من خصوصيات لكل أمة وشعب وقطر — أن يوظفوها لتبرير دعوتهم أو دعـواهم بأن اليمن الديمقراطية قـد حادث منذ البداية عن النهج القـويم عندما صرفها بريق الشعارات والأيديولوجيات والنظريات التى أفرزتها بيئة حضارية واجتماعية غربية ذات خصوصية تاريخية متميزة عن معرفة واقعها التاريخى والاجتماعى الخاص وكانت النتيجة من ثم هـذا الحصاد المرير من التأزمات والهزات والكوارث التى عاشـتها منذ عشية الاستقلال حتى اليوم .

فالاقتتال الأهلى بين الجبهة القومية وجبهة التحرير وصراعات اليمنى فى أكتوبر ١٩٧٨ م ودخول الحزب فى صراع حاد مـع نفسه

(*) نشرت فى « صوت العمال » فى ١٩٨٧/٦/٢٥ .

١٩٦٨م ضـــد يمين الجبهة القومية الحاكم وحركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م والنزاع الطويل بين تيار ربيع على اليسار الطفولى واليسار الثورى والذى انتهى بتصفية اليسار الطفولى فى ٢٦ يونيو ١٩٧٨ م ودمـــج الاتحـــاد الشعبى الديمقراطى وحزب الطليعـــة الشعبية ضمن التنظيم السياسى الموحـــد الجبهة القومية الذى انبثق عنه الحزب الاشتراكى اليمنى فى أكتوبر ١٩٧٨ م ودخـــول الحزب فى صراع حاد مـــع نفسه منذئذ بكل ما أدى اليه من أحـــداث دامية فى ١٣ يناير ١٩٨٦ وما تلاه — كل ذلك وغيره من الاختمارات التى ما تزال تعتمل وتتفاعل يؤكد صـــحة وجهة نظر دعاة الخصوصية هؤلاء ودعواهم بأن اليمن الديمقراطيـــة قـــد ضلت سبيلها منذ البداية حين اشاحت النظر عن متطلبات ومستلزمات الواقع الموضوعى وراحت تفسخ ما ألفه غيرها وتحاول تطبيقه بحذافيره على واقعها الخاص والمعقـــد والمتفرد .

ووفق وجهة نظرهم هـــذه فأن مجمل التجربه المريرة التى عاشتها اليمن الديمقراطية منذ الاستقلال والى اليوم قـــد أثبت — وحتى بشهادة بعض ما اعترفت الوثيقة التحليلية بحـــدوثه من الأخطـــاء والانحرافات والفساد ومن نمو برجوازى طفيلى وبيروقراطى داخـــل المجتمع والدولة ومن اصـــابة الحزب ذاته بكثير من هـــذه الأمراض وغيرها بما فيها مرض النزوع الاستهلاكى — قـــد أثبت أنه ليس هناك — من وجهة نظرهم — ما يمكن تسميته « تجربة ثوريه » متميزة فى اليمن الديمقراطية عن غيرها من التجارب التى عرفتها بلدان عربية وغير عربية أخرى ، هـــذه التجارب التى اما انتهت الى السقوط أو راوحت فى مكانها تمهيدا للحاق بمثيلاتها وهـــو نفس المـــآل الذى ينتظر تجربة اليمن الديمقراطيـــة .

والزعم بأن اليمن الديمقراطية قـــد تفردت بامتلاك برنامج حزبى مبنى على نظرية الاشتراكية العلمية يحـــدد طبيعة المرحلة التاريخية

التى تواجهها ويؤكد التزامه بالمضى الى الامام حتى تحقيق الاشتراكية عبر النضال من أجل اقامة اليمن الديمقراطى الموحد — هذا الزعم — من وجهة نظرهم — ليس له ما يبرره ، فلا البرنامج يمثل صيغة واقعية وعلمية ومقبولة ولا امكانية تحقيق ما يسمى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية متيسرة فى اليمن الديمقراطية ، اما الطموح الى الانتقال الى المرحلة الاشتراكية فهو الوهم بعينه ، ناهيك ان مجمل الممارسات السياسية فى اليمن الديمقراطية لا تقود الى غير اقامة المزيد من الحواجز والأسوار أمام تحقيق الوحدة اليمنية .

والزعم بأن اليمن الديمقراطية قد تفردت بامتلاكها حزبا طليعيا يجسد نظريا وعمليا الفكر الاشتراكى العلمى ويتقدم مسيرة نضال الشعب اليمنى نحو التحرر الوطنى الكامل ، والوحدة اليمنية الديمقراطية ، والتقدم الاجتماعى ، والاشتراكية — هذا الزعم حسب تصورهم قد فقد حتى الكثير ممن رددوه وعملوا من أجل تحويله الى حقيقة ايمانهم بمصداقيته واقتناعهم بمدى سلامتهوجاءت أحداث ١٣ يناير وما قادت اليه وما قد تؤول اليه لتضع فاصلا هائلا بين الأحلام والوقائع ، بين الأمانى والحقائق .

فلم تفشل تجربة توحيد الفصائل الديمقراطية فى حزب طليعى واحد فقط ، وانما أصيب الحزب نفسه بجميع الفصائل والأفراد التى تألف منها أو انضمت اليه بعد تأليفه بضربة ماحقة لا شفاء منها . ولا سبيل الى التغلب على مضاعفاتها وتداعياتها القادمة فى الطريق .

أما البديل لذلك كله فهو : العودة الى الواقع الموضوعى الموروث من التاريخ البعيد والقريب ، والانصات الى ما يطلبه ، واتخاذه أساسا للعمل السياسى المنشود . والواقع الموضوعى يقول أنه لا يستطيع أى من شطرى اليمن أن يقيم حتى دولة وطنية بمعزل عن الشطر الآخر ،

ناهيك عن اقامة ما يسمى دولة وطنية ديمقراطية ، وان سر التعثر الذى منيت به اليمن الديمقراطية ، وستمنى به أكثر ، يكمن فى جهلها أو تجاهلها لهـذه الحقيقة ، وفى تصورها أنه بمجرد اقامة ما يدعى بالحزب الطليعى ستنجز اليمن الديمقراطية ، مرحلة الثـورة الوطنية الديمقراطية ، وستعبرها الى المرحلة الاشتراكية ، وستحقق خلال ذلك اليمن الديمقراطى الموحـد .

وحيث أن هـذا التصور الميتافيزيقى — كما يرون — قـد تكشفت الاحـداث — وستتكشف أكثر — بوضع حـد له ، فانه لا محيص من المراجعة الشجاعة والامينة لحصاد التجربة المريرة ، واستخلاص العبر والدروس المفيدة منها ، والتى بدونها لن تجـد اليمن الديمقراطية الا الهاوية التى تنتظرها حتى قبل بلـوغ نهاية ما يسمى مرحلة الثـورة الوطنية الديمقراطية ، ان لم تنتظرها فى أمد غير بعيد من الزمن .

وللخروج من هـذا المـأزق التاريخى الذى يواجهها فانه لا مفر من اعادة النظر فى كل شيء .

والمدخل الى ذلك هو الكف عن سياسة قفز المراحل التاريخية والكف عن التشدق بامتلاك نظرية علمية ، والكف عن التمسك بصيغة الحزب الطليعى ، والكف عن تصور أنه كان هنـاك أو ما يزال هنـاك حزب طليعى ، والكف عن تصور أنه يمتلك برنامجا سليما وصالحا لترشيد حركة النضـال .

بعـدئذ .. وبعـدئذ فقط يمكن العثور على الحل .. والمخرج .
وطريق النجاة من الكارثة التى توشك أن تطبق على اليمن كلها .

ذلك يعنى أنه لابد من اجراء عملية مراجعة شاملة ، ولابد من التراجع الى نقطة الانطلاق السليمة ، التى تساوى هنـا شيئا واحـدا

ووحيدا ، الا وهــو أن اليمن بشطريها تمر بمرحلة واحـــدة ، هى المرحلة الوطنية ، وانها لم تبلغ بعـــد ما يدعى عادة بمرحلة الثورة الاجتماعية فى مجتمع طبقى حقيقى .

ومرحلة الثورة الوطنية تستدعى حشد كافه القوى السياسية — أيا كانت مواقعها الاجتماعية ومشاربها السياسية — بكل ما يعنيه ذلك من اطلاق حرية تكوين الأحزاب لمثل هـــذه القـــوى السياسية ، وضرورة دخولها فى حوار ديمقراطى هـــدفه العثور على صيغة جبهوية توحدها . ووضع ميثاق وطنى يمثل القاسم المشترك لمجمل تصوراتها السياسية الخاصة بهـــذه المرحلة .

أما الهـــدف الاستراتيجى الجامع والشامل لهـــا مجتمعة فهـــو : تحقيق وحـــدة اليمن الوطنية . واحـــداث النهضـــة الحضارية فيهـــا ، وتمكينها من أن تصبح عضوا حيا وفعالا بين جمـــاع أمتها العربية الساعية الى التحرر والتقـــدم والوحـــدة وبين دول العـــالم النامى المناضلة من اجـــل صنع مستقبلها .

ولايهم من أجل تحقيق هـــذا الهـــدف الاستراتيجى القيام بأى شىء . بما فى ذلك تصحيح الأخطاء ، والعودة عن بعض الاجراءات التى اتخـــذت فى اليمن الديمقراطية قبل أن يحين آوانها ، وقبل أن تنضج الظروف الموضوعية والذاتية لهـــا .

وفى ظـــل اليمن الموحـــد يمكن — بعـــد عملية تنميتها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وبعـــد تبلور معالم تمايز اجتماعى وتقاطب طبقى فيها — يمكن أن يتسع المجال تلقائيا لنوع من الصراع الطبيعى والاجتماعى ، بغية تحسين أوضاع الطبقات المحرومة من نصيبها الاجتماعى فى الثروة ، وبغية مشاركتها فى السلطة ، وبغية تطوير المجتمع ككل .

واضح الخطـأ المنهجى الذى يقع فيه دعاة الخصوصية الشرقية — ومن ثم الخصوصية اليمنية — هؤلاء .

فهم باسم هـذه الخصوصية يفصلون فصلا ميكانيكيا وتعسفيا بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية ، ويرجحون مفهـوم الحرية الليبرالية باطـلاق على مفهـوم الديمقراطية الثورية الذى يعنى شيئا من التضييق على حرية بعض القوى الاجتماعية التى كفت عن أن تكون احـدى قـوى التقـدم ، وهم من ثم يقـدسون مبدأ الحرية الحزبية وحـق كل طبقـة فى أن يكون لهـا أكثر من حزب يمثل مصـالحها ، ويبـلور أيديولوجيتها — بقطـع النظـر عمـا اذا كان يسهل عمليـة الحراك الاجتماعى أو يثقل خطاها — وهم يفترضون عـدم امكانية أن يحقق جزء من اليمن ما اصطلح على تسميته بالثورة الوطنية الديمقراطية ، وان قانون تفاوت التطور واحتمال أن يسبق شطر شطرا آخر من ذات الوطن فى مضمار التقـدم الاجتماعى لظروف داخلية وخارجية مواتية غير وارد على الاطلاق ، كما يستبعدون النظرية اللينينية القائلة بامكانية تجنب مرحـلة الرأسمالية — أيا كانت محـدودية الشكل الذى تظهر فيه — وبامكانية الانتقال مباشرة من المرحلة الاقطاعية — القبلية الى المرحلة الاشتراكية عبر المرور بمرحلة وسيطه ، هى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، طالمـا توافرت لذلك الشروط الموضوعية والذاتية الداخلية التى يأتى على رأسها وجـود حزب طليعى يقـود تحالفا طبقيا يمثل العمال والفلاحون عموده الفقرى وشروط خارجية يأتى فى مقـدمتها دعم دول المعسكر الاشتراكى وفى طليعته الاتحاد السوفيتى .

نحن اذن أمام وجهة نظر هى أدنى الى وجهة نظر البرجـوازية الصغيرة منها الى وجهة نظر الديمقراطية الثورية .

وهى وجهة نظر من مصلحتها أن تصور مجرى الأحـداث فى اليمن الديمقراطية منذ عشية الاستقلال حتى اليوم بتلك الصورة القاتمة التى

رأيناها ومن ثم فانه ليس فى امكانها البحث عن العوامل الحقيقية لحالات التأزم التى مرت بها الثورة ٠

وهى لا ترى الخط الصاعد لحركة الثورة — رغم كل التعرجات والهزات ورغم كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ — ٠

وهى لا ترى الحقيقة الناصعة المتمثلة فى أنه لم يحـدث قط — أيا كان حجم عملية المجابهة بين أجنحة التنظيم السياسى الحاكم — أن تراجعت الثورة خطوة واحـدة الى الوراء ، وانها كانت دائما تتجـذر وتخداو خطوات أبعـد الى الامام ، وعلى جميع المستويات ٠

وهى لا تحاكم الاحـداث الا من زاوية واحـدة فقط ، زاوية ما فقـدته البلاد من الامكانيات والقـدرات والكوادر والرجال خلال مراحل الصراع السياسى العنيف ٠

حقا تلك خسارات ، وخسارات فادحة ، وكان ينبغى تجنب حدوثها ٠

ولكن — بعـد حـدوثها ورغم حـدوثها — يظل السؤال السياسى الجوهرى هو : هل عادت عقارب الساعة الى الوراء ، هل حدث تراجع ما هنا أو هناك ، أم أنه بعـد كل عملية تعثر آنية يحـدث النهوض ، وبعـد كل كبوة تتحقق انطلاقة ؟

ذلك لا يعنى عـدم السعى الى اكتساب واستعادة كل من يمكن ويجب اكتسابه واستعادته الى حظيرة الثورة والحركة الاجتماعية التقـدمية ٠

وذلك لا يعنى عـدم التسامح الثورى مع الثوريين ، فالثوريون يمكن أن يخطئوا ، بل ويمكن أن يخطاوا ٠

وغير صحيح القـول بأن برنامـج الحزب الاشتراكى اليمنى لا يستجيب لطبيعة المرحلة ، وأنه أقرب الى أن يكون صيغة مستوردة منه الى صيغة تجسد خصوصية الواقع اليمنى • فهـو برنامج يتسم بقـدر رفيع من النضج العلمى ، ويدل على قـدرة عالية على حسن استخدام المنهج المـادى الديالكتيكى فى التحليل وفى فهم الأوضاع فى اليمن الديمقراطية ، وهـو وثيقة تعنى العودة عنها أو اعادة النظر فيها فى الظرف الراهن افساح المجال لحـدوث المزيد من الارتبـاكات والاختلافات والتمزقات ، وهـو عاصم فكرى لا بديل له ، حتى تجـد ظروف وأوضاع تستلزم تطويره وتعميقه •

والحزب الاشتراكى اليمنى يظـل رغم كل ما حـدث فيه وحـدث له الاطار التنظيمى الملائم الذى أمكن للحركة الثورية اليمنية بلوغـه منذ نشوئها فى منتصف الخمسينيات •

وفى اطاره يمكن أن تنضوى خيرة العقول اليمنية التقـدمية ، وأفضل أبناء العمال ، وطلائع الفلاحين وكل القوى الشريفة المتطلعـة نحـو المستقبل •

وفى اطاره يمكن أن تنضوى خيرة العقـول اليمنية التقـدمية ، السياسية والتنظيمية •

ووجود الحزب الاشتراكى اليمنى لا يتعارض مع ضرورة وجود جبهة وطنية عريضة تتسع لجميع الأحزاب والقوى الموجودة فى الوطن ، ولغيرها من الأحزاب والقوى الوطنية التى تفرزها حركة الصراع الوطنى الاجتماعى • ونواة هـذه الجبهة موجودة بالفعل •

واستمرار بقاء النظام الديمقراطى الثورى فى جنوب الوطن يحقق مصلحة الحركة الوطنية والاجتماعية اليمنية بمجملها ، وتراجعه عن أى

من المنجزات التى حققها — حتى ولو كان بعضها قد أنجز فى غير أوانه — يؤثر سلبيا على هـذه الحركة ، ويهز الثقة فى مصداقية توجهه .

ومشاكل هـذا النظام ومعضلاته لا تقاس بالمشاكل والمعضلات التى واجهها ويواجهها نظام ديمقراطى مماثل يقوم فى أفغانستان .

ولا حاجة للحـديث المستفيض فى هـذا الشأن ، لتبيان أن النظام التقـدمى فى اليمن الديمقراطية امتلك ويمتلك امكانيـات وقـدرات ذاتية للتغلب على مشاكله الداخلية والخارجية كان بها فى وضع أفضل من وضع النظام التقـدمى فى أفغانستان .

حقا أن التبدلات على مستوى قيادة الحزب فى أفغانستان قـد اتسمت فى المرحلة الأخيرة بالهـدوء . ولكن ذلك لم يحـدث الا بعـد أن تجرع الحزب قـدرا من الكأس المرة ، والا بعـد أن انفسح المجال أمام الحليف السوفيتى ليلعب دوره الاممى فى هـذا الصـدد .

وقـد شرب الحزب الاشتراكى اليمنى القـدح المر حتى الثمالة فى أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ بعـد أن تجرع التنظيم السياسى السابق له من هـذه الكأس غير مرة .

وكمـا أن رأى الحليف السوفيتى موضـع ترحيب الحزب فى أفغانستان فانه كذلك الان موضع ترحيب الحزب الاشتراكى اليمنى الذى يسعى ويطالب بمثل هـذه المساعدة الفكرية والسياسية الاممية الى جانب مساعداته المـادية الأخرى .

ومعضلة النازحين لابد من حل لهـا وليس هناك طريق مقفل ، ولا أفق مسدود . والذين لحق بهم حيف — من قبل ومن بعـد — لابد

أن يعاد لهم اعتبارهم التاريخي والوطني ولا يظلم التاريخ أحـدا . حتى ولو ظلم لبعض حين لاعتبارات سياسية طارئة .

والتاريخ لا يكتب مرة واحـدة . وصانعو اية قضية لا يستطيعون أن يكونوا هم مؤرخيها . غاية ما يستطيعون فعله هـو تقـديم تقييمهم الذى يتسع ويتعمق كلما ابتعـد عن لحظة حـدوث الحـدث ، وكلما تبلورت نتائجه أكثر فأكثر .

والوثيقة النقـدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ — ١٩٨٦ تتقـدم مثل هـذا التقييم لا باعتباره الكلمة الأخيرة ، وانما باعتباره الكلمة الأولى ، الواضحة والصريحة فى عملية ممارسـة النقـد لتجربة الحزب النضالية .

ولقـد أقر الكونفرنس العام الذى عقد ما بين ٢٠ — ٢١ يونيو ١٩٨٧ هـذه الوثيقة التى سيبلورها ويعمقها الحزب فى سياق نضاله .

وأهمية التقييم والكونفرنس معا تكمن فى شىء واحـد : القـاء نظرة سريعة على ما جرى منذ قيام الحزب حتى ١٣ يناير ١٩٨٦ ، والقاء نظرة على آفاق المستقبل عبر التقرير السياسى الذى تقـدم به الى الكونفرنس العام الأمين العام للحزب الرفيق على سالم البيض .

والهـدف من ذلك كله حشد خطى الحزب والجماهير معه على طريق الثورة الوطنية الديمقراطية والانطلاق بهمة أكبر ، وثقة أعظم نحو انجاز مهامها التاريخية فى التقـدم الاجتماعى والتنمية الاقتصادية المستقلة ، وفى تفجير الثورة الثقافية ، وفى النضال من أجل شق طريق الوحـدة اليمنية واقامتها على أسس ديمقراطية وفى وضع الأسس المـادية والتكنيكية التى بارتباطها مع انجاز مهام الثـورة الوطنية الديمقراطية ينفتح الطريق واسعا نحو صعود ذرى الاشتراكية .

تجربة الثورة
في
اليمن الديمقراطية
نموذج طليعي
للثورات الديمقراطية(*)

(*) نشرت في مجلة « قضايا العصر » عدد أغسطس ١٩٨٦ .

بتحويل الرأسمال الى رأسمال مالى ، الى احتكار ، الى امبريالية ، دخل العالم كله شبكة التبعية الاستعمارية ، سواء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر ، وعمت بذلك سيادة الرأسمال الاحتكارى الكرة الأرضية كلها ، وتحول الكون كله الى مجرد سوق عالمية لدول المتروبول ، ولم تعد عبودية العمل المأجور مقصورة على البلدان الامبريالية ، وانما شملت البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة والتابعة .

وباتسام الرأسمال بهذه السمة العامة ، هذه السمة العالمية ، فأنه خلق نقيضا اجتماعيا ذا سمة عامة ، ذا سمة عالمية . وغدا ليس فى مواجهة ثورة اجتماعية تقودها بروليتاريا البلدان الاستعمارية فحسب ، انما أيضا فى مواجهة ثورات تحرر وطنى تشنها البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة والتابعة ، وتشترك فيها مختلف طبقات وفئات وقوى الشعب الوطنية ، ثورات لابد لها عند نقطة معينة من تطورها من التحول الى ثورات اجتماعية ضد الرأسمالية ذاتها وضد نهج التطور الرأسمالى عينه .

ان الانتكاسات التى حاقت وتحيق بالعديد من ثورات التحرر الوطنى حتى الآن لا تنفى هذه الفرضية النظرية التى نبهت اليها اللينينية وأثبتت صحتها التجربة التاريخية ، وانما هى برهان آخر على ان مثل هذه الثورات المحبطة أو المجهضة لم تتمكن من الوصول الى النقطة المشار اليها فى تطورها ، نقطة التحول ضد الرأسمالية ذاتها وضد نهج التطور الرأسمالى من أساسه .

ان اية تحويلات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية لا تتجاوز الافق الديمقراطي الثوري ولا تعبر الحد البرجوازي الصغير ، ولا تبلغ حد اقتحام طريق التوجه الاشتراكي ولا تعتمد على تحالف ديمقراطي واسع ، ولا يقودها حزب طليعي بروليتاري ولا تقيم أوثق وأوسع العلاقات مع البروليتاريا المنتصرة في البلدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي — ان مثل هذه التحويلات — أيا كان مداها — مصيرها الانتكاس ، والبقاء في شبكة التبعية الاستعمارية .

وليس في الامكان تمزيق شبكة التبعية الامبريالية هذه والخروج من دائرة التخلف الا بتحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة ذات توجه اشتراكي .

غير أن حدوث مثل هذه الانطلاقة الحاسمة غير ممكن طالما ظلت الثورة الديمقراطية تحت قيادة البرجوازية الصغيرة .

فالبرجوازية الصغيرة لا تلبث أن تولد برجوازية بيروقراطية عسكرية ومدنية ذات ميول يمينية ولا تلبث أن تنمو في ظلها مختلف فئات البرجوازية في المدينة والريف معا ولا تملك الا أن تبقى الجسور مفتوحة مع السوق الامبريالي ، مما يؤدى الى السير في طريق التطور الرأسمالي والى نسج علاقات متعددة مع الرأسمال الامبريالي والى البقاء آخر الأمر داخل فلك التبعية الاستعمارية .

ان مآل التجربة الناصرية والبعثية — وبالذات في العراق — وما تعانيه التجربة الجزائرية وما تواجهه التجارب الثورية الأخرى في سوريا وليبيا من مخاطر داخلية وخارجية ومن داخل التجربة ذاتها ، وان ما انتهت اليه التجارب الثورية الأخرى في العالم التي قادتها البرجوازية الوسطى والصغيرة ابتداء من أندونيسيا سوكارنو مرورا بغانا

نيكروما ، وانتهاء بنتشيللى اللندى — ان ذلك كله يقـدم براهين قاطعة على العجز التاريخى للبرجوازية الصغيرة والوسطى عن اخراج بلدانها من شبكة التبعيـــة الاقتصــادية والأيديولوجية للبلدان الرأسمالية المتروبوليـة •

ان المؤامرات الامبرالية ليست وحـدها المسئولة عن النكسات التى حلت بالتجارب الثورية الديمقراطية فى هـذا البلد النامى أو ذاك •

فالمؤامرة لا تفرخ الا فى أرض صالحة ، ولا تنجح الا اذا وجـدت ظروفا داخلية تساعد على ذلك •

وطالمـا ظلت السلطة فى يد البرجوازية البيروقراطية العسكرية والمدنية التى بصفتها هـذه فقـدت ثوريتها التى كانت لهـا عندما كانت برجوازية صغيرة ثورية طامحة ، فأن احتمال فشل الأنظمة الوطنية التى تكون قـد أقامتها يظل وأرادا باستمرار واحتمال ارتباطها بخيـوط جـديدة من التبعية المتعـددة الأوجـه بالبلدان الامبريالية يظـل قائمـا دائمـا •

فقط تلك البلدان التى سارت فى طريق التوجه الاشتراكى بفضل قيام حزب طليعى فيها يعتمد على قاعـدة شعبية عريضة مؤطرة وعلى منظمات جماهيرية مرتبطة عبر أعضائه وعبر اقتناعها بسلامة نهجـه السياسى وبفضل التعاون الذى يبلغ حد التحالف مع البلدان الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، فقط مثل هـذه البلدان يمكنها لا أن تفلت من شبكة التبعية الاستعمارية فحسب ، وانما أيضا من قبضـة البرجوازية الصغيرة الداخلية ، ويمكنها من ثم أن تحول ثورتها الديمقراطية البرجوازية الى ثورة اشتراكية ، من خلال المرور بدرجات انتقالية وسيطة ، واقامة قاعـدة مادية تكتيكية •

والثورة فى اليمن الديمقراطية هى أقرب مثل نموذجى لهذا النمط من الثورات الديمقراطية التى أمكنها ليوم بلوغ مرحلة التوجه الاشتراكى تمهيدا لانتقالها الى أفق الاشتراكية .

وهى بذلك تعطى مؤشرا بالغ الدلالة على الطريق الذى لا بديل له والذى لا محيص من المضى فيه ليس بالنسبة للبلدان العربية فقط ، وانما أيضا بالنسبة للبلدان النامية التى تطمح الى الافلات من شباك التبعية الاستعمارية ، والى السير فى درب التقـدم الاجتماعى .

وليس فى الأمر ما يدعو للعجب أن تلقى التجربة الثورية فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية كل هـذا الاهتمام العامى والسياسى من قبل ملامح الفكر المتقـدمى فى وطننا العربى وفى العالم كله ، وأن تتقاطر الى وطن ثورة ١٤ أكتوبر اليمنية هـذه النخبة الممتازة من رجالات البحث العلمى ، ومن ممثلى الأحزاب الاشتراكية ، ومن مراكز الأبحاث المتخصصة فى شـؤون الشرق .

وليست هـذه هى الندوة العلمية العالمية الأولى التى تعقـد فى اليمن الديمقراطية والتى تشهد مثل هـذا الجمع الرفيع المستوى من المفكرين العرب ، والمستشرقين ، والمتابعين لتجربة الثورة فى هـذا الجزء الماضى من الوطن اليمنى .

فقـد سبقتها ندوة أيديولوجية عالمية أقيمت هنا فى ابريل عـام ١٩٧٩ . ولم تنقض الا بضعة أشهر منذ أقامت جامعة كارل ماركس — لايبزج بجمهورية ألمانيا الديمقراطية فى سبتمبر ١٩٨٣ ندوة شـارك فيها وفـد من اليمن الديمقراطية حملت عنوان (التاريخ والتطـور الاجتماعى الراهن فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) .

وتأتى ندوتنا العلمية العالمية المنعقدة هنا اليوم لا لتكون فقط

تتويجا للندوات العلمية السابقة لهـا التى عقدت فى اليمن الديمقراطية وفى الخارج وانما لتكون أيضا وقفة فكرية وسياسية جـديدة نرجـو أن تكون أرسخ وأعمق وأشمل ، وأن تكون حصيلتها غير مقصورة على تقييم السمات الخاصة لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ، بحيث تتوصل الى استخلاص السمات العامة التى تنطوى عليها ، والتى يغتنى بها كنز الثورة العالمية ، وتفيد منها حركات التحرر الوطنى العربيـة والعالميـة .

ان الفترة التاريخية التى اجتازتها الثورة فى اليمن الديمقراطية منذ نشوب ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ والى اليوم تعتبر فترة قصيرة جدا من الناحية الزمنية ، غير أنها من حيث المعارك الوطنية والاجتماعية التى خاضتها ، والتناقضات الداخلية والخارجية التى واجهتها وتمكنت من حلها ، والتجنحات اليمنية واليسارية التى اصطدمت بها على مستوى السلطة واتيح لهـا التغلب عليها ، والتحولات الاجتماعية والاقتصـادية والسياسية والثقافية التى أنجزتها والسير المطرد والمتسارع فى طريق التحرر الوطنى ، والتقـدم الاجتماعى ، والتعاون المتنامى والمتعاظم مع كل قوى الثورة فى العالم ، وعلى رأسها المنظومة الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى فأنهـا — بذلك كله — تقـدم خبرة ثورية بالغـة الغنى والعمق ، وخبرة تتجاوز أهميتها وقيمتها اليمن الديمقراطية لتكتسب دلالة تاريخية أعم ومغزى عالميا اشمل .

لم تكن ثورة ١٤ أكتوبر أقـدم واعرق الثورات العربية ، فقـد سبقتها الكثير من الثورات العربية التى تعود جـذور بعضها الى الربع الثانى من القرن التاسع عشر كالثورة المصرية التى بدأت بثورة عرابى عام ١٨٨١ .

بل ان ثورة ١٤ أكتوبر ما كان لهـا ان تقـوم فى الوقت الذى قامت فيه ، لولا عوامل وطنية وقومية مساعدة ، تمثلت فى اندلاع ثورة

٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فى شمال الوطن اليمنى ، وفى الدعم الناصرى لهـــا عبر شمال اليمن نفسه الذى لقيت الثورة فيه ذات الدعم .

غير أن ما يدعو الى الانتباه — ان لم يثر العجب — هو أن ثورة ١٤ اكتوبر قد تجاوزت — فى مسارها التاريخى — الثـــورة اليمنية « الأم » ثورة ٢٦ سبتمبر ، التى ازرتها خلال السنوات الخمس من اشتعالها ، قبل أن يحاقبها انقلاب ٥ نوفمبر الرجعى عام ١٩٦٧ ، كما تجاوزت الثورة القومية « الأم » ثورة ٢٣ يوليو المصرية ، التى وقفت الى جانبها فى مبدأ الأمر ، قبل أن ينشأ التناقض بينهما منذ النصـــف الثانى لعام ١٩٦٥ بفعل محاولة الأجهزة البيروقراطية واليمينية المصرية فى اليمن فرض وصايتها على ثورة ١٤ اكتوبر ، وحرفها على خطهـــا التحررى الجـــذرى الذى أفصح عنه « الميثاق الوطنى » الذى صـــدر فى يونيو ١٩٦٥ ، والطابع الشعبى للثورة الذى أخـذ يتجلى أكثر فأكثر .

والسؤال هـو : بم ولمـــاذا تجاوزت ثورة ١٤ أكتوبر ثورة ٢٦ سبتمبر التى بدت لأول وهلة كامتداد لهـــا ليس الا ، وثورة ٢٣ يوليو الرائدة التى شمل دعمها كل الثورات العربية ، وان بدرجات متفاوته ؟ ثم كيف أمكن لهـــا أن تتخطى كل الثورات العربية بلا استثناء ، وأن تحتل هـــذا الموقع الأمامى المتقـــدم بينها مجتمعة ، بل وأن تحتل مكانة بارزة — ومرموقة بين الدول الديمقراطية الثورية الجـــديدة السائرة فى طريق التوجـــه الاشتراكى ؟ .

وليس فى الأمر صدفة ، أو ما يشبه الصدفة . وليس فيه ما يدعو للاستغراب أو التعجب .

لقـــد سلكت اليمـــن الديمقراطية الطريق الطبيعى الذى سلكته وتسلكه كل ثورة اصيلة ، بل ثورة شعبية ، بل ثورة وطنية ديمقراطية ،

تدرك جيدا أن مهمتها لا تنتهى عند اخراج قوى الاحتلال الامبريالية من أراضى وطنها ، وانما تمتد الى آفاق المستقبل ، وانها لن يكتب لهـــا النجاح والانتصار الا باتخاذ موقف وطنى حاسم حازم ضد الاستعمار القـديم والجـديد ، وضـد الرجعية الداخلية والخارجية ، والا باقامة دولة وطنية مستقلة سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، والا بنسف تركـة المـاضى القروسطية ، وضرب العلاقات الاقطاعية والقبلية والبطريركية ، والعلاقات البرجوازية الكمبرادورية ، وتقليم أظافر البرجوازية الوسطى التى تميل الى التعاون مـع الأوساط الاحتكارية الامبريالية ، وقطـع طريق التطور الرأسمالى ، والمضى فى طريق التنمية الاقتصادية المتناسقة والمتكاملة ، وفق خطط منهاجية علمية : بهـدف ايجاد اقتصاد وطنى انتاجى صناعى وزراعى ، ورفع مستوى معيشة الشعب ، وتلبية حاجاته المـادية والروحية ، والتعاون فى هـذا الصـدد مع الدول الاشتراكية ، والافادة من خبرتها النظرية والعملية فى جميع هـذه المجالات .

قـد يقف قائل ليقول فى لهجة لا تخلو من الاستنكار : أو لم تمض كل الثورات العربية ، وعلى رأسها الثورة المصرية ، فى هـذا الطريق الذى تسميه طبيعيا ؟ أو لم تصل فى تطورها الى حـد اقتحام طريق التطور اللارأسمالى ، أو طريق التوجه الاشتراكى ، كما حـدث فى مصر الناصرية ؟ وكما هـو حادث اليوم فى الجزائر ، وسوريا وليبيا ، بقطع النظر عن التراجع أو الانتكاس عن هـذا الطريق ، كما حـدث فى مصر ما بعـد عبد الناصر ، والسودان ، والصومال وغيرها من البلدان .

ونحن لا نشك أن فى الأمر اشكالا نظريا ، أو اشكالية نظرية ، آن أوان حلها . ولعل هذه الندوة تسهم فى تقديم مثل هذا الحل .

حقا أنه ساد خلال الفترة الناصرية تدور روحته حتى بعض مراكز البحث العلمى ، وبعض الدارسين الاشتراكيين فى المعسكر الاشتراكى ،

مفاده ان مصر الناصرية تسير فى طريق التطور اللارأسمالى ، وطريق التوجه الاشتراكى ، وان الديمقراطيين الثوريين هم الذين يقودون هذه المسيرة : نظرا لضعف الطبقة العاملة المصرية كما وكيفا ، وضعف وتمزق الشيوعيين المصريين ، وان الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يحتشد فيه ممثلو كل الطبقات والفئات الوطنية والشعبية يمكن أن يكون هو الأداة القيادية للثورة خلال عملية الانتقال الى المرحلة الاشتراكية

ان مثل هذا التصور لم يختف بعد نهائيا حتى اليوم ، حيث يميل البعض من الباحثين حتى فى الدول الاشتراكية — وذلك ما تدلل عليه العديد من الكتابات المنشورة — الى أن هناك طريقين أو شكلين التوجه الاشتراكى ، الشكل القديم الذى مضت فيه بعض الدول الوطنية منذ نهاية الخمسينيات ومطلع الستينيات ، ولا يزال البعض منها سائرا فيه مثل الجزائر ، وسوريا ، وقبلهما مصر ، ومثل بورما ، وتنزانيا ، وغانا ، ومالى ، واندونسيا ... الخ والأداة القيادية لمثل هذا التوجه تتمثل فى الديمقراطيين الثوريين الذين تجمع أيديولوجيتهم ما بين مفاهيم البرجوازية الصغيرة ورؤيتها الخاصة والضبابة للاشتراكية وما بين عناصر من ايديولوجية الاشتراكية العلمية .

أما الشكل الجديد للتوجه الاشتراكى فهو الذى تمثله بلدان مثل أفغانستان ، واثيوبيا ، وموزامبيق ، وأنجولا ، وبنين ، والكونغو الشعبية ، واليمن اليمقراطية ، والذى تقود الخطى فيه أحزاب ديمقراطية ثورية تبنت ايديولوجية الاشتراكية العلمية ، أو تبنتها واندمجت مع الأحزاب أو الجماعات الاشتراكية العلمية القائمة بالفعل .

ان موضوع الخلاف هو ما يسمى الطريق القديم أو الشكل القديم للتوجه الاشتراكى وعما ان كان قد وجد من الأصل ، ناهيك عن ان يكون ما يزال قائما ، وعما اذا كان صحيحا من الوجهة

النظرية القول بطريقتين أو شكلين للتوجه الاشتراكي يقود أحدهما الديمقراطيون الثوريون الذين يأخذون بهذا العنصر أو ذاك من عناصر الاشتراكية العلمية ، ويقود الثاني منهما الديمقراطيون الثوريون الذين تبنوا الفكر الاشتراكي العلمي ، وكونوا مع الجماعات الاشتراكيه العلمية أحزابها طليعية لهذا الغرض ؟

حقا هناك ما أسماه لينين « المذاهب الاشتراكية المتأخرة » التى تفرزها الأوضاع الاجتماعية المتخلفة ، وهى — كما قال — « نظريات اختيارية مختلطة ، انتقالية ، تقع بين الاشتراكية البرجوازية الصغيرة ، والاشتراكية البروليتارية »(١) • غير أن هذه النظريات التوفيقية أو التلفيقية كانت قد اتخذت الماركسية اللينينية موقفا فكريا وسياسيا واضحا منها واعتبرتها ممثلة لمصالح وأيديولوجية الفلاحين ذوى الملكية الصغيرة والذين يحاذرون من تبنى أيديولوجية الاشتراكية العلمية التى تعبر عن مصالح البروليتاريا ، والتى تعنى تعميم وسائل الانتاج وتملكها بشكل جماعى •

غير أنه ليس هناك فى أدبيات الفكر الماركسى — اللينينى ما يشير الى أن الديمقراطيين الثوريين حاملى أيديولوجية البرجوازية الصغيرة والآخذين بهذا العنصر أو ذاك من عناصر الفكر الاشتراكى العلمى يمكن أن يمضوا ببلادهم فى طريق التوجه الاشتراكى الذى يعنى بوضوح القطيعة العملية مع اشتراكية البرجوازية الصغيرة والقطع النظرى والفعلى مع طريق التطور الرأسمالى •

ان هناك — بالعكس — تعاليم واضحة تبين أنه ليس فى الامكان حتى انجاز الثورة الديمقراطية بكامل أهدافها ، دون قيادة البروليتاريا لها ، ودون حزب طليعى اشتراكى علمى يمسك بزمام هذه القيادة ، ودون تحالف الطبقة العاملة والفلاحين ، ودون استقطاب من يمكن

استقطابه من عناصر البرجوازية الصغيرة الى جانب الثورة ، ذلك ان انجاز كامل أهــداف الثورة الديمقراطية يدفع بالشعب الروسى مباشرة فى طريق الاشتراكية ، طريق تحــول الثــورة الديمقراطية الى ثورة اشـــــتراكية .

فمنذ قيام الثورة والجمهورية الصينية عام ١٩١١ التى اشاد بها لينين ايما اشادة وقيم دور الفلاحين [illegible] هذه الثورة البرجوازية الديمقراطية — ودور زعيمها صن يات صن تقييما رفيعا ، منذ هــذا الوقت أعرب عن قلقه وخوفه على مصير هــذه الثورة الديمقراطية [illegible] غياب حزب بروليتارى يكون قادرا على حمايتها من مناورات البرجوازية الليبرالية وعلى تأمين مسيرتها الاجتماعية ، حيث كتب فى ٨ نوفمبر ١٩١٢ فى صحيفة « البرافــدا » : « لقــد انتصرت الحرية الصينية عن طريق تحالف الديمقراطية الفلاحية والبرجوازية الليبرالية فهل سيستطيع الفلاحون ، دون قيــادة من حزب البروليتاريا ، الاحتفــاظ بموقفهم الديمقراطى ضــد الليبراليين الذين لا ينتظرون غير الفرصة الملائمــة للانتقال الى جهة اليمين »(٢) .

لقــد حـــدث ما خشى منه لينين ، حيث خانت البرجوازية الليبرالية الثورة ، وأجهضتها فى غياب حزب بروليتارى يقــودها ، ويضمن المضى بها الى نهاية الشوط .

ومنذ البداية اشترط لينين انجاح وانتصار اية ثورة ديمقراطية ، ومن ثم تحولها الى ثورة اشتراكية ، ضرورة تزعم البروليتاريا لهــا من خلال حزبها المستقل ، وضرورة تحالفها مع جماهير الفلاحين وكل العناصر البرجوازية الصغيرة التى يمكن اجتذابها الى مجرى الثــورة العــام والواسع ، وضرورة تقــديم الدعم ايا من البلد الذى تكون البروليتاريا قـــد انتصرت فيه .

ولم يجعل هـذه الشروط مقصورة على البلدان الأوروبية التى وجـدت فيها بالفعل بروليتاريا وأحزاب بروليتارية ـ شأن ما كان قائما فى روسيا التى حـدثت فيها مثل هـذه الثورة الديمقراطية التى تحولت فـورا الى ثورة اشتراكية ـ وانما عممها على البلدان المتخلفة ـ بمـا فيها آسيا الوسطى التى كانت ما تزال تعيش مرحلة ما قبل الرأسماليه ، والتى بفضل الدور القيادى للحزب البلشفى الذى أوجـد له منظمات محلية فى كل اقليم وقـومية وبفضل تحالف الفلاحين مع ممثلى الطبقة العاملة فى طول الاتحاد السوفيتى وعرضه ، ومع بذور الطبقة العاملة التى نبتت فيها مع حركة التصنيع السريعة التى قامت فيها ـ أمكن لها ـ لآسيا الوسطى ، ومعها سيبيريا ، وكل المناطق الأخرى المتخلفة أن تحقق الثورة الديمقراطية ، وان تحولها الى ثورة اشتراكية ، متجاوزة بذلك مرحلة الرأسمالية .

وفى هـذا الصـدد قال لينين : « ان نشاط الشيوعيين الروس العملى فى المستعمرات القيصرية السابقة ، فى بلدان متأخرة كتركستان وغيرها ، قـد وضع أمامنا المسألة التالية : كيف نطبق الخطة الشيوعية والسياسة الشيوعية فى ظروف ما قبل الرأسمالية ، لان السمة المميزة لهـا فى هـذه البلدان هى كون السيطرة فيها لعلاقات ما قبل الرأسمالية ، ولذلك لا مجال فيها لحركة بروليتارية صرف . تكاد البروليتاريا الصناعية تكون معـدومة فى هـذه البلدان . وبالرغم من ذلك اضطلعنا فيهـا أيضا بدور القادة ، وينبغى لنـا أن نضطلع بهـذا الدور . وقـد اتضح لنـا فى عملنا أنه ينبغى لنـا فى هـذه البلدان تذليل صعوبات جسيمة ، غير أن النتائج العملية التى أسفر عنها قـد بينت أيضا أنه بالرغم من هـذه الصعوبات يمكن أن نوقظ فى الجماهير النزوع الى التفكير السياسى المستقل ، والى النشاط السياسى المستقل ، حتى فى البلدان التى تكاد البروليتاريا تكون فيها معـدومة »(٢) .

حقا أن وجود الشرق السوفيتى المتخلف فى اطار دولة واحدة ، هى الاتحاد السوفيتى ، وتحت قيادة حزب بروليتارى هو الحزب الباشى قد سهل تحقيق الثورة الديمقراطية فيه ، وتحولها الى ثورة اشتراكية ، دون المرور بالمرحلة الرأسمالية •

غير أن هناك تجربة ثورية أخرى بالغة الدلالة ، وتكتسب خبرتها ايضا أهمية عامة بالنسبة لمجمل الدول المتخلفة التى لم تبلغ مرحلة الرأسمالية ، الا وهى التجربة المنغولية •

لقد قامت فى منغوليا عام ١٩٢١ ثورة ديمقراطية ضد الامبريالية والاقطاع والفئات العليا والوسطى من رجالات الدين البوذيين الرجعيين وقد قاد هذه الثورة الحزب الثورى الشعبى المنغولى الذى كان يتكون فى الأساس من الفلاحين ، حيث لم يكن للبروليتاريا أثر يذكر ، كما لم يكن هناك وجود للبرجوازية الوطنية •

وتعويضا عن عدم وجود البروليتاريا فى منغوليا اقامت الثورة علاقة تحالف متينة مع الطبقة العاملة فى الاتحاد السوفيتى ، فى نفس الوقت الذى عملت فيه على استنباتها فى البلاد عبر مشاريع التصنيع التى قامت بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، وشرعت فيه تطور الحزب من حزب ديمقراطى ثورى الى حزب ماركسى — لينينى •

وفى لقاء قادة الحزب بلينين فى نوفمبر ٢٩٢١ أوضح لهم لينين بجلاء أن تحول حزبهم الديمقراطى الثورى الى حزب شيوعى مرتبط بتغير البنية الاجتماعية فى البلاد ، ونشوء بنية جديدة فيها ، ومن ثم تشكل البروليتاريا ، وانخراطها فى هذا الحزب واكسابه — اضافة الى تبنيه أيديولوجية الاشتراكية العلمية — السمة البروليتارية ، حيث أكد أنه « سوف يتعين على الثوريين بذل جهود كبيرة فى بناء الدولة

والاقتصاد والثقافة الى أن تولد عناصر الرعــاة جماهير بروليتارية تساعد فيما بعــد على « تحويل » الحزب الثورى الشعبى الى حزب شــــيوعى(٤) •

وبالفعل فأنه فقط بنشوء البروليتاريا المنغولية وتحول الحزب الثورى الشعبى المنغولى الى حزب شيوعى ، ودعم الاتحاد السوفيتى المــادى والتكنولوجى والسياسى ، أمكن أن تتحول الثورة الفلاحيــة الديمقراطية المنغولية الى ثورة اشتراكية ، هــذا التحول الذى لم يبدأ الا بعــد حوالى ٢٠ عاما ، أى مع مطلع الأربعينيات •

ويمكن كذلك القــول بأن تزعم الأحزاب الشيوعية فى البلــدان الاســيوية الأخرى لحركة التحرر الوطنى الديمقراطى فى بلــدانها ، ونسجها لعلاقات تحالف طبقى وسياسى بين الفلاحين والطبقة العاملة الاخــذة فى النشوء واقامة لأوثق علاقات التعاون مع الاتحاد السوفيتى ، هو الذى مكنها من تحقيق التحرر الوطنى ، وانجاز الثورة الديمقراطية وتحويلها مباشرة الى ثورة اشتراكية •

ان ذلك يصــح على فيتنام الاشتراكية ، وكــوريا الديمقراطية الشعبية ، بل وعلى الصين الشعبية ، بقطع النظر عن الانحراف المــاوى الذى طرأ فيما بعــد ، والذى ستتمكن حركة الثورة الصينية وحركة الثورة البروليتارية العالمية من تصحيحه بكل تأكيد •

ولم تستطع الثورة الكوبية أن تتم عملية التحــويل الديمقراطى الثورى للمجتمع ، وان تنتقل من ثم الى مرحلة التحول الاشتراكى الابتنى كاسترو ورفاقه — الى جانب الشيوعيين الآخرين — مبادىء الماركسية اللينينية ، وقيام الحزب الشيوعى الكوبى ، الذى حشد جماهير الطبقة العاملة والفلاحين خلفه ، ومد جسرا من التعاون الأممى مــع المعسكر

الاشتراكى. وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى ، الذى به المسافة الهائلة القائمة ما بين كوبا فى الغرب والمنظومه الاشتراكية فى الشرق ، وحفز به حركة الثورة فى مجمل أمريكا اللاتينية التى تعتبر اليوم الأكثر مواقـد حركة التحرر الوطنى اشتعالا .

فى ضوء هـذا القانون التاريخى العام ، وهـذه الخبرة الثورة العالمية اللذين يبينان شروط انتصار حركة التحرر الوطنى الديمقراطى ، ونجاحها فى اقامة أنظمة ديمقراطية ثورية ، تتحول تدريجيا الى ثورات اشتراكية ــ فى هـذا الضوء علينا أن ندرس ونقيم الأنظمة الوطنيـة العربية منذ نظام عبد الناصر الى اليوم ، ما انتكس منها ، وما زال يراوح فى مكانه .

ولسوف يتضح لنا أن جميع هـذه الأنظمة ــ باستثناء النظـام الديمقراطى الثورى ، الذى اقامته ثورة ١٤ أكتوبر اليمنية ــ قـد وصلت الى طريق مسدود ، والى مأزق تاريخى لا مخرج منه ، ممـا أدى الى سقوط بعضها ، والى اختناق ما تبقى عند النقطة التى وصـل اليها ، دون أمل فى الخلاص الا بتغير البنية السياسية الحاكمة والمتحكمة ، التى تهيمن فيها البيروقراطية البرجوازية العسكرية والمدنية .

ان ذلك لا ينفى أنه قامت فى المنطقة العربية منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو فى مصر أنظمة ذات صبغة وطنية ديمقراطية ، أحـدثت تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية هائلة أفادت منها مختلف الطبقات والفئات الوطنية والشعبية وأن عملية تصنيع وتنمية وتطور متعـددة الجوانب قـد قامت فى ظلها ، وأن ذلك قـد تم بهـذا القـدر من التعاون أو ذاك الذى أمكن اقامته مع الاتحـاد السوفيتى والبلـدان الاشتراكية الأخرى التى لم تتراجع عن تقـديم أى عون طلبته هـذه الأنظمة ، بما فى ذلك ارسال الجنود السوفييت للدفاع عن وجود هـذه الأنظمة نفسه .

الا أن القول بذلك شيء ، والقول بأن هـذه الأنظمة قـد سارت في طريق التطور اللارأسمالي ، أو في طريق التوجـه الاشتراكي ، شيء آخر .

ان حركة الردة والتراجع والمراوحة والاختناق التي واجهتها هـذه الأنظمة قـد جعلت الكثير يعودون عن مثل هـذه المبالغة الكلامية ، ولم يبق الا القليل الذين لن يستمر اصرارهم عليها طويلا .

ماذا يعني ذلك كله ؟ انه يعني بالضبط أن هناك ثورات وطنيـة ديمقراطية تقودها البرجوازية الصغيرة وفئات من البرجوازية الوسطى لا تتمكن من انجاز كامل مهامها الثورية الديمقراطية ، وتضطر الى التوقف عند هـذه النقطة أو تلك ، ممـا يعرضها للمؤامرات الداخلية والخارجية ، ويؤدي الى الاطاحة بالنظـام الذي تكون قـد اقامته ، أو تجميدها ، مؤقتا ، تهيؤا للاطاحة بها أو افراغها من محتواها الوطني الديمقراطي .

وذلك يعني أيضا — وذلك هـو بيت القصيد — أن هـذه الأنظمة لم تسر فعـلا في طريق التطـور اللارأسمالي ، أو طريق التوجـه الاشتراكي ، حتى وان أقامت قطاعا عاما في الصناعة والتجارة ، وقطاعا تعـاونيا في الزراعـة ، حيث أن ذلك وحـده لا يعني بالضرورة أو لا يساوي تماما طريق التوجه الاشتراكي .

ومن جهة أخرى هناك ثورات وطنية ديمقراطية يقـودها تحالف ديمقراطي ثوري يمثل مصالح الفلاحين والعمال والبرجوازية الصغيرة والمثقفين الثوريين ، لا يلبث أن يتطور عبر عملية التحويل الديمقراطي المتواصلة للمجتمع الى حزب طليعي يسترشـد بمبادىء الاشتراكية العلمية ، يضم في ذات الوقت الأحزاب أو الجماعات أو العناصر الشيوعية السـابقة .

ان مثل هـذه الثورات الوطنية الديمقراطية ، وبواسطة السلطة السياسية التى تكون قـد أقامتها ، هى وحـدها التى تستطيع أن تكمل مهام الثورير الديمقراطية ، وأن تسير فى طريق التوجه الاشتراكى ، وأن تخلق المقـدمات المـادية والتكنيكية للانتقال الى المرحـلة الاشـتراكية .

ان اليمن الديمقراطية تمثل — رغم كل النواقص القابلة للاصلاح — نجمة مؤتلفة ضمن هـذه المجرة الثورية الجـديدة التى تنتظم العديد من البلدان فى القارات الثلاث ، هـذه البلدان التى تتمثل اليـوم فى أفغانستان ، أثيوبيا ، موزامبيق ، أنجولا ، الكونغو الشعبية ، بينين ، ونيكاراجوا ، وغيرها .

بل انه فى الامكان ادراج كمبوتشيا ، ولاوس ضمن هـذه البلدان السائرة فى طريق التوجه الاشتراكى ، وان تميز هـذان البلدان بوجود تنظيم شيوعى فى كل منهما تعود جـذوره الى مطلع الثلاثينيات ، عندما تكون الحزب الشيوعى فى الهند الصينية ، وكان الشيوعيون الفيتناميون هم الأساس فيه ، وكان « هـو شىء منه » هـو المؤسس له .

بعـد هـذه المقـدمة التاريخية العامة والضرورية التى يتبين منها بوضوح لا لبس فيه ، ومن واقـع التجارب الثورة الحية والمعاشـة فى مختلف أنحاء المعمورة ، ما هى القوانين والشروط الموضوعية والذاتية لمضى الثورات الديمقراطية الى أقصى غاياتها ، ولمضيها من ثم فى طريق التوجه الاشتراكى . وبالتالى فى طريق بناء المجتمع الاشتراكى ، ترى ما هى المحطات السياسية التى قطعتها ثورة ١٤ أكتوبر اليمنية . وما هـو المدى التاريخى الذى بلغته ، وما هى الافاق المفتوحة أمامها ؟

ان الاجابة على مثل هـذه الأسئلة ستنطوى ضمنيا على ما هـو خاص وما هـو عام فيها ، أى فى هـذه التجربة الثورية .

رغم أن اليمن الديمقراطية كانت عند نشوب ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ تنتمى الى أكثر أجزاء العالم تخلفا ، وكانت مع شمال اليمن تقبع فى مؤخرة الوطن العربى كله . الا أنها لم تكن أكثر تخلفا من منغوليا عند قيام الثورة فيها عام ١٩٢١ .

لقد كانت تسود فى الجزء الجنوبى من اليمن مختلف الأنماط الاقتصادية : النمط الرأسمالى الامبريالى . النمط الاقطاعى وشبه الاقطاعى ، النمط البرجوازى الكومبرادورى . النمط البرجوازى الوطنى . النمط البضاعى الصغير للفلاحين المتوسطين والفقراء . النمط الرعوى للبدو الرحل . والنمط المشاعى القبلى .

وعدا مستعمرة عدن حيث كانت الهيمنة للنمط الرأسمالى الامبريالى . وبالذات البريطانى ، والنمط الكومبرادورى المرتبط بالسوق الاستعمارية . وخاصة الاحتكارات البريطانية ، فأن السيادة فى الريف اليمنى الجنوبى الذى كان يسمى محميات عدن البريطانية كانت للتشكيلة الاقطاعية وشبه الاقطاعية ، رغم نشوء البذور الأولى الرأسمالية الريفية .

واذا أهملنا ذكر الأحزاب السياسية الرجعية والعميلة أو الاصلاحية المشبوهة التى عرفتها البلاد منذ نهاية الأربعينيات ، وكان همها مقصورا على مستعمرة عدن ، أو على عدن والمحميات ، والتى لم تكن تطمح الى أكثر من استقلال شكلى لها ، أو التى ناورت بشكل ديماجوجى وانتهازى ليس الا بشعار الوحدة اليمنية ، فأنه يمكن القول أن منتصف الخمسينيات هو اللحظة التاريخية التى ظهرت فيها الحركة الوطنية اليمنية .

ان مما يسترعى النظر ان ظهورها تزامل مع بروز الحركة العمالية فى شكل نقابى منظم ، هذه الحركة التى أحدثت بالأساليب النضالية

الجـديدة التى اتبعتها • أساليب الاضرابات • والمظاهرات ، والمسيرات الجماهيرية ، التى كثيرا ما أدت الى الاصطدام المباشر بأدوات القمـع الاستعمارية ـ احـدثت تحولا هاما فى حياة البلاد السياسية •

وليس صدفة ان تسابقت الأحزاب الوطنية ذات النفس القـومى العربى ، شأن العناصر الماركسية ، من اجـل استقطاب من يمكن استقطابه من صفوف الطبقة العاملة الى صفوفها •

لقـد انطوى نضـال الطبقة العاملة الفنية المنحـدرة من شتى انحاء اليمن ليس فقط على البعـد الوطنى الموجـه ضـد المستعمر الدخيل ، وانما أيضا على بذرة وعى اجتماعى ضـد القهر الرأسمالى •

وبذلك وجـدت فى مستعمرة عـدن ركيزة ثورية ثابتـة ومتنامية تتشكل من أحـدث طبقات المجتمع اليمنى واكثرها ثوريه ، واكثرها استعدادا ليس للنضال من أجـل التحرر الوطنى فحسب ، وانما أيضا للنضال من أجل التحرر الاجتماعى ، ومن اجـل تجـديد بنية المجتمع تجـديدا ثوريا •

وبقيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ فى شمال الوطن اليمنى التى أعلنت قيام جمهورية وطنية تبنت القضية اليمنية بمجملها • وباتخـاذ هـذه الجمهورية نقطة احتشاد وانطلاق ووثوب ضـد وجود المستعمر فى جنوب الوطن ، وبتشكيل الجبهة القومية التى تألفت أساسا من فرع حركة القوميين العرب فى اليمن ، وفى جنوب اليمن على نحـو خاص ، وباعلان هـذه الجبهة النضال المسلح ضـد الاستعمار البريطانى ، وباقتحامها للريف اليمنى ، وتعبئتها لجماهير الفلاحين وقيادتهم فى الحرب الشعبية الثورية التى انطلقت أولى شراراتها فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ ، وما لبث أن غطى لهيبها الريف كله ، حتى بلغ برج الاستعمار البريطانى

فى عـدن ، بذلك كله وجـدت ركيزة ثورية أخرى بالغة الأهمية ، شديدة الخطورة تتمثل فى طبقة الفلاحين العريضة التى عانت العسف والقهر من الاقطاع والاستعمار معا ، والتى أخـذت تطمح الآن للخلاص منهما فى وقت واحـد ، ومن هنا انخراطها فى كتائب جيش التحرير الشعبى .

ورغم الدور القيادى الذى لعبه المثقفـون الذين كانوا يمثلون مصالح البرجوازية الصغيرة والوسطى ، والذين كانت قيادة الجبهـة القومية الأمامية والخلفية فى أيديهم ، فأنهم لم يكونوا بدون تناقضات .

غير أن هـذه التناقضات الطبيعية النابعة من منحـدرهم الطبقى ، وتبايناتهم السياسية ، لم تتفجر الا بعـد نيل الاستقلال الوطنى فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، حينى وضعت أمام الدولة الجـديدة مهمة اختيار هـذا الطريق أو ذاك لاعادة تنظيم حياة المجتمع . الطريق الاصلاحى البرجوازى ، أو الطريق الثورى الديمقراطى ، الطريق الذى يؤدى السير فيه الى الابقاء على البنية الاجتماعية الموروثة مع ادخال بعض التحسينات الليبرالية عليها ، أو الطريق الذى بالمضى فيه تقلب فيه هـذه البنية رأسا على عقب ، الطريق الذى يبقى على المصالح الاحتكارية الأجنبية ، وعلى الارتباطات القائمة مع السوق الاستعمارية ، والى احـلال الاستعمار الجـديد محـل الاستعمار القـديم ، أو طريق الاستقلال السياسى الكامل ، والتحرر الاقتصادى التام ، والتصـفية لكل المصالح الأجنبية المتحكمة فى اقتصاد البلاد . وفك علاقات التبعية بالسوق الاستعمارية ، وتوجيه علاقات البلاد الاقتصادية والتجارية نحو التعاون مع الدول الاشتراكية ومن أجل بناء اقتصاد وطنى انتاجى ناهض ومتطور .

والواقع أن « الميثاق الوطنى » الذى أقرته الجبهة القومية فى مؤتمرها الأول الذى عقد فى « تعز » بشمال الوطن اليمنى ما بين ٢٢ —

٢٥ يونيو ١٩٦٥ كان قد حدد الخطوط العامة التى بمقتضاها ينبغى أن يعاد تنظيم حياة المجتمع على أسس وطنية ديمقراطية ، وبما يحقق مصالح كل القوى الاجتماعية والسياسية المناهضة للمستعمر ، بدءا من الطبقة العاملة ، مرورا بالفلاحين ، وانتهاء بالبرجوازية الصغيرة والوسطى الوطنية .

وقد جاء فى « الميثاق الوطنى » بهذا الصدد قوله « ان الجبهة القومية التى تقود الثورة الشعبية المسلحة المعبرة عن مطالب الشعب واحتياجاته اليومية سوف يكون لزاما عليها لتغيير هذا الواقع أن تستبدله بواقع اجتماعى تقدمى ، ونظام يقوم على أسس ثورية سليمة ، وتسير فى هذه المرحلة لتحقيق المبادىء التالية :

(أ) التحرر الاقتصادى الكامل من سيطرة الرأسمال الأجنبى المستغل والشركات الاستعمارية الاحتكارية .

(ب) اعادة بناء الاقتصاد الوطنى على أسس جديدة وسليمة تتمشى مع مبادىء العدالة الاجتماعية ، وتحقق من خلالها سيطرة الشعب على مصادر الثروة ووسائل الانتاج .

(جـ) اعداد وتوجيه كافة الامكانيات المادية والبشرية والعلمية فى هذا السبيل وفق خطة عامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

(د) ان للقطاع الخاص دورا هاما يؤديه فى تنمية البلاد ، شرط أن يبتعد عن الاستغلال والاحتكار ، ويقتصر عمله على المجالات وضمن الحدود التى يسمح له بالعمل فيها قانونا ، اما منفردا أو بالمشاركة ، أو التنسيق مع القطاع العام ، بمقتضى خطة التنمية ، ومخطط التنظيم الاقتصادى » .

« ولأجل ذلك لابد من تحطيم العلاقة القائمة بين الرأسمال

الوطنى وبين الرأسمال الاستعمارى من جهة ، ووضع خطة اقتصادية وطنية تغاير تماما الخطة الاقتصادية السائدة التى أوجدها الاستعمار من جهة أخرى » • « وذلك كله لا يمكن ان يتحقق الا اذا مارست السلطة الثورية دورها كاملا فى التخطيط والتنمية من خلال قطاع عام يقود الحياة الاقتصادية ويوجهها • ومن أبرز الخطوات الهادفة ••• قيام جهاز مصرفى يملكه الشعب ، كى يتولى عملية تمويل المشاريع الصناعية •• » وعدا ذلك فان « مساحات شاسعة من الأرض المزروعة استولى عليها السلاطين بالقوة من الشعب وبعضها قاموا بحرمانها من الماء ، مما اضطر أصحابها الى بيعها للسلاطين بأثمان بخسة أو اهمالها ، لتصبح أرضا بورا • وان هذه الأراضى يجب اعادة توزيعها للشعب »(٥) •

ان مما يلفت الانتباه هنا أن الميثاق الذى حمل محتوى وطنيا ديمقراطيا عاما فى الوقت الذى أعطى فيه « للقطاع الخاص » أو « للرأسمال الوطنى » « دورا هاما يؤديه فى تنمية البلاد » طلب اليه « ان يبتعد عن الاستغلال والاحتكار » وجزم أنه « لا يمكن أن تعطى للرأسمال الوطنى صبغة الوطنية الحقيقية الا بأبعاده عن الاستغلال الا باعطائه طابعا اجتماعيا يخدم حاجات الشعب ومتطلباته »(٦) •

ان هذه الصيغة التى تذكر بصيغة « الميثاق الوطنى » لعبد الناصر التى تحدثت عما أسمته « الرأسمالية غير المستغلة » — كما لو كان فى الامكان أن توجد رأسمالية لا تطمح الى الربح ، ومن ثم الى الاستغلال — تنطوى على طموح نحو الحد من استغلال الرأسمال الوطنى للمواطنين فى نفس الوقت الذى تعترف فيه للرأسمال الوطنى بحق الوجود فى حدود معينة •

لم يتقيد — على أى حال — الجناح اليمينى فى الجهة القومية الذى هيمن على المقاليد الأساسية فى السلطة — معتمدا فى ذلك اساسا على الأجهزة التى خلفها الاستعمار والمتمثلة فى قيادات الجيش ، والأمن ، والادارة — لم يتقيد قط بالميثاق الوطنى •

وعدا اصلاح زراعى جزئى وسطحى وهزيل قصد به التعمية والتضليل وامتصاص النقمة الشعبية — ولكن دون جدوى — فان تركة الماضى الاستعمارى — الاقطاعى — القبلى — الكمبرادورى بقيت كما هى • بل ان الفئة اليمينية الحاكمة أخذت تنسج العلاقات مع دوائر الاستعمار الجديد ، وبالذات الامبريالية الأمريكية ، وهو ما أوضحه بجلاء « انقلاب مارس ١٩٦٨ » الذى تم بترتيب مع الملحق العسكرى الأمريكى فى عدن ، والذى ألقى فيه القبض على بعض العناصر القيادية فى الجناح التقدمى للجبهة القومية ، وعلى عناصر تقدمية وديمقراطية خارجها •

لقد بدا واضحا أن هذا الجناح اليمينى الممثل لمصالح البرجوازية أخذ يسعى جاهدا الى التحالف مع قوى المجتمع القديم ، ومع الاستعمار الجديد ، بغية اقامة وترسيخ نظام يسير فى طريق التطور الرأسمالى ، بكل ما يعنيه ذلك من تشديد تبعية البلاد اقتصاديا وسياسيا وثقافيا للامبريالية العالمية •

وبذلك أخذت تتكون فى البلاد عملية استقطاب وتوزيع للقوى جديدة • ففى جانب تقف البرجوازية الوطنية الحاكمة التى تغير موقفها وكلفت عن الالتزام بالخط الوطنى المناهض للاستعمار وركائزه الداخلية الاقطاعية والكمبرادورية • وآثرت مد الجسور مع هذه القوى الظلامية الامبريالية والرجعية ، وفى جانب آخر تقف كل الطبقات والفئات والقوى الوطنية والديمقراطية والشعبية ، بدءا من الطبقة

العاملة • مرورا بالفلاحين • وانتهاء بالبرجوازية الصغيرة • فضلا عن الأحزاب الديمقراطية والتقــدمية ، وبالذات الاتحاد الشعبي الديمقراطي ذو النهج المــاركسي الذي كان في جانب الخط النضالي للجبهة القومية أثناء فترة الكفاح المسلح وأقام علاقة مع رموز الجناح التقــدمي فيها منذ هــذا الوقت ، ومنظمة البعث التي كانت قــد شرعت تتميز عن مركزها القومي ، قبل أن تنفصل عنه نهائيا فيما بعــد ، وتشكل تنظيما ذا توجه ماركسي حمل اسم « حزب الطليعة الشعبية » •

ان هــذا التقاطب والتجاذب الذي حــدث بعــد الاستقلال بين البرجوازية الوطنية الحاكمة وحلفائها الموضوعيين والفعليين ، والذي فقــدت معه نزعتها الوطنية السابقة وبين مجمــل القوى الوطنيــة والديمقراطية والتقــدمية والشعبية ليعيد الى الذاكرة صحة واهميــة التحليل العلمي الذي تضمنته وثائق «مؤتمر الأحزاب الشيوعية والعمالية» الذي عقــد في موسكو عام ١٩٦٩ ، والذي جاء فيه : « ويتطور تباين اجتماعي في الدول المتحررة • وتشتد حــدة النزاع بين الطبقة العاملة والفلاحين والقوى الديمقراطية الأخرى بما فيها فئات البرجوازية الصغيرة ذات الآراء الوطنية من جهة ، والامبريالية وقــوى الرجعية الداخلية • وخاصة عناصر البرجوازية الوطنية التي يشتد تواطؤها مع الامبريالية أكثر فأكثر ، من جهة أخرى »(٧) •

لم تكن البرجوازية الوطنية والوسطى التي عبر عنها الجناح اليميني الحاكم في الجبهة القومية طبقة اجتماعية ، وانما كانت شريحة اجتماعية رقيقة قابلة للكسر ، ولا سيما بعــد أن وقفت ضــدها جبهة عريضــة من الطبقات والفئات والقوى الثورية • ولم يجــد هــذه البرجوازية المحــدودة التكوين والتأثير اعتمادها على أجهزة القمع الموروثة عن الاستعمار ، ولا نسجها للعلاقات مع القــوى القــديمة الرجعية ، ومع قــوى الاستعمار الجــديد •

ومن هنا سر ذلك النجاح الخارق الذى حققته حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م التصحيحية التى لم يسقط بهـا الجناح اليمينى البرجوازى الحاكم فى الجبهة القومية فقط ، وانما فتح أيضـا الطريق أمام تحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية .

لقـد كرس قانون ٢٧ نوفمبر ١٩٦٩ ، وقانون ٨ نوفمبر ١٩٧٠ الخاصين بالتأميم والاصلاح الزراعى على التوالى عملية تحويل البنية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد تحويلا جـذريا ، وعمليـة تحرير الاقتصاد الوطنى من الاحتكارات الأجنبية ، وخاصة البريطانية ، تحريرا تاما ، وأوجـدا الأساس الأول لتنمية اقتصاد البلاد ، وتوجيهه وجهة انتاجية متعـددة الجوانب ، ولوضع خطط اقتصادية عملية ، وللتعاون فى جيع هـذه الميادين مع المعسكر الاشتراكى ، وفى مقـدمته الاتحاد السـوفيتى .

وكما أمكن فى ظل حركة التصحيح المضى قـدما فى اقامة البنـاء التحتى الاقتصادى الآخـذ فى التنامى باطراد ، واقامة القطاع العـام الذى اعتبر النمط الأساسى والموجه لمجمل الحياة الاقتصادية ، والقطاع التعاونى ، والقطاع المختلط ، مع ترك مجال للقطاع الخاص ، شرط مراقبة حركته ، فأنه جرى العمل على تغيير البناء الفوقى بكل مؤسساته وأجهـزته السياسية والادارية والقـانونية والدستورية والأمنية ، والعسكرية والتربوية والتوجيهية ، بحيث غـدا هـو العامل الأساسى الموجه للبناء التحتى ذاته ، والمعجل بحركة نموه وتطوره .

وبذلك قام فى البلاد نظام وطنى ديمقراطى يختلف عن الأنظمة الوطنية الديمقراطية التى اقامتها البرجوازية الصغيرة والوسـطى العربية ، التى ما لبثت أقسام منها أن تحولت الى برجوازية بيروقراطية

عسكرية ومدنية مترهلة متفسخة متخمة قادت هــذه الأنظمه اما الى طريق الهلاك او مضت بها فى طريق مسدود .

لقــد قام فى البلاد نظام وطنى ديمقراطى من طراز جــديد ، نظام ذو آفاق اشتراكية بالفعل .

غير أن ذلك كان ممكنا لأن التنظيم السياسى الحاكم — الجبهــة القومية قــد أخــذ يتحول بسرعة من تنظيم ديمقراطى ثورى الى تنظيم ذى توجــه ماركسى .

لقــد برز هــذا التوجه منذ المؤتمر الرابع للجبهة القومية الذى عقــد فى زنجبار فى مارس ١٩٦٨ ، والذى أسفر عن قرارات أفزعت الجناح اليمينى الحاكم وقتها ، وألجــأته الى القيام بحركته الانقلابيه الآنفــة الذكر .

ولقــد تجلى هــذا التوجه على نحو خاص فى المؤتمر الخامس الذى عقــد ما بين ٢ — ٦ مارس ١٩٧٢ ، والذى أقر برنامجا جــديدا « لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية » ظــل هو الموجه الأساسى لمسار الثورة حتى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى فى أكتوبر ١٩٧٨ م .

وللاهمية الخاصة لهــذا البرنامج فأنه لا محيص من التوقف عنده بعض الشىء . ينبه البرنامج الى أن النظام الوطنى الديمقراطى المراد اقامته فى البلاد لن يكون من نمط تلك الأنظمة الوطنية الديمقراطية التى اقامتها البرجوازية الصغيرة ، وأوصلتها الى مازق تاريخى لا خروج منه ، ذلك كما يقول البرنامج — « ان تجارب البلدان النامية التى قامت فيها تحالفات وطنية ديمقراطية تحت قيادة البرجوازية الصغيرة فى ظل برامجها الاقتصادية والسياسية تثبت بالملموس أن هــذه البرجوازية

الصغيرة قد قادت ثورتها الوطنية الى طريق مسدود . والى عجز واضح عن تقديم المعالجات الجذرية والصائبة للقضايا والمهام الثورية الوطنية الديمقراطية منتهجة بدلا من ذلك طريق التردد والتذبذب حينا ، والمزايدة اللفظية والعفوية حينا آخر ، ذلك ، فضلا عن أساليب العسف والاضطهاد ضد الطبقة العامة وحلفائها »(٨) .

ولذلك فأن البرنامج يعلن بوضوح وحسم أن التحالف الوطنى الديمقراطى فى البلاد لن يكون قط تحت قيادة البرجوازية الصغيرة التى ستبقى طرفا فى هذا التحالف المحكوم بمصلحة قطبية الأساسيين : العمال والفلاحون ، حيث جاء فيه : « لقد كان من طبيعة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى بلادنا وجود شريحة عريضة من البرجوازية الصغيرة . لكن هذه البرجوازية الصغيرة — كما تؤكد لنا التجارب — لا تستطيع أن تقود الثورة الوطنية الديمقراطية والوصول بها الى نهاية حاسمة ، ومن هنا لابد أن توظف البرجوازية الصغيرة لمصلحة الطبقة العاملة وحلفائها ، لأن حل معضلات الثورة الوطنية الديمقراطية فى تحقيق التحرر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، لا يمكن أن يتم الا عن طريق سلطة جماهير العمال والفلاحين ، لأن الجماهير الكادحة هى وحدها التى تربح كل شيء ، ولن تخسر الا قيودها فى نضالها الثورى(٩) .

واذا كان البرنامج يرفض اعطاء القيادة فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية للبرجوازية الصغيرة ، فأنه يعلن بدون مواربة ان القيادة ينبغى أن تكون للطبقة العاملة وطليعتها المنظمة .

ان مثل هذا الطرح الذى يؤكد به البرنامج حتمية تحالف العمال والفلاحين ، ومعهم الجنود والمثقفون الثوريون ، والبرجوازية الصغيرة ، وضرورة ان تتزعم الطبقة العاملة وتنظيمها الطليعى هذا التحالف ليوضح بجلاء مدى استرشاد الجبهة القومية بالنظرية اللينينية فى هذا

الصـــدد ، حيث أكدت أنه ليس فى امكان الثورة الديمقراطية ان تحقق كامل غاياتها ما لم يقم تحالف بين العمال والفلاحين أولا وقبل كل شيء ، وما لم تقـــد الطبقة العاملة عبر حزبها المستقل هـــذا التحالف •

أما الصيغة التى وردت فى البرنامج حول ذلك فقد كانت كما يلى :
« وفى بلادنا يجب أن تقام التحالفات الوطنية الديمقراطية تحت قيـــادة الطبقة العاملة وطليعتها ، والتى ستمكن من تنفيذ برامجها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، لتتمكن بذلك من الصمود فى وجـــه الاستعمار والاستعمار الجـــديد ، وتصفية القوى الطبقية المرتبطة به ، كما تستطيع بفعالية من أن تقود بلادنا ، بما يضمن حل كافـــة معضلات الثـــورة الوطنية الديمقراطية ، وتجـــذيرها لصالح هـــذه التحالفات الطبقية » •
« ان المرحلة الراهنة فى بلادنا تستوجب تعزيز التحالفات الوطنية الديمقراطية • الا أن هـــذا يجب أن يتم فى ظل تحالف القوى الأساسية للعمال والفلاحين الفقراء مع صعود وتنامى دور الطبقة العاملة وطليعتها ، لتتمكن من التقـــدم نحـــو تحقيق التغيرات الضرورية فى بنى المجتمـــع التحتية والفوقية ، والتى لا يمكن أن تحقق بالممارسة العفوية والتجريبية أو بمجرد الاخلاص الذى لا يدرك حقائق العالم الموضوعى ، ودرجة نمـــو الشروط الذاتية والمنفصل عن الالمـــام بالمهام اليومية والتاريخية للثـــورة »(١٠) •

ان هـــذا التركيز على أهمية دور الطبقة العاملة القيادى فى الثورة الوطنية الديمقراطية كما يعـــود الى الاسترشاد بمقولات الاشتراكية العلمية فى هـــذا الصـــدد ، فأنه يستند كذلك الى واقع ان الطبقة العاملة اليمنية الفتية ، وخاصة عمال مصافى البترول كانت قـــد أثبتت وجودها السياسى ، وفعاليتها النضالية منذ الخمسينيات ، وعلى امتداد الستينيات ، من خـــلال المعـــارك الوطنية والطبقية التى خاضتها ضـــد المستعمر

البريطانى داخل عــدن ذاتها ــ مركز ثقــلـه العسكرى والسياسى والادارى ــ ومن خلال اسقاط القيادات الانتهازية الاصلاحية فى « المؤتمر العمالى » التى راهن عليها الاستعمار البريطانى ومن خلال اشتراكها المباشر فى الثــورة الوطنية عبر مختلف الأشــكال النضالية الفــدائية والسياسية والجماهيرية ، ومن وقوفها ضــد الجناح اليمنى فى الجبهة القومية ، الذى أمسك بالسلطة بعــد الاستقلال ، ومعاضدتها لحركة التصحيح التى أطاحت به ووضعت البلاد من جــديد على طريق الثورة الوطنى الديمقراطى .

غير أن القضية التى استحقت وقفة خاصة من الجبهة القــومية ، هى قضية التنظيم الطليعى للطبقة العاملة ، الذى فى امكانه وحــده ان يقود تحالف العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة بغية انجاز مهــام الثورة الديمقراطية ، والانتقال من ثم الى المرحلة اللاحقة ، المرحــلة الاشتراكية .

ولأن مثل هــذا الحزب الطليعى والجماهيرى لم يكن موجودا بعد ، فان البرنامج دعا الى ضرورة ايجاده .

وحول ذلك جاء فى البرنامج : « لقــد أكدت كل التجارب الثورية بصــدق الأهمية التاريخية لدور الحزب الطليعى فى قيادة الثورة ومدى المخاطر التى يمكن أن تتعرض لهــا أى ثورة فى ظل غيــاب الحزب الطليعى .

وان الثورة فى بلادنا تؤمن أكثر من أى وقت مضى بأن الحزب الطليعى هــو الضمان الوحيد لتحقيق قــدرتها على قيادة الثورة ، وانجاز المهام المرحلية والتاريخية لها »(١١) .

بل ان البرنامج طمح الى الا يقتصر وجـود هـذا الحزب على اليمن الديمقراطية ، ونادى بأن يكون على مستوى اليمن كلها ، حتى يصبح ممكنا تحقيق كامل أهداف الثورة اليمنية ، الوطنية والاجتماعية . الديمقراطية والاشتراكية ، بما فيها اقامة اليمن الديمقراطى الموحـد .

ومن هنا تأكيد البرنامج على أن « العمل من أجـل قيام الحزب الطليعى من داخل اطار التنظيم السياسى — الجبهة القومية — وفى سبيل قيـام الحزب الطليعى اليمنى الموحـد ، قضـية استراتيجية ضرورية . انه القيادة المسلحة بأيديولوجية الاشتراكية العلمية ، القيادة المنظمة والواعية والقادرة على تحقيق المهام المرحلية المرتبطة بالمهام الاستراتيجية للثورة اليمنية »[١٢] .

تلك كانت هى الحلقة المفقودة ، بل والحلقة الوسطى ، التى انصب جهد مجمل فصائل العمل الوطنى من أجل تحقيقها والامساك بها ، بغية الامساك بقوة وثبات بمجمل السلسلة الثورية ، وضمان ليس فقط اكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، وانما أيضا السير فى طريق التوجه الاشتراكى ، وطريق اقامة الاشتراكية .

ومن أجل ذلك دخلت فصائل العمل الوطنى الديمقراطى فى حـوار مكثف ومسئول فى الوقت الذى شاركت فيه جميعها فى السلطة ، وفى المنظمات الجماهيرية .

لقـد انتهى هـذا الحوار بينها الى ابرام اتفاقية ٥ فبراير عام ١٩٧٥ التى قضت باتحادها فى تنظيم انتقالى هـو التنظيم السياسى الموحـد — الجبهة القومية ، تمهيدا لاقامة الحزب الطليعى المنشود .

لقد أقرت بترحاب عظيم مؤتمرات الفصائل الثلاث هذه الاتفاقية البالغة الأهمية والخطورة ، حيث أقرها المؤتمر العام السادس للتنظيم

السياسى — الجبهة القومية فى مارس ١٩٧٥ ، والمؤتمر العـــام الثانى للاتحاد الشعبى الديمقراطى فى يوليو ١٩٧٥ ، والمؤتمر العام الثالث لحزب الطليعة الشعبية فى أغسطس ١٩٧٥ •

وما بين ١١ — ١٣ أكتوبر من ذات العام انعقد المؤتمر التوحيدى الذى انبثق عنه التنظيم السياسى الموحـــد — الجبهة القومية الذى جعل من برنامج الجبهة القومية الأنف الذكر برنامجا له •

وأصـــدر المؤتمر بيانا ختاميا ، وقرارات وتوصيات شـــدد فيها على العمل الحثيث من أجل بناء الحزب الطليعى ، بغية ترسيخ وتعميق مجرى الثـــــورة الوطنية الديمقراطية ، وخلق المقـــدمات الموضوعية للانتقال الى المرحلة الاشتراكية •

كما نبهت القرارات الى أن المناضل الثورى فى البلاد يجب أن يتميز بصفات وممارسات ثورية ، منها :

« (أ) أن يعمل ويقتنع بأن الثورة فى اليمن الديمقراطية هى جزء لا يتجزأ من حملة الهجوم العالمى للاشتراكية ضـــد الامبريالية والاستعمار والصهيونية والرجعية ويعمل دائما من أجل تقوية الاشتراكية على النطاق العالمى ، ويؤمن بأنه كلما تقوت القوى الديمقراطية والاشتراكية ، كلما استطاعت ثورتنا أن تتقـــدم بنجاح أكبر •

(ب) أن يعمل دائما من أجل وحـــدة صفوف حركة الثورة العالمية بقواها الثلاث ، النظام الاشتراكى العالمى ، والطبقة العاملة وأحزابها الطليعية فى البلدان الرأسمالية ، وحركات التحرر الوطنى العالمية ، ومحاربة كل المحاولات النظرية والعملية التى تعمل ضـــدر وحـــدة حركة الثورة العالمية »[١٣] •

لقـد رسخ قيام التنظيم السياسى الموحـد ـ الجبهة القومية القاعـدة الاجتماعية التى تستند اليها الثورة ، وعزز لحمة التحالف الطبقى بين العمال والفلاحين ، وبلور أكثر الطابع الديمقراطى للثورة ، وركز سلطتها الوطنية الديمقراطية ، وأتاح لهـا المضى قـدما الى الأمام فى مجال تعميق وتجـذير التحـويلات الاجتماعية ، وتمتين وتطـوير العلاقات مع أطراف حركة الثورة العالمية ، وخاصة المنظومة الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى .

وفوق ذلك كله فأن قيام التنظيم السياسى الموحـد ـ الجبهـة القومية عزز أكثر فأكثر مواقع الاشتراكيين الصادقين فيه ، وعمـق وحـدتهم الفكرية والسياسية ، ومن ثم قرب من يوم اقامة التنظيم الطليعى .

ان مجمل هـذه التطورات التى حدثت بعد قيام التنظيم السياسى الموحـد الجبهة القومية قـد أدت الى عزل ومحاصرة التيار الانتهازى اليسارى الطفولى فيه الذى كان قـد شرع فى الظهـور منذ مطلع السبعينيات ، وارتكب بعض التجاوزات التى لم تكن تحتملها مرحـلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، والذى لتبرير جهالة بالقوانين الاجتماعية التى تحكم هـذه المرحلة اتهم الاشتراكيين الحقيقيين بأنهم برجوازيون صغار ، وبأن ثقافتهم هى ثقافة البرجوازية الصغيرة .

لقـد كان هـذا التيار الذى كان سالم ربيع على رئيس مجلس الرئاسة أبرز رموزه يمثل فى الواقع أيديولوجية ومصالح البرجوازية الصغيرة الريفية الضيقة الأفق ، والمحدودة التفكير التى لم تستطع أن تستوعب حتى مفاهيم الثورة الديمقراطية ، ناهيك عن أن يتسع فهمها لاستيعاب نظرية الاشتراكية العلمية .

من هنا ذلك الضيق الذى بلغ حـد التوتر والتشنج بذلك التقارب وذلك الالتحام الذى أخـذ ينشأ بين الاشتراكيين داخل التنظيم السياسى الموحـد ـ الجبهة القومية • وبذلك التعاون المتنامى الذى قام بين اليمن الديمقراطى والاتحاد السوفيتى •

لقـد بلغ ضيق زمرة ربيع على الانتهازية حـد ان أفصحت أنه لم يئن الأوان لقيام الحزب الطليعى المتبنى صراحة لمبادىء الماركسية ـ اللينينية ، ذلك أنه لم توجـد بعـد الطبقة العاملة التى يعبر عنها مثل هـذا الحزب ، ولأن قيامه سيثير قوى الرجعية المحيطة باليمـن الديمقراطية ، وأنه من ثم لا امكانية لغير وجود حزب ديمقراطى ثورى •

بذلك كشف هـذا التيار عن البعـد الطبقى والسياسى اليمينى ف تكوينه ، وعن واقع ان يساريته الانتهازية لم تكن سوى غلالة رقيقـة تغطى انتهازيته التى تجلت أكثر فى تلك الصلات الخفية التى نسجها حتى مـع الرجعية السعودية •

لقـد بلغ النزق والطيش والرعونة بهـذا التيار حـد الأقـدام ف ٢٥ ـ ٢٦ يونيو ١٩٧٨ على القيام بمحاولة انقـلابية ضـد التنظيم السياسى ، وضـد الشرعية الدستورية • وضـد خط الثورة هـذه المحاولة التى لم تؤد الا الى القضاء عليه ، وانهـاء ممثلى البرجوازية الصغيرة القروية من السلطة •

بازاحة رموز هـذا التيار من قمة السلطة تأمنت أكثر من أى وقت مضى مسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية، وتجلت أكثر آفاقها الاشتراكية، وتوفرت العوامل الذاتيـة اللازمة للشروع فى اقامة الحزب الطليعى المنشـود •

وما بين ١١ ـ ٢٣ أكتوبر ١٩٧٨ انعقد المؤتمر التأسيسى والأول

الذى أعلن فيه قيام الحزب الذى حمل اسم « الحزب الاشتراكى اليمنى » •

وبقيامه تم الامساك بالحلقة المفقودة ، والحلقة الوسطى ، فى سلسلة الثورة ، وتوفرت الأداة القيادية الأمينة والكفيلة باستكمال مهامها الوطنية الديمقراطية ، وتحويلها الى ثورة اشتراكية •

وبقيامه ترسخت السلطة الديمقراطية الثورية التى أخذت تكتسب منذئذ ملامح سلطة الديمقراطية الشعبية •

وبقيامه توطد تحالف العمال والفلاحين والمثقفين الثورة والفئات الكادحة الأخرى •

وبقيامه تحقق الشرط السياسى الحاسم للسير بوتيرة متصاعدة فى طريق التوجه الاشتراكى •

وبقيامه انطلقت عملية تحضير واعداد المقدمات والأسس الموضوعية والذاتية ، المادية والتكنيكية ، الاجتماعية والثقافية ، للانتقال الى رحاب الاشتراكية •

وبقيامه تلاحمت أكثر فأكثر العلاقات الرفاقية والأممية مع مختلف فصائل حركة الثورة العالمية ، وعلى رأسها النظام الاشتراكى العالمى ، وفى مقدمته الاتحاد السوفيتى •

عن طبيعة الحزب الطبقية ورسالته التاريخية ، جاء فى « برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى » : « الحزب الاشتراكى اليمنى هو طليعة الطبقة العاملة اليمنية المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الشعبية الكادحة الأخرى • وهو التعبير الحى عن وعى هذه الطبقة

لمصالحها الحقيقية ، ولمستقبلها ، ودورها التاريخى ••• وهـدف الحزب تحـويل المجتمع تحويلا ثوريا ، لاستكمال مهمات الثـورة الوطنية الديمقراطية ، والانتقال نحـو بناء الاشتراكة مسترشدا فى سبيل تحقيق هـذا الهـدف النبيل بنظرية الاشتراكة العلمية » •

وفى وضوح قاطع يحـدد الحزب الموقـع الذى تشغله اليمن الديمقراطية فى اطار الثورات الديمقراطية الطليعية التى تحـولت الى ثورات اشتراكية ، شأن ما حـدث فى فيتنام وكوبا ، والتى تسير فى طريق التوجه الاشتراكى ، حيث يقول : « ان توطـد مواقع النهـج الثورى فى كوبا ، والانتصار التاريخى لشعب فيتنام ، وانتصارات شعوب أنغولا والموزامبيق وغينيا بيساو واثيوبيا وأفغانستان وغيرها من بلدان آسيا وأفريقيا تشكل نموذجا متقـدما وطليعيا من نماذج حركة التحرر الوطنى ، ومنعطفا حاسما فى مسار هـذه الحركة •

وفى هـذا السياق بالذات يأتى الانتصار التاريخى الذى تحقق فى بلادنا ، ليشكل رافـدا أساسيا من روافـد المرحلة المتقـدمة من مراحل حركة التحرر الوطنى » •

وبرؤية ثورية أممية صافية يحـدد برنامج الحزب طبيعة العصر ، الذى دشنه انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، والذى تمسك زمام المبادرة التاريخية فيه الطبقة العاملة العالمية ، ونظامها الاشتراكى العالمى ، وحركة التحرر الوطنى التى غـدت جزءا لا يتجزأ من العملية الثورية العالمية الهادفة الى الاطاحة بنير الامبريالية ، وفتح الطريق أمام تحرر وتقـدم جميع شعوب الأرض •

ويصوغ برنامج الحزب رؤيته الاشتراكية العلمية هـذه كما يلى : « ان السمة الرئيسية التى تميز العصر الراهن هى الانتقال من الرأسمالية

الى الاشتراكية على نطاق العالم • ان عصرنا هــو عصر الصراع بين النظامين الاجتماعيين العالميين المتناقضين ، عصر الثورات الاشتراكية وانتصار حركة التحرر الوطنى ، وانهيار الامبريالية ، وتصفية نظــام الحكم الكولونيالى ، عصر انتهاج شعوب جــديدة باستمرار طريق التوجه الإشتراكى ، عصر انتصار الاشتراكية على الصعيد العالمى •

ويتأكد فى عصرنا بأن الرأسمالية كنظــام وكعلاقات انتاج ، قــد أنهت مهمتها التاريخية ، ونشأت ظروف موضوعية لانتقال البشرية الى النظام الاشتراكى •

ويجتاح عالمنا اليوم تيار التجــديد الثورى الاشتراكى بقيــادة الطبقة العاملة وحلفائها •

لقــد دشن انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى بداية هــذا العصر ، وشكل انعطافا حاسما فى تاريخ البشرية ، مسجلا بداية انهيار الامبريالية ، وانبثاق النظام الاجتماعى الاشتراكى الجــديد ، الذى يعبر عن المصالح الجــذرية للجماهير الكادحة •

ان ممــا يكتسب أهمية خاصة أيضا ذلك التحليل الموضــوعى الرصين ، والتعليل العلمى الدقيق للأسباب التى أدت الى انتكاس أو ترنح أو مراوحة الثورات الوطنية الديمقراطية التى قادتها البرجوازية الصغيرة ، والتى ينفى البرنامج ضمنا الزعم بأنها مضت فى طريق التوجه الاشتراكى ، رغم الانجازات الاقتصادية والاجتماعية التى حققتها •

يقول البرنامج : « واتجــه عــدد من الثوات الوطنية التحررية لشعوب هــذه البلدان الى اجراء جملة من التحــــولات الاقتصادية والاجتماعية ذات الطابع الديمقراطى العميق الموجهة ضــد مواقــــع

الرأسمال الأجنبى ، والاقطاع ، والكمبرادور . وانتهجت على صعيد السياسة الخارجية خطـأ معاديا للاستعمار والامبريالية ، وخطت خطوات كبيرة على طريق تعزيز تحالفها مع بلدان المنظومة الاشتراكية .

لقـد تحققت هـذه التحولات والأجراءات فى الأساس بقيادة عناصر وطنية وثورية من البرجوازية الصـغيرة ... الا أنه بسبب الطبيعة الطبقية لهـذه العناصر ، وما تميزت به من خـوف وحـذر من الجماهير ، وميلها المتزايد وبنسب متفاوته الى الانفراد بالسلطة ... لم تستطع حشد وتجنيد الطاقات الاقتصادية والبشرية والعسكرية الضرورية لمواجهة الهجمة الامبريالية الشرسة ، ومتابعة مهام التحرر الوطنى ، ونهج التحـولات الاقتصادية والاجتماعية الديمقراطية والتقـدمية ، فسقط بعضها ، وانحنى البعض الآخر ، وازداد الميل نحو المساومة مـع الامبريالية ، ومـع الاحتكارات والرجعيـة الخارجيـة والداخلية ، وعززت الأجنحة اليمينية مواقعها فى السلطة ، وصولا الى استيلائها الكامل على السلطة فى بعض هـذه البلدان ، وارتدادها الكامل عن نهج التحولات التقـدمية فى المجـال الاقتصادى والاجتماعى ؛ وانغماسها أكثر فأكثر فى سياسة العـداء للديمقراطية وقمع الجماهير ، وانتقالها الى الدوران فى فلك المخططات الامبريالية ، والعـداء للاتحاد السوفيتى ، والمنظومة الاشتراكية ، متخلية بذلك عن المطامع والمصالح المشروعة لأوسع فئات الشعب فى التحرر الوطنى ، والتقـدم الاجتماعى ، بمـا فى ذلك مصالح أوسع فئات البرجوازية الصغيرة نفسها »(١٤) .

لقـد مثل قيام الحزب الاشتراكى اليمنى مرحلة جـديدة ليس فى تاريخ ثورة ١٤ أكتوبر الوطنية الديمقراطية التقـدمية فحسب ، بل وفى تاريخ الثورة والحركة الوطنية اليمنية على الاطلاق ، ووفر لهـا القيادة الصائبة من أجـل تحقيق كامل أهـدافها فى التحرر والتقـدم والوحـدة والديمقراطية .

والحزب الاشتراكى اليمنى يمثل اليوم الفصيلة الطليعية الوحيدة التى تمسك بالسلطة السياسية بين مجمل الفصائل الطليعية فى الوطن العربى ، وهــو من ثم يمثل ويقود تجربة واعــدة وملهمة بالنسبة لها جميعــا .

والحزب الاشتراكى اليمنى يحتل اليوم موقعا هاما بين كوكبــة الأحزاب الطليعية الجــديدي فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، التى تقود بلدانها فى طريق التوجه الاشتراكى .

والحزب الاشتراكى اليمنى هــو واحــد من أحــدث الكتائب الأممية التى انضمت الى جيش الثورة العالمية ، وتخوض ضمنه النضال من أجل التحرر والتقــدم والديمقراطية والاشتراكية .

وكحزب للطبقة العاملة ، ومجسد فى ذات الوقت لمصالح حلفائها من الفلاحين وغيرهم من الكادحين ، فأن نجاحه فى أداء رسالته التاريخية هــذه بكل أبعــادها الوطنية والاجتماعية ، وكل مستوياتها الاقليمية والقومية والأممية ، وأولا وقبل كل شىء تحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، مرتبط ارتباطا صميميا بانخراط حشود الطبقة العاملة أكثر فأكثر الى صفوف الحزب ، وتمكينهم من اســـــتيعاب نظريتهم الاشتراكية العلمية استيعابا أعمق ، وتمكينهم باستمرار من التقــدم نحــو الامساك بالمواقع القيادية فى الحزب والدولة والتغلب من ثم على أية بقايا أو رواسب ذات مسحة برجوازية صغيرة يحتمل وجودها فيهما .

وليس هناك ما يدعو الى الشك فى أن الحزب عازم على المضى فى هــذا الدرب الى النهاية .

وبعــد : فأن سر النجاح الذى حققته وتحققه تجربة الثورة فى

اليمن الديمقراطية يعود الى أنها استرشدت في مسيرتها النضالية — وعلى نحو متصاعد باستمرار — بالقوانين العامة لعملية التطور الاجتماعى التى اكتشفتها نظرية الاشتراكية العلمية ، وبالخبرة الثورية الغنيه التى قدمتها البلدان الضعيفة التطور التى تمكنت من تجاوز مرحلة الرأسمالية ، والسير في طريق بناء الاشتراكية ، والى أنها طبقت هذه القوانين والخبرة ، على نحو خلاق وفق ظروفها الخاصة .

وأخيرا بقى أن نسأل : هل من حق الثوريين اليمنيين أن يشعروا بالغبطة والاعتزاز أنهم استطاعوا أن يقدموا أول تجربة ثورية نموذجية وطليعية فى عموم وطنهم العربى وأحد الأمثلة الثورية الريادية فى مجمل منطقة التحرر الوطنى ؟

يحق للثوريين كل ذلك شريطة أن يوفروا لهذه التجربة كامل المقومات اللازمة لذلك والتى يأتى على رأسها قيام تحالف ديمقراطى عريض للطبقات والفئات والقوى ذات المصلحة فى الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، تحالف يتسع للأحزاب والشخصيات الوطنية والقومية والاشتراكية ، ويوفر قاعدة اجتماعية واسعة ومتينة للتجربة التى يقودها الحزب الاشتراكى اليمنى .



ثـورات ١٤ أكتـوبر

و

ثلاثة منعطفات تاريخية(*)

من الصعب ـــ تاريخيا وسياسيا ـــ الحـديث أو الكتابة عن حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ التصحيحية دون الحـديث أو الكتابة عن حركة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ التقـدمية ٠

كلتاهما قادهما التنظيم السياسي ضـد التسلط الفردي الذي كان يعمل على فرض وجوده على أنقاض وجود التنظيم ٠

وكلتاهما عززتا سلطة وهيبة التنظيم ،وأكدتا دوره القيـادي في الدولة والمجتمع ، وحسمتا معضلة المعضلات في العالم النامي أو المتخلف على وجـه خاص ، ألا وهي لمن السلطة ؟ الأول من يركب دبابة اليها ،

(*) نشرت في مجلة « قضايا العصر » عـدد مارس ١٩٨٧ ٠

أم لجماهير الشعب التى كافحت وضحت من أجل وضع حــد لكل تسلط وطغيان واذلال لهــا ، سواء كان خارجيا أو داخليا ؟ ألمن آنس فى نفسه القــوة والقــدرة على امتطاء ظهر الشعب ، ولى عنقه ، وامتهان كرامته . أم للشعب نفسه يحكم نفسه بنفسه عبر ممثليه المنتخبين ، وعبر قياداته الطليعية المنسوجة من عروقه ، الصاعدة من قاع معاناته ، المصنوعة من ذوب دمه ؟

كلتا الحركتين أجابتا اجابة واحــدة : لاقامة تطــول على قامة الشعب ، ولا صوت يعلو فوق صوت طليعته الثورية .

وكلتاهما قالتا : لا ، للنزوع الفردى ، والديكتاتورى ، والفوضوى ، وقالتا : نعم ، للقيادة الجماعية ، للديمقراطية الشعبية ، للانضــباط التنظيمى .

كلتا الحركتين وجهان لعملة واحــدة ، حيث يستحيل الفصــل بينهما ، وحيث لا توجــد الثانية بدون الأولى ، وحيث لا بقاء للأولى بدون الثانية .

كانت الأولى تصحيحية ، وكانت الثانية تقويمية .

وضعت الأولى الثورة على طريق التغيير الديمقراطى لبنية المجتمع ، بعــد أن تنكبه يمين التنظيم الحاكم ، ورسخت الثانية خطى الثورة على هــذا الطريق ، بعــد أن حاول « اليسار الطفولى » الابتعاد عنه .

أسقطت حركة التصحيح الفئة البرجوازية الوسطية التى أرادت التصالح مع البرجوازية الكمبرادورية ومع أصحاب العقارات فى المدينة والريف ، ودفع المجتمع فى طريق التطور الرأسمالى الطفيلى والتابع والمشوه ، وأسقطت حركة التقــويم الفئة البرجوازية الصغيرة ، التى رغم مزايداتها اليسارية — بل بفعل مزايداتها اليسارية — كانت تقف

حجر عثرة أمام ترسيخ وتطوير وتعميق أسس النظـــم الديمقراطى الثورى ، وتشبيع الاضطراب والفوضى والفتنة والنزاع بين قـــواة الشـــعبية والثـــورية •

كلتاهما ازاحتا لغمين من طريق الثورة ، كان من شأن بقائهما فيه أن ينفجرا فيها ، وأن يلقيا بها خارجه أشلاء وحطاما •

أقصت حركة التصحيح شيخا هرما يدلف الى القبر ، ويصر على أن تدفن الثورة الى جواره ، بينما أقصت حركة التقـويم شابا طائشا كان قـــد أنشب مخالبه فى الثورة •

قالت حركة التصحيح لليمين الانتهازى : اذهبوا الى المستنقع وحـــدكم ، « لا للوقـــوع فى المستنقع المجـــاور الذى لامنا سكانه منذ البدء ، لأننا اتحـــدنا فى جماعة على حـــدة ، وفضلنا طريق النضـــال على طريق المهادنة » على حـــد تعبير لينين فى كتابه (ما العمل ؟) •

وقالت حركة التقـــويم لليسار الانتهازى الذى كان قـــد غامر بالقيام بانقلاب على خط التنظيم فى ٢٥ يونيو ١٩٧٨ : اذهب أنت وطيشك وجموحك الى الجحيم ، ورددت مع انجلز : « ان الحزب الذى يسهل عليه أن يتحمل فى عقر داره وعن عمد كل مجنون أكثر من أن ينبذه بحزم وعلنا ، ان مثل هـــذا الحزب حزب لا مستقبل له » • — كما جاء فى رسالة له الى ماركس فى ٢ـــ٨ـــ١٨٧٩ •

حركة التصحيح أعادت ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م الى حضـــــن القضية الوطنية اليمنية ، قضية توحيد الوطن على أسس ديمقراطية ، بعـــد أن جنح اليمين الانتهازى بعيدا عنها ، وانكفأ فى انفصاليته •

ووضعت حركة التقويم هـذه القضـية فى موضـع القلب من اهتماماتها ، وخصص لهـا برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى فصـلا كاملا منه ، هـو الفصل الأول ، بعـد أن كانت قـد تحولت على يد اليسار الانتهازى الذى كان غارقا فى الانعزالية حتى الأذقان الى مجرد أداة للمناورة والمعابثة .

حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عادت بالثورة مرة أخرى الى قلب المعترك العربى ، والى ساحة الصراع العالمى مع الاستعمار والاستعمار الجـديد والصهيونية والعنصرية والرجعية ، بعـد أن أخرجها اليمين نهائيا منها ، وذهب يفتش له عن حلفاء وأصدقاء داخل هـذه الجبهة الظـلامية .

وحركة ٢٦ يونيو التقويمية دفعت بالثورة لاحتلال موقع متميز فى قلب هـذا المعترك العربى ، وفى لب ساحة الصراع العالمى .

حركة ٢٢ يونيو أقامت جسور الصداقة والتحالف المتينة بين اليمن الديمقراطية والمعسكر الاشتراكى ، وفى الصدارة منه الاتحاد السوفيتى ، وأنهت بذلك نظرة الريبة والنفعية والبراجماتية التى كان يتبناها ازاءه اليمين المسقط .

وحركة ٢٦ يونيو زادت هـذه الجسور متانة وقـوة ، ووضعت تحتها دعائم تجعلها قادرة على الصمود فى وجه كل الزلازل الرجعيـة والاستعمارية المحتملة ، ووضعت بذلك حـدا لكل محاولات اليسار الانتهازى التى كانت تهـدف الى خلخلتها واضعافها .

حركة التصحيح قربت بين قوى الثورة فى الداخل ، وجمعتها فى تنظيم انتقالى مبتكر ، هو التنظيم السياسى الموحـد — الجبهـة القـومية .

وحركة التقـويم ارتفعت بهـذه الوحـدي التنظيمية الانتقالية الى مستوى نوعى جـديد ، الى مستوى اقامة حزب واحـد موحـد ، حزب طليعى من طراز جـديد ، حزب يتبنى أيديولوجية الطبقة العاملة ورسالتها ، أيديولوجية الاشتراكية العلمية والأممية البروليتارية ، الا وهـو الحزب الاشتراكى اليمنى •

بخطوة ٢٢ يونيـو التصحيحية قـدمت ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ البرهان على أنه ليس فى امكان الثورة — أى ثورة — أن تحقق نهجهـا الوطنى الديمقراطى بدون ازاحـة ممثلى البرجوازية الوسـطى من قيادتهـا •

وبحركة ٢٦ يونيـو التقويمية قـدمت ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ البرهان أيضا على أنه ليس فى امكان الثورة — أى ثورة — ان تمضى بالثـورة الديمقراطية الى النهـاية بدون اقصـاء العناصر الممثـلة لأيديولوجية البرجوازية الصغيرة من موقع القيادة فيها ، أيا كان الوجه الذى تظهر به ، واللون الذى تموه نفسها به •

ذلك هـو الخاص الغنى والعميق الذى طرحته تجربة ثورة ١٤ أكتوبر ، وهو لغناه وعمقه ينطوى على ما هـو عام ، على ما يصلح لكل ثورة وطنية ديمقراطية أصيلة •

وذلك أيضا هـو التعميم النظرى الذى توصـل اليه الحزب الاشتراكى اليمنى حيث جاء فى برنامجـه : « ورغم الموقف الوطنى للبرجوازية الصـغيرة ضـد السيطرة الاستعمارية ، ونضالها ضـد الاستغلال الواقع عليها من الاقطاع والكمبرادور ، تقع فئات واسـعة منها فى التشوش والاضطراب والتردد ، عندما تواجه المهام الأساسية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وذلك بحكم تكوينها وتطلعاتها •

وتؤكد التجربة الثورية فى بلادنا ، كما تؤكد تجارب البلدان النامية التى لعبت فيها البرجوازية دورا قياديا ، عجز البرجوازية المتوسطة والصغيرة عن تقديم المعالجات الجذرية والصائبة لمهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، منتهجة بدلا من ذلك طريق التجريبية والمزايدة اللفظية والتأرجح بين أقصى اليسار وأقصى اليمين ، انسجاما مع مصالحها وطموحاتها الطبقية ، وانحيازها الى طريق التطور الرأسمالى بأشكاله التقليدية والحديثة ، وشبكة علاقاته الاقليمية والدولية البرجوازية الرجعية ، مما يفتح المجال لاجهاض الثورة ، ولسيطرة الاستعمار الجديد » • (ص ٥٩ — ٦٠) هكذا يمكن الجزم بأن حركة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ جاءت — بكل مقياس من المقاييس — تتمة طبيعية لحركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ • وبدونها كان يمكن أن يصبح كل ما أنجزته حركة التصحيح هباء منثورا •

فهى اذن خطوة تقويمية مكملة ومدعمة لحركة التصحيح • وهما معا وجهان لعملة واحدة ، بعدان لعملية ثورية واحدة •

على أن الحديث عن حركة ٢٢ يونيو التصحيحية ، وحركة ٢٦ يونيو التقويمية لا يكتمل دون التطرق الى ما أسميته فى مقال لى نشرته صحيفة « ١٤ أكتوبر » فى عدد ١٤—٢—١٩٨٦ منها « مؤامرة ٢٣ يناير ١٩٨٦ والعبرة المستخلصة منها » قلت فيه — استنادا الى الأسس والمبادىء التنظيمية اللينينية التى لا وجود ولا حياة لأى حزب اشتراكى علمى بدونها وبدون التقيد الصارم بها ، والانضباط الكامل لها : « ذلك يعنى أن أى خروج على وحدة الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية تحت أى ذريعة كانت ، والاحتكام الى السلاح فى حل القضايا الخلافية ، هو تخل كامل عن نهج الطبقة العاملة ، وعودة الى نهج البرجوازية » •

« وكان الظن أن هذه المسألة المبدئية قد غدت من الأمور

المسام بها فى حزب طليعى كالحزب الاشتراكى اليمنى • لا سيما وأن هناك قرارا صريحا اتخــذه المكتب السياسى للحزب يخون فيه أى عضو فيه يلجــأ الى السلاح فى حــل الخلاف الداخلى فى الحزب » •

« ان أيديولوجية ومبادىء الحزب الطليعى ، حزب الطبقة العاملة ، هى أعلى وأكمل تجسيد للديمقراطية ، سواء الديمقراطية داخل الحزب أو الديمقراطية للشعب • وبالتالى فانه غير جائز ولا مقبول على الاطلاق اشــهار أو استخدام السلاح فى حزب كهــذا لا ضــد أحــد من أفراده وهيئاته — أيا كانت الخلافات فيه — ولا ضــد الشعب » •

وقلت فى هــذا المقال : « قليلة هى الأوطان التى تعرضت لمثــل ما تعرضت له اليمن الديمقراطية من محنة مطبقة الأنحاء كان يمكن أن تعصف بنظامها التقــدمى • وثورتها الديمقراطية ، وحزبها الطليعى ، وأن تدمر وحــدتها الوطنية ، وعلاقاتها القومية والأممية والعالمية ، وأن تحكم على دواتها بالزوال •

غير أن اليمن الديمقراطية التى عركتها الخطب ، وانضجتها نيران المعارك التى خاضتها منذ اندلاع ثورتها المقــدامة ، ثورة ١٤ أكتوبر ، والتى تعودت على اجتياز كل عقبة انتصبت فى طريقها • وتصحيح كل أعوجاج طرأ على خطها النضالى وتمكنت من ثم من القيام بحركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ أقصت بها اليمين الانتهازى ، ومن التغلب على اليسار الانتهازى بهتها الثــورية فى ٢٦ يونيــو ١٩٧٨ — اليمــن الديمقراطية هــذه أمكن لهــا — بفضل هــذا الرصيد النضالى الضخم وبفضل امتلاكها الحزب القائد لمسيرتها الكفاحية ، الحزب الاشتراكى اليمنى — أن تقهر مؤامرة ١٣ يناير ٢٩٨٦ الانقلابية الدموية التى حتى بصبغتها الدموية هــذه اتخــذت طابعا يمينيا واضحا » •

كما قلت فى هــذا المقال : « ان أى حزب طليعى اشتراكى علمى ••

لا يمكن له الا أن يستنكر بقـوة هـذه الفعلة النكراء ، وهـذه الجريمة الشـنعاء » .

هـذا الكلام الذى كتب فى مطلع فبراير ١٩٨٦ ونشر فى منتصفه لم يكن مجرد تكهن بمـا يمكن أن يكون عليه موقف الأحزاب الشيوعية من أحـداث ١٣ يناير المؤسفة والمحزنة هـذه ، ولا حتى عملية استقراء لموقفها الطبيعى المفهوم سلفا تجاهها ، وانما كان ببساطة تأكيدا على موقف مبدئى نظرى وتنظيمى من مبادىء المـاركسية ــ اللينينية لا يختلف عليه اثنان ينتميان اليها .

وكما أعربت الأحزاب الشيوعية فى المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها حزب لينين العظيم عن أساها وفجيعتها لوقـوع مثل هـذه الأحـداث الداميـة ، وألقت بكل ثقلهـا الى جانب الحزب الاشتراكى اليمنى لرأب الصـدع ، وتضميد الجراح وتعمير ما دمر ، وللاسهام فى مواصلة بناء التجربة الثورية الفريدة والرائدة فى المنطقة فان الأحزاب الشيوعية العربية بادرت بتشكيل وفـد مشترك برئاسة السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى الرفيق عزيز محمد للاعراب عن ذات الحزن والأسى لحـدوث ما حـدث ، ولاستنكار اللجوء الى السلاح فى حـل الخلافات داخل حزب يرفع راية الاشتراكية العلميـة والأممية البروليتارية ، ولتأكيد موقفها التضامنى الراسخ الى جانب الحزب الاشتراكى اليمنى ، وللاعراب عن ثقتها فى قـدرة الحزب على تجاوز المـأساة والمضى الى الأمام فى طريق التوجه الاشتراكى ، وطريق الأممية البروليتارية .

فلقـد جاء فى البيان المشترك عن « زيارة وفد الأحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان العربية لليمن الديمقراطية التى تمت خلال الفترة ما بين ٩ ــ١٥ يونيو ١٩٨٦ : « ان الأحزاب الشيوعية والعمـالية فى

البلدان العربية ، وقد اطلعت على ما تعرض له الحزب الاشتراكى اليمنى والنظام الوطنى التقدمى فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى الثالث عشر من يناير ١٩٨٦ تشجب الأسلوب الدموى باستخدام السلاح لحل الخلافات الحزبية ، والذى ذهب ضحيته كوكبة من قادة الحزب الاشتراكى اليمنى ، وفى مقدمتهم الرفيق المناضل الشهيد عبد الفتاح اسماعيل ، وتعبر عن ألمها الشديد لما وقع ، اذ أنه لم يؤد فقط الى اضعاف الحزب الاشتراكى اليمنى ودوره البارز فى صفوف حركة التحرر الوطنى العربية فحسب ، بل واضعاف مواقع التقدم فى المنطقة بكاملها ، وتحيى أحزابنا قدرة الحزب الاشتراكى اليمنى فى الحفاظ على وحدته وعلى نهج التوجه الاشتراكى من خلال الاجراءات التى اتخذتها قيادة الحزب الجماعية لمعالجة آثار ونتائج أحداث يناير ، واعادة بناء ما خربته ، ومواصلة الجهود لتوطيد دعائم النظام الوطنى الديمقراطى ذى التوجه الاشتراكى ، ولتعزيز ارتباطه بالجماهير ، وتحقيق أوسع التفاف شعبى حوله لمواصلة دوره فى جبهة النضال المعادى للامبريالية والصهيونية . وتعرب أحزابنا عن وقوفها المطلق الى جانب الحزب الاشتراكى اليمنى والنظام التقدمى فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، من أجل مواجهة كافة أشكال العدوان والتآمر والتخريب » . كما يعبر وفد الأحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان العربية « عن سعادته للروح الكفاحية التى يواصل بها هذا الحزب الشقيق قيادته للعملية الثورية الجارية فى البلاد وتعميق دوره القيادى فى حياة المجتمع » .

« وتشيد أحزابنا بالنهج السياسى الخارجى للحزب الاشتراكى اليمنى وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية القائم على تعزيز أواصر الصداقة مع الاتحاد السوفيتى وبلدان المنظومة الاشتراكية ومع الدول والنظم التقدمية العربية ، والمستند الى علاقات التعاون مع دول المنطقة على أساس حسن الجوار واحترام السيادة وعدم التدخل

فى الشئون الداخلية ، واحترام رغبة شعوب المنطقة فى اختيار تطورها والعمل على اخلاء المنطقة من كافة أشكال التواجـد الامبريالى والنفوذ الاستعمارى ، ومن أجل سيطرة شعوبها على مقـدراتها وثرواتها الطبيعية والحفاظ على الأمن والاستقرار اللازمين لتقـدم وتطور بلدان وشعوب المنطقة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ، ١٦ــ٦ــ١٩٨٦ م) .

كانت زيارة التضامن هـذه بما تخللها من مباحثات مفتوحة مـع قادة الحزب الاشتراكى اليمنى وبالبيان المشترك الذى اجتزأنا منـه الفقرات الآنفة الذكر ، حـدثا سياسيا بالغ الأهمية تأكد به من جـديد الموقع الهام الذى يحتله حزب الاشتراكيين اليمنيين بين الأحزاب التقدمية العربية ، وتعززت به المكانة الطليعية التى تحتلها التجربة الثـورية فى اليمن الديمقراطية بين تجارب الثورة العربية ، وترسخ به يقين الثوريين اليمنيين والعرب مرة أخرى بأن هـذه التجربة غير قابلة للانتكاس أو الارتداد أو التعثر أو السقوط ـــ رغم المحنة القاسية والأليمة التى تعرضت لهـا بأحـداث ١٣ يناير الدامية ، ورغم اشتداد المؤامرات الرجعية والاستعمارية ضـدها ـــ وأنها تجاوزت هـذه المحنة ، وشرعت بهمة وعزم فى معالجة آثارها على المستوى الحزبى والشعبى والوطنى ، فأنها قادرة على التقـدم فى طريق انجاز كامل مهـام الثـورة الوطنية الديمقراطية ، التى تشكل الوحـدة اليمنية بعـدا من أبعادها ، وطريق التوجه الاشتراكى ، وطريق توثيق الروابط النضالية مـع قوى التقـدم والاشتراكية فى الوطن العربى وفى العالم ، ومع المنظومة الاشتراكية وفى طليعتها اتحاد السوفيتى لا .

٢٢ يونيو ، ٢٦ يونيو ، ١٣ يناير .. ثلاث محطات مرت بها ثورة ١٤ أكتوبر فى زحفها التاريخى العظيم .. ثلاثة برازخ عبرتها فى انطلاقها نحـو شاطىء السعادة الجميل .

ديالكتيك الثـورة والدولة(*)

الاستيلاء على حصن العـدو ، وتهـديمه حجرا حجرا ، يختلف عن عملية اعادة بنائه من جـديد وفق نمط معمارى جـديد أكثر تقـدما ورقيا . ففى الحالة الأولى قـد يكفى هـذا القـدر أو ذلك من الخبرة التكتيكية الى جانب قـدر عظيم من الحماس والهمة والعزم . أما فى الحالة الثانية فالأمر يتطلب قـدرا أقل من العواطف الملتهبة ومقـدارا أعظم من التفكير الخلاق ، ومن الالمـام بفنون علم هندسة البناء .

ان ذلك ينطبق ــ بالأحرى ــ على المجتمع ، أى مجتمع ، فبعـد الاستيلاء على السلطة السياسية تبادر الحركة الثورية المنتصرة والمهيمنة الى اتخاذ جملة من القرارات الاجتماعية الراديكالية الهادفة الى قلب النظام الاجتماعى السابق رأسا على عقب ، غير أن وضع هـذه القرارات

(*) نشرت فى مجلة « قضايا العصر » عـدد يناير ١٩٨٧ .

فى التطبيق ، واقامة صرح النظام الاجتماعى الجـديد عن أساسها ، وتجـذير وتطـوير هـذا النظام على نحو دائب ومستمر ، لم يعـد يحتاج الى الحماس الثورى وحـده ، والى أى قـدر كان من الخبرة ، وانما يتطلب الى جانب الوعى الاجتماعى العميق بقوانين التطـور الموضوعية ، وبطبيعة المرحلة التاريخية ، وبالشروط المادية والذاتية للانتقال منها الى مرحلة تاريخية أكثر تقـدما ، وبالعوامل الخارجية المساعدة على ذلك أو المعوقة له ، يتطلب التزود بحصيلة المعارف المفيدة السابقة التى صنعها تطور الفكر البشرى وتقـدم الثقافة الانسانية .

ولذلك فأن صناع المجتمع الجـديد يجـدون أنفسهم مطالبين بتعميق وتوسيع معارفهم لا النظرية والسياسية فحسب ، وايما أيضـا العلمية والتكنيكية والتخصصية .

والبروليتاريا وحزبها الطليعى مطالبان بذلك قبـل غيرهما ، ذلك أن « المربى هـو نفسه بحاجة للتربية » كما قال ماركس .

والاشتراكى الذى يكتفى بترديد الشعارات والعبارات الثورية والذى من ثم لا يقوم بتربية وتثقيف نفسه باستمرار ، كما لا يساعد البروليتاريا وجموع الشغيلة على تربية وتأهيل أنفسهم ، وتمكينهم بالتالى من بناء وادارة المجتمع والدولة ، لا يستطيع أن يكون لبنة حية وعنصرا ايجابيا فى مرحلة تحول الثورة الى دولة .

ولربما كانت الدولة الثـورية فى حاجـة الى خبرة الاختصاصى البرجوازى الذى يحسن أداء عمـله تحت أشرافها أكثر من حاجتها الى مثل هـذا الاشتراكى الفاقـد لكل خبرة ، والذى يصر على الا يسعى اليها ويتملكها ، بحجة أن ما قـدمه للثورة من خـدمات يغنيه ويعفيه عن مواصلة تطوير نفسه .

ولقــد سبق أن واجه لينين حالة كهــذه داخل حزبه بعــد قيــام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، ولم يملك الا أن يخاطب البلاشفة الذين — بدلا من ان يؤهلوا انفسهم جيدا لقيادة وادارة المجتمــع الجــديد — راحوا يمنون على الناس بأدوارهم القــديمة فى الثورة — ان يخاطبهم بمثل هــذه الصراحة المتناهية : « ان الشيوعى الذى لا يقــدم الدليل على حــذقه فى توحيد عمل الاختصاصيين وتوجيهــه بتواضع ، متغلغلا الى جوهر الأمر ، دارسا اياه بالتفصيل ، ان هــذا الشيوعى خسار فى كثير من الأحيان ، وعندنا كثيرون من أمثال هــذا الشيوعى ، وانى لعلى استعداد لاعطائهم بالدزينات مقــابل اختصاصى برجوازى واحــد قــدير يدرس عمــله بوجــدان » ، « فاذ كانوا اقتصاديين واخصائيين وادباء ، ترتب عليهم ان يدرسوا فى البدء تجربتنا العملية بالذات ، وان يبدءوا باصلاح الأخطاء ، وتحسين العمل ، بالاستناد فقط الى دراسة الوقائع المعينة دراسة مفصلة ، ان الدراسة هى شأن العالم ، وهنـــا . ما دامت المسألة لا تتعلق عندنا من زمان بالمبادىء العامة ، بل بالتجربة العملية على وجه التدقيق ، فان « اختصاصيا فى العلم والتكنيك » ، وان برجوازيا ، ولكنه يعرف العمل ، أثمن لنا عشر مرات ، فى هــذه الحال أيضا ، من شيوعى متبجح ، مستعد لأن يدبج « الموضوعات » فى أى لحظة من النهار والليل ، ويتقدم « بالشعارات » ، ويقترح التجريدات المحض ، أكثر من معرفة الوقائع ، وأقل من الجدالات اللفظية التى تدعى بالمبدئية الشيوعية » (لينين المختارات فى ١٠ مجلدات ، المجلد ١٠ . دار التقــدم — موسكو ١٩٧٨ ص ٣١٢) .

ويمضى لينين أكثر فى مصارحة رفاقه ، ومنهم قادة بارزون ، منبها اياهم الى ان أى دور مجيد وعظيم يمكن أن يكونوا قــد لعبوه فى مضمار الاطاحة بالعهــد الســابق ، لا يعطيهم صك اعفاء عن امتلاك المعرفة العلمية والعملية لكيفية بناء وادارة العهد الحاضر ، وان عليهم الا يتباهوا بالقــدر الذى أتيح لهم من الثقافة وأن يقللوا من الغطرســة

المختبية ، وان ينزلوا الى واقع التجربة الثورية ، ويتمعنوا في معطياتها ودروسها جيدا ، وان يستعينوا في ذلك كله بالعلم ، والعلم وحده .

وعدا ذلك فان لينين يلفت انتباه هؤلاء القادة الى ان المغالاة في الحديث عن أدوارهم في الماضي وتضخيمها لا يصيبهم بحالة من حالات الانتفاخ الذاتي المرضية فقط ، وانما يضيق كذلك المسافة بينهم وبين المهرجين ، وهو عيب يمكن ان يلازم امثال هؤلاء القادة الذين يظلون يستجرون أمجاد الماضي ، ويؤثر من ثم على ادوارهم فيها .

يقول لينين : « لقد لوحظ من زمان ان نواقص الناس ترتبط في معظم الحالات بفضائلهم ، وهكذا هي نواقص الكثيرين من الشيوعيين القادة . فطيلة عشرات السنين قمنا بعمل عظيم . دعونا الى الاطاحة بالبرجوازية ، علمنا الحذر من الاختصاصيين البرجوازيين ، وفضحناهم وانتزعنا منهم السلطة ، وقمعنا مقاومتهم . انه لعمل عظيم ، تاريخي عالمي . ولكن حسبنا أن نحدد قليلا بالتحديد تلك الحقيقة القائلة بانه لا يفصل العظيم عن المضحك غير خطوة واحدة ... لقد اقنعنا روسيا وانتزعنا روسيا من المستثمرين في سبيل الشغيلة ، وقمعنا المستثمرين . فيجب علينا أن نتعلم كيفية ادارة روسيا . ولهذا الغرض يجب ان نتعلم التواضع واحترام العمل الجدي الذي يقوم به « اخصائيو العلم والتكنيك » . لهذا الغرض يجب ان نتعلم تحليل أخطائنا العملية العديدة بانتباه وبشكل جدي ، واصلاحها تدريجيا ، ونحن بحاجة الى تواضع اكثر ، اقل من غرور المثقفين ، والغرور الدواويني ، واكثر من دراسة ما تعطيه تجربتنا العملية في المركز والتوابع ، وما سبق واعطانا العلم اياه » . (المصدر السابق ص ٣٢٣) .

ولكن بناء الدولة الثورية القادرة على صياغة المجتمع الجديد مهمة بالغة الصعوبة والتعقيد . فليس الصمود الثوري في الصراع الداخلي والخارجي ، هو وحده الذي يعمل على مواجهة هذه المهمة فمنذ

تحول الثورة الى دولة لا تكون الطبقة العاملة وحلفاؤها قد امتلكت بعد الكوادر المؤهلة لذلك نظرا لأن المجتمع القديم قد حرمها من امكانيات التزود حتى بالحد الأدنى من المعرفة والثقافة . وعبر السعى من أجل امتلاك فن ادارة الدولة وتوجيهها الوجهة الصحيحة التى تؤدى الى اقامة المجتمع الاشتراكى تحدث الاحتكاكات والنزاعات والصراعات بين القوى المستوعبة لمهمة الدولة فى تجسيد وتحقيق الثورة ، والقوى التى باسم الثورة تعمل على عرقلة وخلخلة عملية اقامة أجهزة ومؤسسات الدولة ، وعلى تبهيت واضعاف هيبة الدولة .

وكما كتب لينين فان « دخول طبقة جديدة الى المسرح التاريخى ، بوصفها زعيمة المجتمع وقائدته ، لا ينقضى ابدا دون مرحلة من « الخضات » العنيفة ، والهزات ، والنضالات والعواصف ، من جهة ، ودون مرحلة من الخطوات المترددة ، والتجارب والتأرجحات ، والتقلبات فى اختيار الأساليب الجديدة التى تستجيب للوضع الموضوعى الجديد ، من جهة اخرى » . (لينين المهام المباشرة أمام السلطة السوفيتية دار التقدم ، موسكو ١٩٧٠ ص ٣٤) .

ولكن لينين يوضح انه ليست الثورة الروسية هى وحدها انتى بليت ببروز مثل هذه الظاهرة ظاهرة تعرضها أثناء سيرها لبناء دولتها الثورية لهذا النمط من القادة الذين يريدون أن يكونوا كل شىء ، ولكنهم لا يحسنون عملا ، والذين يتحول بعضهم ، بعد أن يلفظه موج الثورة الى مجرد كليب ينبح ، كلما رأى الثورة تزيح من طريقها عقبة جديدة .

فجميع الثورات العظمى فى التاريخ لم تشهد فقط ظاهرة هؤلاء القادة المتعالين بغير علو ، المتطاولين بدون حول ولا طول ، وانما أيضا ظاهرة امتلاء مجرى الثورة بالأوباش والاوغاد واللصوص والمدعين المحسوبين على الثورة والمنسوبين الى الثوار .

غير أن الثورة الروسية — بسبب من طبيعتها الاجتماعية — الطبقيه البروليتارية ، قادرة على أن تتجاوز الامتحان بنجاح • وعلى ان تخلق كادرها القيادى المدرب والمؤهل لادارة الدولة الجـديدة ولتوجيه المجتمع ، وستخلق بذلك ليس فقط القادة الواعين لمهمتهم التاريخية وعيا علميا عميقا ، والمؤمنين بها ايمانا راسخا ، وانما ايضا المتلكين لخبره وفن تحقيق هـذه المهمة •

يكتب لينين فى هـذا الصـدد : « ان أيا من الحركات الشعبية العميقة والجبارة التى يعرفها التاريخ لم تخل من الزبد القـذر ، من المغـامرين والمحتالين والمتصلفين والصياحين اللازقين (الملتصقين) بالمجـددين غير المجربين ، لم تخل من خرافة اختلاط الحابل بالنابل ، لم تخل من الفوضى ، لم تخل من الهرج والمرج الباطل ، لم تخل من بعض « الزعماء » ممن يحاولون البدء بعشرين أمرا فى آن واحـد ، ولا ينفـذون أى أمر منها الى النهاية • فلتعو كلاب المجتمع البرجوازى الصغيرة ، ابتداء من بيلور وسوف حتى مارتوف ، ولتنبح لدى كل شظية من خشب تقع أثناء قطع الغابة القـديمة ، واذا كانت تنبح على الفيل البروليتارى فلأنها بالضبط كلاب صغيرة ، لندعها تنبح • فاننا نسير فى طريقنا ، مجتهـدين أن نمتحن ونكتشف ، بفائق الصبر وبالـغ الاحتراس ، المنظمين الحقيقيين ، أولئك الموهوبين فكرا بصيرا ، وحسا عمليا سليما ، أولئك الذين يأتلف عندهم الاخلاص للاشتراكية مـع القـدرة على تسيير العمل المشترك الحازم والمتفق عليه ، الذى يقوم به عـدد كبير من الأشخاص فى نطاق التنظيم السوفييتى ، على تسيير هـذا العمل بلا ضجة « ورغم الضجة والهرج والمرج » ، فقط أمثال هؤلاء يجب علينا أن نقـدمهم الى المناصب المسئولة ، مناصب القادة فى العمل الشعبى والادارة ، بعـد امتحانهم عشر مرات ونقلهم من أبسط المهام الى أصعبها • نحن لم نتعلم ذلك بعـد • ولكننا سنتعلمه » • المصدر السابق (٣٥ — ٣٦) •

ان المكانة الاجتماعية والسياسية والعلمية والتكنيكية التى تحتلها دولة الاتحاد السوفيتى فى عالم اليوم لهى أبلغ برهان على مدى صدق نبـوءة لينين هـذه .

فى ضوء هـذه التجربة الثورية العالمية الرائدة واستلهاما لهـا يمكن القول ان الثورة فى اليمن الديمقراطية قـد واجهت نقصا فى الكادر القيادى المتمرس ، وضعفا فى مستوى الخبرة الادارية والعلمية ، وميولا بيروقراطية . وانه كان لابد من التغلب على ذلك كله ، بغية ايجاد أجهزة للدولة قادرة على تحقيق كامل مهام الثورة القريبة والبعيدة ، الديمقراطية والاشـتراكية .

ومما زاد الأمر فـداحة فقـدان الثورة للعـديد من القيـادات المجربة والكوادر المتمرسة التى تكونت فى مجرى الثورة ، والتى كانت قـد شرعت فى تملك واستيعاب ديكاليكتيك الثورة والدولة .

ذلك بعـد واحـد من الأبعاد المـأساوية لمؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ م يتطلب التغلب عليها جهدا ثوريا مضاعفا .

ومن فضائل الثورات أنها تصنع وتعيد انتاج قادتهـا وكوادرها السياسية والادارية فى مدد قياسية .

وما من شك فى أن الثورة فى اليمن الديمقراطية ستحقق ذلك كله فى أمد قصـير من الزمن وستخلق من ثم الـكوادر العلمية والتكنيكية والادارية المؤهلة لبناء الدولة الديمقراطية الشبعية ، ولقيادتها صوب الاشتراكية ، وستمتلك بذلك ما اسماه لينين « المنظمين الحقيقيين ، اولئك الموهوبين فكرا بصيرا ، وحسا عمليا سليما ، أولئك الذين يأتلف عندهم الاخلاص للاشتراكية مع القـدرة على تسيير العمل المشترك الحـازم والمتفق عليه .. » .

ثــورة ١٤ اكتــوبر ...

ليست حركة القرامطـة ...

ولاكــومونة باريس(*)

البعض فى اليمن - وربما خارجه . قــد تغريه المقارنات الشــكلية للأحــداث ، دون نظر للملابسات التاريخية والخصوصيات الاجتماعية التى تحيط بكل حــدث .

ووفق هــذه النظرة المسطحة للأحــداث فان ثورة ١٤ أكتــوبر ١٩٦٣ فى اليمن ان لم تلحق بمصير ثورة القرامطة التى قادها على بن الفضل فى القرن العاشر ، ولم يمض عليها أكثر من عقــدين من الزمن . فان هــذا المصير لن يختلف فى أحسن الأحوال ــ عن مصير كومونة باريس فى عام ١٨٧١ .

(*) نشرت فى مجلة « قضايا العصر » عــدد مايو ١٩٨٧ .

فثورة القرامطة فى اليمن ــ شأن الحركة القرمطية فى العــالم الاسلامى ــ قــد أحاطت بها القوى الطبقية والسياسية ذات المصــالح الاقتصادية الكبيرة والاتجاه الاجتماعى الرفيع والمواقع السياسية المهيمنة وأجهزت عليها ٠

وثورة كومونة باريس سرعان ما أطبقت عليها البرجوازية الفرنسية الكبيرة مسنودة بجيش بيسمارك الغازى ٠

أما لمــاذا الميل الى تشبيه الحــدث الثورى اليمنى المعاصر بهذين الحــدثين التاريخيين البعيدين فلأنه هنا وهناك كانت التربة الاجتماعية غير معبدة ولا ممهدة ولا صالحة بعــد لاحتضان واستنبات وانضــاج بذرة كهــذه ، بذرة الثورة الاجتماعية الملبية لمصالح الجماهير الواسعة والكادحة ، ولأن محاولة كهــذه تتسم بالمثالية والمزاجية والفوضوية ، ولم تخل هــذه الحركات الاجتماعية كغيرها من الحركات المماثلة التى عرفها التاريخ من مثل هــذه السمات ٠

والواقع أنه لا مجال حقيقيا للمقارنة بين هــذه الأحــداث الثلاثة الا من زاوية التطلع المشروع والنبيل نحو المساواة والعدالة الاجتماعية ، وهى سمة طبعت جميع الحركات الاجتماعية فى التاريخ منذ أن انقسم المجتمع الى أغنياء وفقراء ، مالكين واجراء ، سادة وعبيد ، حيث كان الحلم برفع الظلم الطبقى وتحقيق العــدل الاجتماعى لا ينعكس فى أنمــــاط من المذاهب الفكرية فقط ، وانما فى أشكال من الانتفاضات الاجتماعية ، بدءا بأشهر انتفاضة شنها العبيد بقيادة سبارتاكوس ضــد الدولة الرومانية الاستعبادية فى القرن السابق للميلاد الى الثــورات البروليتارية الأوروبية فى القرن التاسع عشر ، وهى مذاهب وانتفاضات كانت تعبر عن الصراع الطبقى المحتدم بين الظالمين والمظلومين ، وعن تصميم المظلومين على نفض النير الاستعبادى عن كواهلهم ٠

وكما كتب انجاز .. « فهكذا كانت حركة المعمدانيين الجـدد ، وتوماس مونتسر أثناء الاصلاح وحرب الفلاحين فى المـانيا ، وحركة السوائيين الحقيقين أثناء الثورة الانجليزية الكبرى ، هـذه النضالات الثورية المسلحة التى كانت تقوم بها طبقة لم يكتمل تكوينها كانت تصحبها نظريات مناسبة : اللوحات الطوباوية عن النظام الاجتماعى الأمثل فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، نظريات شيوعية صريحة (موريللى ، مابلى) فى القرن الثامن عشر ، ولم يقتصر مطلب المساواة على الحقوق السياسية ، انما كان يشمل أيضا أوضاع الفرد الاجتماعية ، وأعطى البرهان على ضرورة الغاء الفوارق الطبقية . وكان أول شكل ارتداه المذهب الجـديد هو شكل شيوعية متقشفة ، منسوخة عن سبارطه ، تحرم التمتع بجميع أطايب الحياة . ثم ظهر الطوبون الثلاثة الكبار : سان سيمون ، الذى كان يقر لحـد ما بالميول البرجوازية الى جانب الميول البروليتارية ، وفورية واوين ، وقـد عاش أوين فى البلد الذى تطـور فيه الانتاج الرأسمالى أكثر ممـا فى غيره من البلدان ، وبتأثير التناقضات الناجمة عن هـذا الانتاج الرأسمالى وضع أوين اقتراحاته لالغـاء الفوارق الطبقية بصورة نظام مرتبط بالمـادية الفرنسية مباشرة »(١) .

ولقـد عرف الاسلام العـديد من الحركات الاجتماعية والمذاهب الفكرية التى عبرت عنها بدءا من حركة العـدل الاجتماعى التى قادها على بن أبى طالب ، والتى تناسخت فى ثورة الزنج والمعارضة الشيعية عموما لدولة الخلافة الاقطاعية السنية الأموية والعباسية ، مرورا بالحركة القرمطية التى كانت اليمن احـدى ساحاتها ، وانتهاء بأحـدث الحركات والدعوات التى شهدها القرن التاسع عشر ، والتى تجسدت فيما دعـا اليه جمال الدين الأفغانى من تحرير المسلمين من الاستعمار والاستبداد والظلـم .

وكل هـذه الحركات الاجتماعية التى عرفها الشرق والغرب سواء

فى القرون القديمة أو الوسطى أو الحديثة والتى اخترقت وزعزعت مختلف التشكيلات الاجتماعية منذ التشكيلة العبودية حتى التشكيلة الرأسمالية ، ما كان مقدرا لها أن تنتصر لأن درجة التطور الاقتصادى ، أولا وقبل كل شىء ، ودرجة تطور قوى الانتاج ، لم تكن تساعد على ذلك •

فالتاريخ لا يسير قفزا ، وانما يسير فى حركة متدرجة ، ولكن صاعدة أبدا • والثورات لا تصنع أكثر من التعجيل بحركته هذه ضمن سياقها التاريخى — الاجتماعى • وان ساعدت عوامل موضوعية تاريخية معينة على تجاوز هذه التشكيلة أو تلك • غير أنه من المستحيل أن تسبق مرحلة اجتماعية أعلى مرحلة اجتماعية أدنى فى مضمار التطور التاريخى ، كأن تسبق الرأسمالية الاقطاعية أو تسبق الاشتراكية الرأسمالية • ومع ذلك تتلازم عدة أنماط اجتماعية ضمن حقبة تاريخية واحدة ، كأن يوجد النمط السابق للمرحلة الاقطاعية الى جانب النمط البرجوازى فى ظل التشكيلة الاقطاعية السائدة •

ذلك يعنى أن هناك قانونية تاريخية تحكم حركة المجتمع البشرى ، وبمقتضاها يمضى المجتمع فى حركة صاعدة من أدنى الى اعلى — رغم الانتكاسات والردات والكوارث الاجتماعية التى قد تدمر حتى حضارات بكاملها — وأنه ليس فى الامكان ان تنتصر حركة اجتماعية لم تتوفر الشروط المادية ومن ثم الذاتية لانتصارها ، فرغبات الناس وحماسهم وهمتهم واقدامهم وتصميمهم على بلوغ أهدافهم لا تكفى وحدها لتحقيق مطامحهم ومصالحهم ما لم تقترن بظروف مادية مواتية ، بامكانيات فعلية متيسرة ، بتطور اجتماعى متحقق • الناس يصنعون تاريخهم حقا ، ولكن وفق ظروف وشروط وعوامل موضوعية قائمة بالفعل تساعدهم على ذلك •

وليس هناك ما هو أدق من العودة الى صيغة ماركس فى هذا الصدد : « ان أسلوب انتاج الحياة المادية يشترط تفاعل الحياة الاجتماعى والسياسى والفكرى بصورة عامة . فليس ادراك الناس هو الذى يعين معيشتهم ، بل على العكس من ذلك ، معيشتهم الاجتماعية هى التى تعين ادراكهم . وعندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة من تطورها ، تدخل فى تناقض مع علاقات الانتاج الموجودة أو مع علاقات الملكية — وليست هذه سوى التعبير الحقوقى لتلك التى كانت الى ذلك الحين تتطور ضمنها ، فبعد ما كانت هذه العلاقات اشكالا لتطور القوى المنتجة ، تصبح قيودا لهذه القوى . وعندئذ ينفتح عهد الثورات الاجتماعية . ومع تغير الأساس الاقتصادى يحدث انقلاب فى كل البناء الفوقى الهائل ، بهذا الحد أو ذاك من السرعة . وعند دراسة هذه الانقلابات ، ينبغى دائما التمييز بين الانقلاب المادى لشروط الانتاج الاقتصادية ، هذا الانقلاب الذى يحدد بدقة العلوم الطبيعية — وبين الأشكال الحقوقية والسياسية والدينية والفنية والفلسفية . أو بكلمة مختصرة الأشكال الأيديولوجية التى يدرك فيها الناس هذا النزاع ويكافحون لأجل حله . فكما أنه لا يمكن الحكم على عهد انقلاب كهذا وفقا لوعيه . بل بالعكس ينبغى تفسير هذا الوعى بتناقضات الحياة المادية ، وبالنزاع القائم بين قوى المجتمع المنتجة وعلاقات الانتاج . ان أى تشكيلة اجتماعية لا تموت قبل أن تتطور جميع القوى المنتجة التى تفسح لها ما يكفى من المجال ، ولا تظهر ابدا علاقات انتاج جديدة أرقى قبل أن تنضج شروط وجودها المادية فى قلب المجتمع القديم بالذات ، ولهذا لا تضع الانسانية أبدا أمامها الا المسائل التى تستطيع حلها ، اذ أنه يتضح دائما ، عند البحث عن كثب ، أن المسألة نفسها لا تبرز الا عندما تكون الشروط المادية لحلها موجودة ، أو على الأقل آخذة فى التكون . ان أساليب الانتاج : الأسلوب الآسيوى ، والقديم ، والاقطاعى والبرجوازى الحديث ،

مرسومة بخطوطها الكبرى ، يمكن اعتبارها بمثابة عهود متصاعدة من التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية »(٢) •

وانتكاس الانتفاضات الاجتماعية ضد العبودية والاقطاع والرأسمالية كان حتميا اذن لعدم توفر الظرف المادى المواتى ، لعدم اكتمال التكون الطبقى للقوى الاجتماعية المنتفضة ، لعدم تبلور الرؤية الاجتماعية ، لمحدودية الوعى الأيديولوجى والسياسى لديها •

ولكن هذه الانتفاضات تظل نموذجا للصراع الطبقى عبر التاريخ ، ومثلا للبطولة الثورية التى كانت تجترحها دائما الجماهير الكادحة ، ورمزا المتعلق بقيم العدل والمساواة والحرية •

لقد كانت الحركة القرمطية فى اليمن وخارجها واحدة من هذه الحركات الاجتماعية الديمقراطية الفلاحية أساسا الموجهة ضد الاقطاع ، وما كان يمكن لها النجاح فى عهد الخلافة الاسلامية الاقطاعية المطبقة على العالم العربى — الاسلامى ، والتى كانت تعبر عن مرحلة من مراحل التطور التاريخى الطبيعية ما كان فى الامكان اجتنابها أو تجاوزها •

وحتى الثورات البروليتارية الحديثة التى انتشر لهيبها فى أوروبا القرن التاسع عشر ، وكانت كومونة باريس ذروتها ، ما كان فى الامكان أن تتكلل بالنصر ، ذلك أن الرأسمالية كانت تشهد مرحلة نمو ونهوض عاصفين ، وكانت علاقات الانتاج الرأسمالية لا تزال تدفع بقوى الانتاج نحو التطور بمقاييس متسارعة متصاعدة •

وعدا ذلك فأن البروليتاريا كانت ما تزال فى مرحلة التشكيل ، وكان ما يزال أمامها شوط تاريخى حتى تستكمل بنيانها الطبقى ، وحتى تصبح طبقة فى ذاتها وطبقة لذاتها ، وحتى تتمكن من جر قوى المجتمع

الأخرى • وخاصة الفلاحين والعمال الزراعيين ، خلفها ، وحتى تتمكن من اقامة حزبها الاشتراكى العلمى الموجه لمسيرتها النضالية هـذه •

وقفة عند كومونة باريس :

وعندما قامت كومونة باريس ما بين ١٨ مارس ١٨٧١ — ٢١ مايو ١٨٧١ على اكتاف بروليتاريا باريس لم تكن الا الظروف المحيطة الداخلية والخارجية ولا وضـع البروليتاريا الاجتماعى والأيديولوجى ليساعدا على انتصار الثورة •

فعـدا ضغط حكومة فرساى البرجوازية التى تصالحت مع الغازى الألمـانى وتواطأت معه من أجل خنق الثورة البروليتارية داخل باريس فأن الثورة ذاتها كانت تعانى العـديد من العيـوب التى مكنت من القضاء عليها : كان فى مقـدمتها سيطرة الفوضويين على قيـادتها ، وضعف دور الجناح المنتمى الى الأمميـة ، والى الفكر المـاركسى بالذات ، فيها ، ممـا أعجزها عن معرفة الاجراءات الثورية ، اللازم اتخـاذها ، وافقـدها القـدرة على التمييز بين الثـورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، الى غير ذلك من السمات والشروط التى لم تكن قـد توافرت بعـد •

ورغم التمجيد لعمال باريس الذين حاولوا باعـلان الكومونة اقتحام السماء فأن مؤسسى الاشتراكية العلمية : ماركس ، انجـلز ، لينين ، حرصوا على تبيان أخطائها حتى يفيد منها الثوريون •

كتب انجلز فى هـذا الصـدد : « لقـد كان أعضـاء الكومونة منقسمين الى اكثرية من البلانكيين كانوا يسيطرون أيضا فى اللجنـة المركزية للحرس الوطنى ، والى أقلية من أعضاء جمعية الشغيلة العالمية ، تتألف بصفة رئيسية من اتباع مدرسة برودون الاشتراكية ، ولم تكن

الأغلبية العظمى من البلانكيين فى ذلك الوقت اشتراكية الا من حيث الغريزة الثورية البروليتارية ، ولم يرتفع الا القليلون منهم الى ادراك أوضح للمبادىء . وذلك بفضل فايان الذى كان مطلعا على الاشتراكية العلمية الألمانية . ولذا يصبح من المفهوم لماذا فات الكومونة كثير من الأشياء فى المجال الاقتصادى وهى أشياء كان ينبغى تحقيقها بحسب آرائنا اليوم . ولا ريب أن أكثر ما يستعصى على الفهم هو ذلك الاحترام الذى وقفت به الكومونة اجلالا أمام أبواب بنك فرنسا . لقد كانت هذه أيضا غلطة سياسية كبرى . فلو وقع البنك فى أيدى الكومونة لفاق ذلك فى أهميته عشرة آلاف من الرهائن ولأرغم البرجوازية الفرنسية كلها على الضغط على حكومة فرساى لعقد الصلح مع الكومونة ، ولكن ما هو ادعى بكثير الى الدهشة صواب كثير من الاجراءات التى قامت بها الكومونة ، بالرغم من أنها كانت مؤلفة من بلانكيين وبرودونيين . وطبيعى أن البرودونيين هم المسئولون بصفة رئيسية عن المراسيم الاقتصادية ، بفضائلها ونقائصها ، التى أصدرتها الكومونة ؛ كما أن البلانكيين مسئولون عن أعمالها وأخطائها السياسية . وقد شاءت سخرية التاريخ — وهو شىء عادى عندما يتسلم العقائديون الحكم — أن هؤلاء وأولئك قد أتوا بنقيض ما كانت تنص عليه تعاليم مذهبهم »(٣) .

وفى مكان آخر يوجز انجلز عوامل سقوط كومونة باريس كالتالى :

« ومن جديد تبين الى أى حد كانت سيادة الطبقة العاملة هذه غير ممكنة حتى آنذاك ، أى بعد انقضاء عشرين سنة على المرحلة الموصوفة فى هذا الكراس . فمن جهة تركت فرنسا باريس وشأنها لحكم القدر ، مراقبة بلا مبالاة كيف تنزف دماء باريس تحت قنابل ماك — ماهون ، ومن جهة أخرى استنفدت الكومونة قواها فى صراع عقيم بين حزبين انقسمت اليها هما : حزب البلانكيين « الأغلبية » وحزب

البروونيين « الأقلية » . ولم يكن لا هؤلاء ولا اولئك يعرفون ما ينبغى فعله . وهكذا تبين أن الانتصار السهل فى ١٨٧١ كان عقيما بقدر عقم الهجوم المفاجىء فى ١٨٤٨ »(٤) .

اما ابنين فيعرض — فى مجرى جدله مع المناقشة — هنات وثغرات كومونة باريس التى اسهمت فى سقوطها بمثل هذه الكلمات :

« وكلما كانت كومونة باريس ، كومونة عام ١٨٧١ ، عزيزة علينا ، كلما قل ان يجوز لنا مجرد ذكرها ، دون أن نبحث اخطاءها والأوضاع الخاصة التى مرت بها . ان مثل هذا التصرف انما يعنى السير على غرار وحمق البلانكيين ، الذين سخر منهم انجلس ، والذين بالغوا (فى « بيانهم » الصادر عام ١٨٧٤) فى اطراء أدنى عمل قامت به الكومونة . وما عسى ان يقول المشترك فى المجلس العام للعامل الذى سيسأله عن هذه « الكومونة الثورية » المذكورة فى القرار ؟ انه لن يكون بوسعه ان يقول له سوى شىء واحد ، هو أن التاريخ يعرف بهذا الاسم حكومة عمالية كانت فى عهدها لا تعرف ، ولم يكن بوسعها ، ان تميز بين عناصر الانقلاب الديمقراطى وعناصر الانقلاب الاشتراكى ، وكانت تخلط مهمات النضال من اجل الجمهورية مع مهمات النضال من أجل الاشتراكية ولم تستطع أن تحل قضية القيام بهجوم عسكرى حازم على فرساى ، واخطأت فى عدم الاستيلاء على بنك فرنسا ... الخ ، وبكلمة ، سواء أذكرتم فى جوابكم كومونة باريس ام اى كومونة اخرى ، فانه يترتب عليكم أن تجيبوا كما يلى : كانت تلك حكومة ينبغى الا تكون حكومتنا مثلها »(٥) .

وقفة امام حركة القرامطة :

والآن ما هو وجه الشبه بين الثورة اليمنية المعاصرة ، مجسده فى ثورة ١٤ أكتوبر ، وبين الثورات والانتفاضات الآنفة الذكر ،

وبالذات بينها وبين الحركة القرمطية ، التى قادها على بن الفضـل من جهه ، وبينها وبين كومونه باريس من جهه اخرى ؟ ثم هـل هناك ادنى تشبه بين الملابسات التاريخية التى احاطت فى القرن العاشر بالحركة القرمطية ، والملابسات التاريخية التى تحيط فى الربع الأخير من القرن العشرين بالثورة اليمنية المعاصرة ؟ أو هـل الظروف التاريخية الخاصة والعامة التى لابست كومونة باريس عام ١٨٧١ تشبه من قريب او بعيد الظرف التاريخى المعاش الذى تتحرك فى سياقه ثورة اليمن المعاصرة ؟

واذا كان من الصعوبة بمكان العثور على اوجـه شـبه حقيقية وملموسة فهل لابد مع ذلك أن يكون مصير الثورة فى اليمن الديمقراطية مشابها لمصير ثورة القرامطة ، ومصير كومونة باريس ؟

فى كتابنا « اليمن .. الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال » الذى صـدر عاه ١٩٧٢ أوضحنا ان دمغ الجبهة القومية ، ومن ثم الثورة فى اليمن الديمقراطية ، بأنها مجرد حركة قرمطية هـو موقف أيديولوجى — تاريخى ثابت لقوى الاقطاع اليمنى تجاه القوى المناوئة لـه ، الخارجة عليه ، الرافضة لاستغلاله وتحكمه والطامحة الى اقامة مجتمع ديمقراطى عادل .

وقلنا فيه انه « حـدثت عملية انقسام طبقى واجتماعى حـادة وعنيفة وتحـددت خارطة القـوى السياسية ، وتبلورت منطلقاتها ، ولم تعـد هناك خيوط اجتماعية ذات نسيج معين متداخل مـع أخرى ذات نسيج آخر ، وتجابهت القوتان السياسيتان المتصارعتان فى شكل عمودى وأفقى على نطاق الساحة اليمنية كلها ، قوة محافظة ، واخرى متحررة ، قـوة تجتر المـاضى ، وأخرى تستلهم المستقبل ، قـوة تأخذ بمنطق « السلف الصالح » وأخرى بمنطق الخلف الثائر ، قـوة تمثل سقف المجتمع اليمنى مجسدا فى رجالات الاقطاع والارستقراطية القبلية .

والبورجوازية الكومبرادورية ، واخرى تمثل قاع المجتمع اليمنى مجسدا في الجماهير الشعبية من الفلاحين والعمال والبرجوازية الصغيرة .

وبدات معركة اعلامية محتومة وناطقة استخدمت فيها كل "الأسلحة" بما في ذلك اسلحة العصور الخوالى ، ولم تكتف القوى الاقطاعية فيها باتهام الجبهة القومية بانها انفصاليه ، وضـد الوحـدة اليمنية ، وأنها صاحبة شعارات « مستوردة » ، وانما اتهمتها أيضاً بأنها « طائفـة قرمطية » وفئة « اسماعيلية » .

وليس هناك ما يجسد ويبلور أيديولوجية الاقطاع والارستقراطية القبليـه في اليمـن مثل هـذا « النعت » الذى تطلقـه على خصومها الطبقيين ، وليس هناك ما يعبر بصـدق موضوعى ، وأمانة حقيقية عن مفاهيمها مثل هـذا الوصف ، بل ليس هناك ما يعكس مدى الحضور التاريخى والوعى السياسى بأحـداث الماضى ، والحس الطبقى في مواجهة العير الذى تعيشه الطبقـة الاقطـاعية اليمنية مثـل هـذا « المصطلح » التقليدى القـديم الذى وسم به الاقطاع العربى تلك القـوى المناوئة لـه .

ان خطورة وعمق ، وبعـد هـذا الاتهام الذى توجهه القـوى الاقطاعية في اليمن ضـد الجبهة القومية لا تتضح بدون رجعة الى الوراء لمعرفة الظروف التاريخية التى نشأت فيها الحركة القرمطية ، ولاستكناه طابعها السياسى » (أنظر ص ٢٩٦ — ٣٢٤ من الكتاب) .

ليس جـديدا اذن القول بأن الثورة في اليمن الديمقراطية مجرد ثورة قرمطية خارجة على الاسلام الرسمى ، وليس جـديدا أيضـا الاصطفاف الواسع ضـدها من قبل جميع ذوى المصالح الطبقيـة الاستغلالية التى حاولت غير مرة — وحتى عن طريق الحرب والتدخـل

الخارجي المسلح ـ الحاقها بمصير الحركة القرمطية التى انقض عليها أعـداؤها بالحراب والقسى حتى آخر ركن لهـا فى عـدن .

غير أن الثورة اليمنية المعاصرة ، مجسدة فى ثورة ١٤ أكتوبر ، اثبتت بانتصارها على جميع محاولات وأدها انهـا بطبيعة ما تمثله ، وبمؤازرة الحركة الوطنية اليمنية لهـا . وبتعبيرها عن مصالح ومطامح الجماهير اليمنية العريضة ، وبعلاقاتها مع قـوى التحرر والتقـدم والاشتراكية فى العالم أجمع ـ أنها من ذلك الطراز من الثورات العصريه التى ليس الى هزيمتها من سبيل ، والتى لا تمتلك فقط مقومات البقـاء والاستمرار ، وانما أيضا مقومات النمو والتطور الدائبين .

لمـاذا سقطت كومونة باريس ؟

كذلك فان تصور أن الثورة فى اليمن الديمقراطية مجرد محـاولة جنونية لاقتحام السماء ، لن يكون مصيرها بأفضل من مصير كومونة باريس ، تصور يلغى فارق التطور التاريخى الذى حـدث فى العالم منذ عام ١٨٧١ الى اليوم .

عام ١٨٧١ كان بيسمارك ـ بانتصاره على امبراطورية نابليـون الثالث ـ وبتوحيده ألمـانيا فور ذلك ، قـد انتزع زعامة أوروبا ، مثلما غـدت ألمـانيا الموحـدة أول دولة فيها . وما كان لكومونة باريس المحاصرة بجيشه الفاتح المنتصر ، وبجيش حكومة فرساى البرجوازية المتواطئة معه ، أن تصمد طويلا .

وكما كتب لينين : « وكان لابد للكومونة أن تمنى بالهزيمة بعـد أن خـذ لها حلفاء الأمس ، ولم يعـد يدعمها أحـد . واتحـدت ضـدها البرجوازية كلها فى فرنسا وجميع الملاكين العقاريين ، ورجال البورصة ، والصناعيين ، وجميع اللصوص الكبار والصغار ، وجميع

المستثمرين . وهــذا الائتلاف البرجوازى الذى سانده بيسمارك (الذى أطلق من الاسر سراح ١٠٠٫٠٠٠ جندى فرنسى لأجــل قهر باريس الثائرة) . استطاع ان يه تعدى الفلاحين الجهلاء والبرجوازية الصغيرة على البروليتاريا الباريسية ويطوق نصف باريس بطوق حديدى (النصف الثانى كان يحاصره الجيش الألمــانى)(٦) .

وكان العالم كله من روسيا القيصرية فى الشرق الى امريكا فى الغرب يقف ، مصفقا لبيسمارك الفاتح الموحــد ، الذى ما ان طرح فرنسا المختالة ارضا ، حتى اعلن وحــدة المــانيا من على ارضــــها المفتوحة ، وما ان هزم البرجوازية الفرنسية ومرغ انفها فى الرغام ، حتى استخدمها فى القضاء على ثورة باريس البروليتارية ، بغية تحطيم معنويات البروليتاريا الأوروبية كلها ، وعلى راسها بروليتاريا المــانيا الفتيـــــــة .

قال انجلز فى هــذا الصـــدد « كان بيسمارك قريبا من الهــدف . فان الامبراطورية البروسية الألمــانية الجديدة كانت قد اعلنت رسميا فى فرساى ، فى قاعة لويس الرابع عشر الاستعراضية ، وكانت فرنسا منبطحة امام قــدميه عاجزة كليا ، وكانت باريس المستعصية التى لم يتجاسر هــو نفسه على المس بها قــد دفعها تيير الى انتفاضة الكومونة ثم سحقها جنود الجيش الامبراطورى السابق العادين من الأسر . وكان جميع التافهين الضيقى الافق فى أوروبا يعجبون الآن ببيسمارك مثلما كانوا يعجبون فى الخمسينيات بنموذجه الأصلى ، لويس بونابرت ، وقد صارت ألمــانيا بمساعدة روسيا أول دولة فى أوروبا ، وتركزت السلطة كلها فى المــانيا فى يد الديكتاتور بيسمارك »(٧) .

وفوق ذلك كله فان الشروط الذاتية لانتصار البروليتاريا الباريسية لم تكن قــد توافرت بعــد . فقــد كانت البروليتاريا ما تزال فى حالة

تكون • ولم يستوعودها بعـد ، ذلك أن البرجوازية نفسها كانت ما تزال فى مرحلة النمو الأولى ولم يكتمل تكوينها بعـد ، وقـوى الانتاج ذاتها لم تتطور الى الحـد الذى تنشأ معه علاقات انتاج رأسمالية ناضجة تتولد معها بروليتاريا كاملة النمو ، ناهيك أنه لم يكن قـد وجـد حزب بروليتارى حقيقى يدرك أهـدافه جيدا والفكر المـاركسى كان ما يزال يشكل الحلقة الضعيفة اذا ما قورن بالفكر البلانكى والبرودونى المهيمن فى وسط العمال • ولم ينشأ أدنى تحالف مع الفلاحين ، ولم تكن هنـاك تجمعات نقابية فعالية لا وسط العمال ولا وسط الفلاحين • وكان معظم سكان البلاد من البرجوازية الصغيرة •

وحسب اللوحة التى رسمها لينين للوضع الاجتماعى فى فرنسا فانه لم يكن هناك مفر من هزيمة كومونة باريس ، ذلك انه « لأجل الثـورة الاشتراكية المظفرة ينبغى أن يتوفر على الأقل شرطان : تطور القـوى المنتجة الرفيع ، واستعداد البروليتاريا • ولكن هـذين الشرطين لم يكونا متوفرين فى عام ١٨٧١ ، كانت الرأسمالية الفرنسية لا تزال قليلة التداور ، وكانت فرنسا آنذاك على الأغلب بلد البرجوازية الصـغيرة (الحرفيين والفلاحين وأصحاب الحوانيت وخلافهم) • ومن جهة أخرى لم يكن هناك حزب عمالى ، ولم يكن لدى الطبقة العاملة استعداد وتدريب مديد ، بل انها كانت بسوادها حتى لا تتصور بوضـوح تام مهامها ووسائل تحقيقها • ولم تكن هناك لا منظمة سياسية جـدية للبروليتاريا ، ولا نقابات واسعة وجمعيات تعاونية »(٨) •

تلك وغيرها من العوامل كان وراء سقوط كرمونة باريس بعـد شهرين فقط من قيامها •

تبدل خارطة العالم بعد قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى :

والسؤال الآن هـو هل اللوحة الاجتماعية اليوم فى العالم ، وفى اليمن الديمقراطية ، هى ذاتها ؟ واذا كانت قد اختلفت فى الربع الأخير

من القرن العشرين عنها فى الربع قبل الأخير للقرن التاسع عشر فما هى أهم هذه المتغيرات ؟ وهل فى ضوء هذه المتغيرات يمكن للثورة الجذرية أن تنتصر ليس فى العالم المتقدم فحسب ، وانما فى العالم النامى أيضا ، اذا ما توافرت الى جانب هذه المتغيرات الشروط المحلية اللازمة لذلك ؟

لقد تغيرت الخارطة الاجتماعية والسياسية العالمية تغيرا هائلا . وكما كفت روما القرون الوسطى الاقطاعية — الكهنوتية عن أن تكون محور العالم ، كفت انجلترا — وبعدها فرنسا وألمانيا — عن أن تكون مركز الكون ، وسقط خلال ذلك لواء القيادة البرجوازية للعالم من ايديها مجتمعة ، منذ تمكنت الطبقة العاملة التى هزمت فى باريس أن ترفع لواء الثورة البروليتارية العالمية على يد لينين فى روسيا ، وتحقق بذلك حلم وتنبؤ ماركس وانجلز بأن روسيا غدت مركز الثورة العالمية .

فبثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا عام ١٩١٧ والتى غطى علمها سدس الكرة الأرضية بشمولها آسيا الوسطى والشرق الأقصى فيما أصبح يدعى الاتحاد السوفيتى وضع حجر الأساس لعالم جديد ينتفى فيه استغلال الانسان لأخيه الانسان .

وبالدور الجبار الذى لعبه الاتحاد السوفيتى فى تحطيم النازية والفاشية والعسكرية فى بلدان المحور خلال الحرب العالمية الثانية وفى نشوء منظومة الديمقراطيات الشعبية التى سارت فى طريق الاشتراكية والتى غطت مساحة واسعة تمتد من برلين الى بكين ، بذلك أشرقت شمس الاشتراكية من شرق الكرة الأرضية ، من حيث لم تكن تحتسب حتى أكثر العقول عبقرية فى القرن التاسع عشر .

وفى عقر دار الرأسمالية ، فى الغرب الرأسمالى المتطور ، نهضت

طبقة عاملة ذات أحزاب اشتراكية علمية تمثل البديل الثورى والتاريخى للراسمالية • والتحـدى اليومى المباشر لهـا ، وحفار قبرها النشيط •

وفى العالم النامى انطلقت حركات تحرر وطنى أمكنها أن تشكل جزءا لا يتجزأ من الثورة الاشتراكية التى تمسك بقيادها الطبقة العامله العالمية ، وان تقيم دولا وطنية حـديثة متحررة معادية للامبرياليه . بل وامكن لبعضها أن تصبح معادية للرأسمالية ذاتها ، وأن تنتقل من موقع أيديولوجى الى آخر ، من الموقع الوطنى ، الى الموقع الديمقراطى الثورى ، الى الموقع الاشتراكى العلمى ، وأن تدفع بشعوبها فى طريق الثورة الوطنية الديمقراطية التحررية ، فالثورة الديمقراطية ذات التوجه الاشـــتراكى •

لقـد أمكن ذلك كله بفضل تبـدل عـلاقات القوى بين النظـام الاشتراكى العالمى ، والنظام الرأسمالى العالمى ، حيث غـدا الأول هو الممسك بزمام المبادرة التاريخية ، وغـدا ممكنا بفضل وجوده ومساعدته لا تحطيم حلقات الاستعمار أينما وجـدت ، وانما أيضا تجاوز مرحله الرأسمالية ذاتها ، والسير مباشرة عبر مراحل وسيطة فى اتجـــاه الاشـــتراكية •

اليمن الديمقراطية فتيل فى النسيج الثورى للعالم الجـديد :

لقـد دخلت اليمن الديمقراطية التى قامت فيها حركة تحرر وطنى ضـد المستعمر البريطانى بلغت من عنفوانها حـد خوض النضـــال الشعبى المسلح ضـده حتى تمكنت من اجلائه ، ومن اقامة نظام وطنى تحررى ما لبث أن تطور الى نظام ديمقراطى ثورى ذى توجه اشتراكى يقوده حزب طليعى هـو الحزب الاشتراكى اليمنى — دخلت ضمن هـذا النسيج الثورى للعالم الجـديد الذى تقف فى طليعته منظومة البلدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى •

واللوحة التى يرسمها الحزب الاشتراكى اليمنى للعالم الجديد تؤكد مدى وضوح الرؤية لديه وعمق انتمائه اليه ، وصدق ايمانه به .

جاء فى برنامج الحزب « ان السمة الرئيسية التى تميز العصر الراهن هى الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية على نطاق العالم . ان عصرنا هو عصر الصراع بين النظامين الاجتماعيين العالميين المتناقضين ، عصر الثورات الاشتراكية وانتصار حركة التحرر الوطنى وانهيار الامبريالية وتصفية نظام الحكم الكولونيالى ، عصر انتهاج شعوب جديدة باستمرار طريق التوجه الاشتراكى ، عصر الاشتراكية على الصعيد العالمى .

ويتأكد فى عصرنا بأن الرأسمالية كنظام وكعلاقات انتاج قد انهت مهمتها التاريخية ونشأت ظروف موضوعية لانتقال البشرية الى النظام الاشتراكى . ويجتاح عالمنا اليوم تيار التجديد الثورى الاشتراكى بقيادة الطبقة العاملة وحلفائها .

لقد دشن انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى بداية هذا العصر ، وشكل انعطافا حاسما فى تاريخ البشرية ، مسجلا بداية انهيار الامبريالية ، وانبثاق النظام الاجتماعى الاشتراكى الجديد الذى يعبر عن المصالح الجذرية للجماهير الكادحة .

ان انتصار الاتحاد السوفيتى والشعوب والقوى المناهضة الأخرى على الفاشية والنازية الألمانية والعسكرية اليابانية قد أدى الى انتصار الاشتراكية فى عدد من الدول ، مفسحا المجال لقيام وترسخ النظام الاشتراكى العالمى ، ومشكلا بداية انطلاقة جديدة لحركة التحرر الوطنى العالمية ، ووجه ضربات قاصمة لنظام الحكم الكولونيالى للامبريالية .

وكان ذلك ، بحق ، مكسبا رئيسيا للطبقة العاملة ونضالها الثورى ، فظهور المنظومة الاشتراكية وتعاظم جبروتها ، وانتصارات الحركه العمالية العالمية وحركة التحرر الوطنى ، قد غير وجه كوكبنا كله ، وغير ميزان القوى على الصعيد العالمى لصالح قضية الاستقلال الوطنى والديمقراطية والاشتراكير والسلم .

ان التقدم الشامل للنظام الاشتراكى العالمى ، ونجاحات جميع القوى المناضلة من أجل التغيير الثورى للعالم يضيق باستمرار من امكانيات الامبريالية والرجعية ، ويظهر بما لا يدع مجالا للشك ، وبصورة وضاءة وساطعة ، أفضلية النظام الاشتراكى . وتنخرط باستمرار شعوب جديدة فى النضال المعادى للامبريالية والرأسمالية على حد سواء ، وتنهج طريق التحرر القومى والاجتماعى باتجاه الاشتراكية » (ص ١ — ٣) .

من حركة ٢٢ يونيو التصحيحية حتى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى :

ان انتقال حركة الثورة من موقع الى موقع لم يتم بدون صراع حتى داخل الجبهة القومية التى قادت حركة الثورة . ولقد كانت حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ هى المنعطف الحاسم الذى أقصيت معه من السلطة والتنظيم القوى المعبرة عن مصالح وأيديولوجية البرجوازية الوسطى المتطلقة الى التعاون مع الكومبرادور ومع القيادات العسكرية والبيروقراطية التى خلفها لاستعمار ، وانتقلت به البلاد الى أفق الثورة الديمقراطية .

وفى مجرى النضال من أجل تغيير بنيــة المجتمع التقليدية والبرجوازية نشأ تيار فوضوى يسارى طفولى فى التنظيم وفى الدولة يخلط بين المراحل الديمقراطية والاشتراكية ، بل ويدمج المرحلة

الاشتراكية فى المرحلة الديمقراطية ، هــذا الخلط للأوراق ، هذا الدمج للمراحل ، هــذا الجهل بقوانين التطور الموضوعية ، هــذه النزعــة الارادية المثالية المستعلية على الواقع ، تذكرنا بما حــدث فى كومونة باريس وبملاحظات مؤسسى الاشتراكية العلمية الانتقادية لذلك ، والتى ذكرناها آنفــا •

لقــد نبه الاشتراكيون العلميون اليمنيون داخل الجبهة القومية وخارجها الى خطورة البلانكيين والبروديين الجــدد الذين كان على رأسهم رئيس الدولة سالم ربيع على •

ولعل محاضرة عبد الفتاح اسماعيل الأمين العام للجبهة القومية التى ألقاها فى ١٣ سبتمبر ١٩٧٢ كانت واحــدة من أكبر وأقوى الطلقات التى ســددت الى هــذا النهج المغامر النزق المعبر عن أيديولوجيــة البرجوازية الفلاحية القروية الضيقة الأفــق ، والمحــدودة الرؤية ، والضالة المضللة ، والتى ما لبثت أن كشفت عن خلفيتها اليمينية المتسترة بالتطرف اليسارى ، حين رفض ربيع على اقامة حزب طليعى من طراز جــديد بحجة عــدم وجود طبقة عاملة فى البلاد ، وحين تحفظ على تمتين العلاقات مع الاتحاد السوفيتى بذريعة أن ذلك من شأنه أن يثير الدول العربية المحافظة الى غير ذلك من المواقف اليمينية •

لقــد نبه عبد الفتاح اسماعيل الى أن مثل هــذا النهج يخالف برنامج الجبهة القومية الوطنى الديمقراطى الذى لم يجف مداده بعد ، والذى كان المؤتمر الخامس لهــا الذى عقــد ما بين ٢ — ٦ مارس ١٩٧٢ قــد أقره للتو • وقال : « هناك من يريد تجــديد كل شىء دفعة واحــدة — بل وهناك من يطرح ضرورة برنامج جديد ، بأفكار جديدة •

لقــد وضعنا برنامجا لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية • واذا كان الآخرون ، فى نفس الظروف ، قــد قطعوا هــذه المرحلة بخمسة

عشر أو عشرين عاما •• واذا ما فكرنا نحن • او امتلكنا طموحا بقطع هذه المرحلة خلال عشرة أعوام ، مستفيدين من تجارب الآخرين ، فهذا شيء جيد ، على أساس أن نكون واعين تماما لكوننا نقطع مرحلة محددة هي مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية وان نفهم أن مهام هـذه المرحلة محـددة ولا يمكن أن تكون نفس المهام التي تواجهها مرحلة البنـاء الاشتراكي •

غير أننا هنا نتصرف تجاه بعض المهام وكأننا نطبق مهـام الثورة الاشتراكية •• نتصرف وكأننا لسنا في مرحلة محـددة هي مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية •

نعود الى السؤال المطروح : الى أي مدى نحـن ملتزمون بخط الثورة •• ببرنامج مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية •• والى أي مدى نحن نطبق ونجسد البرنامج في نضالاتنا اليومية ؟

اذا لم تكن هـذه المسألة واضحة أمامنا • فربما نقع في مزالق ، وقـد نتراجع في أبسط الاحتمالات •

ان البرنامج يمثل شيئا متقـدما • والأصدقاء يقولون عنه انه يمثل الحـد الأعلى لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية •

وبصرف النظر عما يقوله الآخرون ينبغي أن نكون ملتزمين بهـذا البرنامج »[٩] •

لم يتوقف الصراع المتعـدد الأشكال مع التيار اليساري المغامر • وعندما هزم أيديولوجيا وسياسيا وتنظيميا في التنظيم لجـأ الى مغامرته الانقلابية اليمينية في ٢٥ يونيو ١٩٧٨ ، هـذه المغامرة التي أمكن للتنظيم ضربها في اليوم التالي مباشرة واسدال الستار على مدبريها وعلى شططهم من أساسه •

وبذلك أزيحت العقبة الكاداء أمام قيام الطليعة الاشتراكية المنشودة التى كان قد تم التمهيد لها باعلان التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية فى اكتوبر ١٩٧٥ على أساس اتفاق ٥ فبراير ١٩٧٥ الذى أقرته المنظمات الثلاث التى تشكل منها الان هذا التنظيم ، ممثلة فى الجبهة القومية ، اتحاد الشعب الديمقراطى ، حزب الطليعة الشعبية .

ففى أكتوبر ١٩٧٨ م تأسس الحزب الاشتراكى اليمنى الذى أعلن الاشتراكية العلمية والأممية البروليتارية أيديولوجية ونظرية علمية له ، واعتبر المرحلة التى تمر بها الثورة هى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التى بانجازها كاملة غير منقوصة تضع الثورة أقدامها على عتبة التحول الاشتراكى .

وكما جاء فى برنامج الحزب : « الحزب الاشتراكى اليمنى هو طليعة الطبقة العاملة اليمنية المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الشعبية الكادحة الأخرى . وهو التعبير الحى عن وعى هذه الطبقة لمصالحها الحقيقية ولمستقبلها ودورها التاريخى . وترتبط نشأة الحزب ارتباطا عضويا بتراث شعبنا الكفاحى . وهو يستلهم ويطور كل ما هو تقدمى وثورى فى تراث الشعب اليمنى القومى والتقدمى ، وهو المكمل لكل نضالات الشعب .

ويهدف الحزب تحويل المجتمع تحويلا ثوريا لاستكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ، والانتقال نحو بناء الاشتراكية ، مسترشدا فى سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل بنظرية الاشتراكية العلمية ، آخذا بعين الاعتبار الخصائص المحلية لنمو وتطور الثورة الوطنية الديمقراطية فى بلادنا » (ص ٦) .

فان برنامج الحزب صورة حية للبرامج الوطنية الديمقراطية

البالغة النضج ، وكان ربطه بين هـذه المرحلة من سير الثورة وبين المرحلة الاشتراكية قمة فى الوضوح ، وكانت معالجته لقضية الوحـدة اليمنية والأسس التى ينبغى أن تقوم عليها غاية فى الدقة ، وكان ربطـه بين القضية الوطنية والقضية القومية والقضية الأممية مثلا نموذجيا على الفهم الديالكتيكى للعلاقة المتبادلة والمتداخلة بين الخاص والعـام ، والجزئى والكلى •

كيف أمكن أن يحـدث شىء كهـذا فى حزب كهـذا ؟ !

غير أن تركيب الحزب العضوى ، والاستيعاب العميق لجميـع قياداته وكوادره وأعضائه للبرنامج ولنظرية الاشتراكية العلمية التى صيغ على أساسها لم يكن بذات القـدر والمستوى من النقاء والنصاعة والوضـوح •

ان الانفجار الدموى والمـأساوى الذى حـدث فى ١٣ ينـاير ١٩٨٦ م وأطاح بقيادات وكوادر وأعضاء كثيرين فى الحزب كان على رأسها عبد الفتاح اسماعيل الذى اعترف بيان المكتب السياسى الـذى أذاعـه الرفيق الأمين العام على سالم البيض فى ١٠–٢–١٩٨٦ بأنه كان « مؤسس حزبنا » — ان ذلك يوضح مدى الخلل الذى كان يعتـور الحزب •

ليس بيت القصيد هـو مجرد الاتفاق على أن ما حـدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ هـو محض مؤامرة دبرها ما أسمى باليمين الانتهـازى التصـفوى •

بيت القصيد هـو معرفة كيف أمكن أن يحـدث ما حـدث فى حزب طليعى ، تفترض فيه الوحـدة الأيديولوجية والتنظيمية والسياسية . وتستبعد فى مثله أية امكانية للجوء الى السلاح لحل قضايا خلافية فى الرأى •• كيف أمكن أن يحـدث شىء كهـذا فى حزب كهـذا ؟

لقـد عرفت الأحزاب الطليعية منذ وجـدت والى اليوم ، بمـا فيها حزب البلاشفة ، جناحا ثوريا ، وجناحا انتهازيا ، وبينهما جناح وسطى أسماه لينين بالمستنقع •

غير أن النزاع بينها كان يحسم داخل اطار الشرعية الحزبية ووفق النظام الداخلي للحزب ، وحتى باتخاذ أقصى عقوبة حزبية وهى الطرد من الحزب •

أما أن ينقض طـرف أو أطراف فى الحزب على طرف أو أطراف اخرى فيه ويصفى الخلاف معها بقـوة السلاح فتلك هى المفارقة التى لا عهد للاحزاب الاشتراكية العلمية الحقيقة بها ، وذلك هـو الخروج الذى لا خروج بعـده على ألف باء الديمقراطية الشعبية والديمقراطية الاشتراكية والديمقراطية الحزبية التى أرسى أسسها ماركس وانجلز وبلورها لينين •

فالام يعود اذن مثل هـذا الخرق التنظيمى والخروج النظرى على بدهيات المبادىء الاجتماعية والحزبية للماركسية — اللينينية

هل يعود الى طبيعة النشأة الأولى للجبهة القـومية التى كان استخدام السلاح فى مواجهة المستعمر هـو ما ميزها عن سـواها من التنظيمات الوطنية القائمة آنئذ ؟

هل عادة الاحتكام الى القـوة التى لجـأ اليها اليمين الانتهازى بانقلاب ٢٠ مارس ١٩٦٨ ضـد يسار الجبهة القومية والعناصر الوطنية والديمقراطية الأخرى المتعاطفة معه وضـد قرارات المؤتمر الرابع للجبهة القومية ، والتى لجـأ اليها أيضا اليسار الانتهازى بانقلاب ٢٥ يونيو ١٩٧٨ ضـد غالبية التنظيم السياسى الموحـد — الجبهة القومية — هل هـذه العادة غـدت متأصلة الى حـد أن الحزب الاشتراكى

اليمنى — طليعة الطبقة العاملة وحلفائها — لم يستطع أن يتحرر منها الى حـد أن أحـد أطرافه عاد هو كذلك اليها وقام بانقلابه الدموى ضـد الطرف الآخر ، ممـا رمى البـلاد فى أتون حرب أهليـة بلغت أصـداؤها العالم كله ، وأفزعت كل القوى الحليفة ، ووضعت التجربة الثورية كلها أمام امتحان عسير لم يسبق أن ووجهت بمثله من قبل ؟

هـل هى عودة الى التقاليد القبلية القروسطية التى سهلت تحكم المستعمر فى البـلاد ، والتى قامت على الثأر والثأر المضـاد — هـذه التقاليد التى كانت الجبهة القومية بتركيبها ودعوتها الوطنية التحررية وتعبئتها للشعب ضـد المستعمر وعملائه وركائزه وباقامتها دولة وطنية ديمقراطية موحـدة على أنقـاض الشتات القبلى والاقليمى والتجزئة الاقطاعية الطويلة الأمد التى كرسها المستعمر وفق سياسة « فرق تسد » — كانت قـد شرعت فى وضـع حـد لها ؟ .

هل غلبة العنصر البرجوازى الصغير فى الحزب ، ولا سيما العنصر البرجوازى الفلاحى ، بكل ما يحمـله من تقاليـد موروثة من الريف خاصة ، ومن نزاعات قـديمة ، ومن تفكك وانغلاق — هل غلبة هـذا العنصر ، والغياب النسبى للطبقة العاملة عنه وعن مواقع القيادة والتوجيه فيه هـو السبب ؟

هل نشأة الحزب الحـديثة نسبيا وعـدم تشربه وتشبعه — فيما خلا بعض قياداته وكوادره وأعضائه — بالفكر الاشتراكى العلمى هـو العـلة لمـا حـدث ؟

هل هـو انبعاث لنزعة « الاستبداد الشرقى » التى لا تطيق سماع أو قبول الموقف والرأى المخالف والتى ظهرت فى أحزاب طليعية مماثلة فى بلدان « شرقية » أخرى ككمبوديا مثلا ؟

هل هو عــدم الايمان بفكرة الديمقراطية الحزبية أو عــدم القدرة على الاحتكار اليها جملة وتفصيلا ، وجعلها المرجــع الأول والأخير فى حــل أى وكل نزاع يشجر داخل الحزب مهما بلغ حجمه ومداه ؟

هل يمكن القاء المسئولية فيما حــدث داخل الحزب على عاتق البرجوازية البيروقراطيــة والبرجوازية الطفيليــة والبرجوازية بشــكل عام التى شهدت قــدرا من الانتعاش على هامش تجربة الثورة بفعل ضعف اليقظة الحزبية الكاملة تجاهها ؟

تلك وغيرها من الأسئلة العــديدة التى لا محيص من طرحها فى محاولة للاجابة الصحيحة والمتكاملة والمقنعة لا يهتم الذين حكموا على التجربة سلفا لا بسماعها ولا بالبحث عن اجابة عليها •

التفسير المبتى :

فليس هناك تجربة من الأساس • هنا لغقط حركة قرمطية ظهرت فى الجزء الجنوبى من اليمن فى القرن العشرين شبيهة بتلك التى ظهرت فيه فى القرن العاشر ، ولن يكون مصيرها مختلفا عن سابقتها • فالأعداء المحدقون بها ، والنزاعات الداخلية التى تفتك بها كفيلة كلها بأنهائها •

وفى احسن الأحوال هى محاولة طفولية تتكرر فى عــدن بعــد ما فشلت فى باريس ، وهى الأكثر تحضرا وتطورا من عــدن • ولن يكون مآل « كومونة عــدن » مختلفا عن مآل « كومونة باريس » • واذا كان بيسمارك بروسيا قــد لعب دورا فى القضاء عليها ، فلن تعــدم اليمن وجود بيسمارك بالمقاس اليمنى يساعد فى تشييعها الى نهايتها الحتمية •

التفسير العــدمى :

على أن هناك نمطا آخر من « الفلاسفة » الذين ربما أصاخوا السمع

لمثل هــذه الأسئلة ، غير أن اجابتهم عليها واحــدة لا تتغير : ألم نقل لكم أن ظروف اليمن لا تحتمل أكثر من قيام نظام وطنى فى أفضــل الحالات ، وان حكاية قيام نظام ديمقراطى ثورى ، أو نظام ديمقراطى ثورى بتوجه اشتراكى أو التطلع الى قيام الاشتراكية وتشكيل حزب طليعى من أجل ذلك كله مجرد أوهام فى أوهام • ويضيفون : انظروا هــذا المسلسل الدموى الدورى الذى يستنزف ليس الحزب الحاكم فقط وانما الشعب أيضا • لا تقولوا لنا هذا من فعل اليمين الانتهازى ، وهذا من فعل اليسار الانتهازى ، وهــذا من فعل النسخة المركبة التى ضمت الى جانبهما الجناح التصفوى • هــذه مجرد محاولات لعــدم رؤية الحقيقة فى عينها • أما هــذه الحقيقة ، فهى أن حركة القوميين العرب التى ورثت من الفاشية الشىء الكثير باعتراف مؤسسيها ومؤلفاتهـــا الكلاسيكية لم تنس الأصل الذى جاءت منه ، والطبع القــديم الذى نشأت عليه ، ولم يجــد فى تطويرها وتشذيبها أو صقلها أى مسعى نحو اكتساب الفكر الاشتراكى العلمى وهى فى ١٣ يناير ١٩٨٦ م وما تلاه من أيام دامية لم تصف فقط الحساب مــع بعضها البعض عبر تصارع أجنحتها على السلطة وانما صفت معها أيضا أولئك الدين دخلوا معها فى تحالف أو فى وحــدة تنظيمية من الفصــائل والعناصر الأخرى ذات النشأة السياسية الخالية من العنف والدم والثأ والثأر المضاد •

ويضيف البعض من هؤلاء : الترياق من هــذا السم الزعاف الذى يفتك بجسم اليمن الديمقراطية هــو المبادرة الى تحقيق الوحــدة اليمنية التى ستضع حــدا لحرب القبائل ، ونزاع الفصائل ، وصراعات الأجنحة • ولا يهم لهــذا الغرض البحث عن هوية نظام الدولة الموحــدة ، وعما اذا كانت تسير فى طريق التطور الرأسمالى أو طريق التوجه الاشتراكى • فهذه مصطلحات مستوردة لا تنطبق على اليمن التى لا رأسماليين فيها ولا اشتراكيين ، ولا طبقات برجوازية أو اقطاعية أو بروليتارية ، وانما يوجــد فيها وطنيون من مختلف القوى الاجتماعية ، والدولة الوطنية

الموحـــدة هي كل ما يجمعهم ويوحـــدهم • وكل من يساعد على قيام هـــذه الدولة ـــ أيا كانت وجهته ـــ هـــو الوطنى الحقيقى وكل من لا يساعد على ذلك فهو وطنى مزيف حتى ولو رفـــع أكثر الشعارات بريقا ، وادعى أعظم الأفكار تقـــدما •

ولأنه لا سوق داخـــل الحزب الاشتراكى اليمنى ولا حتى بين الوطنيين المستنيرين لمثل هـــذه البضـــاعة المغشوشـــة اذن فالجميع انفصاليون وجهلة ولا يعرفون لا مصلحة وطنهم ولا حتى مصلحة أنفسهم • وخير عقاب لهم على هـــذا العقوق الوطنى والكفران بالوحـــدة هـــو هـــذه التصفيات الدموية الدورية المتلاحقة التى ستنتهى بسقوط الجميع • وبذلك ينفتح الطريق أمام البديل الوطنى الوحـــدوى الذى لا بديل لـــه ! لا حاجة الى تفنيد مثل هـــذه الرؤية العـــدمية • فهى واضحة للعيـــان •

الحضور السياسى الفعال للطبقة العاملة حتى الاستقلال :

لنتجاوز الآن الشامتين والمشنعين على التجربة الثورية فى اليمـــن الديمقراطية والذين يتمنون لهـــا الهـــلاك حتى باستحضار التجارب التاريخية التى يرونها قريبة منها كالحركة القرمطية ، وكومونة باريس والتى غـــدت أثرا من آثار التاريخ •

ولنتجاوز « الفلاســـفة » الذين على طريقة دوهرنج ، بدون ثقافة دوهرنج رفضوا الماركسية وتصوروا أنهم يقـــدمون البديل •• ولا بديل لديهم الا اللغـــو والادعاء والعقم الوقوف خارج حركة التطور ، وبعيدا عن مجرى النضال الوطنى والاجتماعى والثورى عموما •

ولنعـــد الى الأسئلة الآنفـــة الذكر ، ولنحاول التفكير فى امكانية العثور على الاجابات الموضوعية والشافية عليها •

بادىء ذى بدء يجب التأكيد على انه ليس شرطا لقيام الحزب الطليعى أو وضع الأساس له الانتظار حتى يكتمل تكوين الطبقة العاملة ، فجميع الأحزاب التى قامت منذ ايام ماركس وانجلز حتى أيام لينين وحتى يومنا هـذا شرعت فى التكون فى نفس اللحظات التى كانت تتكون فيها الطبقة العاملة .

ولو أن تشكيل هـذه الأحزاب قـد تأخر حتى تنضج الطبقـة العاملة وحتى تتوافر جميع شروط بنائها وعوامل نجاحها فى مهمتهـا التاريخية لعنى ذلك ببساطة الغاء دور العامل الذاتى فى التعجيل بعملية التطور وفى المساعدة على انضاج الظروف الموضوعية للتغيير الثورى ، ولكان ذلك مسلكا ميكانيكيا لا دياليكتيكيا تجاه حركة المجتمع .

وكما نبه ماركس : « قـد يكون من السهل جـدا ، بالطبع ، صنع تاريخ العالم ، لو كان النضال لا يقوم الا ضمن ظروف تؤدى حتما الى النجاح »(١٠) .

والطبقة العاملة اليمنية ، أو نواتها ، وفى مقـدمتها عمال المصافى ، لم تكن قط فى حالة غياب . لقـد كانت — على العكس من ذلك تماما — فى حالة حضور اجتماعى وسياسى ملفت للنظر منذ منتصف الخمسينيات بل ان ميلاد الحركة الوطنية اليمنية قـد ارتبط بميلاد الحركة العمالية التى توسطت ساحة النضال الوطنى والاجتماعى ، وطرحت الشعارات السياسية والثورية الجـديدة التى لا عهـد للحركات السياسـية الاصلاحية الاقليمية بها . فهى التى رفعت شعارات التحرر من الاستعمار والاستبداد معا وتحقيق الوحـدة اليمنية على انقاضهما . وكانت من ثم حركة وطنية واجتماعية فى وقت واحـد ، حركة موجهة ضـد الامبريالية والرأسمالية والاقطاع . وكانت الحركة العمالية هى التى مارست أشكال وأساليب النضال الحـديثة التى لم تعرفهـا الحركات

السياسية التقليدية السابقة ، والتى تمثلت فى الاعتصامات والاضرابات والعصيان المدنى والمسيرات والمظاهرات • وكما عرفت الطبقة العاملة العمل النقابى وتمكنت من اقامة منظمة نقابية ، خاصة بها تمثلت فى المؤتمر العمالى الذى سرعان ما صفت قيادته الانتهازية الاصنجية فى مجرى ثورة ١٤ اكتوبر من خلال « النقابات الست » فانها عرفت العمل الحزبى وكانت الحوض الذى يغترف منه الجميع ، بدءا من أول تنظيم ماركسى : الاتحاد الشعبى الديمقراطى ، مرورا بالجبهة القومية ، وانتهاء بمنظمــة البعث التى تحولت فى مطلع السبعينيات الى حزب الطليعــة الشعبية • ولم تكن الطبقة العاملة بعيدة عن مجرى الثورة المسلحة التى قادتها الجبهة القومية منذ اندلاع شرارة ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ م •

بل ان الطبقة العاملة ، وفى مقــدمتها عمال المصافى ، أنجبت قيادات ثورية • كان على رأسها عبد الفتاح اسماعيل الذى كان مسئولا عن قطاع عــدن ، أى عن تلك الساحة الأساسية التى كان يجثم عليها الوجــود البريطانى بكل ثقله العسكرى والسياسى والاقتصادى والاعلامى •

ان التطور السريع للجبهة القومية وانتقال أهم قياداتها وكوادرها التى اكتوت بنيران التجربة النضالية ، من المواقع الوطنية الى المواقع الديمقراطية الثورية ، ومن ثم الى المواقع الاشتراكية العلمية وحــدوث ذات الشىء بالنسبة لحزب الطليعة الشعبية ، ونشوء أرضــية مشتركة فكرية وسياسية بينها مجتمعة ، بما فيها تنظيم عبد الله باذيب الماركسى ، وقيام التنظيم السياسى الموحــد الجبهة القــومية ، ومن ثم الحزب الاشتراكى اليمنى ، ان حــدوث ذلك كله ليس بمعزل عن الخلفية العمالية التى استندت اليها منذ قيامها الحركة الوطنية اليمنية •

هل بعـــد الطبقة العاملة عن مواقعها القيادية فى العملية الثورية وراء الأزمـــة ؟

والسؤال الهام الذى يطرح نفسه على الفور هو : اذن لماذا لم تتمكن الطبقة العاملة من الحفاظ على مركزها هـذا .. ولمـاذا لم تستطع ان تكون فى حالة حضور سياسى وتنظيمى فعال ومتصاعد بعـد قيام دولة الاستقلال وبعـد حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ ، ومع قيام التنظيم السياسى الموحـد الجبهة القومية عام ١٩٧٥ ، وعنـد قيام الحزب الاشتراكى اليمنى عام ١٩٧٨ م ؟

هل تمكنت القوى الاجتماعية والسياسية ذات المنشأ الفـلاحى بحكم حجم الدور الذى لعبته ابان فترة الكفاح المسلح ضـد المستعمر البريطانى من انتزاع المكانة الأساسية فى التنظيم ؟

أو ما كان التركيب الاجتماعى ـ الطبقى للبلاد يساعدها على ذلك من حيث أن طبقة الفلاحين كانت أقـدم وأعرض طبقات المجتمع ، بينما كانت الطبقة العاملة ما تزال فى حالة تخلق ؟

أو ما يعنى ذلك أنه ، وان نشـأ تحالف طبقى بين الفـلاحين ، والعمال ، والبرجوازية الصغيرة شارك فيه المثقفون الثوريون ، الا ان القيادة فيه كانت وظلت فى يد العناصر المنحـدرة من الريف ومن طبقة الفلاحين العريضة بكل تراثها وتقاليدها وروح المحافظة النسبية لديها ، وبكل شتاتها وانغلاقها ، بل وبكل نزاعاتها ، ناهيك عن الرواسـب التى تسربت الى صفوفها من القوى الاقطاعية والارستقراطية القبلية التى كانت تتسيد عليها ؟

أما كان النزوع المنزق لربيع على ، وعلى ناصر محمد انعكاسـا طبيعيا لمثل هـذا الوضع ؟ أما كان الانفجار الذى حـدث بفعلهما فى

كيان التنظيم والدولة والمجتمع تعبيرا عن هـذه الوضيعة التاريخيـة — الاجتماعية — السيكولوجية التى لم تمسسها يد الثـورة الا مسا خفيفيا ، دون أن تتمكن تماما — رغم اجراءات الاصلاح الزراعى ، ورغم قيام الأشـكال الاقتصادية الجـديدة ممثـلة فى مزارع الدولة ، والتعاونيات . ومحدلات ناجير الآليـات ، ورغم العمـل الأيديولوجى والحزبى — لم تتمكن من استئبات وضعية اقتصادية — اجتماعية جديدة تماما تختفى معها كل تركة المـاضى ، وكل الأنماط الاقتصادية القديمة ، وكل العادات والسلوكيات الموروثة ؟

اولا تظل هـذه البيئة تربة صالحة لتوليد أشكال جـديدة من الأزمات الاجتماعية والانفجارات السياسية ما لم يعـد حرثها وقلبها رأسا على عقب ، لا بتجـذير وتعميم الثـورة الديمقراطية بشكليها الاقتصادى والاجتماعى فقط ، ولا بتفجير الثورة الثقافية بحيث تغمر المدينة والريف معا ، ولا بتصعيد نسبة الفلاحين فى الحرب على نسبة الموظفين فحسب ، وانما بالدرجة الأولى بوضع الطبقه العاملة فى مكانها الطبيعى والريادى من العملية الثـورية بمجملها ، بحيث تكون قائدة التحالف الطبقى المتشكل من عموده الفقرى : العمال والفلاحـون والمثقفون الثوريون ، سواء كانوا مدنيين أو عسكريين ، بدرجة أساسية ، وبحيثتتصاعد درجة حضورها الكمى والكيفى فى الحزب ، حتى تتمكن — آخر الأمر — سـواء بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق ممثليها النموذجين — من أن تكون الحلقة الوسطى فى سلسلة القيادة الحزبية من الأدنى الى الأعلى .

تفسير قيـادة الحزب للازمة :

أو ليس حـديث الرفيق الأمين العام للحزب الاشتراكى اليمنى على سالم البيض الذى بثه التليفزيون السوفيتى بمناسبة مضى عام على أحـداث ٢٣ يناير الدامية ، والذى ، نشرت جزءا منه « وكالة أنبـاء

عـدن » فى عـدد ١٩ـ٨ـ١٩٨٧ م مثل المساعة هامة فى هـذا الاتجاه وانطوى على اشارة مست عمق القضية المبحوث اعلاه . حيث أوضـح انه من « بين الاسباب التى أدت الى الازمة يمكن فى المقام الأول ابراز ما يلى : ضيق القاعـدة الاجتماعية للحزب ، وان الطبقه العاملة ـ أكثر الفصائل طليعية وتنظيما ـ لا تزال حتى الآن اقل الطبقات من حيث العـدد • ولا يزال الوعى الطبقى للفئات الواسعة من الشغيلة اليمنيين منخفضا • وثمة تفكك فى وسط الفـلاحين ـ أكثر الطبقات من حيث العـدد ـ » •

تلك هى انفـذ نظرة سددت حتى الآن ، تم بها اختراق الغلاف الكثيف الذى أحاط بالازمة التى كانت أحـداث ١٣ يناير مجرد اعلان دموى رهيب بوجودها والذى لم تفلح ـ باستثناء ـ الاشارات السريعة التى تضمنتها بيانات اللجنة المركزية للحزب ـ لم تفلح الكتابات المقروءة حتى الآن فى النفاذ منه •

وتلك هى أول ضربة فأس فى التربة • بغيـة التفتيش فى قاع المجتمع ، وفى عمق تركيبة الحزب العضوية والأيديولوجية ، عن الجذور الحقيقية لما حـدث •

الوثيقة التحليلية الموعودة تحمل التفسير الشامل للازمة وسبل الخروج النهائى منها :

وتلك أول بشارة للوعـد الذى قطعه الحزب على نفسه بان يقف وقفة فاحصة دارسة متأنية عميقـة أمام الازمة وأمام مجمل التجربة الثورية ، بغية تشخيص نقائصها وعيوبها وثغراتها التى كانت أحـداث ١٣ يناير ترجمة نهائية ـ وان دامية ومهولة ـ لهـا ، وبغية استخلاص الدروس والعبر ، وتقـديم المعالجات الشاملة لهـا ، لتمكين التجربة الثورية فى اليمن الديمقراطية لا من أن تستعيد فقط الثقة فيها لدى

شعبها ولدى كل القوى التقدمية فى العالم الحريصة عليها ، وانما أيضـا من أن تنتقل الى المرحلة الأخيرة والعليا من المسيرة الثورية الديمقراطية ، وتدخل مباشرة فى رحاب بناء المجتمع الاشتراكى ، عبر النضال الحثيث من أجل اقامة اليمن الديمقراطى الموحد ذى التوجه الاشتراكى .

وحسب صيغة أمين عام اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى الرفيق على سالم البيض فأن أهمية انجاز هـذا الوعد ، وضع الوثيقة التحليلية المنشودة ، يتجاوز فى أهميته الثورة اليمنية ليشمل الثورة العربية كلها التى رأت فى نضالها الطليعية فيها الأشعة الأولى للفجر العربى : « أما مسألة تقييم مراحل تطور التجربة الثورية فى اليمن الديمقراطية فهى موضوع دراسة واسعة تقوم بأعدادها لجنة مكلفة من قبل اللجنة المركزية لتقديمها لكونفرنس الحزب الاشتراكى اليمنى الذى سينعقد فى منتصف العام القادم . وهـذه الدراسة بمثابة وثيقة تحليلية لكل جوانب التجربة بسلبياتها وايجابياتها . الا أننا نود أن نؤكد أن التجربة الثورية فى اليمن الديمقراطية بقـدر ما هى ملك لكل الثوريين اليمنيين ، فهى ملك لكل الثوريين العرب .

ونعتبر الاسهام فى دراسة وتحليل جوانب هـذه التجربة من قبلهم جزءا من مهمتهم النضالية ، وذلك لايماننا العميق بأن العمل الثورى العربى كل لا يتجزأ » (مجلة) (« الحرية » ٢٨ ديسمبر ١٩٨٦ — ١٠ يناير ١٩٨٧) .

بل ان الأهمية الاستثنائية لهـذه الوثيقة المنتظرة تتجاوز الساحة اليمنية والعربية الى المحيط العالمى — كما يقول الأمين العام المساعد للحزب الرفيق سالم صالح محمد فى محاضرته الضافية التى ألقاها بمناسبة ذكرى احتلال عدن ، وذكرى تأسيس صحيفة « ١٤ أكتوبر » ،

وذكرى انقلاب ١٣ يناير ١٩٦٦ ، وذكرى انقلاب ١٣ يناير ١٩٨٦ المشئوم — ذلك « أن الوثيقة التحليلية التى ستقدم الى الكونفرنس ليست ملكا للحزب ، بل هى ملك للجماهير ، ولحركة الثورة العالمية ، التى تكن كل التقدير والاحترام لحزبنا ، وثورتنا ، ونظامنا التقدمى ، وتجربتنا الثورية » (صحيفة « ١٤ أكتوبر » ٢٠—١—١٩٨٧) .

حكمة انجلز الثورية حكمة الحزب :

مرشد الحزب فى وضع هذه الوثيقة التحليلية الموعودة تلك الحكمة الثورية التى علمنا اياها انجلز : « فى كل ثورة تقترف حتما كثرة من الحماقات ، كما فى كل زمن آخر ، وحين يهدأ الناس أخيرا الى حد أن يصبحوا من جديد قادرين على الانتقاد فأنهم يخلصون الزاما الى الاستنتاج التالى : لقد فعلنا أشياء كثيرة كان من الأفضل أن لا نفعلها ، ولم نفعل أشياء كثيرة كان ينبغى فعلها ، ولهذا سارت الأمور سيئا » (ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء ٢ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨١ ، ص ١٧٢) .

أما الهدف من وضعها ، فهو تصحيح ما كان معوجا ، وتقويم ما كان غير مستقيم ، والتغلب على ما كان سيئا ، وحتى يسير كل شىء على نحو أحسن وبشكل أفضل .

دلالة أصالة الثورة :

ان تتمكن الثورة من تجاوز محنة ١٣ يناير بكل هولها ومضاعفاتها ، وان تعيد تطبيع الأوضاع ، وأن تمضى فى طريق اعادة وحدة الحزب والشعب والمؤسسات الجماهيرية والرسمية ، وان توثق علاقاتها أكثر فأكثر مع كل الحلفاء الثوريين فى الوطن العربى وفى العالم ، وفى مقدمتهم المعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى ، وأن تؤكد تمسكها بدورها — كتجربة ثورية طليعية فى الوطن العربى — وأن

تخصص جزءا من اهتماماتها من أجل وضع مثل هذه الوثيقة التحليلية الانتقادية ، فذلك ليس دليل صحة وعافية وثقــة غامرة بالنفس وبالخيار الثورى الذى لا رجعة عنه فحسب ، وانما هــو أيضا برهان قاطــع على اصالة وجــذرية وعمق الثورة التى لا تزيدها المحن والازمات والكوارث الا اصرارا وتصميما على المضى فى دربهــا النضالى حتى النهاية درب الديمقراطية الثورية ، والوحــدة اليمنية التقــدمية ، والاشتراكية العلمية والأممية البروليتارية ، درب الاسهام فى صنع عالم جــديد خال من الاستغلال والقهر ، والاستعمار والاستبداد ، والهيمنة والحرب ، درب التحرر والتقــدم والرخاء والسعادة والسلام .

عصر الثورة الاشتراكية لا عصر الاقطاع والبرجوازية :

افلا يعنى ذلك أنه رغم القيمة التاريخية العظيمة والملهمة لكل من الحركة القرمطية ، وكومونة باريس ، فأن الثورة اليمنية مجسدة فى ١٤ أكتوبر والحركة الوطنية التقــدمية اليمنية عموما ، تختلف عنهما من وجــوه عــديدة : أولها أنها واحــدة من ثورات القرن العشرين التقــدمية التى تمثل جزءا لا يتجزأ من الثورة العالمية المعاصرة التى تقودها الطبقة العاملة العالمية ، وفى طليتها الطبقة العاملة المنتصرة فى المنظومة الاشتراكية ، وفى مقــدمتها الاتحاد السوفيتى ؟

وليس ما هــو أدل على ذلك من أن التجربة الثورية اليمنية — بخلاف العــديد من التجارب الثورية التى قادتها البرجوازية وسقطت تحت وطأة صراعاتها وضيق أفقها وافساحها المجال لقــوى التآمر الخارجية للتلاعب بمصيرها — أنهــا وبرغم كل الاختنــاقات والهزات والازمات والمحن التى مرت بها — ظلت دائما قادرة على النهــوض والتعافى والتجاوز والاقتحام ، والانطلاق من مرحلة أدنى الى مرحلة أعلى .

أو ليس ذلك ما تدل عليه أخيرا القــدرة العظيمة والحيوية الفائقة التى أمكن الحزب بهما لا أن يتجاوز المــأزق التاريخى الذى وضعت فيه الثــورة بفعــل أحــداث ٢٣ ينــاير ١٩٨٦ م الداميــة ، وانمــا أن يشرع فى التهيؤ لانطلاقة ثورية أكثر عنفوانا ، وأبعــد مدى ، وأعلى تحليقــــــا .

أليس توطيد العلاقات مع قوى الثورة العالمية ، واحتضان هــذه القوى ، ولا سيما الاتحاد السوفيتى ، للثورة فى اليمن الديمقراطية بلهفة وحرارة ، وتقــديمه الدعم الشامل لها أكثر من أى وقت مضى دليــلا آخر على أن الثورة لا تعيش عصر الخلافة الاقطاعية والامامية التى قضت على حركة القرامطة ، ولا عصر بيسمارك الذى فتــك بكومونة باريس ، وانما عصر الثورة الاشتراكية العالمية الذى دشنه لينين بقيام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ؟

(١) ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٣ ، الجزء ١ ، دار التقــدم ، موسكو ١٩٨١ ص ١٣٥ ٠

(٢) ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ١ ، الجزء ٢ ، دار التقــدم ، موسكو ، ١٩٨٠ ص ٣ و ٢ ٠

(٣) ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء ١ ، دار التقــدم ، موسكو ، ١٩٨١ ص ٢٢١ ٠

(٤) ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ١ ، الجزء ١ ، دار التقــدم ، موسكو ١٩٨٠ ص ٢٢٢ ٠

(٥) لينين ، خطتنا الاشتراكية الديموقراطية فى الثورة الديمقراطية ، دار التقــدم ، موسكو ص ٧٤ ٠

(٦) لينين ، المختارات فى ١٠ مجلدات ، المجلد ٣ ، دار التقــدم ، موسكو ١٩٧٦ ص ٥٣٢ ٠

(٧) ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٣ ، الجزء ٢ ، دار التقــدم ، موسكو ١٩٨١ ص ٢٨٢ — ٨٣ م ٠

(٨) لينين ، المختارات فى ١٠ مجلدات ، المجلد ٣ ، دار التقــدم ، موسكو ١٩٧٦ ، ص ٥٣٣ ٠

(٩) مجلة « الثورى » عــدن ، ٦—١٢—١٩٨٦ ، الحلقة الثالثــة والأخيرة ، ص ٣ ٠

(١٠) ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء ٢ ، دار التقــدم ، موسكو ١٩٨١ ص ٢١٦ ٠

نظـرة على تجـربة الثـورة
فى اليمـن الديمقراطية
وآفاقهـا المستقبلية(*)

وجهة نظر البرجوازية الصغيرة :

المصلحة الاجتماعية الضيقة للبرجوازية الصغيرة والتى تنجم عنها محـدودية رؤيتها الاجتماعية تجعلها تقيس كل شىء يحـدث من حولها بمقياسها الخاص والمحـدود هـذا .

الصراعات السياسية التى تحـدث بين أجنحتها بغية الاستئثار بالسلطة ، والتى كانت تؤدى دائما الى خروج السلطة من أساسها من يدها الى يد البرجوازية الكمبرادورية والطفيلية أو الى يد البرجوازية البيروقراطية ـ كخطوة أولى ـ والى سقوط أوطانها فى فلك التبعيـة الامبريالية ـ آخر الأمر ـ هـذه الصراعات الصغيرة والعقيمة التى تطبع تاريخ البرجوازية الصغيرة والتى كانت تؤدى الى هلاك الثورات الديمقراطية منذ القرن التاسع عشر ، والى اليوم يريد منظرو البرجوازية

(*) نشرت فى مجلة « قضايا العصر » عـدد يونيو ١٩٨٧ .

الصغيرة ومتحذلقو التنظير تعميم دلالاتها ، بحيث تشمل تلك الثورات الديمقراطية التى تمسك بقيادها قوى تعلن التزامها بأيديولوجية الطبقة العاملة ، وتؤكد عزمها على تحويل هـذه الثورة الديمقراطية الى ثورة اشـتراكية •

وهى تطلـق هـذا التعميم بقـدر غير قليـل من الفرح ، بل وبقـدر كبير من الشماتة •

أما المناسبة لاطلاق هـذا التعميم — أو قل هـذا التعتيم — فهى ما حـدث فى اليمن الديمقراطية فى يناير ١٩٨٦ •

وحيثيات هـذا الحكم تقول أنه حـدث فى حزبها الحاكم الرافع لراية الاشتراكية العلمية انفجار ربما فاق فى حجمه ومداه وآثاره ما حـدث فى الأحزاب الوطنيـة والقومية الداعية الى اشتراكية أقـل حمرة ، وأقرب الى طبائع الأشياء فى عالمنا العربى •

وعلى ذلك فانه لا أحـد أحسن من أحـد • فالجميع بشر ، بل وبشر ينتمون الى عالم بطبيعته معقـد التكوين الاجتماعى والطـائفى والفئوى والقبلى والعرقى والفكرى والنفسى ، ولم يمر بمرحلة الاندماج الاجتماعى ، والانصهار الوطنى • فنحن ما نزال شـعوبا وقبائل فى حاجة الى أن تتعارف وتتآلف ، الى أن تدخـل فى علاقات من نسيج اجتماعى جـديد ، ينتمى الى طبيعة العصر ، تتبـلور معها وحـدتها الاجتماعية ، وينهض معها المجتمع المدنى الحـديث بتقاليده وعاداته وقيمه ومثله الحضارية الراقية ، ولسنا فى حاجة الى شعارات فاقعـة لا طائل من ورائها ، ولا مردود لهـا •

والعرب — من المحيط الى الخليج ، وبجميع أنظمتهم التقليـدية

والوطنية والتقدمية — لم يصلوا بعد الى هذا المدى من التطور التاريخي — الاجتماعي — الحضاري — الفكري •

ولذلك — وحتى تتخلق وتكتمل ملامح الشخصية الوطنية — الاجتماعية لكل قطر عربي والمجسدة في دولة مركزية حديثة ، وتتخلق وتكتمل ملامح الأمة العربية في دولة قومية مركزية أو اتحادية متطورة — حتى ذاك فانه لا محيص من أن تنفجر النزاعات الموروثة عن المجتمع القديم الاقطاعي الذي لم يمت نهائيا بعد ولن يموت الا بقيام المجتمع الحديث — أيا كانت وجهته رأسمالية أو اشتراكية أو وسطا بينهما — •

واليمن — ولا سيما شطرها الجنوبي — يحتفظ بتركة ثقيلة من العهد الاقطاعي ، ناهيك عن تركة الحكم الاستعماري البريطاني الذي دام أكثر من قرن وربع قرن ، والذي — وفقا لسياسة — « فرق تسد » قسم الجنوب اليمني المحتل الى ثلاث مناطق أو كانتونات : مستعمرة عدن ، محميات عدن الغربية ، محميات عدن الشرقية ، فوق تمزيقه للمحميات الى أكثر من عشرين سلطنة وامارة ومشيخة ، قبل أن يجمع هذا الشتات والفتات في دولة صورية اتحادية تسهيلا لاحكام قبضته عليها في مواجهة رياح الثورة العربية واليمنية التي أخذت تهب في وجهه في خمسينيات وستينيات القرن •

وتضيف هذه الحيثيات أن ما حدث في اليمن الديمقراطية من نزاعات أهلية دامية عشية وغداة وبعد جلاء المستعمر ، سواء بين الجبهة القومية ومنافستها جبهة التحرير ، أو بين أجنحتها ذاتها ، أو داخل الحزب الاشتراكي اليمني — آخر الأمر — لهو برهان على مدى ثقل هذه التركة القروسطية •

وتختم هـذه الحيثيات بالقول بأنه ليس هناك مؤشرات فعليـة تؤكد بأن الثورة فى اليمن الديمقراطية ستتمكن بسهولة من الخروج من الدوامة العاصفة التى ما زالت تلفها منذ عشية الاستقلال والى اليوم ، وان ركام المـاضى — رغم الجهد الهائل لازاحته — ما فتىء يجثم على أدمغة الناس : فوق أن جـذوره الاجتماعية ما تزال كامنة فى باطن التربة التى لم يعـد حرثها وقلبها بشكل كامل •

أما الخلاصة لمثل هـذه الحيثيات فهى : رجاء لا تزايدوا علينا يساريى اليمن • فليس حالكم بأفضـل منا نحـن ممثلى البرجوازية الصغيرة — كما تحبون أن تسمونا — بل اننا نخشى أن تكون حالكم أدعى الى الشفقة ، ذلك أن نزاعاتكم على السلطة أكثر حـدة ، وأشد عنفا ، وما تنزفونه من الدماء وتفقدونه من الأرواح والأموال والاطمئنان بسببها ما يفـوق ما حـدث فى أى بلد تحكمه البرجوازية الصغيرة ، وما يخسركم كل ما انجزتموه خـلال مسار ثورتكم ، وما يلقى الظلال على صحة اختياركم وعلى سلامة الطريق الذى أنتم ماضون فيه •

وفى جميع الأحوال •• لم يعـد المحك هـو المزايدة بالشعارات والأقـوال والنظريات • فالمرجع الذى يحتكم اليه هـو الممارسـة والأفعال والانجازات المحققة •

وفى هـذه الناحية فأن حظ ثورتكم الوطنية الديمقراطية ذات التوجه الاشتراكى — كما تفضلون تسميتها — ليس بأفضل من حظ الثورات الوطنية الديمقراطية التى تقودها البرجوازية الصغيرة •

التطور يسير فى خط متعرج صاعد :

بادىء ذى بدء نحن نعترف بأن الثورة فى اليمن الديمقراطية قـد نزفت من الدماء وخسرت من الأرواح ، وفقدت من الامكانيات ما لم

تعرفه أية ثورة عربية ، اذا ما قورن ذلك كله بعدد سكانها وشحة امكانياتهـــا •

ولكن ذلك كله قد حدث لا لأنها أخطأت طريقها ، وانما لأنها اختارت الطريق الصعب المليء بالأشواك والعقبات والذى لم يسبق لأى قطر عربى أن غامر بتجريب السير فيه وباختبار قدرته على مواجهة جميع مخاطره ومشاقه •

ونحن نعترف أن تركة الماضى الاقطاعى والاستعمارى فيها ثقيلة وهائلة ، حيث لا مجال لمقارنتها بأى قطر عربى آخر ، وأن جميع الأنماط الاقتصادية الاجتماعية التى عرفتها البشرية بجميع افرازاتها الأيديولوجية قد وجدت فيها بدءا من النمط المشاعى البطريركى وانتهاء بالنمط الرأسمالى •

غير أن السرعة والجذرية والمثابرة التى عالجت بهـا الثورة فى اليمن الديمقراطية هذه الأنماط حتى تم لهـا انشاء بنية اقتصادية ـ اجتماعية جديدة ذات توجه اشتراكى هى ما يميز هذه الثورة ، وما يمثل سيماء وجهها وخصوصيتها •

نحن لا نزعم أن الأنماط الأخرى قد اندثرت •• ولكننا نقول انها ذات طابع هامشى اذا ما قورنت بالنمط الديمقراطى الثورى ذى الوجهة الاشتراكية ، الذى يمثل الحلقة المركزية واللوحة المستقبلية التى تتشكل خطوطها وملامحها وألوانها الزاهية يوما بعد يوم •

ونحن لا ننكر الافرازات الأيديولوجية المتخلفة التى ما زالت تلوث أفق التجربة الثورية وتلعب دورا فى اثارة غبار الماضى ، وفى تعتيم الطريق الثورى ، الى جانب السموم الأيديولوجية والمكائد السياسية

التى تصـــدرها الأوساط الاستعمارية والرجعية ، بغيـــة عرقلة مسيرة الثـــورة •

ولكن السؤال هـــو : لمـــاذا أمكن للثورة أن تحافظ على توازنها ، دون أن تتعثر أو تسقط أو تنتكس ، بل وأن تواصل مسيرتها الثورية ، وأن تتقـــدم باستمرار خطوات أبعـــد الى الأمام ؟

الجواب يكمن فى طبيعة التشكيلة الاقتصـــادية ـــ الاجتماعيـــة الجـــديدة الآخـــذة فى التكون وفى دفـــع المجتمع بجميع مؤسساته وكل منظومته السياسية والأيديولوجية فى طريق الثورة الاشتراكية ، ومن ثم فى طريق تجاوز كل الأنمـــــاط الأخرى الموروثة عن المـــاضى الاقطاعى وما بعـــد الاقطاعى وعن العهد الاستعمارى •

ليس شرطا أن تمضى التجربة فى خط صاعد مستقيم • فكما أن ذلك غير ضرورى فهو غير ممكن •

المهم أن تكون التجربة ، وأن تظل على خط التقـــدم ، الذى يتخـــذ له فى سيره منحنيات وزوايا متعرجة ، ولكن متصاعدة أبدا نحو الثورة الاشتراكية ، نحـــو الذروة التى لا ذروة بعـــدها للاشتراكية •

أن تحـــدث مفاجآت ، وحروب استعمارية ، وحروب أهلية ، وكوارث اجتماعية ، وزلازل طبيعية وتراجعات وقتيـــــة •• فذلك أمر مفترض ومحسوب فى قوانين التطور ، وفى عرف الحياة ، ولكن الشىء الأساسى والجوهرى هـــو مضى حركة التطور والتقـــدم باستمرار قدما الى الأمام ، ذلك أن التطور ـــ كما يقول لينين ـــ « تطور على نحـــو لولبى ، اذا صح التعبير ، لا على نحو خط مستقيم ، ـــ تطور بقفزات وكوارث وثورات ، ـــ « انقطاعات فى التدرج » ، تحول الكمية الى كيفية ، اندفاعات داخلية نحو التطور يثيرها التضاد والتصادم فى القوى

والاتجاهات المتمايزة التى تعمل فى جسم معين ، أو فى حـدود ظاهرة معينة ، أو فى قلب مجتمع معين » (لينين ، مصادر الماركسية الثلاثة وأقسامها المكونة الثلاثة ، دار التقـدم ، موسكو ص ٢٦) .

لوحة الثورة العامة والساطعة :

لقـد تعرضت الثورة فى اليمن الديمقراطية لذلك كله ، وليس هناك ضمانة لدى أحـد بألا يحـدث شيء من ذلك على الاطلاق .

غير أنه يمكن — اذا ما فحصت الثورة ملف تجربتها بعين نقادة — تجنب أشياء كثيرة ، وقطع الطريق على كل مراهنة على بقايا المـاضى ودسائس الثورة المضادة فى أن تؤثر على مسار الثورة أو تعرقل توجهها التقـدمى .

ومن أجل ذلك دعا الحزب الاشتراكى اليمنى الى اقامة كونفرنس عام فى يونيـو ١٩٨٧ للقيـام بعملية الفحص الشاملة لهـذه التجربة الثورية ، وشكل لهـذا الغرض لجـانا تحضيرية وادارية واعلامية ، وكلف مجموعة خاصة بوضع وثيقة تحليلية تكون أساسا لعملية التقييم هـذه التى سينهض بها الكونفرنس .

ودعت الثورة الاعتيادية السابعة للجنة المركزية التى انعقدت ما بين ٦ — ٨ يناير ١٩٨٧ رجال الكلمة الى المشاركة فى عملية التحضير هذه بتقـديم رؤيتهم حـول مسار التجربة « وممارسة النقـد بصـورة موضوعية وبعيدا عن الاثارة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ٩—١١—١٩٨٧) .

وفى هـذا الاطار يمكننا القول أنه ورغم المنجزات الكبيرة التى حققتها الثورة فأن هناك أشياء كثيرة لم تنجزها على النحو المطلوب . ولأنها لم تتمكن من فعل ذلك — نظرا لأن القيام بذلك عملية تاريخية تحتاج الى زمن أطول — فانه لم يكن هناك مناص من أن تمر الثورة

بجملة من التعقيدات والتراكمات السلبية التى لم تكن مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ سوى اللحظة التى أعلنت فيها عن نفسها على نحو تجاوز كل حـد ، وفاق كل تصور .

لقـد كان من أعظم انجازات ثورة ١٤ أكتوبر اقامتها لدولة مركزية فى الشطر الجنوبى من اليمن على انقـاض الكيان الصورى الهزيل والعميل الذى خلفه المستعمر فيها والمشكل من الشظايا الاقطـاعية والكمبرادورية المجمعة بشكل اصطناعى تحت قبعـة المندوب السامى البريطـانى .

وكما لعبت الجبهة القومية دور القائد للثورة فأنها لعبت دور البانى لهـذه الدولة المركزية الوطنية التحررية .

ولقـد أمكن للجبهة القومية أن تنهض بهـذه المهمة المزدوجة ، لأنها كانت الحلقة الوسطى بين جميع التنظيمات السياسية والبـؤرة الأساسية التى تجمعت فيها الروافـد من جميع الطبقات والفئـات الاجتماعية ، والجسر السياسى الممتد والعريض الذى ربط برباط وطنى وثيق كل جزء من أجزاء اليمن الديمقراطية .

ولقـد لعب الحس الوطنى والكفاح الشعبى المسلح ضـد العدو الأجنبى دورا هاما فى جر أوسع الجماهير خلف تنظيم الثورة الجبهة القـومية .

كما لعبت عملية التحويل الاجتماعى الواسعة لصالح هذه الجماهير ، والتى تمثلت فى اجراءات الاصلاح الزراعى والتأميم واقامة القطاع العام والتعاونى والمختلط دورا آخر هاما فى تعزيز مكانة هـذا التنظيم فى أوساطها .

وبقيادته لمنظومة البلاد السياسية الرسمية والشعبية ، ممثلة فى أدوات القمع الطبقى والأجهزة الحكومية والاتحادات النقابية والمهنية والنوعية غـدا تنظيم الجبهة القومية هـو العمـود الفقرى لجسم المجتمع والدولة ، والعنصر الأساسى الموحـد والقائد لهما ، والدافـع والموجـه لحركة الثورة ، فى المسار الوطنى الديمقراطى .

وبهـذه المكانة الخاصة التى احتلها فى البـلاد ، وبتطـوره الأيديولوجى الذى مكنه من الانتقال من المواقع الوطنية الديمقراطية الى المواقع الاشتراكية العلمية ، وبتعاون وتحالف التنظيمات الديمقراطية والتقـدمية الأخرى معه وعلى نحو متصاعد باستمرار ، أمكن قيـام تنظيم سياسى انتقالى هـو التنظيم السياسى الموحـد — الجبهـة القـومية الذى انبثق عنـه فى أكتـوبر ١٩٧٨ الحـزب الطليعى : الحزب الاشتراكى اليمنى الذى يتولى مهمة قيـادة الثورة والدولة والمجتمع على طريق التوجه الاشتراكى ، طريق اقامة اليمن الديمقراطى الموحـد ، طريق الاشتراكية ومن ثم طريق التحالف مع قوى العملية الثورية العالمية .

هـذا المنحى التاريخى الذى سارت فيه حركة الأحـداث فى اليمن الديمقراطية منذ قيام ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ والى اليوم بين ضخامة وبعـد القفزة العملاقة التى جرت فيها والتى حولتها من موقع تابع للامبرياليـة البريطانية ، ومن مبـاءة لقـوى التخلف الاقطاعية والكومبرادورية والرجعية العميلة الى موقع متقـدم فى جبهة قـوى الثورة العربية والى فصيل جسور بين فصائل جيش الثورة الأممية الممسك اليوم بزمام المبادرة التاريخية .

كشف السلبيات التى بلغت ذروتها بأحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ :

ضمن هـذا الاطار الثورى المثير ، وفى ثنايا هـذا المنحنى التاريخى

الهائل ، وفى تضاعيف هــذه اللوحة السياسية المشرقة يمكن ويجب البحث عن جوانب النقص والقصور وعن السلبيات والثغرات ، وعن جميع الظواهر المتخلفة والمرضية ، وعن العوامل الموضوعية والذاتية التى أدت آخر الأمر — الى تلك الكارثة الوطنية التى فجعت بها البلاد فى ١٣ يناير ١٩٨٦ ، واهتز لهولها جميع الحلفاء والاشرفاء فى العالم .

لا نزعم أن جهدا فرديا — أيا كان — يستطيع أن يشخص ذلك كله ويقــدم العلاج الشافى له ، فذلك لا يستطيع النهوض به الا جهــد الحزب كله مستعينا فى ذلك بكل خبرة نظرية وعملية توضع تحت تصرفه من قبل أحزاب الاشتراكية العلمية الشقيقة ، وعلى رأسها حزب لينين العظيم .

١ — رغم قيــــام الدولة المركزية الوطنية الحــديثة فى اليمن الديمقراطية ، الا أن عملية الدمج الوطنى ، والتحــديث الاجتماعى ، والتجــديد الثورى لم تصل الى العمق ، ولم تكن كلية وشـــاملة ، بحيث تنصهر وتذوب فيها كل الولاءات الضيقة والمقفلة الموروثة — الاقليمية والقبليـــة والقروية ... الخ — ويتخلق وينبثق عنها ولاء واحــد ووحيد ولا منازع له هــو الولاء للكيان الوطنى الواحــد ، مجسدا فى اليمن الديمقراطية ، باعتبارها نواة للكيان الوطنى اليمنى كله ، وصورة مبشرة وواعــدة ونموذجية له ، وأساسا متينا يقــوم عليه وبه صرح اليمن الديمقراطى الحــديث الموحــد ، الذى يمحى معه كل ولاء ضيق ومحــدود .

٢ — لم تتمكن المنظومة السياسية ، ممثلة فى الحزب وأجهزة الدولة ، والمنظمات الجماهيرية — رغم سمتها الوطنية الثورية العـــامة — أن تتخلص نهائيا من الموروث القــديم ، حيث ظلت بقايا الأيديولوجيات والعادات المحدودة والضيقة تؤثر وتشد وتعرقل وتشوش على المسيرة الوطنية ، وعلى الطابع الوطنى العام للمؤسسات الرسمية والشعبية .

٣ — فى هـذا الصـدد يتحمل الريف مسئولية خاصة ، من حيث أنه موطن الأنماط القـديمة ، ومنبع التقاليد المحافظـة ، والنظرة المترمتة ، والتخلف الشديد والنزعة المحلية الضيقة ، والفئوية القروية ، والشتات الاقليمى ، والعلاقات القبلية والعشائرية • (وهى مظاهر لهـا وجود فى شمال الوطن ، اضافة الى مظاهر أخرى) •

٤ — رغم أن الطبقة العاملة هى أصفى الطبقـات الاجتماعية ومسحتها الوطنية العامة أكثر وضوحا ، الا أن بعض الرواسب المحدودة المصـدرة من الريف تسربت الى صفوفها •

٥ — تعتبر فئة المثقفين المدنيين والعسكريين المنخرطين فى الحزب والمنحـدرين من شتى طبقات وفئات المجتمع أكثر الشرائح الاجتماعية استنارة ووعيا • غير أنه بسبب الأصول البرجوازية الصغيرة للكثير منهم بكل ما ينجم عنها من محـدودة النظرة الاجتماعية والسياسية لم يتمكنوا من امتلاك الوعى الاشتراكى الكامل ، والوضوح الأيديولوجى التام ، ولم يتمكنوا من ثم من حسن الأداء السياسى والتصرف بنضج وتفـاءة •

٦ — رغم أن سكان المدن اليمنية — وعلى رأسها العاصمة عدن — كانوا منذ الخمسينيات أكثر تنورا وديناميكية سياسية ، الا أن نمـط الحياة الاستهلاكية الذى أخـذ يغزو البلاد بفعل تأثير حقبة النفط وأموال كبار البرجوازيين المغتربين أو العائدين ، قـد ترك أثره على يقظة وهمة وثورية اعـداد واسعة من سكان هـذه المدن ، الى حـد أن بلغ هـذا التأثير بيت الزوجية ، حيث تؤثر الفتاة الزواج من مغترب ثرى على الزواج من مناضل كادح •

٧ — وعـدا تأثير البرجوازية التقليدية ، وجيـوب البرجوازية الريفية ، فانه نمت بشكل ملحوظ ومؤثر على أوضاع المجتمع والدولة

والحزب عناصر بيروقراطية وتكنوقراطية غير متجاوبة مع منحى الثورة الديمقراطى وتوجهها الاشتراكى . وتعمل بأساليب ملتوية على ابقاء اقتصاد وتجارة البلاد مرتبطين بالسوق الرأسمالية ، ومن ثم تعمل على عرقلة تحررها الاقتصادى الكامل والاقتراب أكثر فأكثر من السوق الاشتراكى .

٨ — لم يكن كل شيء يسير على ما يرام فى قطاع الدولة الزراعى ، وخاصة فى القطاع التعاونى الذى عانى من التعثر أكثر من سواه من المجالات الأخرى فى البلاد ، ناهيك عن أعمال التلاعب التى حدثت فى محطات تأجير الآليات الزراعية لصالح القطاع الخاص الذى توسع فى بعض الحالات على نحو غير قانونى .

٩ — مثل قطاع المقاولات الذى تضخم — رغم محدوديته — عنصر استغلال لأموال الدولة وعنصر افساد لبعض موظفيها ، والبؤرة الأساسية للبرجوازية الطفيلية .

١٠ — لم تقم فى البلاد خلال المرحلة القصيرة من عمر الثورة القاعدة الصناعية — التكنولوجية المتينة التى من شأن قيامها أن يحدث تغييرا هائلا فى البنية التحتية للمجتمع وأن يلعب دورا حاسما فى عملية تحديث وتطوير الحياة الاجتماعية ، وأن يفسخ ويقضى على البنى والأنماط الاقتصادية والاجتماعية القديمة والمتخلفة ، وأن يضاعف — أولا وقبل كل شيء — من عدد الطبقة العاملة ، ويساعد على بلورة وعيها الاجتماعى — الطبقى ، وتمكينها — آخر الأمر — من أن تتواجد على نحو مكثف فى بنية الحزب التنظيمية ومن أن تحتل موقعها القيادى الفعلى على رأس الحزب والدولة والمجتمع .

١١ رغم احتكار الدولة للتجارة الخارجية الا أنه جرى تحايل فعلى على ذلك من خلال التشجيع غير القانونى لبعض التجار ذوى

الأموال الخارجية على استيراد السلع ، دون تحويل عملة ، من السوق الرأسمالى العربى والأجنبى ، بكل ما يصاحب ذلك من احتمالات تقديم رشوة للموظفين المعنيين ، ومن اقتراب مؤثر من بعض كبار المسئولين •

١٢ — رغم الأهمية التاريخية والثورية العظمى لقيــام الحزب الطليعى ، الا أن فترة التحضير لقيامه كانت من القصر ، بحيث لم تتح لعناصره وكوادره وقياداته الوقت الكافى للتمازج والانصهار والذوبان فى كلية حزبية واجــدة بحيث ينفصل كل فصيل من الفصائل التى تكون منها الحزب عن تجربته السياسية والتنظيمية الخاصة ، وعن الحنين الى أساوبه الخاص فى العمل والأداء • كما أن الدماء الجــديدة التى دخلت الحزب بعــد التوحيد كانت تفتقد التجربة الضرورية ، والنضج السياسى والثقافى المطلوب ، وكانت — فى الأغلب الأعم — اضافة كمية الى الحزب أكثر منها اضافة نوعية •

٢٣ — رغم التحولات الثقافية والتعليمية والتربوية التى حــدثت فى البلاد من خلال المدارس والمعاهــد والجامعة والبعثات المرسلة الى الخارج والخبراء والمحاضرين العرب والأجانب وخاصة من البلــدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، ورغم الالتزام بمنهــج الاشتراكية العلمية فى قيادة هــذه العملية ، الا أن البنية الأيديولوجية للمجتمع والدولة لم تتوحد ، حيث ظل هناك وجود لمختلف الأيديولوجيات الطبقية ، ممــا عكس نفسه حتى على وضعية الحزب وأدخل الاضطراب والتشويش على رؤية الطبقة العاملة ونظريتها العالمية لدى أقسام منه ، وأثر من ثم على سياسته وتكنيكاته ، بل وأثر على وحــدته التنظيمية والفــكرية •

١٤ — لم يجر التنبيه الى ضرورة وأهمية الثورة الثقافية التى تغمر الريف والمدينة والتى لا تكتمل الثورة الاجتماعية بدونها ، والتى

لا تستطيع الثورة قطع المرحلة الديمقراطية ، والانتقال الى المرحلة الاشتراكية قبل تحقيقها . ولم يتم التوقف عند تعليمات لينين ، الواضحة والمركزة فى هذا الصدد .

١٥ — كان هناك خرق واضح لمبدأ القيادة الجماعية والمركزية الديمقراطية وللأسس التنظيمية اللينينية التى لا وجود لحزب طليعى بدونها . وبدون التقيد الصارم بها . وكان هناك ميل الى التكتلية ، والى الولاء الشخصى ، بل والى النزعة المحلية ، والولاء للجماعة المنتمية الى هذه المنطقة أو تلك ، مما أصاب وحدة الحزب بشرخ حقيقى ظل يكبر ويتسع ، دون أن يبذل الجهد الكافى والشامل لمعالجته منذ البداية ، والحيلولة من ثم دون توسعه وتعمقه .

١٦ — جرى خروج فعلى على مبدأ الديمقراطية الداخلية للحزب ، مما عكس نفسه على مختلف المؤسسات الرسمية والمنظمات الجماهيرية ، وعلى مصداقية التوجه الديمقراطى الشعبى ، وجر الى معالجة قضايا الحزب والدولة بطرق ملتوية تذكر بمؤامرات القصور التى كان يلجأ اليها الملوك والأئمة والسلاطين وكل طامح فى الاستئثار بالعرش والسلطة السياسية .

١٧ — تنكب النهج الديمقراطى الحزبى والشعبى واستسهال النهج التآمرى فى معالجة معضلات الثورة الوطنية الديمقراطية ، هذا النهج الذى مارسه اليمين الانتهازى فى انقلاب ٢٠ مارس ١٩٦٨ وقبيل حركة التصحيح مباشرة ، ومارسة اليسار الانتهازى باقدامه على انقلاب ٢٥ يونيو ١٩٧٨ .

غير أن هذا النهج بلغ ذروة غير مشهودة ولا مسبوقة بأقدام على ناصر على تدبير أحداث ١٣ ينساير الانقلابية الدموية ، هذه الأحداث التى كانت نتاجا لكل ما سبق حصره من العوامل ، بل ولغير

ذلك من العوامل التى لم نتوفر على رصدها هنا ، والتى تتطلب مزيداً من التنقيب والبحث والاستقصاء •

كيف ترى سلبيات الحزب الاشتراكى اليمنى فى ضوء الوقفة النقدية لحزب لينين أمام سلبياته ؟؟

اكم شدد لينين ، أسوة بماركس وانجلز ، على ما أسماه « الديمقراطية المستقيمة » التى لا تستطيع الثورة الاجتماعية الأصيلة أن تمضى الى الأمام بدونها ، والتى تميز الثورة الديمقراطية التى تقودها الطبقة العاملة من خلال حزبها الطليعى عن الثورة الديمقراطية التى تقودها البرجوازية الصغيرة والتى تنتهى دائما الى الهلاك •

الديمقراطية المستقيمة المجسدة لصالح ومطامح العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الاجتماعية الكادحة والمنتجة تؤول حتما الى الاشتراكية ، وعبرها تتحقق كثير من الانجازات ذات الطابع الاشتراكى •

والديمقراطية المستقيمة لا تحتمل أى شكل من أشكال العمل السياسى والحزبى الملتوى والتآمرى ، فالجماهير ذات المصلحة فى الثورة الديمقراطية والمتطلعة الى بلوغ الاشتراكية عبر الممارسة الديمقراطية الحزبية والشعبية ووفق وثائق الحزب ودستور الدولة المقرة والموضوعة من وجهة نظر الاشتراكية العلمية فى غير حاجة الى الممارسة الملتوية والتآمرية • فذلك مما لا يتفق مع طابعها الشعبى ومصلحتها السياسية ولا يتناغم مع سعيها نحو الديمقراطية والمزيد من الديمقراطية •

الالتواء فى العمل السياسى هو داب قوى اجتماعية أخرى غير مؤمنة ولا متشبعة بالديمقراطية ، ولا مستعدة لتقبل مفهوم الديمقراطية المستقيمة بكل ما يقود اليه من تحويل المجتمع والدولة فى اتجاه الاشتراكية ، وفى اتجاه بناء صرح الديمقراطية الاشتراكية ، أكمل وأرقى شكل للديمقراطية •

يكفى أن نستحضر هنا فى مضمار التأكيد على أهمية اشـــاعة الديمقراطية الشعبية بأوسع معانيها فى حياة البلاد تلك الحملة الشاملة التى يقودها الحزب الشيوعى السوفيتى بقيادة أمينه العام جورباتشوف منذ الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب فى أبريل ١٩٨٥ والمؤتمـر السابع والعاشرين للحزب ، والتى تتخـذ من عملية تعميق الديمقراطية الاشتراكية والتغيير الاجتماعى عنوانا لهـا ، والتى طالبت بالنقـــد والنقـد الذاتى كل شىء فى المجتمع والدولة والحزب ، واعتبرت أنه ليست هناك مناطق محظورة أو محرمة أو محايدة لا يمكن الوصـول اليها واخضاعها من جـديد للفحص والمراجعة والتقييم والنقد والتصحيح والتقويم ، بما فى ذلك تاريخ الحزب وتاريخ التجربة الاشتراكية •

لا بأس من ايراد بعض الفقرات الانتقادية التى تضمنها تقرير جورباتشوف فى الاجتماع الكامل للجنـــة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فى ٢٧ يناير ١٩٨٧ ، والتى لا تعـدو أن تكون غيضا من فيض هـذه الحملة العارمة • فهى تقـدم مثلا نموذجيـا لجميع أحزاب الاشتراكية العلمية ، ولا سيما الحاكمة منها — لكيفية الوقـوف الجاد والصارم أمام تجربة الحزب •

ومثل هـذه الوقفة مطلوبة أكثر من حزب حـديث التكوين وذى خبرة محـدودة فى مجال البناء الحزبى وقيادة المجتمع والدولة ، وفى ظروف داخلية وخارجية بالغة التعقيد والصعوبة •

والحزب الاشتراكى اليمنى واحـد من هـذه الأحزاب الحديثة النشأة والخبرة والتى تحتاج الى الاستفادة القصـوى من تجـارب الأحزاب الطليعية العريقة والرائدة فى مضمار نقـل أوطانها من المرحلة الديمقراطية الثورية الى المرحلة الاشتراكية ، فالاشتراكية المتطورة ، وعلى أسها حزب لينين العظيم •

والحزب الاشتراكى اليمنى يحتاج الى ذلك أكثر ، وهو يقوم بعملية تقييم لتجربته وتجربة الثورة ، بغية اصلاح الأخطاء ، والتغلب على الأسباب التى أدت الى ذلك النهج غير الديمقراطى وغير السليم والمتناقض مع جوهر المبادىء التى يقوم عليها ، والذى كانت أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ أمر وأبرز وأسوأ نتائجه .

جاء فى التقرير أنه خلال الفترة الماضية « ازدهرت الميول البيروقراطية والشكلية ، وتبلورت حالات التطير الشديد من النقد . وفى جملة من الحالات أخذت الأطماع المتجاوزة لحدود التحمل تتغلب على التقويمات والتقويمات الذاتية الواقعية » ..

« لقد انعكست أوضاع الحزب نفسه ، وأوضاع ملاك كوادره أيضا على الوضع الاقتصادى الاجتماعى والسياسى الذى نشأ فى تخوم عقدى السبعينات والثمانينات .

لم تتمكن أجهزة الحزب القيادية من أن تقيم فى الوقت المناسب تقييما انتقاديا خطر تنامى الاتجاهات السلبية فى المجتمع وفى تصرفات قسم من الشيوعيين ، وأن تتخذ القرارات التى تطلبتها الحياة بالحاح .

ولم يقدر العديد من منظمات الحزب القاعدية على التمسك بالمواقع المبدئية . وهى تمتلك القدرات الهائلة وتنشط عمليا فى داخل كافة أسر العمل . ولم تخض كل منها النضال الحازم ضد الظواهر السلبية واستباحة كل شىء والتكافل فى السوء ، ضد ضعف الانضباط وانتشار الكسر . ولم يجر التصدى اللازم دائما للمصلحة والنزعة المحلية الضيقة ولمظاهر التعصب القومى .

ان منظماتنا الحزبية كانت تعوزها فى بعض الأحيان الكفاحية ... والانتباه الى تكوين الخصال الفكرية والسياسية لدى الشيوعيين . ومن

نافل القول أن الدرجة العالية من الالتزام الفكرى وعمق الوعى والادراك والاستعداد لجعل المصالح الشخصية خاضعة للمصالح العامة والتفانى فى خـدمة الشعب هى أروع الخصال التى تميز بها دوما البلاشفة •

وأثر فى الوضع القائم فى الحزب أيضا أن الأجهزة الحزبية لم تعرف عـدد من الحالات الاهتمام اللازم لمراعاة المبادىء والقواعـد اللينينية فى الحياة الحزبية مراعاة صارمة • ولعمرى أن هـذا ظهر أكثر ما ظهر فى انتهاك مبدأ الجماعية فى العمل ، وانى أقصد هنـا اضعاف دور الاجتماعات الحزبية والهيئـات المنتخبة ، وهـو ما حرم الشيوعيين امكانية المشاركة بنشاط فى مناقشة القضايا المهمة حيويا ، وفى خاتمـة المطاف التأثير فعليا فى الوضع فى أسر العمل وفى المجتمع ككل •

كما تم الاخلال ، أحيانا كثيرة ، بمبدأ تساوى الشيوعيين : فالعديد من أعضاء الحزب الذين تسنموا مناصب قيادية باتوا بلا حسيب ولا رقيب عليهم ، ممـا أدى الى الفشل فى العمل والى انتهاك خطير لأدب السلوك الحزبى •

ولا مجال للسكوت أيضا عن سخط الشغيلة العادل على تصرف أولئك القياديين الممنوحين الثقة والصلاحيات والمفترض بهم أن يذودوا عن مصالح الدولة والمواطنين ، بينما راحوا أنفسهم يسيئون استعمال السلطة ويكبحون الانتقاد ويكدسون الثروات ، حتى أن بعضهم قـد ضلع فى أعمال اجرامية ، ان لم يكن مدبرها •

تبدت فى أشـد أشكالها امتساخا العمليات السلبية من انحطـاط الكوادر وانتهاك الشرعية الاشتراكية ••• » •

كما « ينبغى الاقرار بأنه لم يتم التمكن خلال هـذه السنوات من وضع حاجز متين بوجه الأشخاص غير الشرفاء المـاكرين الطماعين

الذين يسعون الى المكاسب من وراء البطاقة الحزبية •

أننا قـد تراجعنا الى حـد ما عن القاعـدة القائلة : ليس المهم عـدد الأعضاء الجـدد ، بل نوعية الصفوف الحزبية • وهـذا انعكس على كفاحية المنظمات الحزبية » •

اذا ما طالع الحزب الاشتراكى اليمنى وجهه فى مرآة هـذا النقد ، فلسوف يكتشف أن فيه كثيرا من الندوب والجروح والقسمات غير السارة أكثر بكثير ممـا لدى حزب البلاشفة •

واذا كانت هـذه هى الظواهر السلبية فى حزب لينين بعـد حوالى تسعة عقود من وجوده ونضاله ، وبعـد حوالى سبعين سنة من عمر اعلانه ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وقيام الاتحاد السوفيتى ، فلا شك أنه وجدت فى حزب وليد استخلص من براثن مجتمع متخلف كالحزب الاشتراكى اليمنى ظواهر سلبية أكثر بكثير •

بدون الاقرار بذلك لا يمكن فهم كيف أمكن حـدوث ما حـدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ ولا كيف يمكن الحيلولة دون حـدوث تراكمات سلبية أخرى يتكرر بها ما حـدث فى ذلك اليوم المشؤوم •

ان اقـدام الحزب على وضع وثيقـة تحليلية حول تجربته تؤكد ليس فقط اقراره بهـذه الحقيقة القاسية ، وانما أيضـا عزمه على تصحيح الوضع ، ومنع تعرض الحزب والبلاد لمـأساة أخرى •

الأمثولة الثورية التى يقـدمها حزب لينين فى مضمار التغيير والتجـديد والديمقراطية :

غير أنه من المهم أولا معرفة كيف عالج حزب لينين الظواهر السلبية فى صفوفه وفى الدولة والمجتمع ، فمعرفة ذلك تزودنا بدرس ثمين نحن أشـد ما نكون حاجـة اليه •

يقول جورباتشوف فى التقرير الآنف الذكر :

« كل ما قيل ، يا رفاق ، يشهد على ما صار اليه الوضع من خطورة فى شتى ميادين المجتمع ومدى ضرورة التغييرات فى العمق • ومن الأهمية بمكان التأكيد التالى مجددا : لقد وجد الحزب فى ذاته القوة والجرأة لتقييم الوضع بشكل منصف ، والاقرار بضرورة التغيير الجذرى فى السياسة والاقتصاد وفى المجالين الاجتماعى والروحى والانعطاف بالبلد الى طريق التحولات •

وفى ظل هذا الوضع طرحت ، أيها الرفاق ، مسألة تعجيل التنمية لاقتصادية والاجتماعية مسألة التغيير (التجديد) • والمقصود فى جوهر الأمر هو الانعطاف والتدابير التى تتسم بطابع ثورى • نحن عندما نتحدث عن التغيير وما يرتبط به من عمليات اشاعة الديمقراطية فى المجتمع على أكمل وجه ، نقصد بقولنا هذا تحويل المجتمع تحويلا ثوريا وشاملا حقا وفعلا •

مثل هذا الانعطاف الجذرى ضرورى ، وليس أمامنا سوى هذا السبيل • والتراجع غير جائز ، بل أنه مستحيل •

ويتساءل جورباتشوف عما اذا كانت هناك ضمانات فعلية لأحداث مثل هذا الانعطاف الثورى والجذرى ويجيب بالايجاب كما يلى :

« أن تحليل الحالة التى وجد نفسه فيها مجتمعنا قبيل اجتماع نيسان (أبريل) الكامل للجنة المركزية ، وخبرة التغيير ، تطرحان بكل الحاح أهم مسألة وهى : ألدينا ضمان بأن عملية التغيير التى بدأت ستواصل حتى النهاية ، وأن الأخطاء السابقة لن تتكرر ، واننا سنستطيع تأمين نمو مجتمعنا على النحو المطلوب ؟

عن هذه الأسئلة يجيب المكتب السياسى مؤكدا : نعم ، لدينا مثل هذه الضمانات •

انها وحـــدة ارادة ووحـــدة عمل الحزب والشعب اللذين تجمعهما خبرة ما عاشاه ، وادراكهما المسئولية الملقـــاة عليهما عن حاضر ومستقبل وطننا الاشتراكى •

انها أيضا تطوير ديمقراطية النظام الاشتراكى من كافة النواحى ، ومشاركة الشعب الفعلية والمتزايدة النشاط فى حل كافة المسائل المتعلقة بحياة بلادنا ، والاستعادة التامة للمبادىء اللينينية ، مبادىء العلانية والرقابة الاجتماعية ، والنقـــد والنقـــد الذاتى ، والنزاهة والاخلاص السياسيان اللذان يتجسدان فى تطابق الأقوال والأعمال •

وأخيرا ، انها تطور الحزب نفسه تطورا سنيما ، وقـــدرته على التحليل الانتقادى لنشاطه وعلى تجـــديد أشكال وطرق عمله ، وتحديد آفاق تطور المجتمع على أساس النظرية ، والنضال من أجـــــل المهام الجـــديدة التى تطرحها الحياة •

وتعميق الديمقراطية الاشتراكية ، وابداع المواطنين الســـوفيت الخلاقة ، ودور الشيوعيين الطليعى فى الشئون العمليـــة — كل ذلك بالذات يضمن نجاح التحولات الثورية التى أقرها المؤتمر الســـــابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى ، ويجعلها مستمرة لا رجعـــة فيهـــا » (أنظر تقرير ميخائيل جورباتشوف فى « أنباء موسكو » ملحق العـــدد ٦) •

على أن اجابات جورباتشوف عن توافر ضمانات الانعطافة الثورية فى الاتحـاد السوفيتى تصلح أيضا لجميع البلدان الاشتراكية ، كما تصلح كذلك لبلدان التوجـــه الاشتراكى ، ومنها اليمن الديمقراطية ، حتى مع وجود فوارق فى مستويات التطور التاريخى بين الاتحاد السوفيتى وهذه البلـــدان •

فالمهم فى جميع الأحوال هــو وجود الحزب الطليعى القائد للعملية الثورية ووحــدة عمله والتفاف الشعب حوله ، واشاعة الديمقراطية الواسعة والعميقة فى صفوفه وفى الدولة المجتمع ، وضمان الاشراك الكامل للشعب فى العملية الثورية ، والانضباط التام والواعى للمبادىء التنظيمية اللينينية فى حياة الحزب ، وجعل الجماهير الشعبية شريكا فعالا فى الرقابة الاجتماعية الى جانب الرقابة الحزبية العليا ، وممارسة النقــد والنقــد الذاتى باستمرار ، والتحلى بالاستقامة والنزاهــة والتجرد والمبدئية عند مباشرة أى مسئولية ، وربط الأقوال بالأفعال ، وقــدرة الحزب على تطوير نفسه باستمرار ، وتربية واعادة تربية أعضائه وكوادره وقياداته والابتكار الدائم لوسائل وأشكال العمل الأكثر ملاءمة وفعالية وجــدوى ، وامتلاك الروح الخلاقة والمبدعة والمجــددة أبدا ، واستشراف المستقبل دائما ، والتحديد العلمى للطرق العلمية الضامنة لبلوغه ... الخ .

اعراب جورباتشوف عن الثقــة فى قــدرة الحزب الاشتراكى اليمنى على مواصلة قيادة مسيرته الثورية :

وليس هناك شك فى أن الحزب الاشتراكى اليمنى الذى تمكن من تخييب آمال القوى المعادية بخروجه من غلب المحنة الكبرى التى أطبقت عليه وعلى الثورة والبلاد بفعل احــداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامية التى أفزعت الأصدقاء والشرفاء فى كل مكان من العالم يمتلك كل المبررات التى تجعله يؤكد أن لديه من الضمانات وسيتوفر لديه من الضمانات ما يكفى ليس لأن يرمم الجراح ، ويرأب الصــدع ، ويقيم وحــدة الحزب ، ووحــدة الشعب ، ووحــدة المجتمع ، ووحــدة الوطن ووحــدة المؤسسات الرسمية والجماهيرية ، على أوثق وأقوى مما مضى فحسب ، وانمــا أيضا لأن يمضى بمسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية الى نهايتها المظفرة ، وأن ينتقل بالمجتمع الى الرحاب الاشتراكية عبر نضاله فى ذات الوقت من أجل تحقيق وحــدة الوطن اليمنى كله على أسس ديمقراطية

وأن يستعيد ويثبت موقعــه الطليعي والمرموق فى اطــار حركة الثورة العربية ، وان يرسخ مكانته فى اطار حركة الثورة العالمية •

ذلك أيضا ما استشفه وأكد عليه بقوة أمين عام الحزب الشيوعى السوفيتى ميخائيل جورباتشوف فى الكلمة التى القاها فى المــأدبة التى اقامها تكريما للوفــد الحزبى اليمنى الديمقراطى برئاسة أمينه العام الرفيق على سالم البيض : « ان شعب اليمــن الديمقراطية عاش فترة صعبة وواجه محنا عصيبة : فالا الأحــداث المــأساوية التى وقعت فى كانون الثانى (يناير) ١٩٨٦ والضحايا البشرية الكبيرة والدمار اثارت أسى صادقا لدى المواطنين السوفيت •

وانطلاقا من واجب الصداقة والتضامن سعينا الى مساعدة الأصدقاء اليمنيين فى تذليل الازمة والاسراع فى ايقاف اراقة الدماء •

ولدى ذلك لم تفارقنا الثقــة قط بأن الحزب الاشتراكى اليمنى سيتغلب على المحنة ، ويستخلص منها العبر الصحيحة ، ويستجمع قواه لتصحيح الأخطــاء المرتكبة ، ويحافظ على النظــام التقــدمى فى البلاد الضرورى لشعبها للغاية •

ويدعم الأصدقاء ذادت اليمن الديمقراطية عن حقها فى تقــرير مصيرها بنفسها من دون تدخل خارجى •

وتكمن الحصيلة الرئيسية للعمل المتعلق بازالة آثار أحــداث كانون الثانى (يناير) فى صمود النظام التقــدمى فى البلاد ، وحصول الحزب الاشتراكى اليمنى على امكانية مواصلة تطوير البلاد طبقا للاختيار الذى قام به الشعب اليمنى الجنوبى •

ان الهــدوء فى البلاد ، وتعزيز وتوسيع مكتسبات الثورة اليمنية

الجنوبية » هى ضمان كذلك لاستعادة المواقع الدولية لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ومكانتها .

نتمنى لكم ، أيها الرفيق على سالم البيض ولكل قيادة الجمهورية ، اجتياز المعبر الوعر بسرعة ، وتوحيد الحزب والشعب فى نمط الدولة الديمقراطية التقدمية وفى النضال من أجل المصالح الوطنية لليمن الديمقراطية . وواضح مدى أهمية هذه المهمة . وفى حلها يلقى الأصدقاء اليمنيون الجنوبيون وسوف يلقون الدعم الثابت من جانب الاتحاد السوفيتى » (نص الخطاب كاملا فى صحيفة « ٢٤ أكتوبر » ١١—٢—١٩٨٧) .

ظروف الحزب الاشتراكى اليمنى أكثر مواتاة للتطور والتطور من ظروف الحزب الثورى الشعبى المنغولى :

فى ضوء كل ما سبق يتحتم علينا الرد على جملة من الأقاويل والتخرصات والتخريجات التى تلبس ثوب التنظير والمشككة فى طبيعة النهج الذى سارت عليه الثورة فى اليمن الديمقراطية والتى اتخذت من أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ مناسبة لاعادة تشويهاتها لمجمل التجربة الثورية .

فوفقا لهذا السائل الأسود الذى يقذف به وجه الثورة فأنه لم يكن هناك ولن يكون هناك فى اليمن الديمقراطية الا حروب قبلية ، بغية الاستئثار بالسلطة ، وفرض حكم القبيلة الأقوى على جميع القبائل ، وأنه لم يكن ولن يكون فيها لا توجه اشتراكى ، ولا حكم ديمقراطى ثورى ، ولا حتى حكم وطنى .

واضح أن من يفكر على هذا النحو يحمل عقلية أثرية محضة ، ولا علاقة له بحياة العصر الذى مس التطور الذى حدث فيه كل شيء حتى أوضاع القبيلة والعشيرة .

على أن الأمر ليس مجرد نظرة جامدة متخلفة ، ولا مجرد جهـل وقصور فى الفهم ولا حتى سذاجة وبلاهة سياسية ، وانما هـو بالأحرى موقف سياسى مقصود ، هـدفه تزييف الحقيقة ، وتشويه الواقع ، وتضليل الرأى العام ، وتصوير أنه لم يحـدث شىء منذ جلاء الاستعمار البريطانى من البلاد حتى اليوم • فليست هنـــاك ثورة ولا منجزات ثورية ، وليس هناك وطن متحرر ، متطور ، ولا وطنية • واذن فان على جماهير الشعب أن تبحث لهـا عن بديل يخلصها من صراعات القبـائل الدورية على الحكم •

ليس لنا أن نواجـه مثل هـذا الطرح الشائه المشوه بالسخرية والازدراء ، ولا بالابتسام والضحك من مروجيه ، وانما علينا أن نفترض حتى لدى بعض مروجيه أنهم يعنون ما يقولون وأن تلك هى قناعتهم ، وأن ذلك هـو مستوى فهمهم •

وعلى أساس هـذا الافتراض علينا أن نحاورهم •

لقـد قلنا فى مطلع هـذا المبحث أن الأنماط السابقة للرأسمالية وحتى السابقة للاقطاعية لم تمـح تماما ، وأن بقاياها الأيديولوجية والسيكولوجية لم تختف دفعة واحـدة ، وأنها من ثم لعبت دورا فى حـدوث ما حـدث •

وقلنا أن الشىء الأساسى هـو تكون بنية اقتصادية ـ اجتماعية جـديدة عكست نفسها فى بنية الدولة ، وأنه بفضل ذلك أمكن ليس فقط تحجيم أثر الأنماط السابقة وافرازاتها الثأرية والمتخلفة ، وانما أيضـا الامساك بزمام الموقف السياسى وقيادة الثورة ، وتوجيهها وجهتهـا المرسـومة سـلفا •

ولقـد خرجت الثورة ، بفضل حزبها القائد ودعم الحلفاء وعلى رأسهم حزب لينين ، من المـأزق ، وثبتت أركان النظـام التقـدمى ،

ومضت فى مسيرتها النضالية المحـددة والمجيدة • والوضع اليوم فى اليمن الديمقراطية ، رغم كل ما جرى فيها من أحـداث جسام ، هـو أفضل بكثير من وضع منغوليا العشرينيات ، الذى استحق من لينين المباركة والتأييد : « أنا شخصيا اشترك فى الحركة الثورية منذ ٣٠ سنة ، وأعرف بتجربتى الشخصية مبلغ الصعوبة التى يجابهها كل شعب فى التحرر من مستعبديه الخارجيين والداخليين • ولكن منغوليا ، رغم أنها بلـد تربية المـاشية ، ورغم أن سواد سكانها رعاة رحل ، قـد حققت نجاحات كبيرة فى ثورتها ، والرئيسى أنها وطـدت هـذه النجاحات بانشاء حزبها الثورى الشعبى ، ومهمته أن يصبح حزبا جماهيريا ، وأن يحول دون العناصر الغريبة وتوسيخه » (لينين ، حركة شعوب الشرق التحررية الوطنية ، دار التقـدم ، موسكو ، ص ٣٦١) •

والحزب الاشتراكى اليمنى هـو اليوم فى وضع أكثر تطورا بكثير من الحزب الثورى الشعبى المنغولى فى مطلع العشرينيات • وما اعتورته من اختلالات وانشقاقات وما أصيب به من عاهات عائد بالدرجة الأولى الى أن البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية الجـديدة لم تكن قـد استكملت تكوينها ، والى أن الأنمـاط القـديمة والنمـط البرجوازى الصغير فى الريف والمدينة كانت تصارع وتحاول النفاذ الى الحزب والدولة معا • غير ان المهم فى الأمر هـو احتفاظ الحزب بالزمام فى يده ، وقـدرته على الحفاظ على النظام الثورى الذى اقامه ، وعزمه على معالجة الشروخ والجروح والعاهات التى اصيب بها ، وعلى استكمال بناء التجربة الثورية ، وآفاقها على أرسخ القواعـد الاقتصادية وعلى المضى قـدما فى عملية تحـديث المجتمع ، وتعزيز الوحـدة الوطنية والاجتماعية ، واشاعة الديمقراطية داخله وداخل المجتمع ، واعـادة تربية أعضائه والمجتمع عموما بروح الوطنية العميقة وبالثقافة الديمقراطية والتقـدمية والانسـانية ، مستلهما فى ذلك نظرية الاشتراكية العلمية والأممية البروليتارية •

ان الظروف الداخلية والخارجية فى الربع الأخير من القرن العشرين هى أكثر مواتاة لـه من ظروف الربع الأول والثانى من القرن العشرين التى كانت تحيط بالحزب المنغولى والذى تمكن مع ذلك بفضل سيره على هدى التوجيه اللينينى وفضل الدعم السوفيتى أن ينقل الثورة المنغولية من المرحلة الديمقراطية الى المرحلة الاشتراكية بعد مضى عشرين عاما فقط من قيامها .

لقد جاء فى التوجيه اللينينى ردا على سؤال الوفد المنغولى عما اذا كان « ينبغى على الحزب الثورى الشعبى أن يتحول الى حزب شيوعى ؟ » ــ جاء فيه : « أنا لا أوصى بهذا ، لانه لا يجوز « تحويل » حزب الى آخر » ذلك أن الحزب الشيوعى هو حزب البروليتاريا ولأجل ذلك فانه « لا يزال يترتب على الثوريين أن يبذلوا الكثير من الجهد فى بنائهم السياسى والاقتصادى والثقافى قبل أن ينشأ من عناصر الرعاة جمهور بروليتارى يساعد فيما بعد على تحويل « الحزب الثورى الشعبى الى حزب شيوعى .ان مجرد تغيير اللافتة ضار وخطر » (المصدر السابق ، ص ٣٦٢) .

فى امكاننا أن نجزم بأن قيام الحزب الاشتراكى اليمنى فى أكتوبر ١٩٧٨ بعد القضاء على التيار اليسارى الانتهازى ذى العمق اليمينى الثروى الذى رفض الاقدام على هذه الخطوة بحجة أن الظروف الداخلية والخارجية لا تساعد على ذلك ــ أن قيامه ليس مجرد تغيير لافتة ديمقراطية بلافتة اشتراكية ، وانما مثل نقلة نوعية الى حد كبير لعب فيها عبد الفتاح اسماعيل دورا بارزا .

والعبرة المستخلصة من أحداث ١٣ يناير واخطاء الماضى ليس العودة الى الوراء ، وانما التفتيش عن مكامن الخلل والضعف والمبادرة الى معالجتها واصلاحها ، والتقدم الى الأمام .

وهى عملية اجتماعية وسياسية وثقافية لا تنجز الا فى مدى تاريخى كامل ، من حيث انها تعنى الشروع فى تصنيع البلاد ، بما يعنيه ذلك من اتساع قاعـدة البروليتاريا المعنية قبل غيرها بالكمال مرحلة الثـــورة الوطنية الديمقراطية والانتقال الى المرحلة الاشتراكية وتحقيق وحـدة اليمن على ذات الأسس التقـدمية ، وتعنى تعميق التحولات الاجتماعية فى الريف وتقويم أوضاع التعاونيات ، وتحـديث حياة الريف ، والتغلب على بقـايا العلاقات والأوضاع والعادات والنفسيات الموروثة فيه من المـاضى ، وتعنى حصر تأثير البورجـوازية والبرجـوازية الصغيرة ، تمهيدا لتحجيم وجودها الاقتصادى والاجتماعى ، ومن ثم الغاء وجودها فى مرحلة لاحقة ، وتعنى اطلاق الثورة الثقافية من عقالها وتعميمها فى الريف والمدينة ، وتعنى أولا وقبل كل شىء تجـذير وترسيخ وحـدة الحزب والشعب والمجتمع والوطن ، وجعل العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الكادحة الأخرى أساس ودرع وروح هذه الوحدة .

أبرز الثغرات فى تجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية وسبل التغلب عليها :

لا مجال اذن للتراجع عن الخيار الاجتماعى والأيديولوجى ، وانما المطلوب هـو انضاج الشروط الموضوعية والذاتية التى تؤكده وتعززه .

وتلعب الشروط الذاتية دورا حاسما فى هـذا الصـدد ، وعلى رأس هـذه الشروط ترسيخ الوعى الاجتماعى والأيديولوجى بصحة وسلامة المنحى الثورى الذى سارت فيه اليمن الديمقراطية ، وبالذات تبنى حزبها لنظرية الاشتراكية العلمية التى فى ضوئها تتحرك ثورتها الديمقراطية فى اتجاه الافق الاشتراكى .

والطبقة العاملة هى الأكثر والأجـدر والأقـدر على فهم واحتضان هـذه النظرية ، من حيث انها نظريتها . ومهمة المثقفين الثوريين هى

تقريبها لها وتمكينها من تمثلها . وبذلك تتمكن من أن تتحول من طبقـة في ذاتها الى طبقة لذاتها ، ومن أن تشيعها لا بين العمال الزراعيين فحسب وانما أيضا بين الفلاحين التعاونيين وجميع جماهير الريف والمدينة ، وأن تشكل معهم حلفا تحت قيادتها يمكنها من قيادة الثورة الديمقراطيـة وتحويلها الى ثورة اشتراكية .

قال لينين : « والمـاركسية انما تستوعبها الطبقة العاملة ومفكروها ، على الوجه الأسهل والأسرع والأكمـل والأرسخ ، في ظروف الحـد الأقصى من تطور الصناعة الكبيرة . والعلاقات الاقتصادية المتأخرة ، أى التى تتأخر فى تطورها ، تحمل أبدا على ظهور أنصار للحركة العماليـة لا يستوعبون سوى بعض جوانب المـاركسية ، سوى بعض أقسام من المفهوم الجـديد ، سوى بعض الشعارات والمطالب ، ويكونون عاجزين عن التخلص بحزم من جميع تقاليـد المفاهيم البرجوازية بوجـه عام والمفاهيم البرجوازية — الديمقراطية بوجه خاص ، وفضلا عن ذلك ثمة ينبوع للخلافات لا ينضب هـو الطابع الديالكتيكى للتطور الاجتماعى الذى [illegible] التناقضـات وعـن طريق التناقضـات (لينين ، ضـد الانتهازية اليمينية واليسارية وضـد التروتسكية ، دار التقـدم ، موسكو ، ١٩٧٦ ص ١٧٣ — ١٧٤) .

ليس هناك ما يشخص أبرز النواقص والعيوب والسلبيات التى لازمت الحركة الاشتراكية اليمنية والحزب الاشتراكى اليمنى مثل هذا التشخيص اللينينى .

فلدينا علاقات اقتصادية متأخرة حتمت ظهور قوى سياسية تدعو للعـدل الاجتماعى وللتقـدم الاجتماعى ، وعبر تطلعها الى تحقيق شىء من ذلك أطلت على الفكر الاشتراكى العلمى . غير أن بعض فئاتها لم تستطع أن تستوعب سوى بعض جوانبه ، ولم تستطع أن تعى سوى

أقسام من نظريته العالمية ، ولم تستطع أن تهضم سوى بعض شعاراته ومطالبه ، ومن ثم لم تستطع التخلص من المفاهيم البرجوازية الريفية والمدنية ، ومن المفهوم البرجوازى — الديمقراطى ، ناهيك أن حركة الصراع الناجمة عن التناقضات بين القديم والجديد ، بين البنيــة الجديدة الآخـذة فى التطـور فى الاتجاه التقـدمى ، وبين الأنماط القـديمة البرجوازية ، والتى لم يكن منها مفر ، والتى انعكست داخل صفوف الحزب — أن هـذه الحركة كانت منبعا للخلافات داخل الحزب ، اتخـذت — وذلك هـو الأمر المؤسف — شكلا تناحريا ، بينما كان فى الامكان حلها عبر الديمقراطية وبالديمقراطية ، ووفقا لوثائق الحزب ، وعلى رأسها البرنامج والنظام الداخلى .

آفاق المستقبل : غير أن التشخيص اللينينى يتلازم مع تقـديم المخرج والحل ، والذى يتمثل فى اشاعة الصناعة الحـديثة — وذلك ما بدأت اليمـن الديمقراطية فى الشروع فيـه بالفعـل — وفى تمكين البروليتاريا ومفكريها ومثقفيها من استيعاب المـاركسية — اللينينية — وذلك ما أخـذ به الحزب أكثر من أى وقت مضى ، ومن هنا الدورات الأيديولوجية ، التى تنظم اليوم والتى تشمل الحزب كله من الأعلى الى الأدنى .

ذلك هـو مفتاح الخلاص من النواقص الاجتماعية والسياسية والفكرية ، وذلك هـو السبيل لتحـديث المجتمع وتجاوز الأنمـــاط الاجتماعية القـديمة بكل مخلفاتها وافرازاتها ، وذاك هـو الطريق لحصر ودحر مفاهيم البرجوازية والبرجوازية الصغيرة الديمقراطية ، وذلك هـو منحى تحقيق وتأكيـد وحـدة الحزب التنظيمية والفكرية والسياسية ، وترسيخ وتعميق الوحـدة الوطنية والشعبية والمجتمعية ، وفتح الطريق لتحقيق الوحـدة اليمنية .

وذلك هـو الخط الثورى والوحيد الذى يعيد اليمن الديمقراطية الى موقعها الريادى فى اطار حركة الثورة العربية ، والذى يمكنها أكثر فأكثر من أن تلعب دورا طليعيا فى تحقيق وحـدة أطرافها فى جبهـة نضالية ضـد الاستعمار والصهيونية والرجعية والعنصرية ، والذى يجعل نجمتها تزداد تألقا وتوهجا ضمن مجرة البلدان ذات التوجـه الاشـتراكى .

دور الثقافة الثورية الأساسي
في التطور التاريخي المتصاعد
لثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م(*)

التطور التاريخي لا يسير وفق ارادة علوية ولا حسب مشيئة هـذا الزعيم أو ذاك ، ولا طبق رغبة هـذه القوة الاجتماعية أو تلك ، وانما يسير وفق قوانين موضوعية تلعب خلالها ارادة الناس ووعيهم دورا معجلا أو معطلا أو معرقلا .

درجة تطور القوى المنتجة ، درجة التقدم الانتاجي الاقتصادي هي التي تحدد طابع علاقات الانتاج والبنية الاجتماعية عموما ومن ثم طابع النظام السياسي .

البنية التحتية المتمثلة في علاقات الانتاج تفرز البناء الفوقي السياسي والأيديولوجي المطابق لها .

غير أن ذلك لا يعني أن البناء الفوقي لا دور له تجاه حركة التطور التاريخي لمجرد أنه انعكاس للظروف المادية ـ الاقتصادية ، فهو يكتسب في لحظة معينة دورا حاسما .

(*) نشرت في صحيفة « ١٤ أكتوبر » في ١٩٨٧/١٠/١٢ .

ليس هنـاك تلازم ميكانيكى بين الواقـع المـادى الذى هـو الأساس لنشؤ هـذا النسق أو ذلك من الأفكار والقيم ، وبين هـذه الأفكار والقيم • فهى بعـد نشوئها تكتسب شيئا من الاستقلالية وتتولد وتتطور تطورا داخليا خاصا بها • وتتجاوز حتى أساسها المـادى الذى فرزها وتغـدو قادرة على الرؤية الى آفاق أبعـد من تلك الآفاق المحددة التى تحتمها علاقات الانتاج القائمة • بل وتصبح مبشرة بمنحى للتطور الاجتماعى والتاريخى مخالف لمنحى التطور القائم •

ذلك ما يفسر ظهور النظريات التقـدمية ، وخاصة نظرية الاشتراكية العلمية التى ولدتها ظروف القرن التاسع عشر المـادية ، ظروف الانتاج الرأسمالى ، التى كما انتجت الصناعة الحـديثة ، والتكنيك المتقـدم ، أنتجت طبقة جـديدة هى طبقة العمال التى جاءت آيديولوجية ونظرية الاشتراكية العلمية تعبيرا عن مصالحها ومطامحها ورؤيتها ازاء التاريخ والحياة والصيرورة الانسانية عموما •

لقـد تجاوزت هـذه النظرية المجتمع الذى نبتت فى ظله ، وأخذت تبشر وتدعو الى اقامة مجتمع جـديد خال من الاستغلال الراسمالى وكل أشكال الاستغلال التى عرفها التاريخ والتى ما تزال قائمة هنا أو هناك من أنحاء الكرة الأرضية •

ولم تبق هـذه النظرية محصورة فى اطار المجتمع الأوربى الذى نشأت فيه ، وانما تجاوزته الى شتى أنحاء الأرض ، حتى غـدت نظرية الملايين من جماهير الكادحين فيها ، وحتى أمكن اقامة مجتمعات اشتراكية على أساسها ليس فى البلدان الأوربية فحسب ، وانما أيضا فى البلدان المتأخرة عن أوروبا ، مما أتاح لهـا تجاوز تأخرها ، والمضى فى طريق التطور الاقتصادى والتكنيكى والعلمى بسرعة قياسية ، بل بسرعة تفوق سرعة تطور البلدان الرأسمالية التقليدية •

ان ذلك يعنى بوضوح أنه يمكن أن يشهد المجتمع ، وخاصة المجتمع الرأسمالى ، تطورا هائلا أو نسبيا فى القوى المنتجة والاقتصاد والتكنيك والعلم ، بينما تظل العلاقات الانتاجية والاجتماعية متخلفة ، ويظل البنـاء الفـوقى السياسى والأيديولوجى والخلقى والروحى فى حـالة انحطاط ، ويظل الانسان من ثم فى حالة اغتراب عن عمله ومجتمعـه ونفسه ، ولا يعـدو أن يكون أسيرا لدى الرسمالى وعبدا للعمل المـأجور الذى يقوم به لصالحه •

ان هـذا التناقض الفادح بين القوى الانتاجية والتكنيكية والعلمية المتطورة وبين العلاقات الانتاجية والاجتماعية والروحية المتدنية هـو ما نبه اليه ماركس بمثل هذه العبارات البليغة : « هناك واقع عظيم يميز قرننا التاسع عشر ، واقع لا يتجرأ أى حزب على انكاره ، فمن جهة ، استيقظت قوى صناعية وعلمية لم تكن حتى لتخطر فى بال الناس فى أى من العهود السابقة فى تاريخ البشرية ، ومن جهة أخرى ، تتبدى علائم انحطاط يتجاوز جميع الويلات المعروفة فى التاريخ منذ أواخر زمن الامبراطورية الرومانية •

وفى زمننا يبدو كأن كل شىء ينطوى على نقيضه ، فنحن نرى أن الآلات التى تملك قوة عجيبة لتقصير مدة العمل البشرى وجعله أوفر ثمارا تجلب للناس الجوع والأعياء ، ومصادر الثروة الجـديدة غير المعروفة حتى الآن تتحول ، بفضل سحر ما غريب وغير مفهوم ، الى مصادر للفقر ، وانتصارات التكنيك تبـدو كأن الانحطاط الأخـلاقى كان ثمنها ، ويخيل أن الانسان يمشى اما عبدا لغيره من الناس ، واما عبدا لسفالته بالذات بقـدر ما تخضع البشرية الطبيعة لنفسها • وحتى نور العلم الصافى لا يمكنه ، حسبما يبدو ، أن يشع الا فى خلفية الجهل الحالكة ، وكأن جميع اكتشافاتنا وكل تقـدمنا تؤدى الى هـذا الواقع ،

وهـو أن القوى المـادية تكتسب حياة فكرية ، بينما تفقـد الحيـاة البشرية جانبها الفكرى وتنحط الى درجة قوة مادية . ان هـذا التناحر بين الصناعة المعاصرة والعلم المعاصر من جهـة ، والاملاق المعاصر من جهة أخرى ، هـذا التناحر بين القوى المنتجة والعلاقات الاجتماعية فى عهدنا هو واقع محسوس ، ومحتم ، ولا جـدال فيه » . « ماركس انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ١ الجزء ٢ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨٠ ص ٢٤٨ — ٢٤٩ » .

ذلك كان هـو الوضع فى البلدان الرأسمالية أيام ماركس . ولقد تفاقم هـذا الوضع اليوم واشتد التناقض فى عهد الرأسمالية الاحتكارية ورأسمالية الدولة الاحتكارية ، بين المستوى البالغ التطور للقـوى الانتاجية والاقتصاد والتكنيك والعلم والمستوى البالغ الانحطـاط للقيم الأيديولوجية والثقافية والأخلاقية للمجتمع الرأسمالى ، ولا سيما المجتمع الرأسمالى الأمريكى .

غير أن المجتمع الرأسمالى كما يفرز القيم الروحيـة المنفسخة والمتعفنة والمريضة فان القوى الحية والجـديدة والثورية فيه ، ممثلة فى الطبقة العاملة ومفكريها والمثقفين المستنيرين عموما ، تطرح أيديولوجية وفكرا وقيما روحية متقـدمة .

ان انتشار هـذه القيم الأيديولوجية والفكرية المتقـدمة الى البلدان الرأسمالية الضعيفة التطور أو التى لم تبلغ مرحلة الرأسمالية بعـد يتيح لمثل هـذه البلدان لا تبنى هـذا العطـاء الروحى الحى فحسب ، وانما أيضا البناء عليه وتطـويره ، بحيث يتجـاوز مستوى التطور الثقافى لهـذه البلدان مستوى تطورها المـادى . ان ذلك كان هـو شأن روسيا فى القرن التاسع عشر . « وينبغى التنبيه مرة أخرى

من الأحكام السطحية على التقــدم التاريخى . بالطبع ، ان تطـــور القوى المنتجة يمثل الشرط الأهم للتقــدم الاجتماعى . بيد أنه لا ينبغى تبسيط هــذه الحقيقة وعــدم رؤية أنه فى بعض الحالات بوسع الثقافة الروحية سبق مستوى تطور القوى المنتجة . فمن المعروف ، على سبيل المثال ، أن روسيا فى القرن التاسع عشر كانت متأخرة عن بعض البلدان الرأسمالية من حيث تطور القوى المنتجة ، بيد أن هــذا لم يعقها عن اعطاء البشرية مفكرين وثوريين وشعراء وكتابا وموسيقيين ورسامين وعلماء ومخترعين عظماء . ان القضية تقــوم فى ان تطــور الثقافــة (وظاهرات البنى الفوقية عامة) لا يجوز ربطها بمستوى القوى المنتجة بمعزل عن علاقات الانتاج ، عن ما نضج من التناقضات الاجتماعيــة والطبقيــة والقــومية » (خانتسيك‌موجيان ، مراحــل التاريخ . دار التقــدم ، موسكو ١٩٧٩ م ، ص ٩٥) .

ان هــذا المستوى الروحى المتطور الذى بلغته روسيا من خلال اقتباسها للثقافة الغربية الرفيعة ، وهــذا العطاء الثقافى العالى الذى أضافته ، والذى فجر فيها ينابيع الحيوية ودفع بطلائعها الى العمــل الجسور من أجل انهاض روسيا المتأخرة ،وتجــديد حياتها ، وجعــل منها بالفعل بؤرة ثورية ملتهبة منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ان ذلك هــو الذى الهم ماركس وانجاز تلك النبوءة القائلة بأن فجر الثورة العالمية سينبثق من الشرق ، ومن روسيا بالذات ، وان لهب هذه الثورة سيمتد الى الغرب ذاته .

ان انتشار نظرية الاشتراكية العلمية فى روسيا انتشار النــار فى الهشيم ، وان ذلك التطوير الخلاق الذى أدخله لينين عليها قــد قفز بمستوى التطــور الثقافى فى روسيا الى الذروة ، حتى وان كان هــذا المستوى قــد انحصر بالدرجة الأولى على مثقفى روسيا من البلاشفة

وعلى الطليعة البروليتارية التى أمسكت بقيادة حركة التطور الاجتماعى والتاريخى فيها .

ولكن الثقافة الثورية ذات الطابع الديمقراطى التى انبثقت أول ما انبثقت من الغرب تجاوزت حــدود روسيا الى الشرق عموما . وفتحت كوات من النــور فى جــدرانه السميكة المظلمة ، وأخــذت تدفعه منذ مطلع القرن العشرين الى النضال السياسى للخروج من كهوف القرون الوسطى ، والافلات من قبضة الاستعمار العالمى ، ومن أجل صــنع حياته الجــديدة . ان ذلك هــو مانبه اليه لينين عندما كتب فى ١٣ أبريل ١٩١٣ : « لقــد استيقظت فى آسيا الروح « الأوروبية » . لقــد غدت شعوب آسيا واعية وعيا ديمقراطيا » . (لينين ، استيقاظ آسيا . دار التقــدم موسكو ص ٢٢) .

وكان قيام الثورة فى روسيا المتأخرة برهانا حاسما على الدور الخاص الذى يمكن أن تلعبه الثقافة الثورية فى بلد متخلف .

وبعــد قيام هــذه الثورة ، ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عام ١٩١٧ ، أخــذت تغمر الشرق موجة أخرى من الوعى الاشتراكى فى الوقت الذى شرعت حركات التحرر الوطنى فيه تحقق نهوضــا غير مسبوق .

وبالاعتماد على مثل هــذه الثقافة الثــورية ، الديمقراطية ، والاشتراكية ، وبدعم قلعة الثورة العالمية ، الاتحاد السوفيتى ، أمكن تفجر الثورات الوطنية الديمقراطية ، والثورات الديمقراطية الشعبية فى البلدان الرأسمالية ذات التطور الاقتصادى المتوسط ، والضعيف فى البلدان التى لم تصل مرحله الرأسمالية بعــد . بل وأمكن تحــويل

بعض هـذه الثورات الى ثورات اشتراكية ، أو مضيها فى طريق التوجه الاشتراكى •

واليمن الديمقراطية هى واحـدة من هـذه البلدان التى تسير بثقـة وثبات فى طريق التوجه الاشتراكى • والسؤال هو كيف أمكنها تحقيق هـذه الطفرة الثورية ، رغم انها لم تلتحق بركب حركة التحرر الوطنى العربية والعالمية الا فى وقت متأخر جـدا ، ولم يتسرب اليها أشعة الثقافة الثورية ، والوعى الديمقراطى والوعى الاشتراكى ، الا مع الخمسينيات ؟

هناك عوامل عامة ، وعوامل خاصة ، ساعدت اليمن الديمقراطية على انجاز مثل هـذه القفزة الثورية :

١ ـ أن الحركة الوطنية اليمنية التى كان مركزها الأساسى فى عدن ظهرت فى مرحلة تاريخية متطوره كان المعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى ، قـد أصبح يمسك خلالها بزمام المبادرة الثورية والتاريخية ، بعـد اندحار الفاشية وتصدع جبهة الامبريالية العالمية ، وأصبح للافكار الاشتراكية جاذبية لا تقاوم •

٢ ـ أنها انبثقت فى مرحلة تاريخية كانت فيها حركة التحرر الوطنى العالمية فى حالة من المـد المتصاعد • وكانت فصائل من هـذه الحركة تنتقل الى مواقـع الديمقراطية الثورية ، والى مواقـع الاشتراكية العلمية • وتدفع بشعوبها فى طريق الاشتراكية •

٣ ـ انها انطلقت فى حقبة تاريخية كانت فيها حركة التحرر الوطنى العربية فى عنفوانها ، وكانت مصر الناصرية أثناءها ـ أيا كانت ذبذبات نهجها القومى ـ تلعب دورا قياديا فيها • وتعمل على دعم ومساندة كل تحرك ثورى عربى ضـد الاستعمار والرجعية • بما فى ذلك التحرك

الثورى فى اليمن ، الذى عبرت عنه ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ .

٤ — انها برزت فى وقت كانت فيه أقسام من حركة التحرر الوطنى العربية تطور مفاهيمها الثورية فى اتجاه ديمقراطى جـذرى وتتطلع الى تبنى الفكرى الاشتراكى العلمى ، أيا كانت مداخلها اليه .

٥ — أن الجبهة القومية ، التى كانت الحلقة الوسطى فى الحركة الوطنية اليمنية ، كانت تتقـدم منذ منتصف الستينيات فكريا وسياسيا ونضاليا . وتمضى فى خط متصاعد نحو امتلاك الرؤية الديمقرطية الثورية المنسجمة ، وتتحرك منذ مطلع السبعينيات نحو تبنى الفكر الاشتراكى العلمى ، شأنها فى ذلك شأن حركة القوميين العرب التى كانت تاريخيـا أحـد فروعها .

٦ — أن ظهور الحركة الوطنية اليمنية فى منتصف الخمسينيات قـد تواكب مع ظهور الحركة العمالية التى اقتحمت المعركة الوطنيـة بوسائل وطرائق بروليتارية ثورية فى النضال كالمسيرات والمظـاهرات والاحتشادات الجماهيرية بكل ما كان يؤدى اليه ذلك من التحام واشتباك مباشر مـع المستعمر ، ومن شـحذ للعزائم الثورية ، ومن خبرة نضالية متنامية ، ومن بلورة تقاليد كفاحية راسخة .

٧ — أن نواة الوعى الاشتراكى التى بزغت منذ هـذا الوقت لم تقتصر على نخبة محـدودة من المثقفين الثوريين ، وانما نفـذت بهـذا القـدر أو ذاك الى صفوف الطبقة العاملة .

٨ — أن القاعـدة التى كانت تستند اليها الجبهة القومية كانت جبهة شعبية واسعة بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، جبهـة تمتد من

البرجوازية الوسطى والصغيرة والمثقفين الوطنيين والديمقراطيين ، وانتهاء بالعمال ، بما فى ذلك عمال المصافى •

٩ — أن محاولة ممثلى البرجوازية الوسطى — بعد الاستقلال — دفع حركة التطور فى الاتجاه الرأسمالى الليبرالى الاصلاحى ، بكل ما يؤدى اليه ذلك من الدوران فى فلك التبعيـة الاقتصادية والسياسية والثقافية للرأسمال الامبريالى ، قد اصطدمت بمقاومة واسعة من هذه القاعدة الشعبية العريضة التى كانت تستند اليها الجبهة القومية والمسنوده أيضا بالقوى والفصائل الديمقراطية والتقدمية الأخرى خارجها •

١٠ — أن محاولة ممثلى البرجوازية الصغيرة النزقة اربالك المسيرة الديمقراطية الثورية التى كانت قد بدأتها الثورة منذ قيام حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ بتجنحاتهم اليسارية المتطرفة الفوضوية أول الأمر ، وبانعطافهم ذات اليمين آخر الأمر قد اصطدمت هى الأخرى بهذه القاعدة العريضة من الجماهير الشعبية والقوى الثورية التى كانت قد تاطرت فى التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية منذ أكتوبر ١٩٧٥ ، مما أتاح لها الخلاص من مخاطر هذه الزمرة المغامرة بانتصارها عليها فى ٢٦ يونيو ١٩٧٨ •

١١ — أن تبنى التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية للفكر الاشتراكى العلمى قد حتم — بعد ازاحة حجر البرجوازية الصغيرة المسعورة من الطريق — تحويل هذا التنظيم الى حزب من طراز جديد ، حزب اشتراكى علمى ، هو الحزب الاشتراكى اليمنى الذى أعلن فى أكتوبر ١٩٧٨ •

١٢ — أن ما ساعد على المضى فى هذا الخط الثورى الصاعد

أبدا أن اليمن الديمقراطية ، على عكس البلدان العربية الأخرى ، لم تكن تعانى من وطـأة الفكر السـلفى وتجمعـاته ، وان البرجوازية الكومبرادورية وقـوى الاقطاع فيها كانت مجرد ظـل للاستعمار وان البرجوازية الوسطى كانت شريحة رقيقة ، وان لواء القيادة فى حركة التحرر الوطنى فى جنوب الوطن اليمنى كان معقودا منذ البـدايه للجماهير الشعبية الكادحة والعريضة والمنظمة والمسيسة والتى اخـذت تنتقل بسرعة غير عادية من امتلاك الوعى الوطنى ، الى امتلاك الوعى الديمقراطى ، الى تبنى الوعى الاشتراكى ، الذى لا يبرح يتجـذر ويتعمق ويترسخ فى صفوفها .

وبين جميع هـذه العوامل يبدو واضحا أن تملك الثقافة الثورية ، بدأ من الثقافة الوطنية ، مرورا بالثقافة الديمقراطية ، وانتهاء بالثقافة الاشتراكية ، بكل ما تنطوى عليه من بعـد أممى ، وتجسيد هـذه الثقافة الثورية فى تنظيم سياسى اخـذ بتكيف ويتطور باستمرار وفق درجة التطور التى بلغتها هـذه الثقافة — أن ذلك كان العامل الرئيسى وراء هـذا الخط البيانى الصاعد أبدا الذى سارت فيه ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ ، حتى بلغت اليوم مرحلة التوجه الاشتراكى .

ورغم الازمة الثقافية التى مرت بها التجربة الثورية خلال هـذا العقد ، ورغم تأثير « الأزمات التى أضعفت الوحدة الفكرية والسياسية والتنظيمية للحزب » حسب تعبير (الوثيقة النقـدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية (١٩٧٨ — ١٩٨٦ ، ص ٥٣) والتى كانت أحداث ١٣ يناير أبرز تجلياتها ، فان صمود الحزب لها ، وانطلاقه بمضاء نحـو تجاوز آثارها ، ودعوته لاشاعة الثورة الثقافية وتعميق مجرى الثورة أكثر فأكثر ، يؤكد على نحو قاطع على أن تجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية تمتلك أسباب بقائها ونموها وتقـدمها وتحولها من مرحلة تاريخية الى مرحلة تاريخية أعلى .

اليمن الديمقراطية ...

وحصاد عقدين ...

من النضال ...(*)

لم يعد للاسطورة والمعجزة مكان فى عصرنا . غير أن هناك من الحقائق ما يكاد يشبه فى غرابته ومفارقته الاسطورة والمعجزة .

والا فكيف يمكن فهم هذا الذى حدث خلال عقدين من الزمن فى هذا الجزء من الوطن العربى ، وهذا الشطر من اليمن .

ميناؤه الشهير منذ أقدم العصور ، والذى كان احدى حلقات الوصل الهامة بين الشرق والغرب ، وأحد الشرايين التجارية والحضارية الواصلة بينهما ، والذى كان لذلك مطمعا للغزاة وللفاتحين منذ الامبراطورية الفارسية واليونانية حتى الامبراطورية العثمانية والبريطانية — كيف أمكن أن يدور مع الزمن دورة كاملة ، ويتحول فجأة — فى ظرف عقدين من الزمن فقط — من موضوع للتاريخ الى ذات له ، من حجر فى بناء صرح الامبراطوريات العالمية القديمة والجديدة ، الى واحد من أنشط معاول الهدم للامبراطورية ، التى لم تكن تغرب

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ اكتوبر » فى ١٩٨٧/١٢/١ .

عنها الشمس ، والى واحـــدة من أبدع أدوات البناء للعالم الجـــديد الذى لامكان فيه قط لغير الحضارة التى تليق بشرف وكرامة الانسان ؟ !

كيف أمكن لهـــذا الميناء ــ ميناء عـــدن ــ الذى أسماه محمد على باشا حاكم مصر بأنه « عين اليمن » التى أخـــذتها بريطانيا باستيلائها عليه عام ١٨٣٩ ، بينما كانت قواته فى طريقها اليه انطلاقا من « المخا » التى كانت قـــد بلغتها فى محاولة لاقامة امبراطورية الضاد ــ حسب تعبير نجله ابراهيم باشا ــ كيف أمكن له أن يستعيد نور عينه التى خيل للامبراطورية البريطانية انها قـــد فقأتها ، وأصابت اليمن كلها بعمى أبدى ؟ !

كيف أمكن أن تتحول عـــدن من مجرد واحـــدة من الدرر التى رصع بها التاج البريطانى الى غرة من الغرر السنية فى جبين الثـــورة العالميـــــة ؟ !

هل يعود ذلك الى أن الثورة فيه لم تتم بانقلاب من أعلى ، والى أنها ــ وان بدت فى الأصل كامتداد لثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فى شمال الوطن ــ كانت انقلابا من أسفل ، انفجارا شعبيا من الأعماق ، تحركا جماهيريا أفقيا ورأسيا شمل كل الطبقات والقوى الأساسية والجـــذرية فى المجتمع من فلاحين وعمال ومثقفين وفئات وسطى ؟

هل مرد ذلك الى أن الثورة فيه ــ فى هذا الجزء من الوطن اليمنى .. كانت واحـــدة من الثورات القليلة فى منطقة التحرر الوطنى العالمية التى اكتسبت طابع حرب شعبية انصهرت وتبلورت فيها قوى البلاد الحية ، وتخلقت فى أتونها حركة وطنية ديمقراطية أصيلة لا تستطيع كل رمال الصحراء أن تطفىء وهجها ، كما لا تستطيع كل قوى التآمر الخارجية أن تكسر شأفتها ؟

هل مرجع ذلك أن هـــذه الثورة بحكم طبيعتها « العامية » هـــذه تخلصت على الفور من قشرة المجتمع العليا المتكلسة فور التخلص من المحتل الدخيل ، وكشفت بذلك عن المياه الجوفية الفوارة المتدفقة فى قاع المجتمع ، وأطلقت « العفريت الشعبى » من القمقم الذى ظل حبيسا فيه ، وتركته يصفى الحساب مع سجانيه ومهـــدرى أدميته ومستبيحى حقـــوقه ؟ !

هل يكمن السبب فى أن هـــذه الثـــورة بسبب طبيعتها الشعبية القارحة هـــذه لم تستطع احتمال ظهور بثور وقروح ودمامل على وجهها وفى جسمها ، فعملت باستمرار على التخلص منها ، حتى ولو اقتضى الأمر اجراء عمليات جراحية سريعة تقوم بها ، وهى ماضية فى دربها ؟

هل عملية التطهير والتطهير الذاتى الدائبة والمستمرة هى سبب احتفاظ الثورة بلياقتها وسمتها وعافيتها ، رغم النزيف الدموى الذى ترتب عليها ، والذى يكاد يكون قياسيا وفائق الحـــد بالنسبة لثـــورة كمثلهـــا ؟

هل قـــدرة الثورة على توليد نواة طليعية من صلبها تمسك بقيادها وترتاد بها طريقا وعرا وشائكا وغير مطروق من قبل فى منطقة كالمنطقة التى تنتمى اليها ، والتى كما يجثم عليها ارث تاريخى ثقيل ما يزال يجثم عليها نفوذ « استبدادى شرقى » واستعمارى غربى ساحق ومزدوج — هل ذلك هـــو سر صمود الثورة ومضيها بخطى واثقـــة فى الدرب الصعب والخطر الذى اختارته فيما يشبه التحـــدى الذى لا عودة عنه ؟

هل صفاء رؤية الثورة ، ورفضها الحاسم لكل التنظيرات الانتهازية القـــائلة بالمساواة ما بين الشرق والغرب ، ما بين معسكر الاشتراكية

ومعسكر الامبريالية ، ما بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، ما بين الصديق والعـدو ، ورفضها من ثم لسياسة « الموازنة والتوازن » بينهما ، واتخاذها موقعها اللائق بها كثورة شعبية فى معسكر قوى الثورة العالمية ، واضطلاعها بمسئوليتها فيه ، واعلانها صراحة أنها فيصل أصيل فى جيش هـذه الثورة الأممية ، وتحويل نفسها الى جزء من هـذا الكل الذى لا يقهر ولا يغلب ، ونقلها عـدن ــ عاصمة هـذه الثورة ــ من موضعها الذليل السابق كموطىء من مواطىء القـدم للامبريالية العـالمية الى مكانها العزيز السامق اليوم كموقع متقـدم فى جبهة الثورة التقـدمية العالمية ــ هل ذلك هـو سر الأسرار فى تمكن اليمن الديمقراطية ــ خلال عقـدين من الزمن فقط من نيلها للاستقلال الوطنى ــ من بلوغ المكانة المشرفة التى بلغتها اليوم بين الثورات التحررية الوطنية الديمقراطية المتأججة والسائرة فى طريق التوجه الاشتراكى ؟

ان مجمل ما أوردناه من تساؤلات تتضمن اجاباتها هو الذى يفسر هـذا الخط البيانى الصاعـد الذى تسير فيه اليمن الديمقراطية ، وهو الذى يفسر هـذه الحيوية الفائقة الحـد التى تتمتع بها ثورتها ، وهـذا التطلع نحو آفاق أكثر رحابة واشراقا •

ومجمل ما أوردناه هـو الذى يوضح بجلاء ما بعـده جلاء سر اصرار الثوار اليمنيين على أن تتحقق وحـدة اليمن ضمن هـذا الخط البيانى الصاعد ، وفى سياق هـذا المنحى الثورى المتسامق ، لا ان يدفع بها خارج هـذا الخط ، وبعيدا عن هـذا السياق ، مما يعنى عـدم تحققها على الاطلاق •

يقـول المصـياحون والمتصـايحون ، كما قـد يقـول المحبـون والمشفقون ، ولكن ثورتكم هـذه كلفتكم الكثير ، وأكثر من الكثير • لقـد التهمت نيرانها حتى بعضا من بنيها ، بل وخيرة من بنيها ، ناهيك

أنها التهمت — اخيرا — حتى أولئـــك الذين كانوا من اوائل مشعليها وطلائع قادتها ، فأى ثورة هـذه ، واى ثوار انتم ، وأى نهاية تنتظركم اذا كان هـذا الطريق الدامى هو طريقكم ؟ !

حقا ان الثورة هى هـدم للقـديم المتعفن الفاسد ، وبناء للجديد الناهض والسليم ، وان الانسان هـو أثمن رأسمال لديها ، وأنه هـو هـدف الثورة بقـدر ما أنه هـو وسيلة تحقيقها ؛ وان العنف فى عرف الثورة هـو التحويل السريع والحاسم للواقع المـادى الذى أنبت الشرور الاجتماعية ، واستبداله بواقع مادى يلبى حاجات الناس جميعا ، ويشبع طموحاتهم ، ويتيح لكل فرد منهم التطوير الحر والكامل لنفسه كشرط للتطور الحر والكامل للجميع — حسب صيغة ماركس — •

ولكن السؤال هـو : آية ثورة خلت من الدماء والآلام ، والأخطاء والخطايا ؟ فليست الثورات البرجوازية وحـدها هى التى واجهت هذا الامتحان ، حتى لقـد أكلت الثورة الفرنسية الم زعمائها ، وعلى رأسهم روبسبير ، وانما حتى الثورات الاشتراكية لم تسلم من هـذا الامتحان •

وحتى وطن الاشتراكية الأول ، وحزب لينين العظيم ، لم يفلتا — بعـد رحيل ربان الثورة لينين — من الوقوع فى مثل هـذه المحن •

وفى الذكرى السبعين لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وقف حزب البلاشفة عبر تقرير أمينه العام ميخائيل جورباتشوف أمام عينة من هـذه المحن ، لا باعتبار ذلك فقط وقفة نقـدية أمام المـاضى ، وانما أيضا بغية الاعتبار بها للسير نحـو المستقبل على نحو أكثر رشـدا وأمانا ، وأكثر استقامة وانسانية •

« واذا كنا اليوم ننظر الى تاريخنا ، وبروح انتقادية أحيانا ، فذلك فقط لاننا نريد أن نتصور الطريق الى المستقبل بشكل أفضل وأكمل •

وينبغى تقييم الماضى بشعور من المسئولية التاريخية وعلى أساس الحقيقة التاريخية » حسب تعبير جورباتشوف ، ويضيف :

« وأخيرا ، نحن بحاجة الى تقييمات صادقة لهذه الفترة وكل الفترات الأخرى فى تاريخنا » ونحن نحتاج الى ذلك اليوم على نحو خاص « حيث تجرى عملية التغيير — بيريسترويكا — • نحن بحاجة الى تلك التقييمات ليس لتسوية الحسابات السياسية أو لاثارة مشاعر مؤلمة ، كما يقال ، بل لتقدير كل ما هو بطولى فى الماضى حق قدره واستخلاص العبر من الأخطاء والهفوات » •

واذا كانت ١٥ سنة من وفاة لينين قد شهدت حركة التصنيع الجبارة ، والكلخوزات والسوفخوزات الواسعة والثورة الثقافية الغامرة ، وانتصاب دولة الاتحاد السوفيتى العملاقة ، وترسخ مواقعها على النطاق الدولى ، وابتداع الأشكال الجديدة لادارة الاقتصاد الوطنى وتنظيم المجتمع ، والتأثير على مصائر حركة التحرر والتقدم فى العالم كله ، فانها شهدت أيضا سلبيات وخسائر أضعفت من المثل الاشتراكى ، وبهتت من الديمقراطية الاشتراكية ، والقت الضباب على الجوهر الانسانى للاشتراكية ، وأخلت بمعادلة المركزية الديمقراطية ، حيث أفسحت المجال للمركزية الشديدة ، والبيروقراطية المفرطة ، والنزعة الفردية التحكمية ، وعبادة الذات ، مما عكس نفسه على حياة الحزب والدولة والمجتمع وعلاقات الناس •

« لكى يفهم المرء وضع تلك الأعوام ينبغى له أن يأخذ فى الحسبان أن النظام الادارى — الأوامرى الذى بدأ يتكون ابان عملية التصنيع وتلقى زخما جديدا أثناء اشاعة الكلخوزات قد انعكس على مجمل حياة البلاد الاجتماعية — السياسية • وبعد أن ترسخ هذا النظام فى الاقتصاد أخذ يمتد الى البناء الفوقى أيضا ، فيحد

من انتشار القــدرة الديمقراطية للاشتراكية ، ويعـــوق تقـــدم الاشتراكية » .

« لقــد زاول كل ذلك تأثيرا وبيـــلا على التطور الاجتماعى — السياسى للبلاد ، وأسفر عن عواقب وخيمة .

انه من الواضح تماما أن عــدم وجود المستوى اللازم لاشـــاعة الديمقراطية فى المجتمع السوفيتى هــو بالذات الذى جعل أمرا ممكنا عبادة الفرد ، وانتهاك الشرعية ، والتعسف والتنكيل فى الثلاثينات .

وأقول بصراحة أنها جرائم حقيقية ترتكب على أرضية السلطة . لقــد تعرض لأعمال تنكيل جماعية آلاف عــديدة من أعضاء الحزب ويجب علينا أن نتكلم عن ذلك بكل صراحة . فهــذا ما لابد منه لأجل ترسيخ مثال الاشتراكية اللينينى ترسيخا نهائيا ولا رجعة فيه » .

وينبه جورباتشوف الى « أن الفهم النزيه لمنجزاتنا الهـــائلة وللمصائب المــاضية على السواء ، وتقييمها السياسى التام والصائب ، سيعطيان مرشدا أدبيا حقيقيا من أجل المستقبل » .

من أجل ذلك فان المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى شكل — كما يقول جورباتشوف — « لجنة لأجل البحث من جميع النواحى فى الوقائع والوثائق الجــديدة » المتعلقة بسلبيات المرحلة المــاضية ، وذلك كله « سوف ينعكس أيضـــا فى تدوين تاريخ الحزب الشيوعى السوفيتى ، الذى ستتكلف لجنة خاصة تابعة للجنة المركزية باعداده » .

لقــد تعمــــدنا ايراد هــذه المقتبسات من تقرير جورباتشوف للاعتبار بها ، ونحن نلقى نظرة على حصيلة عقــدين من الزمن منــذ

الاستقلال بايجابياتها وسلبياتها ، وحتى لا تركبنا عقـدة ذنب تجـاه ما امتحنت به البلاد من الأخطاء والخطايا خلال عملية البناء والتجـديد الثوريين ، وحتى لا يسترسل الذين لا يروق لهم نهج التوجه الاشتراكى من أساسه فى غيهم بتصوير أن الثورة فى اليمن الديمقراطية استثناء بين الثورات من حيث كم ما نزف فيها من دماء ، وحجم ما تعرضت لـه من رزايا ، وقـدر ما اقترف فى حـق صفوف عـديدة من مناضليها وأبنائها البررة من حماقات وآثام •

وليس هنـاك من يسعى الى تبرير السلبيات التى رافقت مجرى الثورة ، كما أنه لا مصلحة لأحـد فى تجسيم ايجابياتها •

لقـد كانت فترة انتقال صعبة ومعقدة ، شأن كل فترات الانتقال فى كل زمان ومكان ، وما كان يمكن توليد مجتمع جـديد من رحم مجتمع قـديم بدون نزيف وآلام ، فذلك لا يحـدث لا فى مملكة الحيوان ولا فى مملكة الانسان ، ناهيك عن مملكة المجتمع التى تنطوى على أشكال من التناقضات الحادة الموضوعية والذاتية التى تؤدى الى الصـدام ، الذى قـد يكتسب أحيانا طابعا دراميا •

وعندما لا يكون مثل هـذا المجتمع قـد عرف تقاليد ديمقراطية أو حتى ليبرالية ، وعندما تتشابك فيه مختلف الأنماط الاقتصـادية ـ الاجتماعية التى عرفهـا التاريخ ، بكل ما تفرزه من أيديولوجيات وعادات متباينة ، وعندما لا يكون قـد بلغ مرحلة تكون الدولة المركزية الواحـدة التى تساعد بطبيعة وجودها على صهر المجتمع فى بوتقـة وطنية واحـدة ، وعلى تشكيل لحمة وطنية واجتماعية على انقـاض الأواصر المحـدودة والمغلقة الاقليمية ، والقروية والقبلية ، والبطريكية والعرقية ، والطائفية ، وعندما يطلب من الثورة والدولة الجـديدة التى

صنعتها معالجة مثل هـذه التركة التاريخية الثقيلة ، واصلاح ما أفسدته قرون من التخلف والركود والأوتوقراطية ، والاستبداد ، والاقطاع والرجعية ، والاستعمار ، وأن يتم انجاز ذلك كله فى أقصر وأسرع الآجال — عندما يكون الأمر كذلك فانه لا ينبغى توقع أن تسير حركة البناء والتجديد والتطوير والتحضير بدون معوقات أو عراقيل ، ومن دون مقاومة من قبل قوى الماضى ومخلفاته ورواسبه ومن دون مقاومة قوى الثورة المضادة فى الداخل والخارج .

ففى فترات الانتقال تصطرع باستمرار آلية وعقلية وتوجهات الماضى مع آلية وعقلية وتوجهات الحاضر . والمستقبل يظل مرهونا على نتيجة المعركة بينهما .

والراصد لحركة الأحداث منذ الاستقلال والى اليوم يدرك انه رغم الأزمات الاجتماعية والسياسية والحزبية والنفسية التى مرت بها تجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ، الا أن ميل ميزان القوى ظن دائما فى يد قوى المجتمع الحية ، يد قوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين — عسكريين ومدنيين — وغيرهم من الفئات الكادحة ، والساعية الى المضى قدما نحو ترسيخ البنية الاقتصادية والاجتماعية ذات الطابع الديمقراطى الثورى والتوجه الاشتراكى وتغليبها على الأنماط السابقة الموروثة عن المجتمع القديم ، ونحو تسويد نظرية العصر التى لا بديل لها ، نظرية الاشتراكية العلمية ، وتمكينها من دحر بقايا الأيديولوجيات الأخرى المناهضة ، ونحو اقامة أمتن وحدة اجتماعية ووطنية وحزبية ، وأسس حضارية جديدة ، ونحو بناء دولة يمنية مركزية موحدة وطنية ديمقراطية .

ورغم أن الثورة فى اليمن الديمقراطية تتحقق فى واحد من أكثر أجزاء الوطن العربى تخلفا ، الا أن النقلة النوعية الاجتماعية والسياسية

والتنظيمية والفكرية فيه لم يصل الى مستواها أى قطر أو نظام عربى قادت الثورة فيه البرجوازية الصغيرة ، ولن يستطيع الوصول اليها الا اذا أصبحت السلطة فيه فى يد قوى أكثر ثورية وجـذرية •

ورغم الكوارث والمحن التى جابهتها هـذه الثورة • والتى كادت تهزها من الأعماق ، وتزعزع المكانة المتميزة التى احتلتها على الصعيد القومى والدولى ، فان الثورة بحيويتها وأصالتها ، وعمق انتمائها الى جماهير الكادحين ، وصـدق توجهها الشعبى وصلابتها ايمانها بالمستقبل وكل قوى المستقبل فى العالم تجاوزت هـذه الكوارث والمحن التى كانت أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الذروة العليا لهـا ، والتى قـدمت مـع ذلك عبرة تاريخية تفيد منها جميع الثورات فى العالم النامى ، مفادها أنه — أيا كانت الخلافات داخل الحزب الطليعى — فانه لا مجال لحلها بغير الديمقراطية الداخلية فى الحزب ، وبغير اشاعة الديمقراطية ، والمزيد من الديمقراطية فى الدولة والمجتمع •

وذلك أيضا هـو الاستخلاص الذى وصل اليه حزب لينين ، وذلك هـو مغزى « التفكير السياسى الجـديد » الذى لا ينطوى على أهمية خاصة بالاتحاد السوفيتى وحـده • وانما يحمل مداولا تاريخيا — عالميا ، فوق أنه « يعنى كذلك أخلاقيات جـديدة ، ونفسية جـديدة » — كما قال جورباتشوف فى اللقـاء الذى افتتح فى ٤ نوفمبر ١٩٨٧ لممثلى الأحزاب والحركات التى شاركت فى احتفالات الذكرى السبعين لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى •

ولم تغفل ثورة ١٤ أكتوبر أهمية الوقفات النقـدية مع النفس لقـد فعلت ذلك بعـد حركة ٢٢ يونيو التصحيحية ١٩٦٩ ، وحاولت ذلك بعـد الخلاص من التيار اليسارى الانتهازى فى ٢٦ يونيو ١٩٧٨ وفعلت ذلك — بعـد أحـداث ١٣ يناير الدامية ١٩٨٦ — وهـو ما

تجلى فى « الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية (١٩٧٨ — ١٩٨٦) ، كما تجلى فى « تقرير اللجنـــة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى الى الكونفرنس الحزبى العام » الذى « قـــدمه الرفيق على سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية » للحزب ، وهما الوثيقتان اللتان أقرهما الكونفرنس خلال فترة انعقاده ما بين ٢٠ — ٢١ يونيو ١٩٨٧ م •

حقا أن هاتين الوثيقتين تمثلان وقفتين على طريق طويل ممتـــد ستتعدد عليــه الوقفات النقــدية ، غير أن ما ورد فيهما حــول تقييم أيجابيات وسلبيات التجربة الثورية لابد أن يؤخــد بالحسبان باعتباره ضــوءا كاشفا لا بالنسبة لمــاضى التجربة فحسب ، وانمــا بالنسبة لمستقبلها أيضا •

لم يكن من باب ارضاء النفس ما جاء فى الوثيقة النقــدية التحليلية حول الأهمية الخاصة لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية بالنسبة لمجمل الثورات العربية :

« تمثل التجربة الثورية لليمن الديمقراطية نموذجا فريدا فى المنطقة العربية ، وهى جزء لا ينفصم من حركة التحرر الوطنى العربية والعالمية ، فقد انطلقت الثورة الشعبية المسلحة امتدادا لتراث الحركة الوطنية اليمنية ، وتلاحمَ النضال الوطنى ضــد الاستعمار بالنضال الاجتماعى ضــد الرأسمال والاقطاع • ومنذ ٢٢ يونيو ١٩٦٩، اتخــذت اجراءات جــذرية لضرب مصــــالح الشركات الاحتكارية الأجنبية والمحلية •• والاقطاع ، وتثبيت أسس سلطة وطنية ديمقراطية يتطور مضمونهــا نحــو الديمقراطية الشعبية •

ان الالتزام بنظرية الاشتراكية العلمية — أيديولوجية الطبقــة

العاملة — والسعى لتطبيقها على الواقــع اليمنى بصورة خلاقه ..
وبناء حزب طليعى للعمال وحفائهم الفلاحين ، والسير بثبات لانجــاز
مهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية بآفاقها الاشتراكية والتحالف
المبدئى مع المنظومة الاشتراكية ، وفى مقــدمتها الاتحاد السوفيتى ،
هى أبرز مميزات هــذه التجربة » (ص ٤ — ٥) .

أما العوامل الموضوعية والذاتية التى تسببت فيما تعرضت لــه التجربة والحزب من معضلات وانحرافات فتلخصها الوثيقة فى الصيغة العامة التالية التى لا يستطيع أحــد الاعتراض عليها :

« لقــد عانى الحزب فى غضون تلك الفترة من صعوبات ومشاكل كبيرة ، وانحرافات يمينية ويسارية خطيرة ، لم تضر الحزب وتمس وحــدته الكفاحية فحسب ، بل كادت أن تقضى عليه وتجهض التوجه الاشتراكى برمته .

ان مصادر المصاعب والانحرافات الانتهازية التى واجهها الحزب تعود الى عــدد من الأسباب الموضوعية والذاتية المتعلقة بنشأة الحزب وتطوره من جانب ، وبطبيعة التركيب الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع والصراعات الطبيعية المعتملة فيه من جانب آخر ومؤامرات وتخريب القوى الامبريالية والرجعية .

وتتمثل الأسباب الموضوعية فى تدنى نسبة الطبقة العاملة فى اطار الحزب والمجتمع ، وشيوع فئات البرجوازية الصغيرة وتأثيرها على الحزب ، وضغط فئات الرأسمال المحلى والاجنبى وقوى الثورة المضادة الداخلية والخارجية ، والاشكالات والمصاعب الموضوعية لعملية التطور الاقتصادى والاجتماعى فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وبقاء النزعات المناطقية كنتيجة لعــدم نضج واكتمال الأساس الاقتصــادى والاجتماعى للوحــدة الوطنية .

وتكمن الأسباب الذاتية فى صعوبات الانتقال من مواقع الديمقراطية الثورية الى مواقع الاشتراكية العلمية ، وعـدم قـدرة واستعداد بعض الأعضاء فى القيادة وفى الحزب بصورة عامة على استيعاب ودراسة الفكر الجـديد والاهتداء به ، وضـغط تأثيرات الأيديولوجيات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة وبقايا الأفكار التقليدية ، والتساهل تجاه الاتجاهات المغايرة لخط الحزب ، وخرق مبادىء المركزية الديمقراطية والقيـادة الجماعية والنقـد والنقـد الذاتى ، الى جانب الميول التكتلية وعـدم مراعاة المعايير المبدئية فى اختيار وانتخاب الكوادر والقيادات الحزبية والاستعاضة عنها باعتماد أسلوب التوازنات ومراكز القوى والولاءات الشخصية ، وضعف أشكال المراقبة الحزبية والجماهيرية والنقـد والمحاسبة ، والتساهل تجاه عناصر التيارات الانتهازية » (ص ٣٩) .

ان التغلب على العوامل الموضوعية والذاتية الآنفة الذكر يعنى حـدوث انعطافة نوعية حاسمة فى حياة الثـورة والحزب والدولة والمجتمع ، بل وفى حياة الوطن اليمنى كله ، مما يسهل عملية النضال من أجل تحقيق مجمل أهـداف قـوى البلاد الحية والتقـدمية فى التحرر الوطنى الكامل ، والتقـدم الاجتماعى الشامل ، والديمقراطية السياسية الغامرة ، والوحـدة اليمنية التامة ، والاشتراكية المنشودة .

ولذلك فان « تقرير اللجنة المركزية » الذى القاه الأمين العـام الرفيق على سالم البيض أمام الكونفرنس الحزبى العـام يشير الى أن بلوغ الثورة أهـدافها هـذه يتطلب التعجيل بعملية التغلب على هـذه العوامل الموضوعية والذاتية التى عطلت انطلاق قـوى الثورة بكامل امكانياتها المكتنزة فى أعماقها ، كما يتطلب التقيد الصـارم بالأسس الفكرية والمبادىء التنظيمية التى لا يستطيع أى حزب طليعى المضى الى الأمام بدون مراعاتها الدقيقة والصارمة ، وذلك أيضا ما علمتنا اياه تجربة الثورة والحزب خلال الفترة المـاضية .

« وفى هـذا السياق أكدت التجربة على ضرورة وجـود الأعمال الملموسة الصادقة والتعـامل المبدئى الصارم مـع هـذه المبادىء لأنهـا تشـكل ضـمانة للحـزب من أى انحرافات يسارية كانت أم يمينية ، وفى هـذه الأعمال الملموسة ينبغى الربط المحكم بين الديمقراطيه التى تعنى اطلاق مبادرة الأعضاء ، وحقهم فى النقاش الديمقراطى ، الى اتخاذ القرار بالأغلبية ، وانتخاب هيئات الحزب ، وبين المركزية والانضباط الحزبى الواعى والصارم والنظام الداخلى ، والقيـادة المنتخبة ، والقرارات المتخـذة بالأغلبية •

وبالعودة الى تجربة حزبنا فأننا نشعر أننا بحاجـة الى تصحيح فهم وممارسة أعضاء ومرشحى الحزب للديمقراطيه ، ليدرك الجميع انها مسئولية كبيرة ، وأن لهـا حـدودا : هى وثائق الحزب وقرارات هيئاته ، وهى لا تكتمل الا بالانضباط الحزبى الحـديدى بوثائق الحزب وارادته الجمـاعية ، وفى نفس الوقت يجب أن نقف بحـزم أمام أى ظـواهر لمصادرة الديمقراطية من خلال فرض الراى والتعصب واصـدار الأحكام المسبقة وردود الأفعال ، واضطهاد الاعضاء المرشحين ، ومصادرة حقوقهم فى طرح آرائهم وملاحظاتهم وعـدم احترامهم والاستخفاف بها •

ويعتبر مبدأ النقـد والنقـد الذاتى سلاحا بيد الحزب واعضائه للحفاظ على نقاوة الحزب وتطويره بصورة مستمرة • ولذا ينبغى أن نعزز ممارسته ، ولا نسمح بردود الأفعال الضيقة ، والتحسس تجـاه النقـد والنقـد الذاتى الحزبى والمبدئى البناء ، أو ممارسة هـذا المبدأ الحزبى الهام فى المسائل الهامشية والشكلية واستخدامه بصورة تعكس الاحقاد وتصفية الحسابات » (ص ٧) •

ان ديالكتيك حركة الثورة فى اليمن الديمقراطية يبين بجلاء قاطع انها — رغم الهزات والاختناقات والأزمات والكوارث — تسير باستمرار

الى الأمام ، وانها فى صعوبة دائب ، وانها تنتقل دائما من الأدنى الى الأعلى .

وذلك هـو مقياس المقاييس فى تقييم مدى اصالة وجـذرية وعمق الثورات ، وليس ما تتعرض له عبر حركتها المتقـدمة المتنامية هـذه من التأزمات ومن المحن والكوارث .

وكما أوضح لينين ـ بالاستناد الى ماركس وانجلز : ـ « لقـد كان ماركس وانجلس يريان فى ديالتكيك هيغل أوسع مذهب من مذاهب التطور وأوفرها مضمونا ، وأشـدها عمقا ، وأثمـن اكتساب حققته الفلسفة الكلاسيكية الألمـانية . وكانت كل صيغة أخرى لمبدأ التطور تتراءى لهما وحيدة الجانب ، فقيرة المضمون ، تشوه وتفسد السـير الواقعى للتطور (الذى يتميز أحيانا بقفزات وكـوارث وثورات) فى الطبيعة والمجتمع » . (لينين مصادر المـاركسية الثلاثة وأقسامها المكونة الثلاثة ، دار التقـدم ص ٢٥) .

بل انه قـد تحـدث ردة للثورات قـد تتلوها حركة تصـحيح لمسارها . ومما تتميز به ثورة ١٤ أكتوبر فى اليمن الديمقراطية أنها لم تنتكس قط ، وانها ظلت قادرة على معالجة وتجاوز عثرات الطريق وعلى القفز خطوات أبعـد الى الأمام .

هناك من يحلو له أن يشنع على هـذه الثورة ويتهمها بمحاولة حرق المراحل ، ويرى فى ذلك السبب العميق لكل ما واجهها من محـن اجتماعية وسياسية .

والواقع أنه ليس هناك حرق مراحل فى سيرة هـذه الثورة ، وانما هناك ايمان عميق وأصيل بامكانية تجاوز مرحلة الرأسمالية ،

والسير فى طريق التوجه الاشتراكى صوب أفق الاشتراكية الوضاء ، وهى مقولة لينينية أثبتت صحتها العـديد من الثورات التى مرت وتمر بظروف مشابهة لظروف اليمن الديمقراطية .

حقا أن تركة التخلف الثقيلة ــ اضـافة الى الظروف المعاكسة المحيطة باليمن الديمقراطية ــ تلعب دورا لا يستهان به فى عرقلة سير هـذه الثورة . غير أن ما يستحق التنويه أنه رغم ذلك كله أمكن لهـذه الثورة أن تعيش وان تنمو وان تسير فى خط صاعد باستمرار .

وبقـدر ما تتمكن هـذه الثورة من حل تناقضاتها الطبيعية ، ومن ترصين وحـدة أداتها القيادية الطليعية ، ومن تعزيز وحـدة البلاد الوطنية والمجتمعية ، ومن تمتين وحـدة الحزب والشعب ، ومن تعميق الايمان بسلامة نهج التوجه الاشتراكى وسط الجماهير العريضـة . ومن السيطرة على النظرية وحسن تطبيقها من قبل الحزب ، ومن معالجة المعضلات الداخلية والخارجية بمقـدرة ومرونة ، ومن ترسيخ العلاقات الاممية مع أحزاب الطبقة العاملة والثورية فى العالم كله ، وفى مقدمتها حزب لينين العظيم ، بقـدر ما تتمكن الثورة من ذلك كله ، بقـدر ما تتوفر شروط موضوعية وذاتية داخلية وخارجية ، أكثر مواتاة لمضيها فى الدرب الذى اختارته ، درب التحرر الوطنى ، والتقـدم الاجتماعى ، والديمقراطية الشعبية ، والوحـدة اليمنية الديمقراطية .

الخـــاص والعـــام ...
فى عمليــة التجـديد الديمقراطى ...
التراث الثقـافى ـ السياسى ...
فى الوطـن اليمنى ..

عند تقييم تراث أى وطن من الأوطان لا محيص من التشاور مع لينين الذى يقف جميع الشرفاء والاخيار فى العالم وقفة اجلال واكبار وتقدير وامتنان أمام ما خلفه فى هـذا المضمار ، فهـذا المفكر العبقرى الفـذ ، وهـذا المعلم الانسانى العظيم ، قـد ترك لنا كنزا نظريا لاحد لخصوبته وتنوعه ، وشموليته ، وعمقـــه ، وقـدرته على الاستمرار والتجـدد ، وعلى الاحتفاظ بشعلته العلمية المضيئة وهاجة متلألئة أبدا .

وأى باحث فى علوم الفلسفة والاجتماع والاقتصاد ، والتاريخ ، وغيرها من العلوم سيجد أمامه دائما هـذا المعين الذى لا ينضـــب ولا يغيض .

وفى كل قضية من قضايا الناس الحية ـ للينين فيها رأى ، ورأى عميــق مدروس .

ان من هـذه القضايا التى حسمها لينين بالرأى السديد القاطع : قضية العمومية ، والخصوصية فى التراث ، أى تراث ، والايجـابى ، والسلبى فيه ، وما يمكن أخـذه أو نبـذه منه .

ففى الوقت الذى يضع فيه حـدا فاصلا بين الثقافة البرجوازية المعبرةعن أيديولوجية الطبقة الرأسمالية ، وبين الثقافة البروليتارية المعبرة عن أيديولوجية الطبقة العاملة ، ويشجب فيه القول بوجود ثقافة قومية لا طبقية . واعتبار « الثقافة الاممية ثقافة لا قومية » ، فأنه انطلاقا من المفهوم المـادى التاريخى الديالكتيكى ذاته ومن واقع أن تاريخ البشرية هـو تاريخ الصراع الطبقى ، الذى يولد أيديولوجيات وثقـافات متصارعة ، يؤكد « ان كل ثقافة قومية تحتوى عناصر ، وان غير متطورة ، من ثقافة ديموقراطية واشتراكية ، لأنه يوجـد فى كل أمة جمهور كادح مستثمر ، تولد ظروفه الحياتية بالضرورة أفكارا ديموقراطية واشتراكية . ولكنه توجـد أيضا فى كل أمة ثقافةبرجوازية (غالبا ما تكون أكليريكية ومغرقة فى الرجعية) لا تبدو بشكل « عناصر » وحسب ، بل بشـكل ثقافة سائدة . ولذا فان « ثقافة القومية » بوجه عام ، هى ثقافة الملاكين العقاريين ، ورجال الدين ، والبرجوازية . وتأسيسا على ذلك « فاننا اذ نضع شعار « الثقافة الاممية ، ثقافة النزعـة الديموقراطية والحركة العمالية العالمية » انما نستخلص من كل ثقافة قومية مجـرد عناصرها الديمقراطية والاشتراكية ، ونستخلصها بوجـه الحصر واطـلاقا ، لمعارضة الثقافة البرجوازية ، لمعارضة التعصب القومى البرجوازى فى كل أمة من الأمم » . (لينين ، فى الثقافة والثورة الثقافية ، موسـكو (الترجمة العربية) ص ١٦ — ١٧) .

كان لينين بمثل هـذا الطرح الجـدلى لقضية التراث يجادل أولئك الذين تملكتهم الطفولة اليسارية ، من ذوى النظرة الطبقية المحـدودة والقاصرة ، ومن ثم الجاهلة ، الذين كانت تنقصهم المعرفـة الموسوعية الشاملة التى تميز بها لينين ، وتميز بها من قبـله مؤسسا الاشتراكيه العلمية :ماركس ، وانجلز ، وكان بذلك ينكر نظرتهم العـدمية الى التراث ، والى كل الثقافات السابقة ، وينبههم الى أن مثل هـذا الموقف المتعنت والمقفل ازاء كل ما أنجز من فكر من قبل ، والرافض رفضا تاما

له ، هـو موقف لا علاقة له البتة بالثورة الثقافية ، ولا يفيد الثقافة البروليتارية قط ، كما أنه موقف غير جـدلى ، ومن ثم غير علمى ، من حيث أنه لم ير من الثقافات السابقة الا ما كان سائدا منها ، ثقافة الطبقات المستغلة المسيطرة ، ولم يمتد بصره ليرى ما خلف الأكمة ، ليرى ثقافة الطبقات الشعبية المسحوقة ، التى لا محيص من التفتيش عنهـا تحت أتربة وركام الثقافات الارستقراطية المتحكمة ، والتى كثيرا ما شوهتها هـذه الثقافات ، أو اخضعتها لهـا •

أما قال ماركس وانجلز ــ قبل لينين ــ فهو : « ان أفكار الطبقة الحاكمة هى ، فى كل عصر من العصور ، الأفكار السائدة ، والطبقـة التى تتصرف بوسائل الانتاج المـادى ، تتصرف فى الوقت نفسه ، وبالتالى ، بوسـائل الانتاج الفكرى ، حتى أنه تخضع لهـا فى الوقت نفسه ، وبصورة وسطية ، أفكار أولئك الذين هم محرومون من وسائل التعبير الفكرى • ان الأفكار السائدة ليست الا التعبير الفكرى عـن الشروط المـادية السائدة » (ف• كونستانتينوف • دور الأفكار التقدمية فى تطوير المجتمع • (الترجمة العربية) دمشق ١٩٧٤ ، ص ٦٢ ــ ٦٣) •

ولتبيان مدى خطـأ النظرة العـدمية الى التراث أوضح لينين فى مقاله الشهير الذى كتبه فى مارس ١٩١٣ بعنوان (مصادر المـاركسية الثلاثة والأقسام المكونة لهـا) أنه حتى المـاركسية نفسها ، انمـا هى تتمة وتتويج « لنظريات الممثلين الأكثر أصالة للفلسفة ، والاقتصاد السياسى ، والاشتراكية » • وان « نظرية ماركس » انما « هى الوريث الشرعى لأفضل ما انجبته البشرية فى القرن التاسع عشر : الفلسـفة الألمـانية ، الاقتصاد السياسى الانكليزى ، والاشتراكية الفرنسية » •

ومن أجل الاجهاز على مفهوم « الثقافة البروليتارية » الخالصة ، والخالية من شوائب الثقافات الأخرى ، والنقية ، والتى ينبغى البدء

فيها من نقطة الصفر ، من أجل الاجهاز على هـذا المفهوم الخيـالى المثالى البرجوازى الصغير الذى كان يروج له قادة ما اسمى « حركة الثقافة البروليتارية » التى تأسست فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩١٧ بقيادة بوجدانوف ، فان لينين صاغ فى ٨ أكتوبر ١٩٢٠ مشروع قرار بمناسبة انعقاد مؤتمر « بروليتكولت » — منظمة الثقافة البروليتارية هـذه — جاء فيه من جملة ما جاء فيه « لقـد اكتسبت المـاركسية أهميتها التاريخية العالمية بوصفها أيديولوجية البروليتاريا الثورية ، لأن المـاركسية لم تطرح جانبا على الاطلاق أثمن مكتسبات العهـد البرجوازى ، بل بالعكس ، استوعبت وأعادت صياغة كل ما كان ذا قيمة فى تطور الفكر البشرى ، والثقافة البشرية خلال أكثر من ألفى سـنة وان العمل اللاحق على هـذا الأساس ، وفى هـذا الاتجاه بالذات ، العمل الذى يستوحى التجربة العملية لديكتاتورية البروليتاريا بوصفها نضال البروليتاريا الأخير ضـد كل استثمار ، هـو وحـده الذى يمكن اعتباره تطويرا للثقافة البروليتارية فعلا » .

كما جاء فيه : « ان مؤتمره « بروليتكولت » لعامة روسيا يتمسك بثبات بوجهة النظر المبدئية هـذه ، ويرفض بأحزم وجه جميع المحاولات الرامية الى تلفيق ثقافة متميزة .. » .

كما جاء فى « مسودة قرار عن الثقافة البروليتارية » الذى صاغه لينين فى اليوم التالى باسم المؤتمر والذى رفض فيه كل محاولة لاستنباط ثقـافة خاصة من العـدم للبروليتاريا جاء فيه : « لا اختلاق ثقـافة بروليتارية جـديدة ، بل تطوير خيرة نماذج وتقاليد ونتائج الثقـافة الموجودة من وجهة نظر المـاركسية عن العالم وظروف حياة ونضـال البروليتاريا فى عهد ديكتاتوريتها » . (لينين ، فى الثقافة والثـورة الثقافية . ص ٤٦ — ٤٩) .

وفى حــديثه الى الشباب الشيوعيين الــذى أجراه عام ١٩٢٠ أيضا ، وأكد فيه أنه ما كان ممكنا أن يحــدد ماركس الأسس النظرية للثورة الثقافية ، لو لم يكن مستوعبا « كل ما انتجه العلم القــديم » ولو لم يقرأه « بفــكر نقــدى » قال موضــحا علاقة التراث بالثقــافة البروليتارية : « يجب أن نفكر ، عندما نتكلم عن الثقافة البروليتارية بكل هــذا • لم يكن بوسعنا أن نحل هــذه المسألة ، لو لم نكن مستوعبين تماما للثقافة التى انتجتها الانسانية عبر العصور ، ولدور هذه الثقافة الأساسى فى مساعدتنا على خلق الثقافة البروليتارية • لا تنبثق الثقافة البروليتارية من مكان مجهول •

وهى ليست اختراع أشخاص أخصائيين فى الموضوع • هــكذا قول ، هــو حماقة ليس الا • يجب على الثقافة البروليتارية أن تكون التطوير المنطقى لمجموع المعارف التى راكمتها الانسانية تحت نير المجتمع الرأسمالى ، والملاكين العقاريين ، والبيروقراطيين • أن كل هــذه الطرق والمسالك قــد قادت وستقود الى الثقافة البروليتارية ، تماما ، كما أن الاقتصــاد السياسى الذى أعــاد ماركس التفكير فيه ، قــد بين لنــا مصير المجتمع الانسانى ، وعين لنــا الانتقال الى الصراع الطبقى ، فى بداية الثورة البروليتارية » •

وينبه لينين الشــــباب الشيوعى الى أنه لا يستطيع أن يجــدد عالمه ، ويعيد صياغته بمجرد « الاكتفاء بالاستنتاجات الشيوعية ، وتعلم الشعارات الشيوعية فحسب • ليست هــذه هى الطريقة لبناء الشيوعية • ولا يمكن للمرء أن يكون شيوعيا ، الا اذا أغنى ذاكرته بكل المعارف التى خلفتها البشرية » • (جاك ميلو ، ميشيل سيمون ، غى بس • لينين ، الفلسفة والثقافة ، بيروت ، (الترجمة العربية) ١٩٧١ • ص ١٤٦ — ١٤٨) •

فى ضوء هـذه القانونية التاريخية العامة المتعلقة بالتراث عموما ، والتى بسطتها أمامنا بوضوح كامل المـاركسية ـ اللينينية ، كما يتضح ذلك من النصوص السابقة ـ ترى أى نوع من التراث ينبغى علينـا التنقيب عنه واستحضاره ، ووضعه فى مكانه من عمليـة التجـديد الديمقراطى لحياة شعبنا ووطننا اليمنى ؟

اذا أخـذنا مفهوم التراث بشقيه : المـادى ، والفكرى ، فان بامكاننا أن ننظر باعتزاز كبير الى ما صنعته أيدى الجماهير اليمنيـه الحاذقة من منشآت تكنيكية • ومآثر حضارية عالية التطـور بمقياس زمانها ، والتى تأتى السدود ، وعلى رأسها سد مأرب ،أحـد عجائب هذا العصر ، فى الصـدارة منها •

حقا أن المجتمع اليمنى فى هـذا التاريخ القـديم كان مجتمعـا شبه عبودى ، فان الذين كانوا يهيمنون على هـذه المنجزات ، ويتمتعون بثمارها ، ويتخـذون منها أدوات قـوة لمواقعهم الطبقية الحاكمـة والمتحكمة ، هم السادة من الأقيال ، والأقيان ، والأذواء ، والكبراء ، وفى مقـدمتهم الملوك التبابعة •

غير أن هـذه الحقيقـة التاريخية لا تنفى أن الأيدى المـاهرة الحاذقة العاملة التى حملت العبء الأساسى فى صنع هـذه الحضارة اليمنية المبكرة ، بكل انجازاتها المتنوعة هى أيدى الشعب ، أيدى القوى العاملة والمنتجة فيه وليست أيدى السادة القابعين على عروشهم ، ولا أيدى رجالات « المزود » ـ مجالس الشورى ـ التى لم تكن تضم سوى علية القوم من رؤساء القبائل ، وأصحاب الأراضى ، والكهنة ، وغيرهم من السادة النبلاء •

واذا تركنا جانبا الدور الذى نهضت به اليمن فى انجاح الدعوة

والحركة الاسلامية التى انطوت على بعـد قومى فى مواجهة التسلط البيزنطى والفارسى ، وبعـد اجتماعى فى مواجهة الاستغلال التجارى لبعض البيوت الكبيرة القرشية فى مكة ، ودورها فى اقامة الامبراطورية العربية الاسلامية ، هـذا الدور الذى امتزج فيه الشعور بالغبطـة والبهجة لنهوض اليمنيين بقسط وافر فى اعلاء الراية الاسلامية ، وفى الانتصار للدعـوة المحمدية ، بالشعور بالغبن والاحباط ، لان الذين أسهموا بهـذا النصيب الضخم ، لم يحصلوا على المكانة السياسية الملائمة واللائقة فى ظـل الخلافة الاسلامية ، أقول اذا تركنا هـذا الدور جانبا ، فاننا سنجد أن اليمنيين شـاركوا فى كل الحركات السياسية المعارضة التى قامت فى وجه الخلفاء وخاصة منذ الخليفة الرابع عثمان بن عفان ، الى آخر خليفة أموى ، ومن أول خليفة عباسى أسهموا فى مبدأ الأمر فى اقامة حكمه ، الى أقوى خليفة عباسى عرفه العصر الذهبى العباسى ، وهـو المـأمون ، كما شاركوا فى قيادة المعارضة الشيعية ، سـواء ضـد الخلافة الأموية ، أو العباسية ، وسـواء فى شتى أصقاع العالم العربى — الاسلامى ، أو فى اليمن ذاتها .

وكما كانت اليمن مكتبة للفكر المعتزلى العقلانى — بعـد أن طاردته الخلافة العباسية ، بعـد عصر المـأمون — فأنها كانت منطلقا لواحدة من أكثر الحركات الاجتماعية ديمقراطية فى التاريخ الاسلامى كله ، الا وهى الحركة القرمطية التى تمكنت حتى من تأسيس دولة لهـا فيها دامت حوالى عقـدين من الزمن ، قبل أن تأتى عليها سيوف قـوى الاقطاع التى أحاطت بها من كل مكان فى اليمن .

واربما كانت المآثر التاريخية التى حققها الشعب اليمنى فى مواجهة حملات الاضطهاد القومى التى قادتها الخلافة الاقطاعية العثمانية — التى حلت محل الخلافة العباسية — منذ مطلع القرن السادس عشر والى

القرن العشرين ضـد اليمن والعرب جميعا — ربما كانت هـذه المآثر التاريخية ليس مبعث فخر اليمن واليمنيين فحسب ، وانما أيضا مبعث فخر جميع العرب •

حقا لم تخلف اليمن — على المستوى الفكرى — مآثر باقية بذات الحجم ، حيث ظلت فى هـذا الميدان متخلفة عن مراكز دولة الخلافة ، وحيث أفقـدتها الفتن الداخلية بين أئمتها وامرائها ، وصراعاتهم اللاهبة على السلطة ، والحروب الخارجية التى شنت عليها : افقدتها الاستقرار ، وحرمت مفكريها من الفرص اللازمة للاسهام بالقسط المطلوب فى ميدان الابداع الفكرى ، والثقافى •

وكانعكاس للبنية الاقتصادية — الاجتماعية ذات الطابع شبه الاقطاعى شبه القبلى ، فأن الثقافة التى كانت سائدة خلال هـذه الحقبة التاريخية الطويلة التى امتدت منذ صـدر الاسلام الى القرن العشرين كانت ثقافة القوى الاقطاعية القبلية ، بكل نزاعاتها واحنهـا ، وكل افرازاتها المذهبية ، وكل أشكالها الطائفية ، والعرقية ، التى كانت تعبر — فى الواقع ، وان فى تلاوين محرفة — عن صراعاتها على السـلطة السياسـية •

واذا كان من حق المؤرخين أن يحققوا ويمحصوا أحـداث هـذه الحقبة التاريخية المـديدة ، بكل انعكاساتها ، وافرازاتها ، فانه لا يهم الباحث فى التراث والباحث عمـا يفيد منـه حركة النهـوض الوطنى والاجتماعى اليمنية الحـديثة ؛ سوى تلك الجوانب الايجابية والمضيئة المعبرة — على المستوى الفكرى — عن العقـلانية ، والمعبرة — على المستوى الاجتماعى — عن التطلع الى العـدالة •

وبتصفح التراث اليمنى خلال هـذه الحقبة سيعثر الباحث على صفحات كثيرة تعكس النزعة العقلانية ، وروح التطلع الى العـدالة •

ولأننا لسنا هنا فى مضمار تتبع هـذه الصفحات ، فاننا نكتفى بايراد مثل واحـد فقط ، يعبر عن الرفض لشريعة الجـور الاجتماعى التى كان يطبقها الأئمة على الشعب ، ويستنزفون بها خيراته .

يقول محمد بن اسماعيل الأمير — احـد علماء الدين — والذى عاش ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، فى هـذا الصـدد :

انى ومن بيت الامـام عصابة فى العـد قـد زادوا على الآلاف
مسترزقون من الرعـايا ليتهم قنعوا بأكل فرائض الأصـناف
بل يأخـذون من الرعـايا كل ما يحـوونه كرهاً بـلا استنكاف

[ابن الأمير وعصره . مجموعة مؤلفين يمنيين . ص ١٥] .

وفى مضمار دفاعه عن وطنه الذى كان قد بدأ الوهابيون النجديون بقيادة السلطان عبد العزيز بن محمد بن سعود فى انتهاكه ، ورفضـه لدعوة محمد بن عبد الوهاب الدينية المتطرفة ، التى تبنتها أسرة آل سعود ، وأخـذت تتوسع تحت ستارها ، فى مضمار ذلك يقول :

وقد جاء من تأليفـه برسائل يكفر أهل الأرض فيها على عمـد
ولفق فى تكفيرهم كل حجـة تراها كبيت العنكبوت لدى النقد

[محمد يحيى الحـداد . تاريخ اليمن السياسى . القـاهرة . ١٩٧٦ . ص ٣٤٠] .

وباستثناء ما يمكن العثور عليه من أفكار اصلاحية عامة فى الأطار الاسلامى فى « مجلة الحكمة اليمانية » التى أصدرتها مجموعة من المثقفين الدينيين بتشجيع من نجل الامام يحيى حميد الدين ، السيف عبد الله ، ما بين ديسمبر ١٩٣٨ — فبراير ١٩٤١ ومن أفكار اصلاحية فى هـذا

الاطار ، وفى اطار ليبرالى غربى لدى حركة المعارضة التى قامت ضـــد حكم الامام يحيى ونجله الامام احمد ، والتى اشتهرت باسم حركة الأحرار اليمنيين ، واستمرت قائمه منذ نهاية الحرب العالمية الثانيه الى حين قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ التى قادتها مجموعة من انضباط ، بدعم من البورجوازيه الوسطى التجارية ، وتأييـــد كامل من مصر الناصرية ، أقول باستثناء ذلك كله ، فأننا لا نعثر لا فى مجلة « الحكمة » ولا فى كتابات حركة الأحرار على تراث ذى طابع وطنى ديمقراطى ، يمكن الافادة منه فى مجال اعادة صياغة الثقافة اليمنية الحـديثة .

ان السبب فى ذلك يعود الى أن هـذا التيار التقليدى لم يتطور ليصبح حركة وطنية مناهضة للاستعمار البريطانى فى جنوب البلاد ، ولسياسة التوسع السعودى فى شمالها ، ولم ينم ليصبح حركة تجديديه تستهدف الاطاحة بالنظام الاقطاعى ــ القبلى ــ الكهنوتى من أساسه ، وظل عند حـدوده المتواضعة ، حـدود ادخال اصلاحات وتحسينات على النظام القائم ذاته ، بما يسمح للطبقة الاقطاعية بمجملها ، وللفئة الكومبرادورية الناشئة ، من الاسهام فى ادارة دفة الحكم .

وعندما رفعت حركة الأحرار شعار الجمهورية منذ عام ١٩٥٦ ، بشكل خجول ومتردد ومتقطع ، فأنهـا لم تقصـــد بها الجمهورية البرجوازية الديمقراطية ، ولذلك فأنها رشحت لرئاستها عـام ١٩٥٩ شيخا اقطاعيا كبيرا ، هـو الشيخ حسين بن ناصر الأحمر ، على أن ينوب عنه فى ادارتها ــ فى حالة قيامها ــ أحـد رجالات الكهنـوت المعبرين ــ بطبيعة تفكيرهم ــ عن مصالح وأيديولوجية القـــوى الاقطاعيـــة .

وكما لم يترك الاقطاع اليمنى ــ بشقيه الحاكم والمعارض ــ سوى

ثقافة صفراء متخلفة . فإن البرجوازية اليمنية ، التي كانت طفيلية أساسا من حيث أنها لم تكن منتجة ، لم تخلف سوى العقم والأجداب ، ولم تدع لغير تبني الثقافة الاستعمارية ، تعبيرا عن خوائها وذيليتها .

ان جميع الأحزاب البرجوازية ، ابتداء من الجمعية العدنية ، وما تفرع منها من أحزاب ، مرورا برابطة أبناء الجنوب العربي ، وحزب الشعب الاشتراكي ، وانتهاء بحزب الأحرار اليمنيين الذي مثل — شأن الرابطة — مصالح الاقطاع والبرجوازية معا — هي التعبير السياسي والفكري البائس عن هذا الواقع المجدب العقيم .

فقط مع نمو الطبقة العاملة اليمنية ، وظهورها على المسرح السياسي منذ منتصف الخمسينيات ، وبروز الأحزاب والتجمعات الوطنية التي عبرت في أغلب الأمر عن فئات البرجوازية الصغيرة ، والشرائح الدنيا من البرجوازية الوسطى ، أخذت تبرز شعارات وتطرح أفكار ذات طابع وطني ديمقراطي ، وان تفاوت حظها من حيث الوضوح والعمق والشمول .

ان أبرز هذه الأحزاب والتجمعات التي أخذت في الظهور منذ نهاية الخمسينيات حركة القوميين العرب ، التيار الناصري ، حزب البعث ، الذي كان يصطرع فيه تياران : يميني يراهن على الجماعات الاصلاحية الانتهازية البرجوازية في جنوب الوطن ، وعلى الجناح الاقطاعي — الاصلاحي — الانتهازي في شماله ، ويساري يطمح الى التعاون مع أطراف الحركة الوطنية اليمنية .

على أن التجمع الماركسي الذي أخذ يتكون منذ منتصف الخمسينيات ، والذي غدا تنظيما علنيا منذ عام ١٩٦١ ، وان لم يعتبر نفسه حزبا شيوعيا ، وانما تجمعا وطنيا ديمقراطيا ، ومن هنا تسمية

نفسه بـ « الاتحاد الشعبى الديمقراطى » قد طرح اكثر الشعارات السياسية وضوحا ، وقدم أكثر الأفكار الوطنية والاجتماعية ، والديمقراطية ، والتقدمية ، تبلورا .

ان المحصلة الثقافية للنشاط السياسى والفكرى ، والأدبى ، والصحفى ، لهذا التجمع منذ منتصف الخمسينيات ، وان « الميثاق الوطنى » الذى جاء تتويجا لهذا النشاط ، تضع هذه الطليعة الماركسية المبكرة بقيادة عبد الله باذيب — ودون منازع — فى مكان الصدارة من التراث الثقافى الوطنى .

ان مجمل التراث السياسى والفكرى الذى خلفته لنا أطراف الحركة الوطنية اليمنية ومجمل النضالات التى خاضتها قد مهدت لقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، ولانفجار وليدها الحى ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ .

على أن هذا التراث الثقافى الثورى ما كان بامكانه أن يتحول الى مستوى أن يكون ثورة ثقافية ، ذلك أن مثل هذه الثورة لا تتحقق قبل قيام الثورة السياسية والاجتماعية التى تغير البنيان التحتى للمجتمع ، وتعيد صياغة العلاقات الانتاجية والاجتماعيه فيه .

ولكن هذه الثورة الوطنية الاجتماعية لم تشمل الوطن كله ، ومن ثم فان الثورة الثقافية قد تعثرت فيه .

فالثورة العسكرية والسياسية التى قامت فى شمال الوطن لم تستطع — نتيجة سيادة الفكر الاصلاحى ، ونقص الفكر الثورى ، ونتيجة قوة وخشونة الوضع الاقطاعى — القبلى ، وضعف وعجز البرجوازية الوسطى والصغيرة ، المدنية والعسكرية — لم تستطع أن تنمو وتتحول الى ثورة اجتماعية تخلع الطبقة الاقطاعية من جذورها ،

ودخلت — بدلا من ذلك — فى مصالحات ومساومات معها ، انتهت الى اجهاض الثورة العسكرية والسياسية ذاتها ، والى استيلاء الاقطـاع والكومبرادور على السلطة فى ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، وفتح شمال الوطـن للنفوذ الرجعى والاستعمارى ، وفى مقـدمته النفوذ الرجعى السعودى ، والامبريالى الأمريكى .

ان هـذه الردة التى ما يزال يعيشها شمال الوطن الى اليوم لم تسمح حتى بشيوع تلك الثقافة الثورية التى كانت أطراف الحركة الوطنية اليمنية قـد بدأت فى بثها قبل قيام ثورة سبتمبر .

وبدلا من هـذه الثقافة الثورية ، وبدلا من تنميتها وتعميقها ، ظهرت الى العلن من جـديد الثقافة الاقطاعية المتخلفة والمفظة ، بكل افرازاتها المريضة والموبؤة ، كما ظهرت من جديد الثقافة الأوتوقراطية ، التى تقوم على تقـديس وتمجيد الفرد ، وبالذات الفرد الحاكم ، وعلى التطبيل والتزمير له ، وعلى النفاق الذى لا حـد لـه فى نفس الوقت الذى أخـذت تشيع فيه الثقافة الليبرالية البرجوازية ، بكل قيمهـا النفعية ، والبراجماتية ، والمصلحية ، والأنانية ، وبكل تفسخها وتحللها وفسادها ، ناهيك عن انتشار الأساليب الدعائية للحكم على مستوى أجهزة الاعلام ، والمفرطة فى ديماجوجيتها وفى تخريبها وتزيينها للوعى الوطنى والاجتماعى .

ان العكس من ذلك هـو ما حـدث فى جنوب الوطن فالثـورة المسلحة التى انطلقت شراراتها فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ ضـد المستعمر البريطانى وضـد صنائعه وركائزه من السلاطين والأمراء الاقطاعيين قـد صهرت فى أتونها قوى الثورة ، وأنضجتها . وكما بلورت قسمات قـوى التقـدم فيها ، فانهـا كشفت ملامـح العناصر البرجوازية الوسطية المتخلفة بين صفوفها .

وكان لابد أن تكلل الثورة المسلحة بطرد المستعمر البريطانى ، بعد إحتلال دام أكثر من قرن وربع قرن . كما كان لابد ان تتعمق الثقافة الثورية بعد نيل الاستقلال فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، وأن تقصى العناصر البرجوازية الوسطية المتخلفة التى أمسكت بالسلطة غداة الاستقلال ، وان تتفجر الثورة السياسيه والاجتماعيه فور اقصاء هذه العناصر بحركة ٢٢ يونيو التصحيحيه عام ١٩٦٩ التى قادها الجناح التقدمى فى الجبهة القومية ، ولقى فيها كامل الدعم من انفصائل الديمقراطية الأخرى .

على أنه ما لبث أن حدثت مفارقة غريبة . فبينما أمكن تغيير البنية الاقتصادية — الاجتماعية ، بكل أشكالها الاقطاعية ، وشبه الاقطاعية ، والكومبرادورية ، والاستعمارية ، وتحرير الاقتصاد الوطنى ، والمضى على طريق التقدم الاجتماعى ، والتطور الاقتصادى . أخذت تظهر منذ مطلع السبعينيات مخاطر تيار يسارى طفولى مغامر تمتزج فيه ملامح المشاعية البطريركية البدائية ، بملامح « شيوعية الثكنات » التى لا تقل بدائية وفظاظة عن المشاعيه البطريركية ، والتى تقوم على مصادرة حتى الملكيات الصغيرة ، الفلاحية ، والحرفية ، وفرض التعاونيات فرضا ، وعلى المساواة فى التقشف . وعلى الديكتاتورية الفردية ، وحب الزعامة الذى يبلغ حد رفض كل شكل من اشكال الديمقراطية الحزبية والجماعية ، وعلى التطرف ، والعفوية ، والانفعال فى كل تصرف ، وكل اجراء ، وعلى احتقار التاريخ ، والتراث ، والثقافة ، وعلى الانعزال عن الهموم الوطنية ، والقومية ، والانسانية ، والانكفاء على النفس ، وعبادة الذات .

وتأثرا بالثورة الثقافية الصادية التى كانت المثال النموذجى لهذا التيار اليسارى الطفولى المغامر ، دعا هذا التيار الى نوع من الثورة الثقافية التى كانت تهدف أول ما تهدف الى تحطيم المثقفين الثوريين

قبل غيرهم ، والى اشاعة الجهل ، والفوضى والخشونة ، والارهاب ، والذعر ، فى صفوف الشعب ، وفى صفوف قواه التقــدمية .

ان أحــداث الأيام السبعة العجــاف التى امتحن بهــا التنظيم السياسى ، الجبهة القومية . وامتحن بها معه الجميع ، خلال شـــهر أغسطس ١٩٧٢ ، هى مجرد رمز لهــذا النمط من التفــكير اليسارى المغــوى الفوضــوى .

على أن التنظيم السياسى ، ومعــه كل فصــائل وعناصر الحركة الوطنية والتقــدمية اليمنية تمكن فى آخر الأمر من محاصرة هــذا التيار المغامر ، ومن ثم من التغلب عليه وعلى محاولته الانقــلابية الطائشة فى ٢٦ يونيو ١٩٧٨ ، ومن وضع حــد نهائى للانتهازية اليسارية من أساسها ، وان لم يقض على تركتها ونهجها تماما .

وبذلك « فتح » المجال ليس فقط لاشاعة الديمقراطية الحزبية فى التنظيم ، والديمقراطية السياسية فى صفوف الشعب ، وانما أيضا لتحويل التنظيم ذاته من تنظيم ديمقراطى ثورى ، الى حزب طليعى من طراز جــديد ، حزب يحتضن قضية الوطن بمجملها ، فى نفس الوقت الذى يحتضن فيه القضية القومية ، والقضية الأممية ، حزب طبقى جماهيرى ، حزب اشتراكى يمنى ، يقود مسيرة الثورة اليمنية المعاصرة بكل أبعادها ، الوطنية ، والاجتماعية ، والثقافية ، وبكل آفاقها القومية التقــدمية والانسانية الأممية .

وأيا كانت الأزمات التى تعرض لهــا هــذا الحزب والتى شرع الآن فى ستخلاص العبر والدروس منها ، وفى تقــديم المعالجــات الصائبة لها ، وفى البحث عن مخارج أوسع لحل أزمة العمــــل الوطنى الديمقراطى عموما ، فأنه لا محيص من تبيان الأهمية التاريخية لقيامه .

فبقيام الحزب الاشتراكى اليمنى ، الذى انبثق مع انعقاد مؤتمره الأول خلال الفترة ما بين ١١ — ١٣ اكتوبر ١٩٧٨ بدأت مرحلة تاريخية جـــديدة فى مضمار العمل السياسى .

وبقيامه « فتح » الطريق — لأول مرة — نصهر وصـــياغة الأداة القيادية الواحـــدة للثورة اليمنية المعاصرة ، بكل آهـــدافها الراهنـــة والمستقبلية ، وكل مهامها المرحلية ، والتاريخية وبكل أعماقها الوطنيـــة الديمقراطية ، والديمقراطية الاشتراكية .

وبقيامه وجـــد الاطار التنظيمى الذى لا تتشكل وتترصن وتتوحد فيه الطلائع الاشتراكية اليمنية فحسب ، وانما تتوحـــد وتتبلور وتنضج وتكتمل فيه رؤيتها الوطنية — الاجتماعية — الديمقراطية — الاشتراكية — الأممية الواحـــدة ، وتتجسد وتتأكد فيـــه هـــذه الرؤية سياسيا وتنظيميا ونضاليا .

وبقيامه قام جسر العبور الوطنى للانتقال باليمن من وهدة الانفصال والانعزال والتجزئة والتفتت التى أسقطتها فيها القـــوى الاستعمارية والاقطاعية الى مستوى التوحـــد الوطنى ، واعـــادة نسج الشخصية الوطنية اليمنية الحـــديثة المتكاملة السوية ، وقيـــام دولتهـــا المركزية الموحدة ، الوطنية الديمقراطية ، ومن ثم الديمقراطية الاشتراكية .

وبقيامه لم تتثبت وتترسخ السلطة الثورية والنظام الديمقراطى التقـــدمى فى جنوب الوطن اليمنى فقط ، وانما مضت به وتحت قيادته أيضا ثورة التحرر والتوحـــد الوطنى وعملية التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى وبزغت بشائر الثورة الثقافية المنشودة .

وبقيامه وجـــدت الأداة الطليعيـــة المنظمـــة التى تتحسس اتجاه حركة التاريخ عموما ، وتتعرف على قوانينها الموضوعية العـــامة

المسيرة لهـــا ، كما تتحسس فى ضوئها اتجاه حركة التاريخ فى وطنهـــا ، ولتتعرف على قوانينها الموضوعية الخاصة المحركة لهـــا ، وتعمل على السيطرة عليها ، وعلى ترشيد حركة التطور ، والتعجيل بعملية التجديد الديمقراطى والثورى لمجتمعها على هـــداها •

وبقيام الحزب الاشتراكى اليمنى وتحت قيـــادته أخـــذت تدخل اليمن — موضوعيا — فيما يمـــكن تسميته عصر الصـــــحوة الوطنية والاجتماعية والتاريخية والفكرية التى تتيح لهـــا ليس فقط اعـــادة كتابة تاريخها كتابة علمية موضوعية وفق منهج المـــادية التاريخية ، وليس فحسب بعث تراثها ، وغربلته غربلة شـــديدة صارمة فى ضـــوء ذات المنهج ، وانتباذ الرجعى منه ، ودفنه دفنا ، والاحتفاظ بالديمقراطى منه ، واحيائه احياء ، وانما تتيح لهـــا أيضا تمثل واستيعاب الثقافة العربية والعالمية التقـــدمية ، بل وتتيح لهـــا اغناءها بتجربتها الثورية الخاصـــــة •

والحـــزب الاشتراكى اليمنى ، الذى يعتبر أول حـــزب طليعى اشتراكى علمى حاكم فى المنطقة العربية كلها ، يمثل بكل ولكل ما سبق أول تجربة ثورية رائدة فى الوطن العربى ، وهى تجربة وان كانت حتى الآن خاصة من خصائص الثورة اليمنية ، الا أنها قابلة للتعميم ، ولـــو فى أشكال مختلفة ، بالنسبة للوطن القومى الأكبر ، وخاصـــــة بالنسبة للأقطار العربية المتقـــدمة فيه ، وهى من ثم تجربة ثورية ملهمة بكل مقياس من المقاييس •

وهـــو بكل ولكل ما سبق أيضا يجمع فى ذاته الخاص ، والعـــام معا : الخاص الوطنى ، والعام الأممى ، ويوحـــدهما فى وحـــدة عضوية ثورية هرمونية متنامية متعاظمة •

ولا يغير من هـذه الحقيقة ما حـدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ . بل ان قـدرة الحزب على تجاوز الكارثة ، وعلى المضى بالمسيرة الثـورية الديمقراطية بتوجهها الاشتراكى الى الأمام هـو شهادة له ، وشهادة أيضا على أنه وجـد ليبقى ، وليظل ممسكا بزمام المبادرة التاريخية ، وليدفع باليمن فى اتجاه تحقيق أهـداف الثورة اليمنية فى التحـرر الوطنى الكامل ، والتقـدم الاجتماعى الشـامل ، والوحـدة اليمنية الديمقراطية ، والاشتراكية .

وما من شك فى أن حركات التحرر الوطنية الديمقراطية ــ ولا سيما فى الوطن العربى ــ ستجد فى هذا التراث الثقافى والسياسى الديمقراطى ما هـو عام صالح للافادة منه والاضافة اليه .

ولا يتناقض مع هـذا الموقـع التاريخى والسـياسى المتميز الحزب الاشتراكى اليمنى أن يكون سباقا الى اطـلاق شعار الحريات الديمقراطية لكل قوى المرحلة التاريخية الوطنية والقومية والديمقراطية والاشتراكية ، والى السماح لها بتشكيل أحزابهـا المستقلة ، والى دعوتها الى الدخول فى تحالف حر ، سواء على مستوى كل من شطرى اليمن أو على النطاق اليمنى كله ، يحتل فيه موقعه اللائق به .

ان عملا كهذا من شأنه ان يوحـد كل قوى التجـديد والبعث والتقـدم فى اليمن ، وان يوجـد جبهة وطنية ديمقراطية عريضة تكون الدعامة الأساسية لقيام اليمن الديمقراطى الموحـد ، وان يؤسس لـه مكانا طليعيا فيها ، وأن يكسبه الجماهيرية التى كانت للجبهة القـومية أثناء حرب التحرير ضـد المستعمر ، وأن يبلور مكانته العربية والعالمية ، ويجعل منه تجربة جـديرة بالتأمل والتمثل والاحتذاء فى بلدان التوجه الاشتراكى .

اليمـن الديمقراطية فى مرحلة البنـاء واعـادة البنـاء الديمقراطى فى ضـــوء « البيريسترويكا »(*)

اثارت حركة التجـديد الثورى الديمقراطى الاشتراكى الواسعة النطاق فى الاتحاد السوفيتى والتى دخلت التاريخ باسم اعادة البناء أو (البيريسترويكا) وما زالت تثير جـدلا غير مسبوق ولا معهود فى عالمنا • وكان لابد أن تغمر موجتها عالمنا العربى ، وان يصيبنا — نحن فى اليمن — رشاش منها أو حتى قطرات ، وهـو ما ظهر بالفعل على صـدر صحفنا • وكان لابد أن تتعـدد الآراء حولها — شأن ما هـو حادث بالفعل فى كل مكان ، حتى فى الاتحاد السوفيتى نفسه — •

وكما دشنت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عصرا جـديدا فى تاريخ البشرية ، فان ثورة التغيير واعادة البناء هـذه أكدت مجـددا أن هـذه الثورة ما تزال تمسك بزمام المبادرة التاريخية فى يدها ، وانهـا لا تملك القـدرة فقط على حل تناقضاتها وتجـديد ذاتها ، والانتقال الى مرحلة أعلى أكثر تطـورا ورقيا فى سعيها الدائب والثابت نحـو اقامة المجتمع الشيوعى ، وانما تحرك أيضا سكون العـالم ، وتبعث الحيوية فى جسم الحركة الثورية العالمية ، وتتقـدم الصفوف لحـل

(*) نشرت فى « ١٤ اكتوبر » عـدد ١٢—٧—١٩٨٨ و ١٣—٧—١٩٨٨ و ١٤—٧—١٩٨٨ •

مشاكل العالم الكبرى ، وعلى رأسها مشكلة نزع السلاح واقرار السلام العــــالمى •

ولأن تناول ثورة التغيير واعادة البناء هــذه فى صحافتنا اليمنية لم يكن بذات المستوى والعمق والاهتمام الذى تنولت به فى الصحافة العالمية والعربية فان الفرصة ما تزال متاحة أمام رجالات الفكر والقلم فى اليمن للوقوف أمام هــذه الثــورة بالتــأمل والتحليــل والتقييم واستخلاص الدرس التاريخى منها ، واستنباط ما هــو عام وعالمى وشامل ، ومن ثم صالح لكل الثورات الاشتراكية والثورات السائرة فى طريق التوجــه الاشتراكى •

على أن وقفة متمعنـــة متأملة مستبصرة كهــذه قــد لا تخطبها المقالات السريعة ، ولا الأبحاث الفردية ، وانمــا قــد تتطلب جهــدا منظما فى شكل ندوات علمية جامعية وحزبية وتخصصية •

غير أن أى جهــد أولى وفردى يظــل مطلوبا فى هــذا الصــدد حتى تتاح مثل هــذه الندوات العلمية التى قــد تنظم على مستوى عالمى أو اقليمى أو قطرى •

ولعل شيئا من ذلك قــد بدأ يحــدث منذ الآن ، وهــو ما نلمسه مثلا فى الندوة التى نظمتها مجلة « المستقبل العربى » بعنوان (اشكالية الاشتراكية) ، والتى نشرتها فى عــدد ٧ ــ ١٩٨٨ منها •

واحساسا بالحاجة لأية معالجة ــ ولو أولية وفردية ــ فان صحيفة ١٤ أكتوبر لم تقنع بمــا نشر على صــدر صفحاتها من آراء متباينة حول البيريسترويكا وموقع الثورة اليمنية منها ، وانما طالبت أولى الرأى بالمضى فى الحوار أكثر • ومن هنا دعــوة رئيس تحريرها الزميل محمد

حسين محمد « الى مزيد من الحوارات والنقاشات ، ولكن الهادفة فعلا ، والمستجيبة لمهام المرحلة — مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية — وفق سياسة وتوجــه الحزب الاشتراكى اليمنى وعلى قاعــدة خصوصيات الواقع المعاش » • (صفحة ١٤ أكتوبر ٧ـ٧ـ١٩٨٨ م) •

والمتابع للحوارات التى جرت حتى الآن يلاحظ أن هناك اتفــاقا عاما بين المتحاورين على الأهمية الفائقة لثورة التغيير واعادة البنــاء الجارية فى الاتحاد السوفيتى لا بالنسبة لوطــن الاشتراكية الأول فحسب ، وانما أيضا على النطاق العالمى •

ولعل نقطة الجــدل أو الخلاف تتمثل فى مدى عــلاقتنا بذلك • ومدى قربنا أو بعــدنا من هــذه الثورة ، ثورة التصحيح والتجــذير والتطوير لمثل الاشتراكية ، بعــد أن لحق بالاشتراكية — عمليا — عبر فترة ستالين وبريجنيف ما لحق بها من تشويه أو تسطيح أو تأليــه أو ركود أو بيروقراطية أو حتى انحراف أو اجرام أو امتهان لانســانية الانســـــان ؟

ولذلك طرح السؤال الطبيعى نفسه عما اذا كنا قــد بنينا فعلا ، حتى نقوم باعادة البناء من جــديد ، تصحيحا وتقويما لــا يمكن أن يكون قــد حــدث خلال عملية البناء من خروج على مبادىء ومثــل الثورة الوطنية الديمقراطية بتوجهها الاشتراكى وعما اذا كان هناك ما يمكن الافادة منــه فى هــذا المضمار من عمليــة التصحيح والتقويم الجارية فى الاتحاد السوفيتى ؟

ومما كتب يتضح أن هناك رأيين : رأى يقول اننا ما نزال فى مرحلة البناء ، وان تلقف شعارات الانعطافة التاريخية التى تجرى فى الاتحاد

السوفيتي هـو نوع من النقل الميكانيكي ، أو التعامل العاطفي مع هـذه الشعارات التي لا يستوعبها واقعنا الخاص والمعقد والذي لم يضـع قـدمه حتى على أولى درجات السلم الاشتراكي ، حيث ما يزال يتعثر في طريق الثورة الوطنية الديمقراطية الصعب الذي اختاره .

ورأي آخر يميل الى القول بأنه من الممكن الافادة ممـا يجري في الاتحاد السوفيتي . حتى ولو كنا ما نزال نمر بمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وأنه « في سبيل تلافي اخفاقاتنا وتجاوز سلبياتنا ووضـع أسس متينة لبناء حاضرنا ومستقبلنا فانه لا ضير من اطلاق أية تسميات متواضعة أقـل من اعادة البناء ، المهم جوهر الأمور ، وليست التسميات أو المصطلحات » ـــ كما جاء في مقال الزميل محمد حسين الآنف الذكر ـــ .

وعندما عـدت الى بعض ما كتبت بعـد أحـداث ١٣ ينـاير ١٩٨٦ م المـأساوية ، في محاولة للاجابة على سؤال : كيف أمكن أن يحـدث شيء كهـذا في حزب كهـذا ؟ وكيف جاز اللجوء الى الأسلوب التآمري في حل قضايا الخلاف في حزب يتبنى أيديولوجية الطبقـة العاملة ، وجـدتني أستنجد بماركس وانجـلز ولينين في تفسير ما حـدث ، واستعين بمـا حـدث في الاتحاد السوفيتي خـلال فترة ستالين ، وأتوقف في هـذا الصـدد عند ثورة التقـويم والتصحيح والتغيير التي يقودها جورباتشوف .

ولربما كانت المقالتان المطولتان اللتان نشرتهما مجلة قضايا العصر في عـدد مايو ويونيو ١٩٨٧ م بعنوان « ثورة ١٤ أكتوبر ليست حركة القرامطة ولا كومونة باريس » ، و « نظرة على تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية وافاقها المستقبلية » يجسدان واحـدا من الأمثلة على ذلك .

وكان رأيي أن عـدم التقيد بـ « الديمقراطية المستقيمة » ـ حسب

تعبير لينين — هـو أسس الأسس فى حدوث ما حدث • و « الديمقراطية المستقيمة لا تحتمل أى شكل من أشكال العمل السياسى والحزبى الملتوى والتآمرى ، فالجماهير ذات المصلحة فى الثورة الديمقراطية والمتطلعة الى بلوغ الاشتراكية عبر الممارسة الديمقراطية الحزبية والشعبية ووفـق وثائق الحزب ودستور الدولة المقرة والموضوعة من وجهة نظر الاشتراكية العلمية فى غير حاجة الى الممارسة الملتوية والتآمرية ، فذلك ما لا يتفق مع طابعها الشعبى ومصلحتها السياسية ولا يتناغم مع سعيها نحـو الديمقراطية والمزيد من الديمقراطية •

الالتواء فى العمل السياسى هـو دأب قـوى اجتماعية أخرى غير مؤمنة ولا متشبعة بالديمقراطية ، ولا مستعدة لتقبل مفهوم الديمقراطية المستقيمة بكل ما يقود اليه من تحـويل المجتمع والدولة فى اتجـاه الاشتراكية ، وفى اتجاه بناء صرح الديمقراطية الاشتراكية ، أكمل وأرقى شـكل للديمقراطية •

يكفى أن نستحضر هنـا فى مضمار التأكيـد على أهميـة اشاعة الديمقراطية الشعبية بأوسع معانيها فى حياة البلاد تلك الحملة الشاملة التى يقودها الحزب الشيوعى السيوفيتى بقيادة أمينه العام جورباتشوف منذ الاجتماع الكامل للجنـة المركزية للحزب فى أبريل ١٩٨٥ والمؤتمر السابع والعشرين للحزب ، والتى تتخـذ من عملية تعميق الديمقراطية الاشتراكية والتغيير الاجتماعى عنوانا لهـا ، والتى طالت بالنقـد والنقـد الذاتى كل شىء فى المجتمع والدولة والحزب ، واعتبرت انه ليست هناك مناطق محظورة و محرمة أو محايدة لا يمكن الوصـول اليها واخضاعها من جـديد للفحص والمراجعـة والتقييم والتصحيح والتقويم ، بمـا فى ذلك تاريخ الحزب وتاريخ التجربة الاشتراكية » الى اخر ما جاء فى المقال الأخير • ص ١٤٧ •

بل انني أوردت عينات من ملاحظات جوربوتشوف الانتقادية كما أوردت الضمانات التي حددها حتى تمضي عملية التغيير واعادة البناء قدما الى الأمام •

واعتبرت ذلك كله أمثلة ثورية يقدمها حزب لينين لكل أحزاب الطبقة العاملة ، ولا سيما الحاكمة منها ، في مضمار عمليـــة التغيير والتجديد والديمقراطية سواء داخل الحزب أو المجتمع أو الدولة ، وقلت : « على أن اجابات جورباتشوف عن توافر ضمانات الانطلاقة الثورية في الاتحاد السوفيتي تصلح أيضا لجميع البلدان الاشتراكية ، **كما تصلح كذلك لبلدان التوجه الاشتراكي ، ومنها اليمن الديمقراطية ، حتى مع وجود فوارق في مستويات التطور التاريخي بين الاتحاد السوفيتي وهذه البلدان •**

فالمهم في جميع الأحوال هو وجود الحزب الطليعي القائد للعملية الثورية ووحدة عمله ، والتفاف الشعب حوله ، واقامة الديمقراطية الواسعة والعميقة في صفوفه وفي الدولة والمجتمع وضمان الاشراك الكامل للشعب في العملية الثورية ، والانضباط التام والواعي للمبادىء التنظيمية اللينينية في حياة الحزب ، وجعل الجماهير الشعبية شريكا فعالا في الرقابة الاجتماعية الى جانب الرقابة الحزبية العليا ، وممارســة النقد والنقد الذاتي باستمرار ، والتحلي بالاستقامة والنزاهة ، والتجرد والمبدئية عند مباشرة أي مسئولية ، وربط الأقوال بالأفعال ، وقدرة الحزب على تطوير نفسه ، باستمرار وتربية واعادة تربية أعضائه وكوادره وقياداته والابتكار الدائم لوسائل وأشكال العمل الأكثر ملاءمة وفعالية وجدوى ، وامتلاك الروح الخلاقة والمبدعة والمجددة أبدا ، واستشراف المستقبل دائما والتحديد العلمي للطرق العملية الضامنة لبلوغه ••• الخ [ص ١٥٠ — ١٥١] •

ذلك ما هـو عام ومشترك فى البيريسترويكا ، والذى يصـلح من ثم لكل حزب عمالى يبنى تجربة اشتراكية أو يتطلع الى بنائهـا ، سواء كان ينتمى الى عالم الشرق أو الغرب أو الى العالم النامى .

وهـو يكاد يكون كشفا جـديدا لقانون ماركسى — لينينى مستبطن كل التراث النظرى الذى خلفه مؤسسو هـذا الفكر ، والذى كاد يرين عليه الصـدأ خـلال فترة « الاشتراكية التعبوية » لحـكم سـتالين « اشتراكية الثكنة العسكرية » التى حـذر منهـا ماركس ، اشتراكية البيروقراطية المفرطة ، وتركيز كل خيوط السلطة فى يد الزعيم الفرد ، بكل ما يترتب على ذلك من سوء استخدام لهـا يبلغ حـد خرق قوانين الدولة المرعية ، ناهيك عن الخروج على الديمقراطية الاشتراكية ذاتها ، وعلى روح السماحة الانسانية التى تميز الاشتراكى عن غيره ، وهـو ما نبه اليه لينين ، وحـذر بفصيح العبارة من حـدوثه على يد ستالين نفسه : « ان الرفيق ستالين ، الذى أصبح أمينا عاما ، قـد حصر فى يديه سلطة لا حـد لهـا ، وأنا لست على ثقة فى أنه سيعرف على الدوام كيف يستعمل هـذه السلطة بما يكفى من الاحتراس » .

هـذا التنبيه الذى يبلغ حـد دق جرس الانذار الذى اطلقـه لينين فى ٢٥—١٢—١٩٢٢ م كرره بعبارة أقـوى فى ٤—١—١٩٢٣ م : « ان ستالين مفرط فى الفظاظة ، وهـذه النقيصة التى يمكن احتمالهـا تماما فى بيئتنا نحن الشيوعيين وفى الاتصالات فيما بيننا ، تصبح أمرا غير محتمل فى منصب الأمين العام . ولهـذا اقترح على الرفاق أن يفكروا فى أسلوب لنقل ستالين من هـذا المنصب وتعيين شخص آخر لهـذا المنصب ، يمتاز من جميع النواحى الأخرى عن الرفيق ستالين بميزة واحـدة فقط ، هى أن يكون أكثر تسامحا ، وأكثر ولاء ، وأوفر لطفا ، وأشد انتباها للرفاق ، وأقـل تقلبا فى الأهـواء ... الخ » (لينين

المختارات فى ١٠ مجلدات ، المجلد ١٠ دار التقــدم موسكو ١٩٧٨ ، ص ٥٣٠ — ٥٣١ — ٥٣٢) .

لم يكن هــذا المنحى البيروقراطى الفردى المجافى لروح ومنطوق الديمقراطية الاشتراكية بدون مقاومة داخلية من الحزب البلشفى . غير أن النجاحات الهائلة فى بناء الاشتراكية وفى الدفاع عنها ، ولا سيما خلال الحرب العالمية الثانية ، وفى اقامة منظومة اشتراكية عالمية من حول الاتحاد السوفيتى ، جعل من ستالين أسطورة تاريخية بزت أسطوره هتلر ، ولذلك لم يكن فى الامكان التغلب على الجانب الاستبدادى فيــه طيــلة حيــاته .

غير أنه أمكن للحزب عام ١٩٥٦ من خلال المؤتمر العشرين له ان يقف وقفة نقــدية حازمة أمام سلبيات واخطاء الفترة الستالينية ، هذه الوقفة التى ارتبطت بالأمين العام الجــديد للحزب خروشوف . ورغم تغلب الفريق المحافظ بقيادة بريجنيف على الفريق المجــدد ، ممــا فرض فترة ركــــود وبيروقراطية أخرى ، الا أن الحزب تمكن بعــد موت بريجنيف وتحت قيادة أندروبوف من الامساك بزمام المبادرة من جديد ، ومن التحكم فى قيادتها ، ودفعها الى أفق تاريخى جــديد تماما منذ تسلم جورباتشوف دفــة الأمور فى أبريل ١٩٨٥ م .

ان الخطاب السياسى الجــديد الذى يوجهــه حزب لينين ليس مقصورا على الاتحاد السوفيتى ولا على المنظومة الاشتراكية ، ولا على الأحزاب المــاركسية — اللينينية فى العالم ، فهــو خطاب الاشتراكية الى العالم كله ، الى مستقبل البشرية كلها .

والمعنيون به قبل غيرهم هم قوى التحرير والتطــــور والتغيير والديمقراطية والتقــدم والاشتراكية والسلام فى العالم .

أما كيف يترجم على مستوى الشعوب وحركات التجديد والأحزاب والأنظمة الوطنية والديمقراطية والاشتراكية ، فذلك ما يخضع للملابسات الموضوعية الاجتماعية والتاريخية لكل منها على حدة •

واليمن الديمقراطية واحدة من الأنظمة الديمقراطية الثورية ذات التوجه الاشتراكى التى يقود مسيرتها حزب يعتبر نفسه فصيلا فى جيش الثورة العالمية والأممية البروليتارية •

وهى من ثم معنية حتى النخاع بهذا الخطاب • وتكمن قدرتها الابداعية واسهامها الوطنى ومن ثم القومى والأممى ، فى كيفية استخلاص اللباب والجوهر والروح التى تحايثه وتسرى فى أعماقه وتتلبس كل كلمة فيه ، وتحسن تطبيق ذلك كله على ظروفها الموضوعية الخاصة ، بكل قسماتها التراثية والثقافية ، وكل سماتها الاقتصادية والاجتماعية ، بل وبكل الظروف المحيطة بتجربتها المتميزة فى المنطقة ، سواء الظروف الوطنية أو القومية أو الاسلامية •

ان أصالة هذه التجربة الثورية المتفردة والمقدامة تتجلى هنا بالضبط : فى كيفية تمثل واستيعاب وممارسة الخطاب الاشتراكى الأممى على نحو مبدع وفعال ، وبذلك تصبح تجربتها الخاصة هذه جزءا لا يتجزأ من رصيد هذا الخطاب العام •

وذلك ما يبدو أن الحزب قد أدركه جيدا ، بل ان ذلك ما عبرت عنه أيضا « الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ — ١٩٨٦ » وما عبر عنه أيضا تقرير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى الى الكونفرنس الحزبى العام الذى قدمه الرفيق على سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى •

فالروح العامة التى تجرى فى هاتين الوثيقتين اللتين أقرهما كونفرنس الحزب الذى عقد ما بين ٢٠ — ٢١ يونيو ١٩٨٧ كما تنطوى على تقييم نقدى للفترة الماضية ، ولا سيما الفترة الواقعة ما بين نشوء الحزب وأحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ ، فانها تقدم معالجات نظرية وأيديولوجية وسياسية وعملية محددة لتصحيح وتقويم وتجذير وتعميق مسيرة الحزب والدولة والمجتمع ، ومن ثم التجربة الثورية .

بل ان التقرير ينطوى على معالجات نقدية للفترة الواقعة ما بين أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ وانعقاد الكونفرنس ، أى أنه انطوى على نقد ذاتى ، وعلى دعوة للنفس للمسارعة فى اصلاح النفس .

ولعمرى ذلك هــو جوهر ومغزى البيريسترويكا •

أكثر من ذلك فان الوثيقتين الحزبيتين كما تدعــوان الى الانخراط فى عملية البناء للنظام الديمقراطى الثورى ، فانهما تدعوان الى اعادة البناء لهــذا النظام الذى تعرضت مسيرته الثورية الديمقراطية وتعرض حزبه ودولته ومؤسساته الرسمية والمدنية والعسكرية ، ومنظـــومته السياسية ووحــدته الوطنية والشعبية والمجتمعية ، وقيمه ومثله ومجمل المبادىء التى قام على أساسها ، لأضرار وخسائر لا تحتمل ، ناهيك عن الضرر النفسى والروحى الذى أصاب الناس جميعا ، وكاد يفقدهم الثقــة فى سلامة المسيرة الثورية من أساسها •

ولا حاجة للحــديث عن الأضرار التى أصابت مكانة وسمعة التجربة الثورية على النطاق الوطنى والقومى والعالمى •

أليس ذلك كله فى حاجة الى « اعادة البناء » قــد تغــوص حتى الجــذور والأعماق والى اعادة نظر فى كثير من الأساليب والوســائل والأشكال التى أثبتت التجربة المــأساوية ان استمرارها كفيل بتعطيل آلية التجربة الثورية من أساسها واصابتها بالعطب والهلاك ؟ •

أليس ذلك هو ما تنبه اليه الوثيقتان الحزبيتان اللتان لخصتا خبرة الحزب التى استخلصها من قلب المأساة ومن عمق أعماق التجربة كلها منذ الاستقلال وحتى لحظة اقرارهما ؟

الا يتفق ذلك أيضا مع مغزى ما تدعو اليه البيريسترويكا ؟

هل نحن فى حاجة الى ايراد فقرات من الوثيقتين تؤكد ذلك ، كما تؤكد أن الحزب ، وهو يضعهما كان فى خلفية تفكيره المثال الذى يضربه حزب لينين العظيم فى نقد وتصحيح وتقويم مسار التجربة السوفيتية ، واستلهامه روح الشجاعة ذاتها فى محاسبة النفس ، وحملها على تحمل المسئولية التاريخية بجدارة ونزاهة وتجرد ومبدئية واستقامة ؟

فحول مقولة البناء جاء فى « الوثيقة النقدية ... » : « فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ بدأت عملية بناء الدولة الوطنية الديمقراطية وسط ظروف يمنية وعربية بالغة التعقيد ، اذ ورثت البلاد أوضاعا اقتصادية واجتماعية وثقافية متخلفة ، ولم تعرف نظام الدولة المركزية ولا نظاما قانونيا موحدا ... » (ص ٤٥) .

وحول الأسلوب غير الديمقراطى الذى كانت تدار به المرحلة فى فترات عديدة ، حتى بلغت الأمور ذروتها فى ١٣ يناير الدامى وما تلاه من احداث مأساوية جاء فيها : « وفى فترات مختلفة بعد الاستقلال برزت أجواء من الشكوك المتبادلة وضعف الثقة ، روح التآمر والارهاب ومحاولات التخلص من المخالفين فى الرأى من المناضلين بطريقة عنيفة غير قانونية وخرق دستور البلاد والقوانين النافذة والمبادىء الديمقراطية فى حياة التنظيم والحزب والمجتمع ، وأفسح المجال للتخوف والانتقام ،

وقـد استخدمت القيادات الانحرافية الانتهازية اليسارية واليمينية هـذه الأساليب التآمرية لتثبيت مواقعها فى السلطة » • (ص ١٠٠ — ١٠١) •

وتعيد الوثيقة جـذور نزعة التسلط الفردى الى فترة « سالمين » وتشدد على ذلك بخطـوط سـوداء تحت كل سـطر : **« ان ظـاهرة النزعة الفردية التى كرسها سالم ربيع تبرهن بأن التهاون تجاه دراسة واستيعاب الفكر الاشتراكى العلمى ، والانشداد نحـو رجاحة ونفوذ السلطة ، وعـدم ممارسة المركزية الديمقراطية ، والقيادة الجماعية ، والنقـد والنقـد الذاتى وغياب الرقابة فى أعمال التنظيم والدولة ، يمكن أن تزرع بالقائد — مهما كان رصيده النضالى — مظاهر حب الذات والعظمـة والغطرسـة والفردية ، بل تؤدى به الى الانحراف »** (ص ٢٣) •

ولاستئصال هـذه النزعة من جـذورها ، والحيلولة دون ظهورها فى أى شكل وعلى أى مستوى فان الوثيقة تدعو الى ممارسة النقـد وتعميق الديمقراطية الحزبية والشعبية والتشريعية •

وتلقى فى هـذا الصدد مسئولية خاصة على الأجهزة الأيديولوجية التى تتحمل عبء صياغة الرأى العام ، وبلـورة الوجـدان الوطنى وتسهم بقـدر كبير فى خلق الانسان الجـديد المتحرر من عـلاقات المـاضى المحلية والمحـدودة والضيقة الأفق :

« وحول المسألة الثقافية تتحـدد مهامنا فى تنمية الثقافة الوطنية والتقـدمية ، والعمل على تضافر الجهود من قبل وزارة الثقافة والاعلام والاتحادات الابداعية ، لوضع خطط مستقبلية منسقة ، وتوفير كافـة

الامكانات لتشجيع ازدهار الثقـافة ، وتوفير جـو من حرية الابداع والنقـد والدعم المـادى والمعنوى للمثقفين ، ووسائل نشر الثقافـه بحيث تسهم النتاجات الأدبية والفنية فى عكس تاريخنا النضـالى وتضحيات الكادحـين وبطـولاتهم والكشف عن النواقص من أجـل تجاوزها ، وغرس القيم الجـديدة ، وبناء الانسان الثورى الجديد » •
(ص ٦٨) •

وتتداخل مع عملية « البناء » هـذه وتتكامل معها عملية « اعادة البناء » لكل شىء ، بدءا من الهياكل الاقتصادية والاجتماعية ، مرورا بالمؤسسات الحزبية والشعبية والتشريعية والتنفيذية ، وانتهاء بالنفوس والأرواح التى تعرضت جميعها للأضرار والأذى ، والتى تتطلب دائما البناء واعادة البناء باستمرار حتى بدون أن تتعرض لأعراض داهمة ، وأحـداث جسيمة كتلك التى تعرضت لهـا اليمن الديمقراطية بشكل شبه دورى خلال مسيرتها الثورية الصعبة والمجيدة •

ان مما يلفت الانتباه — وذلك ليس بصدفة — ان تعبير « اعادة البناء » قـد ورد فى وثيقتى الحزب ، ولا سيما فى « التقرير » بل انه تكرر فى « التقرير » كثيرا ، حتى بدا كما لو أن مقولة « اعادة البناء » قـد احتلت الأولوية ، مما يشير الى أن هناك احساسا عاما كان طاغيا بان تلفا كبيرا لحق حياة البلاد المـادية والروحية ، ينبغى اصلاحه ، واعادة تعمير حياة الناس ، وبأن ابنية شكلية قـد أقيمت على أسس غير سليمة أو بطريقة غير صحيحة ، ومن ثم لابد من اصلاحها واعادة بنائها على نحو متين وسليم ، وحتى بدا كما لو أن منطق البيريسترويكا الجارية فى الاتحاد السوفيتى كان هناك فى الأفق فى مثل نجمة هادية ، عندما كان الحزب يصوغ وثائق التصحيح هـذه ، وعندما كان يأتمر ، وعندما كان يتخـذ قراراته فى كونفرنسه العام •

لا بأس من اقتباس بعض النصوص التى تدلل على ذلك .

حول اعـــادة فهم الديمقراطية الحزبية جاء فى « التقرير » :
و « بالعودة الى تجربة حزبنا ، فاننا نشعر أننا بحاجة الى تصحيح فهم وممارسة أعضاء ومرشحى الحزب للديمقراطية ، ليدرك الجميع أنهـا مسئولية كبيرة ، وان لهـا حـدودا : هى وثائق الحزب وقرارات هيئاته وهى لا تكتمل الا بالانضباط الحزبى الحـديدى لوثائق الحزب وارادته الجماعية . وفى نفس الوقت يجب أن تقف بحزم أمام أى ظواهر لمصادرة الديمقراطية من خـــلال فرض الرأى والتعصب واصـدار الأحكام المسبقة وردود الأفعال واضطهاد الأعضاء والأعضاء المرشحين ومصادرة حقوقهم فى طرح آرائهم وملاحظاتهم ، وعـدم احترامها والاستخفاف بهـــا .

ويعتبر مبدأ النقـد والنقـد الذاتى سلاحا بيد الحزب وأعضائه للحفاظ على نقاوة الحزب وتطويره بصورة مستمرة لذا ينبغى أن نعزز ممارساته ولا نسمح بردود للافعال الضـيقة والتحسس تجاه النقـد والنقـد الذاتى الحزبى والمبدئى البناء أو ممارسة هـذا المبدأ الحزبى الهام فى المسائل الهامشية والشكلية ، أو استخدامه بصـــورة تعكس الاحقاد وتصفية الحسابات » . (ص ٧) .

وعن محاربة النزعة الفردية والبيروقراطية أكد « التقرير » أنه لا مجال لعودة النزعة الفردية و « ان مناضلى حزبنا وجماهير شعبنا يدركون من تجربتهم الخاصة ، تجربة المعاناة والآلام ، هـذه الحقيقة ، ومن غير الممكن أن يسمحوا بتكرارها مجـددا » (ص ٦) كما أكد أنه لابد من أدارة « وشن حرب لا هـوادة فيها ضـد البيروقراطية ومظاهر الفساد والرشوة والتعالى على الجماهير والتظاهر . ويجب توســـيع

الديمقراطية فى أوساط العاملين لزيادة دورهم فى ادارة سـلطة الدولة »
(ص ١٣) •

وحـول « بناء » و « اعادة بناء » مؤسسات الدولة ورد فيـه « ان نجاحات كبيرة على هـذا الطريق قـد تحققت ، غير أن الواقع المعاش يملى علينا واجب الاعتراف بأننا ما زلنا بحاجة الى المزيد من النضال الذى لا هـوادة فيه فى سبيل استكمال واعادة بناء عـدد من أجهزة ومؤسسات الدولة على أسس ثورية مبدئية والامساك بالحلقة الهامة فى هـذه العملية الحاسمة والمتمثلة بالكادر وسياسة العمل معه • لقـد قطعنا شوطا طيبا على صعيد بناء أجهزة ادارة الدولة المختلفة خلال الفترة المـاضية بهدف بناء جهاز حديث للدولة فى اليمن الديمقراطية ، ملبيا لمتطلبات المرحلة التاريخية الراهنة التى تمر بها تجربة الثورية فى بلادنا رغم كل الصعوبات الجـدية العـديدة التى صاحبت عمليـة البناء واعادة البناء لمختلف أجهزة ومؤسسات الدولة ، والتى لا زالت بعضها قائمة حتى اليوم • لذلك فان جهدا كبيرا ونضالا صبورا ومثابرا ينبغى أن يبذل على هـذا الطريق حتى نتمكن من استكمال بنـاء جهاز الدولة الحـديث والادارة الكفؤة المخلصة لنهج الحزب » (ص ٢٠ — ٢١) •

ولتعميق الطابع الديمقراطى الشعبى للسلطة دعا « التقرير » الى اعطاء فاعلية أكبر للمجالس الشعبية ولمجلس الشعب الأعلى ومنحها حق ممارسة مبدأ « العلنية » لاشراك جماهير الشعب فى معركة كيف تدار وتناقش قضاياها فى هـذه المجالس الممثلة لارادتها ومصالحها : « ان زيادة دور ومكانة مجلس الشعب الأعلى والهيئات المنتخبة من قبله كهيئة الرئاسة واللجان الدائمة ، وكذلك الحال لمجالس الشعب المحلية ، والمكاتب التنفيذية ، واللجنة الدائمة فيها فى غاية الأهمية ، فينبغى توسيع أشكال

الممارسة الديمقراطية لهـذه الهيئات واللجان وزيادة فاعليتها كقيادات جماعية يومية تسهم فى تعزيز الطابع الديمقراطى الشعبى لسلطة الدولة ، كما تكتسب العلنية فى نشاط المجالس ••• » (ص ١٩ — ٢٠) •

بل ان مبدأ « العلنية » كشكل من أشـكال الممارسة الديمقراطية العامة ينبغى أن يعم حتى وسائل الاعـلام الجماهيرى ، ناهيـك عن المؤسسات التخصصية والنوعية : « ان تطبيق مبدأ العلنية وشموله أشكالا أخرى غير البث الاذاعى والتلفزيونى ، كعقـد الجلسات العلنية المفتوحة أمام الاختصاصيين والمهتمين أو العاملين فى الحقول المعنية لأمر هام وركن رئيسى من أركان حياتنا الديمقراطية المنظمة وفقا للدستور » • (ص ٢٠) •

ولأن المنظمات الجماهيرية لم تكن فى الوضع الملائم فأن « التقرير » دعا الحزب الى « اعادة ترتيب أوضاع المنظمات الجماهيرية » كما دعا هـذه المنظمات الى أن « تناضل بحزم ضـد بقايا الشكلية والعمـل المكتبى ونوازع اصـدار الأوامر من الأعلى » • (ص ٢٣) •

واعادة البناء المؤسساتية الديمقراطية التى تهـدف فى آخر الأمر الى خلق الانسان الجـديد ، والعضو المجتمعي السوى والمنتج تشمل أيضا المجـال الرياضى : « ان الاهتمام بالرياضة وتوسـع قاعـدتها الجماهيرية ، واكسابها طابعا وطنيا انسانية شاملا ، والاهتمام بالأندية الرياضية والرياضيين ، وتوفير مستلزمات نجاحها ، ومحـاربة ظاهرة التعصب هى جزء لا يتجزأ من قضية حزبنا فى بناء الانسان الجـديد ، واعـداده لعملية البناء والانتاج » • (ص ٢٦) •

وكان لابد أن تلقى المؤسسات العسكرية والأمنية نصيبها من اهتمام

« التقرير » وان يشاد بدور الاتحاد السوفيتى فى اعادة تجهيزها بكل المعـدات اللازمة بعـد كل ما تعرضت لـه من تدمير بفعل أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م المشؤومة : « اننا بهـذا الصـدد نود أن نعبر باسم حزبنا وشعبنا عن أعظم الشكر والتقـدير لأصـدقائنا الأوفياء وحلفائنا الاستراتيجيين للاتحاد السوفيتى العظيم وحزبه اللينينى المجيد على كل المساعدات السخية والعاجلة التى قـدمت لنا كى تستعيد قـواتنا المسلحة جاهزيتها وبأفضل ممـا كانت عليـه قبل يناير ١٩٨٦ » • (ص ٢٨) •

واعادة البناء لابد أن تشمل هيكل ومضمون العمل الأيديولوجى والثقافى والاعلامى والتربوى ، ولابد فى هـذا الصـدد من ايلاء مزيد من « الاهتمام لتحسين مضمون العملية الاعلامية والثقافية واعادة ترتيب أجهزتها ومؤسساتها المختلفة •

ولا ريب فى أن عملنا الأيديولوجى واجه وما زال يواجه العـديد من المصاعب بسبب بقايا تأثير المفاهيم والقيم البالية ، والعـلاقات الاجتماعية المتخلفة ، وقـوة العادات القـديمة ، وآثار الممارسـات الانحرافية للتيـارات الانتهـازية ليمنية واليسـارية على الصـعيد الأيديولوجى ، حيث لم يعط أى اهتمام يذكر لقضية التثقيف والدراسة النظرية لأيديولوجية الحزب ووثائقه الا بشكل مبادرات ذاتية محـدودة •• كما أن بعض القيادات قـد تركت التثقيف الذاتى والدراسة النظرية جانبا لأسباب مختلفة أبرزها اعتقادها بعـدم ضرورة ذلك ، واستعيض عنها بالوجاهة السياسية والاجتماعية ••• » • (ص ٣٢) •

ويواصـــل « التقــرير » :

« وفى صراعنا الأيديولوجى مع القوى المعادية تلعب مؤسساتنا الاعلامية والثقافية والتربوية دورا مؤثرا من شـــأنها أن تكون أكثر فعالية اذا ارتبطت بجهود أعضاء الحزب من أجـــل ترسيخ المبادىء الثورية ، وتدعيم قيم ومثل المجتمع الجـــديد فى حيـــاتهم اليومية ، والنضال الحازم فى سبيل نقـــاوة السلوك الشخصى من الأخطـاء والانحرافات ، الأمر الذى سيزيد من تأثير عمل الحزب الفكرى والتربوى فى حياة المجتمع .. واذا ما قـــدمنا أيضا خيرة كوادر الحزب وأكثرها وعيا واخلاصا وحصانة فكرية للعمل فى أجهزة الاعلام والثقافة والتربية فالواقع الراهن لهـــذه الأجهزة يتطلب اعادة بنائها بصورة تحقق سياسة الحزب فى الجبهة الأيديولوجية والاعلامية » . (ص ٣٢) .

ويتوقف « التقرير » أمام قضايا التربية والتعليم ، وأمام دور جامعة عـــدن فى انشاء جيـــل قادر على التفكير والبحث والابداع ، والاسهام فى اعادة صنع العقل اليمنى بمـــا يتفق والنهج الأيديولوجى

والنظرى والعلمى الذى اختارته البلاد ، ويلاحظ أن هناك قصورا . وان سلك التعليم ، وعلى رأســه الجامعة لا يخرج الآن سوى حملة الشهادات ، لا حملة العلم والثقافة ورايات المستقبل وطلائع الفجـــر الجـــــديد :

« وعلى الرغم من الجهود التى تبذل لتطوير نشاط عمل جامعـــة عـــدن والمعاهـــد والمدارس التقنية والمهنية ومؤسسات التعليم العام ، لابد من الاشارة الى أنه ما زالت ماثلة أمامنا حتى الآن فى مركز الصدارة مهمة تحـــويل المؤسسات التعليمية الى مراكز للتربية العلمية والسياسية ، ومنابر للاشعاع الثقافى والفكرى ، وربطها بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتخليصها من الطابع التقليدى الذى يجعل من مؤسسات التعليم العام والجامعى مجرد قاعات للدراسة واكتساب الشهادات » . (ص ٣٤) .

ولذلك لابد من اعادة تأهيل المدرسين والأساتذة أنفسهم الى جانب الطلبة والتلاميذ ، وتمكينهم من امتلاك الفكر والنهج العلمى والأيديولوجى الجـــديد : « ويتعين على المنظمات الحزبية والقيادات الادارية ومنظمات أشيد الطلابية أن تستخدم لأجل هـــذه المهمة الحيوية مختلف أشكال العمل الفكرى والتربوى فى صفوف المدرسين والطلاب والتلاميذ .. واجتذاب الأساتذة والمدرسين اللاحزبيين لدراســـة الفكر الاشتراكى العلمى ، وتاريخ الحزب الاشتراكى ليمنى ووثائقه .. » (ص ٤) .

على أن الحلقة المركزية فى عملية اعادة البناء تمثلت فى القضية الاقتصادية حيث واجهت الحزب والبلاد — بعـــد أحـــداث ١٣ يناير التدميرية — مهمتان : السيطرة « على الحلقات الرئيسية فى الاقتصاد بصورة لا تسمح بنشوء أى مضاعفات لوضع كان فى غاية الخطـــورة ،

لا سيما بعـد أن اهتزت العوامل التى كرست كأساس للنمو الاقتصادى خلال السنوات الماضية » و « العمل على اعادة ترتيب أولويات نضال الحزب على الصعيد الاقتصادى بصورة تتناغم جدليا مع المضمون السياسى والطبقى لإحلة الثورة الوطنية الديمقراطية بآفاقها الاشتراكية » .

وقـد اقتضى ذلك كلـه « ليس فقط محاصره العجز الناشىء عن الاختلال العميق بين الموارد والانفاق ، ولكن أيضا اعادة صياغة الوعى بالمشكلة الاقتصادية والمالية ليصبح ذلك خطوة باتجاه العمل على اعادة التوازن الى الاقتصاد » .

ومن أجل النجاح فى عملية الاصلاح الاقتصادى هـذه فأنه « كان من الضرورى أن تتحول هـذه القرارات والاجراءات الى صيغة متكاملة للعمل السياسى التعبوى بين صفوف الكادحين من قبل الأعضاء والأعضاء المرشحين للحزب والهيئات الحزبية المختلفة والمنظمات الجماهيرية ووسائل الاعلام الجماهيرى المختلفة . واذا كنا خلال الفترة الماضيه لم نبـد الاهتمام الحرى بهـذا العمل الهام ، فان الفترة القادمة تتطلب منا اتباع الأشكال المختلفة لتوضيح المصاعب الاقتصادية لجماهير الشعب عموما ، وحشد الطاقات والجهود للاسهام فى حلها ، ولكن علينا أن ندرك ن هناك عاملين يتحكمان فى اطـار صـياغة متوازنة للوعى الاجتماعى همـا :

العامل الأول يتمثل فى الشعور لدى الجماهير بصدق هذه الاجراءات وأهـدافها على المدى البعيد ، والعامل الثانى يتمثل فى تعزيز الثقـة لديها بالمستقبل من خلال الاستقرار السياسى وما يوفره من مناخ لتنمية اقتصادية واجتماعية جادة ، بأهـداف مترابطة ، تصبح بوضوحها لدى

الجماهير موضوعا لنضالها الذى لن تتردد أن نقـدم من أجله مزيدا من التضحيات • (ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١) •

واذا كانت اجراءات التقشف من أجل ترميم الاقتصاد قـد مثلت المهمة الأولى والعاجلة فان مهمة اعادة البناء الاقتصادى أفقيا ورأسيا وفى مختلف ميادين الصناعة والزراعة والتجارة والثروة السمكية وغيرها قـد مثل المهمة المحـورية التى يدور عليها ويرتكز عليها مجمل عملية البناء الديمقراطية الثورية ومستقبل التجربة كلها • هـذه المهمة المتمثلة فى « اعادة أولويات نضال الحزب على صعيد الجبهة الاقتصـادية من خلال الربط المحكم بين القرار الاقتصادى ومضمونه الطبقى السياسى من ناحية ، ونقـل مركز الثقـل لحركة الحزب الى داخل الحيـاة الاقتصادية من ناحيـة أخرى ، ذلك لأن أهـداف نظـامنا الوطنى الديمقراطى لن تتحقق الا باقتصاد قوى ، يؤمن شروط ومقومات استكمال حلقات تطوره بصورة ثابته ، وتتعزز بصورة موازية لذلك ثقة الكادحين اليمنيين فى خياراته » • (ص ٤١) •

وفى هـذا الاطار بالذات يعتبر استخراج ثروات البلاد المعدنية ، وعلى رأسها النفط بالتعاون مع الرفاق السوفييت واحـدة من الروافع الاقتصادية والاجتماعية الأساسية التى توضع بها التجربة الثـورية الديمقراطية فى مدارها الذى يمكنها من التحليق أبعـد فأبعـد فى اتجاه تلبية مطالب الشعب ومطامحه المـادية والمعنوية ، وفى اتجاه التقـدم الاجتماعى والاقتصادى والثقافى الثابت والدائم : « ان اكتشاف النفط فى بلادنا من قبل الرفاق السوفييت هـو ثمرة للتعاون الاقتصادى بين بلادنا والاتحاد السوفيتى ، ويعـد برهانا اضافيا لأهمية دور المساعدة الأممية المقـدمة لبلادنا من البلدان الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى ، لتطوير اقتصادنا الوطنى ودليلا على صحة سياسة حزبنـا

الموجهة نحـو تطوير القاعـدة الانتاجيـة الوطنية ، بالاعتماد على قوانا الذاتية وبمساعدة حلفائنا فى المنظومة الاشتراكية » • (ص ٤٤) •

وعملية اعادة البناء للبنية الاقتصادية والاجتماعيه ستشمل قطاع الدولة والمزارع التعاونية والمختلطة وكل منشأة صغيرة أو كبيرة بدءا من أول منشأة عرفتها البلاد ــ وهى ميناء عـدن ــ حتى أحـدث منشأة تصلها بشتى أقطار الأرض ، حيث سيتم « العمل على اعادة تنظيم نشاط مؤسسات قطاع الدولة ، ورفع كفـاءتها التشغيلية » وحيث ستتشكل « الجهود لتحسين العمل فى مختلف قطاعات الاقتصاد الوطنى عـاملا مساعدا لتسريع نمو هـذه القطاعات خلال الخطة الخمسية الثالثة ، ففى قطاع النقل والمواصلات فتح أول خـط لربط بلادنا والبلـدان الاشتراكية عبر المحطة «انترسبوتنيك» والشبكة الوطنية و (عرب سات) وسيتم تنفيذ عـدد من المشاريع الهامة ، من أهمهـا اعادة بناء ميناء عـدن •• » (ص ٤٤) •

وعـدا عملية الترميم للمساكن التى تضررت بفعل أحـداث ١٣ ينـاير فان توفير مساكن لجميع المواطنين هى احـدى أهم المهـام فى عملية صياغة تجربة ديمقراطية حقيقية تجعـل من الانسان وسيلتها الأساسية وهـدفها ، « فى الوقت الذى سيعمل الحزب فيه على بذل الجهود الكبيرة لحل هـذه المشكلة من خلال مشاريع الخطة ، فان اشراك المواطنين فى بناء مساكن لهم عبر التسهيلات التى ستقدم من قبل الأجهزة المختصة سيدفع بالجهود المشتركة نحـو التغلب على هـذه المشـكلة الحادة ، كما أنه من الضرورى العمل على تنظيم التسكين عبر المكاتب التنفيذية فى المحافظات ، ووضع نظم التسكين التى تحقق العـدالة بين الناس ، اضافة الى ضرورة اعطاء اهتمام بصيانة المساكن » • (ص ٤٦) •

واذا كانت أحـداث ١٣ يناير الدامية والمـأساوية قـد أحـدثت

« هزة للقيم والأخــلاق الثورية لأوساط واسعة من شعبنا ولحالة الأمن والاســتقرار والاطمئنان السيكولوجى والاجتماعى » — كما جاء فى « الوثيقة النقــدية » ص ٣ — الا أن المضى فى عملية اعادة البناء الشاملة الآنفة الذكر من شأنه أن يثبت من جــديد — وعلى أسس ارسخ — كل القيم والأخلاق الثورية ، ويمكن للأمن والاستقرار من أن يستتب ، ويعيد الطمأنينة النفسية والاجتماعية لجميع الناس .

من مجمل ما سبق يتضح جليــا أن وثيقتى الكونفرنس الحزبى المدعمتين أيضا بالقرارات الصادرة عنه والمستوحاة منهما قــد أكدتا على مقولتى « البناء » و « اعادة البناء » وشددتا « على الديمقراطية » و « العلنية » كمبدئين لا بديل لهما لاستئصال « النزعة الفردية » والروح « التآمرية » واصــدار « الأوامر من أعلى » الى غير ذلك من المبادىء والمفاهيم القــويمة التى تكفل للتجربة الديمقراطية الثورية فى هــذا الجزء من الوطن اليمنى أن تمضى قــدما الى الأمام ، مقــدمة نفسها لجميع التجارب الثورية فى المنطقة العربية ميزاتها وفرادتها واستحقاقها بأن تكون التجربة البكر الرائدة والمقــدامة التى يقــودها حزب طليعى يتبنى الفكر الاشتراكى العلمى .

هذه المبادىء والقيم التى ركزت عليها وثيقتا الكونفرنس بعبارات وكلمات تذكر بعبارات وكلمات ثورة التغيير واعادة البناء «البيريسترويكا» فى الاتحاد السوفيتى ، تدلل وحــدها على أن الحزب الاشتراكى اليمنى كان يتفاعل بعمق وحرارة وصــدق مع ثورة التغيير واعادة البناء هــذه التى أخــذت تغمر اشعتها المنظومة الاشتراكية ، وتتسلل الى جميع الأحزاب الرافعة للواء المــاركسية — اللينينية فى شتى أنحاء الكوكب .

ويكفى الحزب الاشتراكى اليمنى فخــرا واعتزازا أنه كان من الأحزاب السباقة الى تفهم واستيعاب ثورة « البيرويسترويكا » هــذه .

وأنه مارس في ضوئها نقد تجربته الثورية منذ قيامه حتى اللحظة التي عقد فيها الكونفرنس ، وان نقده هذا لم يقتصر على الفترة الواقعة ما بين ١٩٧٨ — ١٩٨٦ ، وانما طال حتى الفترة اللاحقة الممتدة الى يونيو ١٩٨٧ ، مما مثل نقدا ونقدا ذاتيا شجاعا •

ويكفي الحزب فخرا واعتزازا أنه لم يكتف بالنقد والنقد الذاتي ، وانما دعا بقوة الى اجراء عملية تصحيح وتقويم وتغيير واعادة بناء شاملة على أساس من الديمقراطية الحزبية والشعبية والشرعية . وأنه أقر مبدأ « العلنية » في ممارسة العمل السياسي والأيديولوجي سواء على نطاق مؤسسات الحزب والدولة أو المؤسسات الجماهيرية والنوعية ، بما في ذلك المؤسسات الاعلامية •

ان هذا الحوار الديمقراطي الصريح والمفتوح حول أهم وأدق القضايا والذي لم تشهد البلاد له مثيلا ، من قبل والذي لا تحتضنه الصحافة فحسب ، وانما تدعو الناس اليه ، وتحدد محاوره ، هو برهان على مصداقية توجه الحزب نحو تعميق وتعميم « الديمقراطية المستقيمة » التي أكد عليها لينين ، والتي يتوقف عليها أمر تعبئة جماهير الشعب ورصها خلف الحزب لبناء واعادة بناء التجربة الديمقراطية الثورية ، والسير بها حتى النهاية ، ومن ثم التقدم الى الأمام صوب رحاب الاشتراكية •

وبذلك كله تقدم هذه التجربة نفسها لجميع جماهير الشعب اليمني باعتبارها تجربتها هي التي يرتبط ببقائها واستمرارها وتطورها مستقبلها كله •

وبذلك ينفتح الطريق أمام الوحدة اليمنية التي ستصنعها هذه الجماهير ذاتها على مثالها وبطريقتها ، وبما يحقق مصالحها وطموحاتها

فى العـــدالة الاجتماعية والديمقراطية السياسية ، والكرامة الوطنية ، والرقى الحضارى ، والسمو الروحى •

أفلا يحـــق لنـــا القـــول — فى ضوء كل ما سبق — أن نجمـــة « البيريسترويكا » كانت هناك فى الأفق الوضاح الصافى ، وان ابصار الحزب الاشتراكى اليمنى كانت شاخصة نحوها ، مستضيئة بنورها ، عندما كان يضع آخر وثائقه فى الكونفرنس الحزبى العام ، والتى تمثل اضافة نظرية وسياسية حقيقية ؟ ومع ذلك فانها لا تمثل كلمة الحزب الأخيرة والنهائية •

للاجابة على هـــذا السؤال بطمأنينة وراحة بال ربما تطلب الأمر اعادة قراءة المقال من جـــديد ! أو اعادة قراءة الوثائق ذاتها ، أو حتى متابعة تصريحات وخطابات قادة الحزب !

على أن مهمة المثقفين ، ورجالات الفكر والقلم منهم خاصة ، لا تقف عند هـــذا الحـــد ، وانما تمضى أبعـــد فى اتجـــاه اكتشاف آفاق جـــديدة ، ووسائل وأشكال مبتكرة لعملية البناء واعادة البناء الثورية الديمقراطية بكل أبعادها الوطنية والاجتماعية والقومية والأمميـــة والانسانية وكل تطلعاتها وتوجهاتها الاشتراكية •

المســألة الزراعيـــة ...

والمســألة الأيديولوجيـــة(*)

دعت صحيفتا « ١٤ أكتوبر » و « صوت العمال » المثقفين وأولى الاختصاص الى خـوض نقاش مفتوح حول وضع الزراعة ، والوضع الاقتصادى عموما ، لمعرفة الأسباب التى ادت الى حالة الركود ، وربما التردى فى الانتاج الزراعى ، والتى صاحبت جميع العهود التى مرت بها الثورة بعـد الاستقلال مباشرة وحتى اليوم .

وهـو نقاش هام وحيوى ويمثل فى صراحته وانفتاحه صفحة من صفحات مرحلة البناء واعادة البناء الديمقراطى التى أخـذت البلاد تسير فيها بثقة فى النفس يدلل عليها مثل هـذا النقاش ذاته ، كما تدلل عليها مظاهر ملموسة أخرى .

ولا يهم أن يجتهد البعض منا ويخطئوا فى اجتهادهم ، المهم أن يقول كل منا كلمته بأمانة واستقامة ، وأن يقولها انطلاقا من ايمـانه بالثورة ، وحرصه على استمرار مسيرتها ، ورغبته فى تذليل المشاكل التى تواجهها ، وتصحيح وتقويم كل ما يستحق التصحيح والتقويم فى أى مجال من مجالات الحياة الاجتماعية .

(*) نشرت فى « ١٤ أكتوبر » عــدد ١٩٨٨/٧/٢٧ .

والأهم من ذلك كله أن تتمكن جهات الرصـد والتتبع والاختصاص فى الحزب والدولة المعنية بشئون الزراعة والاقتصاد والتجارة ... الخ لا من جمع وتقييم كل ما يكتب فى هـذا الصـدد فقط ، وانما ايضـا من وضع اليد بالخبرات المتكدسة لديهـا وخبرات الدول الشقيقة والصـديقة ، وخاصة الدول الاشتراكية والدول السائرة فى طريق التوجه الاشتراكى ، على محامن العلل ، واصلاح جوانب الخلل ، والتغلب على حالة الركود والتردى فى مضمار العملية الانتاجية الزراعية قبل غيرها ، ومن ثم اثبات أن عملية التحويل الاجتماعى الديمقراطى للريف ولصالح الكادحين تؤدى فعلا — لا قولا — الى اطلاق قوى الانتاج فيه — وفق ما تقول النظرية — والى احـداث نهوض زراعى ، وتحسين فى مستوى معيشة الريف ، وازدهار انتاجى يغطى حاجيات الريف والمدينة معا ، الى حـد الاكتفاء الذاتى ، بل والى تصـدير الفائض منه للسوق الخـارجى .

وبذلك نثبت صحة خيارنا التاريخى ، وافضلية مشروعنا الديمقراطى الثورى بتوجهه الاشتراكى ، ومصداقية وثائق الحزب والدولة التى تؤكد ذلك كله .

ان فتح ملف الزراعة والاقتصاد بهـدف اعادة قراءته فى ضـوء معطيات الواقع الفعلى ، وسـد الثغرات ، وتلافى الأخطاء ، وتصويب المسيرة الانتاجية بمجملها — وهـو ما شددت عليه وثائق الكونفرنس الحزبى العام — ان ذلك لا يستقيم ولا يكتمل بدون أن تتواكب معـه اجراءات أخرى ، بدون فتح الملف الأيديولوجى — الثقافى ، ملف العقلية والروحية التى تسير آلية المجتمع كله ، بما فى ذلك العملية الانتاجية عامة ، وضمنها العملية الزراعية .

حقا أن علاقات الانتاج هى الأساس الذى يقوم عليه مجمل البناء

الفوقى السياسى والحقوقى والفلسفى والثقافى والأيديولوجى • غير أن هـذا البناء يعود بدوره فيؤثر اما سلبا أو ايجابا على هذا الأساس ذاته ، بل انه يدخل كعنصر أساسى فاعل فيه ، كأداة انتاج واعادة انتاج له • فليست هناك حـدود مطلقـة لا فى الطبيعة ولا فى المجتمع بين الظواهر والأشياء • هناك تداخل دائما • والمقـدمة قـد تصبح نتيجه ، والنتيجة تصبح سببا ، وهكذا دواليك فى حركة جـدلية لا نهاية لهـا من التفاعل بين العمليات الطبيعية والاجتماعية •

وجزء مما تعرضت له الأوضاع الزراعية من ركود وحتى تردى تعود الى الانسان ذاته • وكما ان الاشتراكية لا يصنعها الا الاشتراكيون ، فان المجتمع السائر فى طريق الديمقراطية والتوجه الاشتراكى لا يصنعه الا الديمقراطيون والمؤمنون حقا بالتوجه الاشتراكى •

والفلاح الذى لم يهيأ فكريا وروحيا ، ولم يعـد تثقيفه وتوعيته بمـدى ارتباط مصلحته بمقولة « الأرض لمن يفلحها » كأساس لعمليـة الاصلاح الزراعى الديمقراطية ، وارتباطها كاملا بنظرية تحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ــ هـذا الفلاح من الصعب عليه ان يتعامل مع الأرض ــ وقـد أصبحت تعاونية أو ملكا من أملاك الدولة ــ بذات الارتباط السابق والخاص بها ، والحب لهـا ، والحرص عليها ، والحرارة فى العمل فيها ، والحماس فى الذود عنها فى مواجهة أى عملية تلاعب فيها ، أو اخلال بالعمل بها من أى كان •

والمسئول الادارى ــ أيا كانت درجته ــ لا يستطيع أن يكون فى وضع أفضل من هـذا الفلاح ما لم يتشبع هـو نفسه بذات العقلية والروحية الديمقراطية الاشتراكية ، وما لم تحكم سلوكه بمجمله وهـو يتعامل مع الأرض المملكة للتعاونية أو الدولة والعاملين عليها •

وأعمال التلاعب بالأرض وفى الأرض الجديدة بشكليها الاقتصاديين الجديدين ، وهو ما تطرقت اليه الصحافة منذ حين ، لا يتحمل مسئوليتها الفلاح وحده ، ولربما كانت مسئولية الادارة أكبر .

كان لينين يقول ان علينا أن نبنى الاشتراكية بالمادة التى خلفتها لنا الرأسمالية . ومهمة الاشتراكيين أن يبذلوا أقصى ما لديهم من جهد من أجل تطوير وتحسين هذه المادة الاجتماعية — البشرية ، حتى تكون مهيأة لاقامة صرح الاشتراكية .

ونحن لم نرث من المجتمع السابق للرأسمالية ، المجتمع شبه القبلى — شبه الاقطاعى — الكمبرادورى — الاستعمارى مادة أفضل من تلك المادة التى انتجها المجتمع الرأسمالى المتطور ، بل لعلها مادة اجتماعية — بشرية أشد تعقيدا بكثير بفعل تعقد الوضع التاريخى — الاجتماعى المتشابك — المتداخل ذاته ، وتعقد الروحية والنفسية المنحدرة عنه .

غير أن الطليعة الاشتراكية حاملة الأيديولوجية والثقافة ، هى المعنية باعادة انتاج وصقل هذه المادة الاجتماعية — البشرية . وعلى قدر ما تكون هى ، تكون هذه المادة التى منها ذاتها يتكون صرح بناء المجتمع الجديد .

وهذه الطليعة هى أحوج ما تكون الى نظرية الطليعة عندما تكون ما تزال « فى دور التكوين » ، حسب تعبير لينين فى « ما العمل ؟ » وذلك يعنى أيضا تملك خبرة من سبقوا فى مضمار الممارسة العملية لهذه النظرية . ذلك « أن الحركة المبتدئة فى بلاد فتية لا يمكن أن تكون ناجحة الا اذا استوعبت تجربة البلدان الأخرى . ولبلوغ ذلك لا يكفى مجرد الاطلاع على هذه التجربة أو مجرد نسخ القرارات الأخيرة . انما

يتطلب هــذا من المرء أن يمحص هــذه التجربة وان يتحقق منها بنفسه . وكل من يستطيع أن يتصور مبلغ اتساع وتشعب حركة العمال المعاصرة يفهم مبلغ ما يتطلبه القيام بهــذه المهمة من احتياطى من القوى النظريه والتجربة السياسية والثورية أيضا » (ص ٢٦) .

ما من شك أن امتلاء المرء بشعور من الثقة بأنه أصبح اشتراكيا مائة فى المــائة شيء رائع ، غير أن ذلك ما لم يترجم فى الممارسة العملية يظل مجرد ادعاء أو حتى فرضية نظرية ، شــــأن أى فرضية ، تتطلب الاثبــــات .

وتبوء كل أو بعض منا مركز الاستاذية والريادة فى هــذا الصــدد هــو أكثر من رائع ، شريطة أن يبرهن على ذلك السلوك العملى، السلوك الذى يتسم بالطليعية ، ويعطى المثل النموذج الرائد والملهم .

والحزب الاشتراكى اليمنى هــو الذى يحتل اليوم — تاريخيــا وسياسيا — هــذا الموقع ، ولا يملك الا أن يكون كذلك نظريا وعمليا . وذلك « **أنه لا يستطيع القيام بدور مناضل الطليعة الا حزب يسترشد بنظرية الطليعة** » . (ص ٢٧) .

وقــد لاحظ « تقرير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى الى الكونفرنس الحزبى العام » الذى « قــدمه الرفيق على ســالم البيض الأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى » أن هناك ثغرات ونواقص نظرية وأيديولوجية فى صفوف الحزب تتطلب المعالجة : « وبهــذا الصــدد ينبغى العمل على تحرير أساليب عملنا الأيديولوجى وبصورة مستمرة من الشكلية والمواعظ والموسمية والهتاف بالجمــل الثورية المجردة والبعيدة عن الواقع .. لأن انفصال الكلمة عن الواقع يؤدى الى اضعاف قيمة الجهود العظيمة المبذولة فى مختلف الميادين » (ص ٣٣) .

ويقترن بالاستيعاب الفكرى للأيديولوجية والنظرية الطليعية الدراسة الميدانية للبنية الاجتماعية ذاتها داخل البلاد بكل أبعادها التحتية والفوقية ومستوى التطور الذى حققته . ولذلك لابد من « رفع مستوى الدراسة المنهاجية لنظرية الاشتراكية العلمية ، ودراسة قضايا التطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى للبلاد ، والتأهيل النظرى للكوادر الحزبية » (ص ٣٣) .

قد يتمكن الاختصاصيون من وضع أيديهم على العلل الحقيقية لتعثر العملية الانتاجية فى ميدان الزراعة وغيره من الميادين ، غير أن خلفية ستبقى هناك : الخلفية النظرية والأيديولوجية والسيكولوجية التى تسير بها هذه العملية بكل ثغراتها ونواقصها الطبيعية والمفترضة فى مجتمع ما يزال يخطو خطواته الأولى فى طريق تمثل نظرية ورؤية جديدة لبناء حياته وبناء الحياة والكون من حوله .

وهى نظرية ورؤية ما برحت تتطور وتتعمق فى ضوء الخبرات التاريخية المكتسبة لبلد الاشتراكية الأول والبلدان الاشتراكية الأخرى وأحزاب الاشتراكية العلمية فى كل مكان .

وذلك ما تعلمنا اياه أيضا الثورة النظرية والعملية الجارية اليوم فى الاتحاد السوفيتى — بكل آثارها العالمية — باسم « البيريسترويكا » :

ان اعادة فحص واقعنا برؤية نقدية — وهو ما شرعته وثائق الكونفرنس وهو ما بدأته الصحافة أيضا — هو ملمح من ملامح الاصرار على أن تسير عجلة البناء واعادة البناء الديمقراطى دون توقف ، لا على المستوى الاقتصادى والسياسى فحسب ؛ وانما كذلك على المستوى النظرى .

وذلك يعنى أن مهمة المثقفين الثوريين هى فتح ملف الوضع الثقافى والأيديولوجى ، ملف حيـاة الانسان الروحية والسيكولوجية ، وتلمس مدى التطور الذى تحقق فى هـذا الصـدد ، وجوانب النقص والقصور التى ما تزال موجودة هناك .

فليس هناك تطور حقيقى ما لم يقم على الأساس المـادى والروحى معا ، فالرأسمالية حققت وتحقق قـدرا كبيرا من التطـور المـادى والتكنيكى والعلمى . غير أن الاشتراكية هى وحـدها التى تحقق الى جانب ذلك التطور الروحى والمعنوى والخلقى ، والتى تخلق الانسان المتكامل الشخصية ، الانسان الجـديد ، والفرد الحر . فحتى التطور المجتمعى العام والحر غير ممكن تحقيقه الا بالتطـور الحر للانسان الفرد ، ولا انسانية حرة الا بانسان حر . ذلك مغزى مقولة ماركس : « التطور الحر لكل فرد ، شرط للتطور الحر للجميع » . وذلك أيضا هو مدلول البيريسترويكا . فلا اشتراكية متطورة حقـا بدون اشتراكيين متطورى السمات الانسانية ، رفيعى الخلق ، حميدى الخصال ، كريمى السلوك مع أنفسهم ومع كل فرد فى المجتمع .

ويمكن القول كذلك أنه لا مجتمع ديمقراطى سائر فى طريق التوجه الاشتراكى حقا بدون اناس ديمقراطيين واشتراكيين يعملون على صياغة الرأى العام فى المدينة والريف معـا وفـق مثـل وقيم الديمقراطية والاشتراكية ، ويقـدمون المثل النموذجى والرائد على ذلك بمسلكهم العملى ، وكل ما يأتون ويدعون .

ان حـل المسألة الزراعية ، والمسألة الانتاجية عموما ، كما يحتاج الى جهد المتخصصين — وذلك ما ركز عليه لينين حتى لو كان هـؤلاء برجوازيين — فانه أحـوج ما يكون الى جهد الأيديولوجيين القادرين على تربية النـاس تربية جـديدة ، تربية ديمقراطية ، واشتراكية ، باعتبارهم القوة الانسانية الفعالة والواعية بين جميع قوى الانتـاج الأخرى ، غير أن هؤلاء الأيديولوجيين هم فى حاجة كذلك الى أن يتعهدوا

أنفسهم بالتربية الأيديولوجية والنظرية دائمـــا وباستمرار والى أن يجسدوا ذلك عمليا وعلى أرض الواقع •

ذلك هـو لب نظـرية الاشتراكية العلميـة وفلسفتها المـادية الديكالكتيكية •

وحسب موضوعة ماركس الثالثة عن فورباخ فان « النظرية المـادية التى تقر بأن الناس هم نتاج الظروف والتربية ، وبالتالى بأن النـاس الذين تغيروا هم نتاج ظروف أخرى وتربية متغيرة ، — هـذه النظرية تنسى أن الناس هم الذين يغيرون الظروف وأن المربى هـو نفسـه بحاجة للتربية » • (ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاثة مجلدات ، المجلد ، الجزء ، دار التقـدم ، موسكو ، ١٩٨٠ ، ص ٧ — ٨) •

ان العمل على تغيير الواقع الاجتماعى ، بما فى ذلك واقع الريف ، لابد أن يسير جنبا الى جنب مـــع العمل على تغيير أنفسنا ، وتغيير ما بأنفسنا •

وكما أنه لا انفصام بين القاعـدة المادية والبنية الفوقية التى تطابقها ، فأنه لا تطور ناجح لهـذه القاعـدة بدون أن تدخل البنية الفوقية كشريك فعال فى عملية تطويرها •

واذا كانت السلطة السياسية ، هى أهم مسألة فى الثورة وفى مجمل البناء الفوقى ، فان هذه السلطة السياسية لن تستطيع تحقيق مشروعيتها بدون الأيديولوجية المبررة لهـا ، المقنعة للناس بـ[illegible] ومصداقيتها •

ونفس الشىء يمكن قوله بالنسبة للعملية الانتاجية التى لا تستطيع أن تتحرك بكامل طاقتها لصالح القوى الكادحة بدون اقتناع هـــذه القوى بذلك ، أى بدون ترسخ الوعى الأيديولوجى لديهـا بأنهـا هى التى تقطف ثمرة جهدها ، وبدون أن ترى ذلك يتحقق بالفعل •

وهكذا تقترن المسألة الزراعية أيضا بالمسألة الأيديولوجية •

من أجل اعادة فتح ...

الملف الثقافي اليمني(*)

في عدد أغسطس ١٩٨٨ ، وبمناسبة مرور ١٨ عاما على ميلاد مجلة « الثقافة الجديدة » التي تصدرها وزارة الثقافة والاعلام : وجه عضو اللجنة المركزية وزير الثقافة والاعلام الرفيق الدكتور محمد أحمد جرهوم في كلمته الافتتاحية للمجلة دعوة مفتوحة للمثقفين اليمنيين ولكل أبناء الشعب اليمني ، ولكل المهتمين بثقافة وتاريخ اليمن من أشقاء وأصدقاء للمشاركة في بحث مختلف محاور هذا المشروع المكونه من أربعة : قضايا الثقافة اليمنية ـ الثقافة الديمقراطية ـ الثقافة والابداع ـ المؤسسات الثقافية والاعلامية .. ودورها في نشر وتعميم الثقافة .

وفي تواضع جم يؤكد « ملف المشروع الثقافي اليمني » المطلوب فتحه « ان طرح أشكاليات الثقافة اليمنية لا يهدف الى تعجل النتائج أو ابتسار الخلاصات . وهذا المشروع لا يقدم أجوبة بقدر ما يحاول أن يثير أسئلة تضع اشكاليات الثقافة والمجتمع على بساط البحث دون أن تضع اشارات حظر التجول أو تحول دون اثارة نقاش بناء وهادف حول ثقافتنا اليمنية المعاصرة بأبعادها الوطنية الديمقراطية » .

(*) نشرت في « ١٤ اكتوبر » عدد ١٩٨٨/١٠/٣١ .

أما الهـدف المتوخى ـ فى خاتمة المطاف ـ فهو بلورة السياسة الثقافية ، ذلك « أهمية وجود سياسة ثقافية تعمل على تحويل المؤشرات النظرية العامة فى الخطة الى برنامج تنفيذى ملزم لكافـة المؤسسات الاعلامية والثقافية وبواسطتها يمكن تحـديد الانجاز السنوى ومؤشرات الواقـع الثقـافى » .

وبطريقة ضمنية زكى وأكـد الأخ هشام على مساعد نائب وزير الثقافة والاعلام فى مقالته التى نشرها فى عـدد ١٣ـ١٠ـ١٩٨٨ من صحيفة « ١٤ أكتوبر » بعنوان « الثقافة والمجتمع فى اليمن » أهمية فتح هـذا الملف الثقافى : « ولعل الوقت قـد حان للقيام بمراجعة نقـدية لواقعنا الثقافى ، لا سيما بعـد المسار الزمنى للثورة اليمنية ، أى بعـد انقضاء ٢٦ عاما على ثورة سبتمبر و ٢٥ عاما على ثورة أكتوبر . وفى اعتقادى ان هـذه الفترة الطويلة نسبيا تقتضى هـذه المراجعة النقدية لمعرفة مدى التغيير الذى الحق بالبنية الثقافية للمجتمع » .

أما الغاية من ذلك فهى « الاتجاه نحو التغيير الثقافى بارادة مسبقة وبتخطيط واع ومدروس يفوق التخطيط لعمليات التغيير الاقتصادى » .

ولا أعتقد أن أحـدا من مثقفى هـذا الوطن الجادين ـ حزبيين وغير حزبيين ـ لا يدركون أهمية فتح هـذا الملف الثقافى ، بل وابقاءه مفتوحا باستمرار .

ولقـد كان هناك احساس مبكر بالحاجة الى طرق باب « المسألة الثقافية » وبالعـودة الى الصحافة اليمنية والى الكتب والكتيبات التى صدرت فى المراحل المتعاقبة من سير الثورة يتضح جيدا أنه كان هنـاك تنبه الى أن المستوى الثقافى لم يتواكب مع المستوى العام الذى بلغته الثورة فى تطورها ، ممـا عكس نفسه سلبيا على هـذا المستوى العام ذاته .

وقـد تعـددت التصورات حول ما اذ كانت الثقافة اليمنية تمر بحالة أزمة أو ركود •

وقـد جمع كتاب « مناقشات حول الثقافة اليمنية » الذى صـدر عام ١٩٧٥ بعضا من هـذه التصورات •

ولم تجمع بعـد المناقشات التى سبقت أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامية ، والتى أعادت طرح ذات السؤال الذى تعددت حوله الاجابات •

وقـد لاحظت « الوثيقة النقـدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ — ١٩٨٦ » ان الثورة واجهت ما هـو أكثر من الازمة الثقافية ، ونبهت الى ما أسمته فاعلية « وتأثير الازمات التى أضـعفت الوحـدة الفـكرية والسياسية والتنظيمية للحزب » . (ص ٥٣) •

ولعلنا ممن أحسوا بوطـأة هـذه المعضلة ، معضلة تملك الثقافة الوطنية والديمقراطية والتقـدمية التى من الصعب تصور مضى قطار الثورة عبر جميع محطاته الاجتماعية والتاريخية بدون توافرها وبدون أن تحتل مكانها القيادى فى القاطرة ذاتها •

ومنذ كتابة مسلسلنا « الخروج من نفق الاغتراب •• واحـداث ثورة ثقافية فى اليمن » الذى نشرته صحيفة « ١٤ أكتوبر » على مدى عامين تقريبا بدءا من عام ١٩٧٩ الى آخر مقال لنا بعنوان « المسألة الزراعيـة •• والمسألة الأيديولوجية » الذى نشرته الصـحيفة فى ٢٧—٢—١٩٨٨ ونحن يتملكنا ذات الاحساس الذى يملأ وجـدانات خيرة مثقفينا بأنه لا بديل لاعطاء المسألة الثقافية حقهـا من الاهتمام والتقـدير •

ومما جاء فى هــذا المقال : « ان اعادة فحص واقعنا برؤية نقــدية ــ وهــو ما شرعته وثائق الكونفرنس ، وهــو ما بدأته الصحافة أيضا ــ هــو ملمح من ملامح الاصرار على أن تسير عجلة البناء واعادة البناء الديمقراطى دون توقـــف ، لا على المستوى الاقتصادى والسياسى فحسب ، وانما كذلك على المستوى النظرى •

وذلك يعنى أن مهمة المثقفين الثوريين هى فتح ملف الوضع الثقافى والأيديولوجى ، ملف حياة الانسان الروحية والسيكولوجية وتلمس مدى التطور الذى تحقق فى هــذا الصــدد وجوانب النقص والقصور التى ما تزال موجودة هناك •

فليس هناك تطور حقيقى ما لم يقم على الأســـاس المــادى والروحى معا • ونزعم أن دراستنا المطولة التى بلغت ١١٣ صفحة التى تقــدمنا بها الى الندوة الثقافية التى نظمتها الدائرة الأيديولوجية التابعة للجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى بالتعاون مع مجلة « النهج » ما بين ٢٨ ــ ٣٠ مارس ١٩٨٨ فى عــدن كانت ممارسة تطبيقية من جانبنا لهــذه الدعوة الخاصة بفتح الملف الثقافى اليمنى ، حيث عالجت مداخلتنا هــذه التى لم يوزع منها فى الندوة سوى ملخصها الوضــع الثقافى فى اليمن قبل الثورة وبعــده ، وذلك ما يتضح حتى من عنــوان المداخلة : « المشاريع والتيارات الثقافية الديمقراطية والبيروقراطيــة والسلفية والاصلاحية والانعزالية فى اليمن » •

ونعتقد أن توفير فرص النشر لمــا كتب حتى الآن من قبل العديد من المثقفين حول الوضع الثقافى من شأنه أن يضع تحت تصرف الرأى العام مادة فكرية وروحية ستسهم فى تكوين رؤية عامة حــول ماضى وحاضر الثقافة اليمنية ، وفى الاطلال على آفاق مستقبلها •

ان ذلك يمثل احـدى الخطوات العلمية لتنفيذ مشروع وزير الثقافة الخاص باعطاء الثقافة حقها من الاهتمام اللازم باعتبارها جزءا لا يتجزأ من عملية بناء المجتمع الجـديد •

ان افساح المجال فى الصحافة وفى شتى وسائل الأعلام لمناقشة حرة ومفتوحة حول الثقافة ــ اضافة الى عقـد ندوات خاصه بذلك ــ يمثل شكلا من أشكال الاستجابة الفعلية لهـذه الدعوة •

وربما كان الحوار الذى أجرته صحيفة « ١٤ أكتوبر » مع الزميل عمر الجاوى الأمين انعام لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ونشرته فى عـدد ٢١ــ١٠ــ١٩٨٨ تحت عنوان « آراء للمناقشة » هـو شروع فى فتح او اعادة فتح ملف الثقافة ، ممـا يعنى أن دعوة وزير الثقـافة والاعلام قـد أخـذت تخرج الى حيز التنفيذ وان المثقفين مدعوون للاسهام فى تقـديم تصوراتهم حول ماضى وحاضر ومستقبل الثقافـة فى اليمن •

وحتى توضع « ورقة عمل » أكثر تحـديدا ، وتعقد ندوات خاصة بذلك تنتقل بها دعوة الأخ الوزير الى ميدان الممارسة المرجـــوة فان دراستى المطولة الآنفة الذكر هى آخر كلمة عندى ، اذا ما أتيح لهـا مجال النشر •

وحتى ذاك فاننى اكتفى بالتوقف عندما نشر حتى الآن ، وهـو مقال الزميل عمر الجاوى الذى قـدمته الصحيفة لا باعتباره رأيها ، وانما آراء للمناقشة ، اعتبرتها فاتحة لحفز ودعوة الكتاب لمناقشة الوضع الثقافى فى ضوء « دعوة نحو فتح ملف المشروع الثقافى اليمنى » التى وجهها الرفيق وزير الثقافة والاعلام ـ •

عند رسمه للخارطة الثقافية فى اليمن قبل الثورة وبعـدها يرى

الزميل الجاوى أن هناك « اتجاهات ثلاثة فى الثقافة الوطنية •• وهى : اتجاه وطنى •• واتجاه قومى •• واتجاه أممى •• » وهى « موجـودة بالفعل فى كل أنواع الابداع القائمة » والمدارس الأدبيه الراهنـــه ، « وعلى نفس النسق الموجود فى العالم العربى » وكانت هـذه الاتجاهات مرتبطة بالحركة الوطنية اليمنية ، ومن ثم فى حالة صراع مـع قـوى القـديم وتياراته « وحركة الردة القائمة » ومثلت من ثم منحى يساريا انتظم فيه الجميع من « ناصرين وبعثيين وقوميين وغيرهم »•

غير أنه لا يلبث أن يخرج الاتجاه الأممى من مكانه فى خارطتـــه الثقافية ويحكم عليه بالعطالة والخواء ، سواء فى ميدان الانتاج الثقافى عموما أو فى ميدان الانتاج الأدبى والفنى • تماما كما يحكم على ثوره ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بأنها لا تعـدو أن تكون طلقة رصاص سمعت فى ردفان دفاعا عن شرف البندقية التى أراد الانجليز نزعها من أيدى لردفانيين عند عودتهم بها من شمال الوطن ، وهــو ذات الحكم العـدمى الذى يصــدره على طريق التوجه الاشتراكى الذى اقتحمته الثورة ، ويرى أنه لا وجود له وان بلوغه يشترط أولا تحقيق وحـدة اليمن •

ومن العرض يتضح أن رئيس تحرير مجلة « الحكمة » يرى أن هناك ثقافتين : ثقافة شعارات تروج لهـا السلطة • وترقم بها عـــدد المراحل الانقلابية التى مرت بها ، ولا تجـد لهـا أدنى انعكاس على صعيد الأدب والفن ، أو صعيد الثقافة الوطنية الحقيقية ، ثم الثقافة الوطنية الشعبية الحقة المعبرة عن جوهر مصالح ومطالب وطمـوح الشعب الأصيلة والتى تتجسد أيضا فى صيغ أمية وفنية راقية تعتبر « الحكمة » منبرها الفعلى البليغ ، كما يعتبر اتحـاد الأدباء ، والكتاب اليمنيين وجـدانها الحى ، ولسانها الفصيح ، رغم كل الاغـلال التى تقيده بها السلطات الحاكمة •

من الجـدير بالتنويه أن صحيفة « ١٤ أكتوبر » قـد ابرزت فى العـديد من العناوين الكبيرة بعض هـذه الأطروحات مثل : « الثقافة اليمنية لا تواكب الشـعارات ، بل تمس جـوهر قضـايانا الوطنية » « الأغنيات والأناشيد التى تردد الأرقام التاريخية هى خارج الفـن والأدب » •

ولا محيص من ايراد بعض الفقرات التى يبين بها أن هناك نمطين من الثقافة : ثقافة الشعارات الجوفاء •• والثقافة الوطنية الحقه المؤشرة على الاتجاه التاريخى لحركة الشعب : « أقول ذلك الان حركة الثقافة الوطنية القائمة فى بلادنا عموما لا توحى الا بما اقوله هـذه اللحظة » أى أنها ثقافة لا تواكب الشعارات ، وانما الجوهر الذى يمس قضايانا الوطنية مباشرة وبمعزل عن أى افتعال لأى شعارات مطروحة ومؤقتة • ان ما يطرق الاذن من قصيدة وقصـة وأغنية ومسرح وغير ذلك من الأشكال الفنية تجنب الشعارات المصطنعة وذهب ليمارس قضية الشعب الثـورية •

لا يعنى أن قصائد وأغنيات وأناشيد قـد رددت كل الأرقـام التاريخية التى نسمعها عن الانتقاضات والمراحل •• ولكن هـذه مجرد انتاج مراحل لا يذكر الا بالمناسبات وهـو خارج الفن والأدب » •

وانتاج المراحل والمناسبات — أيا كان الشكل الذى اتخـذه — هـو الذى صور للنـاس بأن ما يسمى ثورة ١٤ أكتوبر قـد مرت بمنعطفات تاريخية عديدة حتى بلغت ما يسمى طريق التوجه الاشتراكى ، بينما الحقيقة غير ذلك تماما ، فلا هى بثورة — أيا كانت التطورات التى حـدثت ولم تكن فى حسبان الذين أطلقوا الرصاص فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ فى ردفان دفاعا عن بنادقهم التى أراد الانجليز نزعها منهم — ولا هـو

بتوجه اشتراكى ذلك المنحى الذى تسير فيه السلطة فى هـذا الجزء الجنوبى من الوطن • ذلك هـو فحوى اجابة أمين عام اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين على سؤال الصحيفة عليه والذى كان نصه : « كان هـدف تصفية الاستعمار البريطانى من شطرنا الجنوبى من الوطن الهـدف الأول لثورة أكتوبر • ولكن الثورة بعـد الاستقلال عاشـت خيارات فكرية وسياسية انتهت الى اختيار مسار التوجه الاشتراكى لتطور المجتمع اليمنى فهل سار الأدب والثقافة اليمنية ايضا بتلك التحولات الفكرية •• وكيف عايشها جماليا •• ؟ » •

أما نص الاجابة فكان : « اولا أود من صميم قلبى أن اتحـدث الى صحيفتكم الغراء بلغة أشعر بأنها لا تجانب الحقيقة ، خاصـة والمسألة تتعلق بمناسبة الذكرى الفضية لاندلاع شرارة ردفان • وعليه لابد من طرح الأمور كما أعرفها •• وعلى وجـه الخصوص أن اطلاق أول رصاصة فى ردفان كان بهدف آخر ، ولهدف آخر • غير أن التطورات حملت الشرارة مضامين تحررية عميقة •• أى انها كانت للدفاع عن ردفان وأصحاب ردفان •• فان (أى) العائدين من جبهات الدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وتحولت الى احـدى المراكز المجابهة لتدخـل الاستعمار والقوى المضادة للثورة والجمهورية فى بلادنا •• ثم بعـد ذلك حصلت التطورات السياسية المعروفة فى سير الأحـداث •• حتى طرد الانجليز •• والتغيرات السياسية حتى ارساء ما يسمى بنهج التوجه الاشتراكى فى هـذا الجزء من الوطن •

نحن جزء من الحركة الثورية التاريخية فى بلادنا • بما فى ذلك الشعارات المطروحة فى هـذا الجزء من الوطن والتى نشك فى أنهـا تمضى على طريق التوجه الاشتراكى • لانه لا يمكن تحقيق الاشتراكية دون تحقيق الهـدف الأول للشعب اليمنى ، وهـو توحيد الوطن »

ولان « حركة الثقافة الوطنية القائمة فى بلادنا عموما لا توحى الا بما أقـــوله هـــذه اللحظة » •

أما المكانة الخاصة التى تحتلها مجلة « الحكمة » والدور المتميز الذى تنهض به فى ميدان انتاج الثقافة الوطنية بكل أشكال تجلياتها فينبعان من أنها امتداد عصرى « للحكمة القـــديمة » « التى صـــدرت فى ١٩٣٨ تعبر عن أرضية ثقافية لمن نسميهم بالرعيل الأول من المثقفين اليمنيين ، أى المدارس لتى تجاوزت التقليدية والركود فى مصر والعراق وغيرها من البلدان العربية » وأنها « أسهمت فى تطوير الثقافة الوطنية بحكم طابعها كلسان حال اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، وهى قـــدمت شيئا يمكن تحـــديده بكونها فتحت بابا لقضية الابداع خارج الرسميات وبمعنى أدق تبنت حرية الكلمة غير المراقبة » •

القول بأن « الحكمة القـــديمة » قـــد تجاوزت حركة الثقافة فى مراكزها الأساسية فى مصر والعراق وغيرهما واضح أمر المبالغة فيه ، وينفيه أن أقطابها مثل « أحمد عبد الوهاب الوريث وأحمد المطـــاع والمعزب وغيرهم » كانوا تلاميذ لاقطاب الثقافة العربية والاســـلامية الحـــديثة فى مصر وغيرها من أمثال الشيخ محمد عبده ، وطـــه حسين ، وعباس محمود العقاد ••• الخ •

أما أن يشهد أقطاب « الحكمة الجـــديدة » لأنفسهم فذلك أمر مفهوم ، ولا يعيبه الا شىء واحـــد وهو أن التاريخ لا يأخـــذ بشهادة المرء لنفسه ، وان كان يأخـــذ بشهادته عليها تماما كما أنه لا يعتبره حكما موضوعيا ما يقوله عهـــدما عن نفسه لمـــا يخالطه من تصورات تضخم أفعاله ، ذلك أنه يكون دائما هناك اضطرار « عند وصف هـــذا العهد التاريخى أو ذاك الى مشاطرة أوهام هـــذا العهد » كما قال ماركس ـ

(ماركس — انجلس منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ، الجزء ١ • دار التقــدم ، مسكو ، ١٩٨٠ ، ص ٤٣) •

واذا كانت ثنائية « الثقافة والديمقراطية » قــد مثلت احـــد المحاور فى ملف الثقافة الذى اقترح وزير الثقافة والاعلام فتحـــه ومناقشته فان رئيس تحرير « الحكمـــة » يرى أن هـــذه الثنائيـــة لم تشكل بعــد معادلة متكاملة مرضية • فالثورة — الثورة باطــلاق دون تحــديد ما اذا كانت ثورة ٢٦ سبتمبر أو ثورة ١٤ أكتوبر أو كلاهما معا — فتحت مجالا واسعا للطاقات الابداعية بصرف النظر عن المعــوقات التى تحــد من ذلك كتقليص الحريات وضرب الديمقراطية فى هــذا الجزء من الوطن » •

نحن لا ننفى أنه ما تزال هنــاك اشكاليات تتعلق باعطاء هامش أكبر من الحرية للثقافة والمثقفين حتى لا تفقد الثقافة وحاملوها دورهما الريادى فى مضمار استشفاف آفاق المستقبل وفى صياغة وبلورة الرؤية الكلية للطبقة أو الفئة التى يمثلونها •

وكما جاء فى مداخلتنا الأساسية التى تقــدمنا بها الى النــدوة العلمية المتعلقة بـــ « السياسة الثقافية وخبرة العمل بين المثقفين التى عقدت فى عــدن ما بين ٢٨ — ٣٠ مارس ١٩٨٨ والتى عالجت أشكالية العلاقة بين الثقافى والسياسى ، وأكدت على رفض استتباع الثقافى من قبل السياسى فان « هناك فارقا ما بين الطبقة وبين ممثليها من المثقفين • فالطبقـــة وان وعت مصالحها الآنية المباشرة وفكرت لنفسها ، فانهـــا لا تستطيع أن ترى مصالحها الآجلة والبعيدة ، وكثيرا ما يكون وعيها بهــذه المصالح جزئيا لا كليا ، ومتعــددا بتعــدد فئاتها • والذى يتيح لهــا النظر الكلى والشامل والبعيد والعميق لمصالحها هــذه هم مثقفوها • وهم الذين يعملون على خلق التجانس والتناغم فى وعيها الطبقى • وهم

الذين يصوغون لهـا الفكر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى الموحـد لهـا ، والموجه لخطاها ، والمنظم لهيمنتها الطبقيه ، والبانى لاجهزتهـا الايديولوجيه المسيطرة فى الدوله والمجتمع .

فالمثقفون سـواء كانوا من اعضاء الطبقـه أو من المنتمين اليهـا أيديولوجيا ليسوا مجرد أفراد — وانما هم جماعة ذات وظيفه بالغـه الحساسية والأهمية ، وهم بحكم وظيفتهم العليا المتساميه هذه يمتلكون استقلالية نسبية تجاه طبقتهم ... » .

واذا كان مطلب المثقفين باعطائهم حيزا أكبر فى ساحة الديمقراطيه مطلبا عادلا ومشروعا فأنهم ينتقصون منه ويشككون فى مصداقيتـه ووجاهته عندما يتصرفون حيال بعضهم بعضا بما لا ينسجم معه ، حيث يحجبون حـق التعبير فى منبرهم الثقافى المتاح لهم عن البعض منهم بهـذه الحجة أو تلك . وقـد ترقى هـذه الحجـة الى مستوى أن تكون تهمة ادانة مختلقة لا تليق بهم ولا بمن توجه اليهم كالقول مثلا بأن هـذا البعض المحظور عليه الكتابة فى مجلة « الحكمة » يؤمن بتشطير الوطن ولا يدعو الى وحـدته ، رغم أن مجمل كتاباته وحتى أطروحته العلمية التى استحق من أجلها أن يحمل لقبا أكاديميا تتعلق بالوحـدة اليمنية ، وان كان المدخل التاريخى الذى يراه لتحقيقها غير ذلك المدخل الذى تقترحه « الحكمة » .

لا يخفى رئيس تحرير « الحكمة » هـذه المفارقة التى تقع فيها المجلة حيث تشكو من نقص الديمقراطية وتطالب بالمزيد منها ، فى الوقت الذى تقمع فيه الرأى الآخر لأنه لا يتفق مع وجهـة نظرها : « وحين أتحـدث عن حرية التعبير انما أقصـد مداها الكامل أيديولوجيا وفنيا » و « حتى لا يقال أننا نبالغ كثيرا فى قضية الحرية المفتوحة نقول نعم .. نمنع نشر الانتـاج الذى يدعـو الى النكوص والردة أى بقـاء التشطير » (١) .

لا ينبغى أن نعتبر أن رأى رئيس تحرير « الحكمة » فى أوضاع البلاد الثقافيه والسياسية هـو راى جميع اعضاء اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، فالاتحاد يضم العديد من التيارات حتى وان بدا أن الطغيان فيه للجانب المهيمن على منبره الثقافى والاعلامى : « الحكمة » .

فهناك من يرى انه لا حجر على احـد فى ممارسة حق التعبير بالرأى ومن يتفق مـع وزير الثقافة والاعلام بانه آن أوان مراجعـة وتدقيق ملف الثقافـه وطرح اشكالياتها واثارة الأسئلة المتعلقـة بهـا والمرتبطة بحركة المجتمع والهادفة الى ترشيد ودفع « حركته دون ان تضع اشارات حظر التحول ، أو تحول دون اثارة نقاش بنـاء وهادف حول ثقافتنا اليمنية المعاصرة بأبعادها الوطنية الديمقراطية » .

ليست هناك رؤية واحـدة ازاء وضع الثقافه فى اليمن ـــ ماضيا وحاضرا ومستقبلا ـــ هناك عـدة رؤى وما عرضناه آنفا هـو بعض منها . وسيظهر فتـح ملف الثقافة بالندوات التى ستعقد من أجـله ، والمناقشات الصحفية والاعلامية عموما التى ستدور حوله الخطـوط والملامح التفصيلية الدقيقة له والتيار الأساسى الذى يمتلك الســاحة الثقافية أو الذى هو فى طريقه الى تملكها .

وعـدا ذلك فان هـذه الندوات والحوارات المفتوحة أمام الرأى العام من شأنها أن تساعد على وضع سياسة ثقافية مستقبلية ، بل وسياسة اعلامية مستقبلية ، تمثل أحـد الروافـع التاريخية ـ الروحيـة والأيديولوجية ـــ لحركة الشعب اليمنى المتجهة صوب ترسيخ قواعـد التجربة الثورية الدمقراطية فى جنوب الوطن ، والانطلاق بها قـدما الى الأمام فى طريق التوجه الاشتراكى وصوب توحيد أطراف الحركة الثورية اليمنية بجميع مشاربها الوطنية والديمقراطية والتقـدمية ، من أجـل اقامة اليمن الديمقراطى الموحـد ذى الآفاق القومية التقـدمية ، والأبعاد الانسانية الأممية .

فى اليمـــن الديمقراطيــة
مشروع سياسى ثقـافى ديمقراطى
لا حصــار ثقـافى(*)

لم أجـد فى موضوع « الحصار الثقافى » للأخ محمد أبو بكر الحـداد المنشور فى عـدد يناير ١٩٨٩ من « الحكمـة » حيثيات تبرر خطورة عنوانه ، اللهم الا اذا كان المراد هـو رفض المشروع السياسى ـ الثقافى الذى تتبناه اليمن الديمقراطية كنواة قابلة للبلورة والتنمية والصقل والتطوير والتعميق ليصبح صالحا لليمن كله . والا اذا كان الهـدف هو الدعوة لمشروع سياسى ـ ثقافى مضاد .

ولفقـدان هـذه الحيثيات فاننى أكتفى هنا ـ كرد غير مباشر ـ بتقـديم الملامح العامة للمشروع السياسى ـ الثقافى الديمقراطى الذى ترفع لواءه اليمن الديمقراطية ـ ومعيا الحركة الوطنية اليمنية كلها ـ والذى ما برح ينمو ويتكامل .

ففى مواجهة المشروع الثقافى السياسى للبيروقراطية البرجوازية والمتمازج مع العـديد من الثقافات السلفية والاصلاحية والاستعمارية ، ينتصب المشروع الثقافى السياسى الديمقراطى بتوجهه الاشتراكى فى

(*) نشرت فى « ١٤ أكتوبر » فى ١٩٨٩/٣/٢٦ .

جنوب الوطن والمتكامل مع المشروع الثقافي — السياسى الثورى الذى تقـدمه الحركة الوطنية اليمنية عموما ، وخاصة جناحها اليسارى .

ان مما يميز النظام الديمقراطى الثورى فى جنوب الوطن هـو المنهجية العلمية الواضحة ، والانتماء الطبقى الصريح ، ورفض الثنائية والازدواجية والانتقائية والتلفيقية فى الأيديولوجية والثقافة ، وهى الأمراض التى عانت منها الأنظمة الوطنية الديمقراطية العربية وغير العربية التى قادتها البرجوازية الصغيرة وقادت من ثم الى هلاكهـا ، والتى ما يزال يعانى منها البعض الآخر ، دون أن يكون هناك ضمان للافلات من ذات المصير .

ان هـذا الحسم النظرى ، المبنى على المـادية الدياكتيكية والمادية التاريخية ، جنب هـذا المشروع أيضا من الوقوع فى اشكالية ثنائية من طراز آخر كالاصالة والمعاصرة ، والتراث والحداثة ، والدين والدولة ، والثقافة والسلطة ، والوطنية والطبقية ، والقومية والأممـة ، اذ لا أشكالية حقيقية ، وانما تفاعل وتكامل بين طرفى المعادلة ، بمـا يساعد على انجـاح المشروع الثقافى السياسى الديمقراطى بتوجهـه الاشـتراكى .

وعبر مسيرة الثـورة أمكن لهـا أن تنشىء مثقفيها المتعـددى الاختصاصات والمواهب والمؤمنين برسالتها ، أيا كان حظهم أو حظ كل منهم من العلم والثقافة والاستيعاب لأبعاد هـذا المشروع الاجتماعى — الثقافى — التاريخى .

واذا كانت البرجوازية تنشىء مثقفيها الذين يحسنون — بالدرجـة الأولى — اتقان مهنة معينة ليصبحوا اختصاصيين فيها فان الاشتراكية لا تكتفى فقط بانشاء مثل هـذا المثقف المتخصص فهو يظل مثقفا ذا بعـد

واحـــد ، وانما تعمل على تربيـــة وصياغة مثقف نقى وذى رؤية تسع للكون كله وتعمل على تغييره عبر تغيير بنية مجتمعه ، وذلك هو المثقف التقنى — السياسى ، المثقف الاختصاصى — الثورى ، المثقف المنتج — القائد — المثقف البروليتارى — العضوى ٠

وما من شك فى أن اليمن الديمقراطية — حتى قبل أن تصـــل الى المرحلة الاشتراكية — قـــد شرعت فى صنع مثل هـــذا الطراز من المثقفين العضويين ، بل ان الحزب الاشتراكى اليمنى أيا كانت الهزات والازمات التى تعرض لهـــا — هـــو هـــذا المثقف الجماعى العضوى — حسب صيغة جرامشى — ومجرد تغلبه على هـــذه الهزات والازمات هو دليل آخر على أنه ذو أصالة اجتماعية ليس من السهل أن تؤثر عليها الأحـــداث ، وذو رؤية سياسية — ثقافية متينة غير قابلة للكسر ٠

وكان المثقفون منذ بداية الثورة وعبر جميع مراحلهـــا هم الجسر الواصل بين مختلف الطبقات والفئات الشعبية ذات المصلحة فى الثـــورة والحلقة الوسطى بين مجمل الفئات الوسطى التى أمسكت بقيادتها وتولت التعبير عن أيديولوجية الطبقات الثورية ٠

ومنذ البداية امتزج المثقفون المدنيون بالمثقفين الفدائيين والعسكريين المحترفين وخريجى الاكاديميات فيما بعـــ
ظلت تنمو وتتسع وتتكامل حتى استوعبت ، خيرة

وحسب صيغة برنامج الحزب الا
مكانة هامة فى المجتمع اليمنى ، وقـ
خلال مراحل النضال التحررى الذى
كان المثقفون بين الصفوف الأمامية ،
مواقع الاشتراكية العلمية ، وأصبحت

على تنفيذ ارادة الشغيلة ، وخـدمة تطوير مصالحها المـادية والروحيـة خلافا لممارسات ودور فئات أخرى من المثقفين الذين لم يكن لهم فى عهـد الاستعمار من هاجس سـوى الركض وراء الكسب الشخصى والتعـالى على الجمـاهير .

والى جانب ذلك فقد أفسحت الثورة مجالا لنشوء فئة المثقفين الثوريين الكادحين والشغيلة ، وذلك من خلال اتاحة الفرص لدراستهم سـواء فى الجـديدة المتحـدرة مع الطبقة العاملة والفلاحين والصيادين وغيرهم من الداخـل أو الخـارج .

وفى الوقت الحاضر تشترك الاغلبية الساحقة من المثقفين فى بنـاء الاقتصاد الوطنى وفى تطوير الحياة الثقافية والاجتماعية فى بلادنا » .

« ولقـد قامت الثورة بعـدد من الاجراءات فى مجال تطوير التعليم العام والعالى والثقافة فى البلاد ، مما أدى الى زيادة عـدد المثقفين » . (ص ٥٧ — ٥٨)

ولأنه لا تعايش أيديولوجى ، ولا مساومة طبقية ، ولا وفاق سياسى ولا مهادنة للفكر الاقطاعى السلفى ، والبرجوازى البراجماتى ، والدينى المتزمت والمشبوه ولكل الرواسب الفكرية المتخلفة والمنحـدرة عن الأنماط الاجتماعية السابقة للمرحلة الرأسمالية والاقطاعية ، كما أنه لا مجـال للثقافة الاستعمارية .. أيا كانت لبوسها — فان برنامج الحزب شرع فى شن الحرب الأيديولوجية عليها ، حتى يتم استئصالها نهـائيا من حيـاة المجتمع ومن رؤوس الناس وعاداتهم مع التسليم بان حربا كهذه قد تطول أمدا من الزمن لتعقدها واتساع جبهتها ، وامتدادها عبر المـاضى والحاضر والمستقبل ، وارتباطها بالانسان نفسه الذى لا تغيره الثقافة وحـدها ،

وانمـا يغيره أيضا المجتمع ذاته وتطور علاقاته الانتاجية والاجتماعية والروحيـة ».

وكما جاء فى البرنامج : « وبفضل العمل الهادف الذى قـد قامت به الطليعـة السياسية والسلطة الثـورية والمنظمات الجماهيرية وجميع الشغيلة والكادحين ، وبالرغم من كافـة العوائق والعراقيل التى كانت تضعها الانتهازية اليمينية واليسارية فأنه قـد أحرزت فى هـذا المجال نتائج ايجابية ، حيث خطونا خطوة كبيرة على طريق التخلص من التركة الثقيلة التى خلفها الاستعمار والامبريالية والرجعية فى هـذا المضمار ، ووجهنا ضربات قـوية الى مواقع وجـذور الأيديولوجية البرجوازية ومخلفات الاقطاع والرواسب القبلية والانفصالية ، وحـدث ارتفاع ملحوظ للوعى الطبقى الثورى للجماهير الكادحة ، وكرست قيم ومفاهيم وعادات ثقافية ثورية جـديدة فى أوساطها ، كما تم أيضـا تحقيق اجراءات جـذرية خاصة بمحو الأمية وتعليم الجيل الجـديد وجماهير الكادحين الواسعة على أساس الأيديولوجية الثورية ومنجزات الثقافة الوطنية والانسانية التقـدمية • ان نشاط الجماهير الكادحة الواعى والمبرمج فى كافة ميادين الحياة الاجتماعية سيمكن بالضرورة من التغلب على المعتقدات البالية التى لا زالت تؤثر فى حياة الناس بحيث يعطون فى المطاف الأخير الولاء تدريجيا لنظام الدولة ويلتزمون بالاخلاص لقوانين وتشريعات سلطة الدولة • والحزب والدولة سيضعان حـدا حاسما لاية محاولات ترتدى اقنعـه المعتقدات الدينية وتجند نفسها باسم الدين لأغراض سياسية مشبوهة ضـد الثـورة والنظـام الجـديدة ولأية محاولات تستهدف عرقلة وتصفية منجزات ومكاسب الكادحين » •

« وينطلق الحزب من حقيقة مؤاداها أن هـذه العملية معقـدة وتدريجية وطويلة ولا يجوز أن تجرى عفويا ، ويتطلب تحقيقها من الحزب والدولة والمنظمات الجماهيرية بذل جهد منهاجية متواصلة • لذلك

فان ما تم انجاز فى هـذا المجال لا يعتبر الا قاعـدة ضرورية لتحقيق تحولات أكثر جـذرية وعمقا » • (ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦) •

ان أصالة وميزة هـذا المشروع الثقـافى الديمقراطى هـو ذلك التفتح الدائب والمستمر الذى اتسم به منذ كان بذرة فى الميثاق الوطنى للجبهة القومية الى أن غـدا اليوم رؤية متكاملة وممارسة حية ، ورفضه من ثم الوقوف عند حـد ، أو المراوحة فى نقطة الوسط التى تختنق فيها الثورات والمشاريع الديمقراطية التى تقودها البرجوازية الصغيرة • كما تتجلى أصالته وميزته فى الاقتناع المبكر بأنه لا ديمقراطية ثورية بدون مواصلة السير نحو الاشتراكية ، حتى ولو كان فهمه للاشتراكية ذا مسحة برجوازية صغيرة ، ثم تحوله من مفهوم « الاشتراكية الثورية » الذى جاء فى « الميثاق الوطنى » الى مفهوم « الاشتراكية العلمية » الذى ما برح يتبلور فى ذهن المناضلين عبر عملية التثقيف الذاتية والمنهجية حتى اتخـذ ذلك الوضـوح الفكرى الذى تجسد فى برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى •

وما برح هـذا المشروع السياسى ـ الثقافى الديمقراطى بتوجهه الاشتراكى وعمقه الوطنى اليمنى ، وبعده القومى التقـدمى ، وافقه الانسانى الأممى ـ ما برح يتأصل ويتفتح ويتنامى ويتكامل فى مناخ من الحريات الديمقراطية والعلنية الآخـذة فى الاتساع ـ ـ ليغدو لا مشروعا صالحا لليمن الموحـد فقط ، وانما أيضا ركنا ركينا فى المشروع السياسى ـ الثقافى ـ الحضارى ـ النهضوى العربى ، وخيطا متينا فى المشروع السياسى ـ الثقافى الحضارى العالمى الذى تشترك فى نسجه الانسانية التقـدمية كلها •

التعمـق في دراسـة ...
الفكر الاشتراكي العلمي ...
وتعميم الثـورة الثقافيـة ...
في اليمـن الديمقراطيـة ...
سـبيل انتصـار
رسـالة الحـزب في اليمـن(*)

يمثل قيام الحزب الاشتراكي اليمني كحزب للطبقة العاملة وحلفائها ومثقفيها ، وكحزب تكون من اندماج أكثر من فصيل ديمقراطي وقـام على أساس الاشتراكية العلمية ، ليس تحولا فكريا أيديولوجيا مشهودا في الفكر اليمني فحسب ، وانما تجربة رائدة ومهمة في الوطن العربي كله أيضـا .

وهو الحزب الوحيد في المنطقة العربية الذي يبني من موقـع السلطة أول تجربة ديمقراطية ثورية في الاتجاه الاشتراكي ، بعكس التجارب الديمقراطية الثورية التي قادتها أحزاب البرجوازية الصغيرة وانتهت اما الى طريق مسدود ، أو رواحت في مكانها دون ظهور مؤشرات تؤكد قـدرتها على تجاوز المـأزق الذي دخلت فيـه بفعـل احتكار البرجوازية الصغيرة والفئات الوسطى البيروقراطية للسلطة .

لقـد لخصت ديباجة برنامج الحزب الاشتراكي اليمني الأهميـة الاستثنائية التي يمثلها الحزب ، والمهمة الاجتماعية ـ التاريخية التي ينهض بها على النحو التالي :

« الحزب الاشتراكي اليمني هـو طليعة الطبقة العاملة اليمنية المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الشعبية الكادحـة

(*) نشرت في « ١٤ أكتوبر » في ١٩٨٩/١/١٩ .

الأخرى . وهــو التعبير الحى عن وعى الطبقــــة لمصالحها الحقيقة ولمستقبلها ودورها التاريخى . وترتبط نشأة الحزب ارتباطا عضــويا بتراث شعبنا الكفاحى . وهــو يستلهم ويطور كل ما هو تقــدمى وثورى فى تراث الشعب اليمنى والقومى التقــدمى ، وهو المكمل لكل نضالات الشعب . وهــدف الحزب تحويل المجتمع تحويلا ثوريا لاستكمال الثورة الوطنية الديمقراطية ، والانتقال نحو الاشتراكية ، مسترشدا فى سبيل تحقيق هــذا الهــدف النبيل بنظرية لاشتراكية العلمية آخــذا بعين الاعتبار الخصائص المحلية لنمو وتطور الثورة الوطنية الديمقراطية فى بلادنا .

وينطلق الحزب الاشتراكى اليمنى فى برنامجه وسياسته وكافة ممارساته النظرية والعملية من الادراك الصحيح لطبيعة وجوهر المرحلة المعاصرة للتطور التاريخى وللعملية الثـورية العالميــة والاتجــاهات الأساسية لتطورها ، ومن طبيعـــة الصراع بين حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية كجزء من الحركة الثـورية العالمية وبين الامبرياليــة والصهيونية والرجعية » (ص ١) .

ان وثائق الحزب جميعا بدءا بالبرنامج ، وانتهاء بالوثيقة النقــدية التحليلية للكونفرنس الحزبى العام ، تشهد كلها بأنها وثائق نظــرية وسياسية متقدمة وناضجة — وان احتاجت الى مزيد من التدقيق — .

غير أن التحــدى الذى كان يواجه الحزب ، كما كان يواجه التنظيم السياسى الجبهة القومية ، والتنظيم السياسى الموحــد — الجبهـــة القومية ، هــو فى مدى التقيد بهــذه الوثائق والاحتكام اليها ، وفى القــدرة على عبور الفجوة القائمة بين الفكر التقــدمى والمتقــدم الذى تجسده هــذه الوثائق والذى يحــدد كيفية ترشيد حركة المجتمع ، وبين الممارسة العملية لهــا ، ومن ثم دمج النظرية بالحركة واذابة الثقاف فى السياسى وتغليب الأيديولوجية العلمية التى تتضمنها هــذه الوثائق

على ما تبقى من الرؤى الأيديولوجية القـديمة ، المتخلفة الغائرة فى ثنايا المجتمع •

كانت المعضلة دائما تتمثل فى مدى الاستيعاب العميق لمحتـوى هـذه الوثائق وللنظرية الاشتراكية العلمية التى تستهدى بها ، فى التملك الفكرى الكامل لهـا ، فى التشبع الروحى بها ، فى الممارسة المنسجمة معها ، فى التطبيق الخلاق لهـا ، فى اعادة خلق بنية فكرية وسياسية وسيكلوجيـة جـديدة وفقـا لهـا ومن ثم متحررة من آثار البنى الأيديولوجية المتخلفة عن المـاضى ، وقادرة بالتالى — ودون عوائق — على قيادة عملية التجـديد الديمقراطى للمجتمع وتنميتها بفعالية كاملة والتعجيل بها الى أقصى مدى ممكن •

كان هناك نقص فى التزود بالثقافة الاشتراكية العلمية ، وقصور فى التمثل للفكر الذى تدعو لـه • وعـدم القـدرة على تسييد النظرة العلمية الموضوعية فى حل جميع المشاكل والتعقيدات والتناقضات التى تواجه الحزب والمجتمع • بل كان هناك نقص فى التمثل الكامل للأفكار والتصورات والقيم الديمقراطة والتقـدمية ، وفى تشربها وتحويلها الى نسغ فى عروق العضوية الحزبية ، والى حياة داخلية تتحكم فى روح وسلوك المناضل الحزبى •

ربما عاد ذلك الى أسباب عـديدة منها انشغال الحزب بالهمـوم الاقتصادية والاجتماعية وبعمليـة التحـويل الاجتماعى الديمقراطى لبنية المجتمع ، دون أن يجـد الوقت الكافى — نظرا لحـداثة نشأته أيضا — للانصراف الى الدراسة الفكرية المتعمقة للنظرية وتراثهـا النضالى • كانت عملية اقامة قاعـدة مادية تتوازن عليها حركة الثـورة وتنهض على أساسها دولتهـا الجـديدة ، واقامة هياكل اقتصـادية واجتماعية وادارية وانشاء مؤسسات لهـا ومنظومة سياسية تعبر عن قواها الاجتماعية وغير ذلك من الأطر والآليات الضرورية لتسهيل ومتابعة

حركه المجتمع فى الاتجاه الوطنى الديمقراطى — كان ذلك هــو الحلقه المركزيه التى ركزت عليها الدولة •

لا شك ان العمل من أجل بناء الحزب الطليعى كان هما مقيمــا منذ البدايه ، ولا سيما منذ المؤتمر الرابع للجبهة القومية • غير ان قيام هــذا الحزب كان ولادة عسيرة هى اقرب الى العملية القيصريه منهــا الى الولادة الطبيعية •

ولكى يستكمل نموه كان فى حاجة الى الوقت والاستقرار السياسى . وذلك ما لم يتح له دائما بفعل المؤامرات الخارجية والخروقات الداخليه حتى من داخل الحزب ، وهــو ما تمثل بصورة خاصة فى احداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م التى كانت الحلقة العليا للاحــداث السابقة لهــا •

ما من شك فى أن بقايا الأيديولوجيات المعبرة عن الانماط الاجتماعيه القــديمة وعن وجود النمط البرجوازى قــد عكست نفسها على الحزب ولعبت دورا فى الحيلولة دون تحقيق التجانس الأيديولوجى فى صفوفه ؛ وما من شك فى ان ترديد الشعارات والجمل الثورية قــد حل احيانا محل الدراسة المستانية والضرورية للنظرية •

على أن السبب الأساسى لذلك كله هــو صعوبة اطلاق وتعميم الثورة الثقافية التى يستحيل بدونها اكمــال مهــام الثــورة الوطنية الديمقراطية والشروع فى تحقيق الاشتراكية •

وصعوبة انجاز هــذه الثورة تنبع من أنها تتعلق بالانسان ذاته . قبل أن تتعلق بالمجتمع وأنها تحتاج الى وقت طويل نسبيا ، على عكس الثورة العسكرية والسياسية والاجتماعية • وكان برنامج الحزب قــد نبه الى أهمية هــذه الثورة والى ارتباط مصير الثورة الاجتماعية بالمضى فيهــا :

« يشكل المجال الأيديولوجى والثقافى والاجتماعى أحــد المجالات الرئيسية الذى يسعى الحزب الى تغييره الثورى ، ولا يمكن التحقيق

الناجح لمهمات المرحلة الراهنة والمرحلة اللاحقة للثورة الا بالاستناد الى السياسة الطبقية الصحيحة فى حل المسائل المتعلقة بهـذا المجال •

وينطلق الحزب من حقيقة مؤداها أن هـذه العملية معقـدة وتدريجية وطويلة ولا يجوز أن تجرى عفـويا • ويتطلب تحقيقها من الحزب والدولة والمنظمات الجماهيرية بذل جهود منهاجية متواصلة • لذلك فان ما تم انجازه فى هـذا المجال لا يعتبر الا قاعـدة ضرورية لتحقيق تحولات أكثر جـذرية وعمقا •

ومن أجـل تحقيق الانقـلاب الجـذرى فى الحياة الأيديولوجية والثقافية لابد من القيام بالثورة الثقافية الحقيقية • ويرى الحزب ان الأهم لنجاح هـذه الثورة يكمن فى أن تكون كل اجراءاتها منطلقة من نظرية الاشتراكية العلمية وتجرى على أساسها • لذلك فان من الضرورى أن يحتل العمل على غرس قيم فكرية وثقافية وأخلاقية تعتمد على نظرية الاشتراكية العلمية مركز الصـدارة فى تحويل الحياة الأيديولوجيـة والثقافيـة للحزب والدولة والمنظمات الجماهيرية وجماهير الشـغيلة والكادحين » (ص ٦٣ ، ٦٤) •

وكان عبد الفتاح اسماعيل قـد أشار قبـل ذلك الى صـعوبة تحقيق هـذا التحول الفكرى والثقافى والأيديولوجى فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، بحيث يتمكن من حسم الصراع مع الأيديولوجيات والثقافات الأخرى المناهضة ، وتسييد أيديولوجية الاشتراكية العلمية ، وتمكينها من تجسيد نفسها فى واقع الحياة الاجتماعية ، وفى سـلوك البشر ،ونبه الى أن ذلك سيستغرق زمنا قـد يقصر وقـد يطول :

« وحتى الآن نحن فى درجة معينة من سلم التطور التاريخى فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية • واذا قسنا الثقافة فسنجدها انعكاسا لدرجة سلم ذلك التطور •• ذلك لأنها انعكاس دقيق لواقع حال القوى المنتجة الاقتصادى •• صحيح أننا أستطعنا أن نخطو خطوات ايجابية

على طريق اقتصادنا الوطني من الاقطاع والرأسمال الأجنبى — وهى تعتبر الحـد الأدنى فى هـذا الطريق ، وذلك باقامه الأشكال الاقتصاديه الجـديدة ، والمتمثلة بمؤسسات العمل التعاونى ومزارع الدولة والقطاع العام ، لكن لم نقض كلية بعـد على الأفكار والنظرات والتقاليـد الثقافية لشبه الاقطاع والرأسمالية ،فلا زالت جـذور الثقافة القـديمة فى مجتمعنا اليمنى عميقة الى حـد يصعب استئصالها قبل مرور فترة زمنية من التطور الاقتصادى والثقافى الثوريين ، فأساس الأفكار ، كما نعرف فى المـادية التاريخية ، ليس اسلوب الانتاج ، وانما جانب منه فقط هـو علاقات الانتاج .. وفى هـذا الجزء من بلادنا لازال اسلوب الانتاج أسلوبا انتقاليا يطابق مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التى نمـر بهـا .

ونحن لا نستطيع القضاء دفعة واحـدة على الثقافة القـديمة المعادية للتطور والتقـدم ، بل يلزمنا لذلك فترة تطول أو تقصر ، بحسب الظروف الذاتية والموضوعية لعملية التطور »(١) .

أن أصعب مرحلة تمر بها ثورة من الثورات هى الفترة الانتقالية التى تتسم دائما بالتعقيد الشديد . وكفترة انتقالية فانها ، ورغم محاولة تسييد الثقافة الجـديدة تمتزج خلالها ثقافات وايديولوجيات عديدة ، وتحمل بصمات المـاضى والحاضر . وقبل ان تحسم الصراع مـع مخلفات الفكر القـديم التى تحتفظ بقـدرة هائلة على المقاومة والبقاء لا تستطيع أن تكون مطلقة اليد فى عملية دفع الثورة الاجتماعية الى أبعادها النهائية ، وفى الخروج بها نهائيا من أسر المـاضى الى رحاب المستقبل .

ولان مثقفى المرحلة الثورية التى تمر بها الثورة ما يزالون فى حالة

---

(١) عبد الفتاح اسماعيل ، ثقافتنا الوطنية من القـديم الى الجـديد ص ٢٥ — ٢٦ — ٢٧ .

تشكل وتكون ، ولم يستكملوا بناءهم النظرى والثقافى ، ولم يمتلكوا قــدرة كافية على اعادة تشكيل الرأى العام وفق متطلبات الثورة ووفق المفاهيم والقيم الفكرية الديمقراطية الجــديدة فان ذلك يعقــد عملية التطور الاجتماعى ، ويطيل أمد الفترة الانتقالية ، وقــد تنشأ عنــــه اهتزات وأزمات تمس كيان الثورة ذاتها •

وحتى وان وجــد المثقفون الطليعيون ، فأنهم ازاء تركة التخلف الثقيلة وازاء فقــدان التجانس الأيديولوجى والوضوح النظرى داخل الحزب كــكل لا يستطيعون أن يملوا ارادتهم على الجميع ، ولا يملكون الا العمل البطىء والمثابر ، وترك الزمن والتجربة يلعبــــان دورهما فى انضاج المفاهيم الجــديدة وفى صياغة الوحــدة الفكرية لكل أعضاء الحزب •

لقــد وقفت « الوثيقة النقــدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ ــ ١٩٨٦ م » التى أقرها الكونفرنس الحزبى العام الذى عقد ما بين ٢٠ ــ ٢١ ونيو ١٩٨٧ م ووقف « تقرير اللجنــــة المركزية » للحزب الاشتراكى اليمنى الذى قــدمه الرفيق على سالم البيض الأمين العام أمام العــديد من هــذه الصعوبات الموضــوعية والذاتية التى مر بها الحزب ومرت بها التجربة الثورية ككل ، وأمام العــديد من النواقص والثغرات وقــدم لهــا المعالجات الصائبة •

وليس فى امكاننا سوى الاشارة الى بعض ما ورد فيهما فى هــذا الصــدد كنموذج للممارسة الديمقراطية المسئولة ، وعلى العزم على تجاوز هــذه الصعوبات والنواقص والثغرات :

« ان المصاعب والانحرافات الانتهازية التى واجهها الحزب تعود الى عــدد من الأسباب الموضوعية والذاتية المتعلقة بنشأة الحزب وتطوره من جانب ، وبطبيعة التركيب الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع والصراعات الطبقية المعتملة من جانب آخر ، ومؤامرات وتخريب القوى الامبريالية •

وتتمثل الأسباب الموضوعية فى تدنى نسبة الطبقة العاملة فى اطار الحزب والمجتمع وشيوع فئات البرجــوازية الصغيرة وتاثيرها على الحزب ، وضغط فئات الرأسمال المحلى والأجنبى ، وقــوى الثـورة المضادة الداخلية والخارجية ، والاشكالات والمصاعب الموضوعية لعملية التطور الاقتصادى والاجتماعى فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وبقاء النزاعات المناطقية كنتيجة لعــدم نضج واكتمال الأســاس الاقتصادى والاجتماعى للوحــدة الوطنية .

وتكمن الأسباب الذاتية فى صعوبات الانتقال من مواقع الديمقراطيه الثورية الى مواقع الاشتراكية العلميه ، وعــدم قــدرة واستعداد بعض الأعضاء فى القيادة وفى الحزب بصورة عامة على استيعاب ودراســه الفكر الجــديد والاهتداء به وضغط تاثيرات الايديولوجيات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ، وبقــايا الأفكار التقليدية ، والتساهل تجــاه الاتجاهات المغايرة لخط الحزب ، وخرق مبادىء المركزية الديمقراطية الحزبية والاستعاضة عنها باعتماد أسلوب التوازنات ومراكز القــوى وعــدم مراعاة المعايير المبدئية فى اختيار وانتخاب الكوادر والقيــادات والقيادة الجماعية والنقــد والنقــد الذاتى ، الى جانب الميول التكتليه ، والولاءات الشخصية ، وضعف أشكال المراقبــة الحزبية والجماهيريه والنقــد والمحاسبة ، والتساهل تجاه عناصر التيارات الانتهازية » . « الوثيقــة » ، (ص ٣٩) .

وبذات الصراحة والمكاشفة الهادفة والمسئولة فى مضمار تبيان العيوب الذاتية التى لازمت حتى بعض القيادات فى الحزب يقــول « تقرير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى » : « ولا ريب أن عملنا الأيديولوجى واجه وما زال يواجه العــديد من المصاعب بسبب بقايا تأثير المفاهيم والقيم البالية والعلاقات الاجتماعية المتخلفة وقــوة العادات القــديمة وآثار الممارسات الانحرافية للتيارات الانتهــازية

اليمينية واليسارية على الصعيد الأيديولوجى ، حيث لم يعط اى اهتمام يذكر لقضية التثقيف والدراسة النظرية لأيديولوجية الحزب ووثائقــه الا بشكل مبادرات ذاتية محــدودة • كما أن بعض القيادات قــد تركت التثقيف الذاتي والدراسة النظرية جانبا لأسباب مختلفة أبرزها اعتقادها بعــدم ضرورة ذلك واستعيض عنها بالوجاهة السياسية والاجتماعية ، وكذا بسبب النشاط الأيديولوجي المعادى الذى يقوم على خبرات متطورة وأساليب مجربة ، ولا يمكن اضعاف تأثير هــذه المصاعب بدون عمــل تربوى منها جى دؤوب » • (ص ٣١ — ٣٢) •

وكما أن التشخيص الموضوعى والأمين للمعضلات الاجتماعيــه والسياسية يساوى نصف حل ، فان النصف الآخر يتكفل به المضى الى الأمام فى تعميم الثورة الثقافية فى شتى ربوع البلاد •

لقــد شرع بتنفيذ هــذه الثورة الثقافية بالفعل من خلال العمل الجاد والدؤوب لمحــو الأمية الأبجــدية واقامة المدارس الحــديثه والجامعة ومراكز البحث العام والحزبى والمعاهــد التخصصية ومعهــد عبد الله باذيب للاشتراكية العلمية وفروعه وارسال البعثات الدراســية الى البلــــدان الاشتراكية ، واقامة الأجهزة الأيديولوجية الأخرى فى الدولة والحزب والمنظمات الجماهيرية ، ناهيك عن وسائل الاعلام •

غير أن هــذه الثورة ما تزال فى بدايتها • فلم يقض على الأمية نهائيا ، ولم ينتشر الوعى الثورى الصحيح والشامل فى جميع أنحــاء البلاد ، والتأهيل العلمى والأدبى والفنى واللغوى ما يزال دون المستوى المطلوب ، والاستيعاب النظرى للفكر الاشتراكى ولخبرات الأحزاب الشيوعية ما يزال ضعيفا ، كما أن التطبيق الخلاق والمبدع لذلك كله على خصوصيه الواقع اليمنى ما يزال دون الحــد الضرورى •

ورغم أن الأيديولوجية السائدة هى أيديولوجية الاشتراكية العلميه ، الا أن سيطرتها على عقول وقلوب الناس لم تتحقق بعــد ،ولم يتحقق

اعادة البناء الثورى التى تأتى عملية اعادة بناء البنيه الأيديولوجيه — الثقافية فى مقـدمتها — نصح بالتركيز على خلق النوعية الجيدة حتى ولو كانت من حيث الكم قليلة • فالنوعية الجيدة هى القـدوة والمثـال والنموذج الجـدير بالاحتذاء والتمثل •

وحسب تعبير لينين : « ينبغى اتباع هـذه القاعدة : من الأفضل أقـل من حيث الكمية شرط أن يكون أحسن من حيث الكيفية • ينبغى اتباع هـذه القاعـدة : من الأفضل بعـد سنتين او حتى بعـد ثلاث سنوات ، هـذا أفضل من تعجيل الأمور دون أى امل فى تكوين مادة بشرية جيدة »(٢) •

هـذه التوجيهـات اللينينية لا تخص ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وحـدها ، فهى بأصالتها وصدقها وعموميتها تخاطب كل ثورة ديمقراطية تبغى الايفاء بمهامها الخاصة هـذه ، والانتقال الى مرحلة الثورة الاشتراكية ، وهى من ثم تتعلق بالثورة الوطنية الديمقراطية فى هـذا الجزء من اليمن ، والتى لا غنى عنها من أجل مواصلة السير فى
ـدما الى الأمام فى طريق
، ، وملامسة تخوم الاشتراكية

ـم حثيثا على هـذا الدرب يتطلب المزيد من الترصين والصقل للادارة الحزبية الطليعية القائدة والموجهة • وذلك ما نبهت اليه (الوثيقة النقـدية) حيث دعت الى « ضرورة تعزيز الوحـدة المبدئية للقيادة — اللجنة المركزية — المكتب السياسى ، على أساس الالتزام الصارم فى مجمل نشاطاتها وأساليب عملها ببرنامج الحزب ومبادىء الحياة الحزبية المحـددة فى النظام الداخلى ، وبالذات مبادىء المركزية الديمقراطية والقيادة الجماعية والنقـد والنقـد الذاتى ، والوقـوف ضـد أية ميول لخلق الانقسامات والتكتلات وانزال القناعات الذاتية

أو العمل خارج الأطر والهيئات الحزبية ؛ ووضع برنامج صارم لتأهيل أعضاء القيادة ورفـــع قـدراتهم النظرية والعملية وتثقيفهم بأفكار الاشتراكية العلمية وتجارب الحركة الثورية العالمية وتجسيد لمبـادىء اللينينية للقيادة الحزبية » •

كما دعت الى « تعميق مستوى التربية الأيديولوجية للأعضـاء والأعضاء المرشحين على أساس أفكار الاشتراكية العلمية ومقـاومة تأثيرات الأفكار البرجوازية والبرجوازية الصغيرة وبقـايا الأفكار التقليدية القـديمة » •

ودعت فى ذات الوقت الى تعزيز البنية للحزب من بين أوسـاط المثقفين الثوريين والجنود والفئات التعاونية من الفلاحين والصيادين والحرفيين والحـد من التأطير الى الحزب من بين صفوف البرجوازية الصغيرة والموظفين الا فى حالات استثنائية ، وبالذات من أولئك الذين يثبتون بالملموس انحيازهم التام الى جانب الطبقة العاملة وفكرها » (ص ٤٠) •

وأكدت الوثيقة على ضرورة مواجهة النزعات الشكلية والادارية والبروقراطية فى أساليب العمل وعلى « تعميق الطابع الديمقراطى لسلطة الدولة واشاعة الديمقراطية فى آلية سلطة الدولة وعلى صعيد المجتمع ، وتوسيع نطاق المشاركة الفعلية للكادحين فى الحياة السياسية وفى ادارة شئون التطور الاجتماعى والاقتصادى والثقافى فى البلاد من خلال رفع دور فاعلية مجالس الشعب الأعلى ومجالس الشعب المحلية ومنظمـات الكادحين المهنية والابداعية ورفع مستوى مراقبة الجماهير على نشاط هيئات وأجهزة الدولة وكوادرها والعاملين فيها ، وتعزيز دور أجهزة حماية الشرعية الديمقراطية فى الرقابة على تنفيذ القوانين وحماية النظام التقـدمى » • (ص ٥١ و ٥٤) كما أن « تقرير اللجنة المركزية » لفت الانتباه الى أهمية « تطبيق مبدأ العلنية وشموله أشكالا أخرى غير البث

الاذاعى والتلفزيونى كعقد الجلسات العلنية المفتوحة أمام الاختصاصيين والمهتمين أو العاملين فى الحقول المعلنة باعتبار ذلك ركناً هاماً ورئيسياً من أركان حياتنا الديمقراطية المنظمة وفق الدستور » (ص ٣٠) .

لا نود الاطالة فى تتبع أبعاد الوقفة النقدية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية وشتى المعالجات الصائبة التى تضمنها كل من (الوثيقة النقدية التحليلية) و (تقرير اللجنة المركزة) المقرين من الكونفرنس الحزبى العام ، فما نشرناه يوضح الاتجاه الجاد الذى يمضى فيه الحزب لتقويم كل أعوجاج ، وتصويب كل مسلك ، وترشيد المسيرة كلها ، بما يكفل نهوضه برسالته التاريخية النبيلة ، وبما يؤكد مشروعية ومصداقية هذه الرسالة التى يتسع نطاقها لليمن كلها ، والتى تتضمن النضال من أجل اقامة اليمن الديمقراطى المتحرر الموحد المتقدم ، السائر على طريق الاشتراكية ، والكفاح من أجل معاضدة كل أطراف حركة التحرر الوطنى العربية وأحزابها التقدمية بما يساعد على اقامة نظام وطنى ديمقراطى فى كل بلد عربى ، واقامة جبهة تقدمية عربية ، تمهيداً لتحقيق وحدة الأمة العربية على أسس ديمقراطية حقة ، كما تتضمن الاشتراك فى النضال العام الذى تخوضه البشرية التقدمية ، وفى طليعتها المعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى ، من أجل رفع راية الديمقراطية والاشتراكية والسلام فى العالم أجمع .

رقم الايداع بدار الكتب القومية
٨٩/٩١٦٨

الترقيم الدولى
٧ — ١٤٧ — ١٣٣ — ٩٧٧

شركة دار الاشعاع للطباعة

١٤ شارع عبد الحميد — جنينة قاميش
السيده زينب — القاهرة
ت : ٣٦٣٠٤٦٩

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب القاهرة ت ٧٥٦٤٢١

MADBOULI BOOKSHOP

6 Talat Harb SQ. Tel: 756421